شبكة الألوكة
www.alukah.net

مكتبة الأستاذ الدكتور محمد بن تركي التركي

مخطوطة

أسرار التنزيل

المؤلف

محمد بن عمر بن الحسن (الفخر الدين الرازي)

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

Mikrofilm Arşiv
No. 31

شبكة
الألوكة
www.alukah.net

الحمد لله الذي اظهر من آثار سلطانه وجلال كبريائه
ما خيّر مُقل العقول من عجايب قدرته وردع خطرات
هماهم النفوس عن عرفان كنه صفته بعلم عجج الوحوش
في الفلوات ومعاصي العباد في الخلوات واختلاف البنان
في البحار الغامرات وتلاطم الماء بالرياح العاصفات الذي
عظم حلمه فعفا ومجد في كل ما قضى وعلم ما يمضي وما
مضى له ما في السموات وما في الارض وما بينهما وما تحت
الثري وان تجهر بالقول فانه يعلم السر واخفى الله لا اله
الا هو له الاسماء الحسنى كان ولا مكان ولا حين ولا اوان
ولا وقت ولا زمان ولا ظل ولا غمام ولا هواء ولا هوام ولا خلق
ولا انام ولا خامد ولا جامد ولا راكد ولا هامد ولا متحرك ولا ساكن
ولا ظاهر ولا باطن ولا قلم ولا لوح ولا جسم ولا روح ولا عرش
ولا كرسي ولا جنى ولا انسي ولا خفض ولا رفع ولا ضر ولا نفع

ولا طول ولا عرض ولا سماء ولا ارض ولا ليل ولا نهار ولا جنة
ولا نار واحد وحداني ليس معه آلهة ثاني باق لا يبلى دايم لا يفنى عالم
لا يلهو حافظ لا يسهو جبار لا يضام عزيز لا يرام حي لا يموت
ذو الملك والملكوت والعزة والجبروت احمده حمدا يليق بعلو
شانه وباهر برهانه وقديم احسانه وعظيم امتنانه
واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة مقرونة
بالصدق والصواب مبرأة عن الشك والشبهة والارتياب
واشهد ان محمدا عبده ورسوله ارسله بالهدى ودين الحق
ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون صلى الله عليه وعلى اله
واصحابه وسلم تسليما اما بعد فهذا كتاب رجوا من فضل
الله العميم واحسانه القديم ان يوفقنا لنظمه وتنقيحه وتهذيبه
وتلويحه ورتبناه على اربعة اقسام القسم الاول ما يتعلق
بعلم الاصول والثاني ما يتعلق بعلم الفروع والثالث ما يتعلق
بعلم الاخلاق وتصفية الباطن والرابع ما يتعلق بالمناجات والدعوات
ونسال الله العظيم ان يوفقنا لاتمامه انه خير مامول واتم
مسئول القسم الاول من هذا الكتاب ما يتعلق بعلم الاصول
واعلم ان القرآن العظيم قد دل على ان معاقد الايمان مبنية
على امور اربعة كما قال تعالى والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته
وكتبه ورسله فنحن رتبنا علم الاصول على هذه القواعد
الاربعة القاعدة الاولى في معرفة الله تعالى واعلم ان معرفة
الله تعالى لا تحصل الا بمعرفة امور خمسة معرفة الذات والصفات

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

والافعال والاحكام والاسماء فنحن جعلنا معرفة الله تعالى مبنية
على هذه الاصول الخمسة الباب الاول في معرفة الذات وفيه فصول
الفصل الاول في اسرار كلمة لا اله الا الله قال سبحانه لرسوله عم
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
واعلم انه تعالى قدم الامر بمعرفة التوحيد على الامر بالاستغفار
والسبب فيه ان معرفة التوحيد اشارة الى علم الاصول والاشتغال
بالاستغفار اشارة الى علم الفروع والاصل يجب تقديمه على الفرع
فانه ما لم يعلم وجود الصانع امتنع الاشتغال بطاعته وخدمته
وهذه الدقيقة معتبرة في ايات كثيرة اولها ان ابرهيم عليه السلام
لما اشتغل بالدعاء قدم المعرفة على الطاعة فقال رب هب لي حكما
والحقني بالصالحين فقوله هب لي حكما اشارة الى استكمال القوة
النظرية بمعرفة حقايق الاشياء وقوله والحقني بالصالحين اشارة
الى استكمال القوة العملية بالاجتناب عن طرفي الافراط والتفريط
فقدم العلم على العمل والله اعلم ومنها انه تعالى لما اوحى الى موسى
راعى هذا الترتيب فقال وانا اخترتك فاستمع لما يوحى انني انا الله
لا اله الا انا فاعبدني الاية فقوله لا اله الا انا اشارة الى علم
الاصول وقوله فاعبدني اشارة الى علم الفروع ومنها ان عيسى
لما انطقه الله تعالى في المهد في وقت الطفولية قال اني عبد الله
اتاني الكتاب وجعلني نبيا فقوله اني عبد الله اشارة الى علم الاصول
وقوله اتاني الكتاب اشارة الى علم الفروع فان الاحتياج الى الكتاب
انما يكون في معرفة الاحكام والشرايع لا معرفة ذات الله تعالى وصفاته

ورابعها الاية التي نحن فيها على ما قررناه ولا نزاع ان افضل الانبياء
والرسل عليهم السلام هؤلاء الاربعة فلما ثبت ان الله تعالى قدم
الامر بمعرفة الاصول على معرفة الفروع في حق هؤلاء الانبياء المكرمين
ثبت ان الحق الصحيح الصريح ليس الا ذلك ومما يؤيد ذلك وجوه اخر
احدها ان اكثر المفسرين على ان اول ما انزل الله تعالى على محمد عليه
هو قوله اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك
الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فهذه الايات مشتملة
على دلايل التوحيد وذلك لان اظهر الدلايل الدالة على وجود
الصانع الحكيم تولد الانسان من تلك النطفة ثم انه تعالى نبه
في هذه الاية على لطيفة عجيبة ولابتاني شرحها الا في معرض السؤال
والجواب فان قال قايل لابد من رعاية التظلم بين اجزاء الكلام وههنا
ذكر الله تعالى تولد الانسان من النطفة ثم قال الذي خلق خلق الانسان
من علق ثم ذكر بعده انه تعالى علم الانسان ما لم يعلم فاي مناسبة
بين هذين الامرين والجواب ان اخس المراتب وادناها العلقة وذلك
لانه يستقذرها كل احد واعلى المراتب واشرفها كون الانسان
عالما محيطا بحقايق الاشياء كانه قال عبدي تامل الى اول حالك
حين كنت علقة وهي اخس الاشياء والى اخر حالك حين صرت ناطقا عالما
بحقايق الاشياء وهو اشرف المراتب حتى يظهر لك انه لا يمكن الانتقال
من تلك الحالة الخسيسة الى هذه الدرجة الشريفة الا بتقدير اقدر
القادرين واحكم الحاكمين سبحانه وتعالى عن قول الظالمين ومنها
انه تعالى مدح في اول سورة البقرة المؤمنين من اول السورة الى قوله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اولئك هم المفلحون ثم ذم الكافرين في اثنين اولهما قوله ان الذين كفروا
الى قوله ولهم عذاب عظيم ثم ذم المنافقين في ثلث عشرة اية اولها
قوله ومن الناس من يقول امنا بالله الى قوله يا ايها الناس اعبدوا
ربكم ثم لما مدح المؤمنين وذم الكافرين والمنافقين كانه قيل هذا
المدح والذم لا يستقيمان الا بتقديم الدلايل على اثبات التوحيد
والنبوة والمعاد فان اصول الاسلام هي هذه الثلثة فلهذا السبب
بين تعالى صحة هذه الاصول الثلثة بالدلايل القاطعة فبدء اولا
باثبات الصانع وتوحيده وبين ذلك بخمسة انواع من الدلايل
اولها انه تعالى استدل على التوحيد بانفسهم واليه الاشارة بقوله
ربكم الذي خلقكم وثانيها باحوال آبائهم واجدادهم واليه الاشارة
بقوله والذين من قبلكم وثالثها باحوال الارض واليه الاشارة
بقوله الذي جعل لكم الارض فراشا ورابعها باحوال السماء واليه
الاشارة بقوله والسماء بناء وخامسها باحوال الحادثة المتعلقة
بالسماء والارض واليه الاشارة بقوله وانزل من السماء ماء فاخرج
من الثمرات رزقا لكم فان السماء كالاب والارض كالام تنزل قطرة
المطر من صلب السماء الى رحم الارض فيتولد منه انواع النبات فلما ذكر
هذه الدلايل الخمسة رتب المطلوب عليها فقال فلا تجعلوا لله اندادا
وانتم تعلمون وذلك لان هذه الدلايل تدل على وجود الصانع القادر
من وجه وعلى كونه تعالى واحدا من وجه آخر فانها من حيث انها
حدثت مع جواز ان لا تحدث ومع جواز ان تحدث على خلاف ما حدثت
بدل على وجود الصانع القادر ومن حيث انها حدثت لا على وجه

الخلل والفساد دلت على وحدة الصانع كما قال تعالى لو كان فيهما الهة
الا الله لفسدتا فلهذا السبب ذكر بعد تلك الدلايل الخمسة ذينك
المطلوبين احدهما اثبات الصانع والثاني اثبات انه واحد
لان قوله تعالى فلا تجعلوا لله اندادا مشتمل على اثبات الاله وعلى
اثبات كونه واحدا ثم ههنا لطيفة اخرى مرعية في هذه الآية
وهي الترتيب الحسن المفيد في التعليم ان يقع الابتداء في التعليم من الاظهر
فالاظهر مرتقيا من الاخفى فالاخفى وهذه الدقيقة مرعية في هذه
الآية وذلك لانه سبحانه وتعالى قال اعبدوا ربكم الذي خلقكم فجعل
استدلال كل عاقل بنفسه مقدما على جميع الاستدلالات لان اطلاع كل
احد على نفسه اتم على اطلاعه على احوال غيره فيجد من نفسه ضرورة انه
تارة يكون مريضا وتارة صحيحا وتارة ملتذا وتارة متالما وتارة
وليدا وتارة شابا وتارة شيخا والانتقال من بعض هذه الصفات
الى غيرها ليس باختياره ولا باختيار احد وايضا كثيرا ما يجتهد
في طلب شيء فلا يجد وكثيرا ما يكون عنه غافلا فيحصل وعند ذلك
يعلم كل احد عند فقض العزايم وفسخ الهمم انه لا بد من مدبر يكون
تدبيره فوق تدبير البشر وربما يجتهد العاقل الزكي في الطلب
فلا يجد والغر الغبي يتيسر له ذلك المطلوب فعند هذه الاعتبارات
يلوح له صدق قول الامام الشافعي رضي الله عنه ٥ شعر
ومن الدليل على القضاء وكونه ٥ بؤس اللبيب وطيب عيش الاحمق ٥
ويظهر له ان هذه المطالب انما تحصل وتتيسر لنا على قسمة قسام
لا يمكن منازعته ومغالبته كما قال تعالى نحن قسمنا بينهم معيشتهم

مكتبة الألوكة
www.alukah.net

في الحيوة الدنيا ثم ان مراتب هذه الاعتبارات غير محصورة فتارة
كما في قوله امن يجيب المضطر اذا دعاه واخرى كما في قوله تعالى
قل من يكلوكم بالليل والنهار وبالجملة فلما كان اطلاع كل احد
على احوال نفسه ايسر من اطلاعه على احوال غيره لاجرم قدم هذا
الدليل على سائر الدلائل ثم هذه المرتبة تليها مرتبة اخرى
وهي علم كل احد باحوال ابائه واجداده واهل بلده ثم هذه المرتبة
الثانية تليها مرتبة ثالثة وهي علم الانسان باحوال
الارض التي هي مسكن الخلايق فانها مختلفة الاجزاء كما قال تعالى
وفي الارض قطع متجاورات وقال ايضا ومن الجبال جدد بيض
وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ثم هذه المرتبة الثالثة تليها
مرتبة رابعة وهي العلم باحوال الافلاك فان بعضها يخالف البعض
في العلو والسفل والصغر والكبر والبطوء والسرعة واختلاف
احوال الكواكب المركوزة فيها كما قال تعالى وكل في فلك يسبحون وقال
رب المشرق والمغرب وقال رب المشرقين ورب المغربين وقال
رب المشارق والمغارب وقال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
وقال تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا وقال في سورة نوح الم تر وا كيف خلق الله سبع سموات طباقا
وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا وقال في يس لا الشمس
ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار الاية وقال فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس ثم بعد هذه المرتبة الرابعة
مرتبة خامسة وهي الاحوال المتولدة من السماء والارض وهي نزول المطر

من القطر

القطر من صلب السحاب ووقوعه في رحم الارض ثم بعد ذلك في الارض
الواحدة انواع من النبات بحيث تخالف كل واحد منها صاحبة في اللون
والشكل والطعم والطبع والخاصية فمنه ما يكون قوتا ومنه ما يكون
اداما ومنه ما يكون فاكهة ومنه ما يكون دواء ومنه ما يكون
سما ومنه ما يكون علفا لسائر الحيوانات فذكر تعالى في تفصيل
المطعومات قوله انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا
الى آخر الآية وقال ان الله فالق الحب والنوى بل اذا نظرت الى ورقة
واحدة من اوراق الورد وجدت احد وجهيها في غاية الحمرة والوجه
الاخر في غاية الصفرة مع انهما يكونان في غاية الرقة وقلة الثخانة ونحن
نعلم بالضرورة ان نسبة تاثير الكواكب وحركات الافلاك والطبايع
الى كل واحد من وجهي تلك الورقة الرقيقة جدا من الورد نسبة واحدة
فاختصاص احد وجهي تلك الورقة بالحمرة والاخرى بالصفرة لابد
وان يكون لاجل القادر المختار الذي يفعل بالعلم والقدرة لا بالعلة
والطبيعة واذا عرفت ذلك ظهر لك ان لله تعالى في ترتيب هذه
الدلايل الخمسة وتقديم بعضها على بعض حكما بالغة واسرارا عجيبة
فسبحان من لا نهاية لعلمه ولا غاية لحكمته ثم انه تعالى لما بين هذه الدلايل
اثبات الصانع ووحدانيته اردف هذه المسئلة بمسئلة اقامة
الدلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وهي قوله وان كنتم في ريب
مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله وذلك لان التحدي وقع
بكل القرآن في قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل
هذا القرآن لا ياتون بمثله الاية فلما عجزوا عن معارضة كل القرآن

الألوكة
www.alukah.net

اتبعه بالتحدي بعشر سور من القران فقال فاتوا بعشر سور مثله
مفتريات فلما عجزوا عنه اتبعه بالتحدي بسورة واحدة فقال
فاتوا بسورة من مثله فلما عجزوا عنه اتبعه بالتحدي باية واحدة
فقال فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين فلما عجزوا عنه
مع توفر الدواعي ظهر كونه معجزا باهرا وبرهانا قاهرا ثم انه تعالى
اتبع هذه المسئلة بمسئلة المعاد وهي قوله وبشر الذين امنوا وعملوا
الصالحات ان لهم جنات تجري من تحتها الانهار كانه قيل اذا قد منا
مدح المؤمنين وذم الكافرين والمنافقين فلو لم يكن معاد يجد المحسن
ثمرة احسانه ويجد المسئ عاقبة اساءته لم يكن ذلك لايقا بحكمتي
وهذا هو المراد من قوله في يونس للذين احسنوا الحسنى وزياده وبقوله
في النجم ليجزي الذين اساؤا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى
وقال في طه وانا اقم الصلوة لذكري ان الساعة اتية اكاد اخفيها
لتجزى كل نفس بما تسعى وقال في ص ام نجعل الذين امنوا وعملوا
الصالحات كالمفسدين في الارض ام نجعل المتقين كالفجار فظهر
بما ذكرنا انه تعالى لم يذكر في اول كتابه الا دلايل التوحيد والنبوة
والمعاد وثبت انه لابد من تقديم الاصول على الفروع فلهذا السبب
قدم الله تعالى الامر بالتوحيد على الامر بالاستغفار فقال فاعلم
انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك الوجه الثالث في تقرير هذا
الاصل انه تعالى قال في اول سورة النحل ينزل الملايكة بالروح
من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
فقوله لا اله الا انا اشارة الى علم الاصول وقوله فاتقون اشارة

الى علم الفروع الوجه الرابع ان موسى عليه السلام لما ادعى الرسالة
عند فرعون قال له فرعون وما رب العالمين يعني ان رسالتك
متفرعة على اثبات ان للعالم الها فما الدليل عليه ثم ان موسى عليه السلام
لم ينكر عليه هذا السؤال بل اشتغل بذكر الدلايل الدالة على وجود
الصانع فقال ربكم ورب اباءكم الاولين فاستدل على وجود الصانع
اولا باحوال نفسه وثانيا باحوال اباءه وهو نظير قوله تعالى في سورة
البقرة يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم
فظهر بما ذكرنا وجوه الفايدة في انه تعالى ذكر اولا قوله فاعلم انه
لا اله الا الله وذكر ثانيا قوله واستغفر لذنبك والله اعلم بحقايق
كتابه فهذا ما يتعلق بالدلايل القرانية الدالة على تقديم علم الاصول
على علم الفروع ولنؤكد هذه الوجوه بخمس عشرة اوجه اخرى الحجة
الاولى هو ان شرف العلم بشرف المعلوم فمهما كان المعلوم اشرف
كان العلم الحاصل به اشرف فلما كان اشرف المعلومات ذات الله سبحانه
وتعالى وصفاته وجب ان يكون معرفته وتوحيده اشرف العلوم الحجة
الثانية ان العلم اما ان يكون دينيا او غير ديني ولا شك ان العلم
الديني اشرف من غير الديني واما العلم الديني فاما ان يكون علم الاصول
او ما عداه اما ما عدا علم الاصول فان صحته موقوفة على صحة علم
الاصول لان المفسر انما يبحث عن معاني كلام الله وذلك فرع على معرفة
الصانع المختار المتكلم واما المحدث فانما يبحث عن كلام رسول الله
صلى الله عليه وسلم وذلك فرع على نبوته والفقيه انما يبحث عن احكام
الله تعالى وذلك فرع على ثبوت التوحيد والنبوة فثبت ان هذه العلوم

مكتبة الألوكة
www.alukah.net

باسرها مفتقرة الى علم الاصول وظاهر ان علم الاصول غنى عنها
باسرها فوجب ان يكون علم الاصول اشرف الحجة الثالثة ان شرف
الشيء قد يظهر بواسطة خساسة ضده فكلما كان ضد الشيء احسن
كان هو اشرف ولا شك ان ضد علم الاصول هو الكفر والبدعة وهما
من اخس الاشياء فوجب ان يكون علم الاصول اشرف العلوم الحجة
الرابعة ان شرف العلم تارة تكون لشرف موضوعه وتارة لشدة الحاجة
اليه وتارة لقوة براهينه ودلائله وذلك لان علم الهيئة اشرف
من علم الطب نظرا الى ان موضوع علم الهيئة اشرف من موضوع علم
الطب اشرف من حيث ان الحاجة الى الطب اشد وعلم الحساب اشرف
منهما من حيث ان براهين هذا العلم اقوى وعلم الاصول مستجمع لهذه
الخصال اما اشرف الموضوع وذلك لان المبحوث عنه معرفة ذات الله
تعالى وصفاته وقدسه وعظمته وعزته ولا شك انه اشرف
الاشياء واما شدة الحاجة اليه فظاهرة لان الحاجة اما في الدين
واما في الدنيا اما في الدين فلان من عرف هذه المطالب استحق الثواب
العظيم وتخلص عن العقاب الاليم وصار من زمرة الملائكة المقربين
في جوار رب العالمين ومن جهلها صار محروما عن الثواب العظيم
مستوجبا للعقاب الاليم وصار من زمرة الابالسة والشياطين
وبقي في دركات الضلالات ابدا لابدين ودهر الداهرين واما في الدنيا
فلان معظم مصالح العالم انما تنتظم بسبب الرغبة في الثواب والرهبة
من العقاب والا لوقع الهرج والمرج في العالم واما قوة براهين هذا العلم
فلان براهينها مركبة من المقدمات البديهية الضرورية وهي اقوى العلوم

والمعارف فثبت ان علم الاصول مستجمع لجميع خصال الشرف
فوجب ان يكون اشرف العلوم الحجة الخامسة ان هذا العلم
لا يتطرق اليه النسخ والتغيير ولا يختلف باختلاف النواحي والامم
بخلاف سائر العلوم فوجب ان يكون هذا العلم اشرف العلوم
الحجة السادسة ان الانسان لا يكون من اهل النجاة والدرجات
الا مع هذا العلم وقد يكون من اهل النجاة وان لم يتعلم من الفقه
شيئا اصلا والبتة اما انه لابد من النجاة من علم الاصول لان الجاهل
بالله وصفاته البتة لا يكون من اهل النجاة بالاجماع واما انه
قد تحصل النجاة بدون الفقه فلان الانسان قبل البلوغ لا يكون
مكلفا بشيء من الاعمال فاذا بلغ وقت الضحوة في هذه الساعة
لم يجب عليه شيء من الصلوات والزكوات والصيامات وسائر
العبادات فلو مات في هذه الساعة مع المعرفة والتوحيد لقي الله
تعالى مؤمنا حقا ولو قدرنا ان هذا الذي بلغ كان امرأة ثم لما
بلغت حاضت وبقيت مدة اخرى في البلوغ فهي غير مكلفة لا بالصلوة
ولا بالصيام ولا بالقرآن فاذا انقضى زمان حيضها مات فقد لقيت
حضرة الله مؤمنة حقا فعلمنا ان النجاة واستحقاق الدرجات
لا يتوقف على الفقه وهي موقوفة على معرفة علم الاصول الحجة
السابعة ان الايات المشتملة على دلايل علم الاصول اشرف من الايات
المشتملة على دلايل علم الفروع بدليل انه قد جاء في فضيلة قل هو الله
احد وآمن الرسول وآية الكرسي وشهد الله ما لم يجئ مثله في فضيلة
قوله تعالى ويسئلونك عن المحيض وقوله احل الله البيع وحرم الربوا

شبكة الألوكة www.alukah.net

ويا ايها الذين امنوا اذا تداينتم بدين ولذلك فان الزهاد والعباد
مواظبون في شرايف الاوقات على قراءة هذه الايات المشتملة
على الالهيات دون الايات المشتملة على هذه الاحكام الحجة
الثامنة ان الايات الواردة في الاحكام الشرعية اقل من ستمائة
آية واما البواقي فهي في بيان التوحيد والرد على عبدة الاوثان
واصناف المشركين وفي اثبات النبوة والمعاد ومسئلة القضاء
والقدر واما الايات الواردة في القصص فالمراد منها اما التوحيد
واما النبوة فاما التوحيد فهي ان يستدل بها على قدرة الله تعالى
وحكمته كما قال لقد كان في قصصهم عبرة لاولي الالباب واما على
النبوة فمن وجهين الاول كما قال تعالى في سورة الشعراء بعد ذكر
القصص وانه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الامين على قلبك وجه
الاستدلال به انه عليه السلام لما لم يتعلم علما ولم يقرأ كتابا ولم
يتلمذ لاستاد استحال منه رواية هذه القصص الا عن وحي الله تعالى
وتنزيله والثاني انه يذكر القصة الواحدة مرارا مختلفة بالالفاظ
مختلفة وكل ذلك متشابهة في الفصاحة مع ان الفصيح اذا ذكر
قصة واحدة مرة واحدة بالالفاظ الفصيحة عجز عن ذكرها بعينها
مرة اخرى بالالفاظ الفصيحة فاستدل بفصاحة الكل على كونها من عند الله
لا من البشر فدل هذا على ان معظم القرآن في علم الاصول فلنشر الى معاقد
الدلايل اما دلايل التوحيد فنارة بدليل خلق الانسان من النطفة
والله تعالى ذكر هذا الدليل في القرآن اكثر من ثمانين مرة وتارة بدلايل
الآفاق وهي احوال السماء والارض والهواء والنبات والحيوان

وهي اظهر من ان نحتاج فيه الى الشرح واما الدلايل على الصفات
فنقول اما الذي يدل على العلم فكقوله ان الله لا يخفى عليه شيء
في الارض ولا في السماء ثم ارداف به بقوله هو الذي يصوركم في
الارحام كيف يشاء وهذا هو دليل المتكلمين فانهم يستدلون
باحكام الافعال واتقانها على علم الفاعل وها هنا استدل
سبحانه بتصوير الصور في ظلمات الارحام على كون الفاعل عالما وقال
ايضا الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير وهو عين تلك الدلالة وقال
وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وهذا تنبيه على كونه تعالى عالما
بكل المعلومات لانه تعالى يخبر عن المغيبات فيقع تلك الاشياء
على وفق ذلك الخبر وذلك يدل على كونه تعالى عالما بكل المغيبات بخلاف
الانسان واما صفة القدرة فكل ما ذكر الله في القرآن من الثمار
المختلفة والحيوانات المختلفة مع استواء تاثير الطبايع والافلاك
فانه يدل على صفة القدرة ويجيء الاستقصاء في هذا بدلايل
القرآنية للحجة التاسعة انه تعالى حكى عن اكثر الانبياء عليهم السلام
انهم كانوا طول عمرهم مشتغلين بهذه الدلايل ولنذكر ما ينبه
على المقصود اما الملايكة عليهم السلام فانهم لما قالوا اتجعل فيها
من يفسد فيها الآية كان المراد ان خلق امثال هؤلاء سبب الشر والفتنة
وذلك قبيح والحكيم لا يفعل القبيح فاجابهم الله تعالى بقوله اني اعلم
ما لا تعلمون والمعنى والله اعلم اني لما كنت عالما بكل المخلوقات
كنت قد علمت في خلقهم وايجادهم حكمة لا تعلمونها انتم فلما سمعوا
ذلك سكتوا واما مناظرة الله تعالى مع ابليس فالقرآن ناطق بها

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

وأما الأنبياء عليهم السلام فاولهم ادم وقد اظهر الله الحجة
على فضله بان اظهر علمه على الملائكة وذلك محض الاستدلال
واما نوح عليه السلام فقد حكى الله تعالى عن الكفار بانهم قالوا
يا نوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا ومعلوم ان مجادلة الرسول
مع الكفار لا يكون في تفاصيل الاحكام الشرعية فلم يبق الا انها
كانت في التوحيد والنبوة وايضا انه عليه السلام لما امرهم
بالاستغفار في قوله فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا فهو في الحالة
ذكر ما يدل على التوحيد فقال الم تروا كيف خلق الله سبع سموات
طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا واما ابرهيم
عليه السلام فالاستقصاء في شرح احواله في هذا الباب يطول
وله مقامات احدها حاله مع نفسه وهو قوله فلما جن عليه
الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل الى اخر الايات وهذا هو طريقة
المتكلمين فانه استدل بافولها وتغيرها على حدوثها ثم استدل
بحدوثها على وجود محدثها كما اخبر الله تعالى عنه في قوله قال يا قوم
اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي الاية ثم انه تعالى عظم شانه
بسبب ذلك فقال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه نرفع
درجات من نشاء وايضا قال في وقت دعايه ما هو محض استدلال
وهو قوله الذي خلقني فهو يهدين والذي هو يطعمني ويسقين الاية
وثانيها حاله عليه السلام مع ابيه وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر الى اخر الايات وثالثها حاله مع قومه تارة بالقول واخرى
بالفعل اما بالقول فهو قوله ما هذه التماثيل التي انتم لها عاكفون

وأما بالفعل فقوله تعالى فجعلهم جذاذا الا كبيرا الاية ورابعها
حاله مع ملك زمانه حيث قال ربي الذي يحيي ويميت الاية فهذه
كلها مباحث ابرهيم عليه السلام في معرفة المبدا. واما بحثه في معرفة المعاد
فهو قوله رب ارني كيف تحيي الموتى الى اخره واما موسى عليه السلام
فانظر الى مباحثه مع فرعون واعلم ان موسى عليه ما كان يعول
في الاستدلال الا على دلايل ابرهيم عليه السلام وذلك لانه تعالى
حكى في سورة طه ان فرعون قال له وهرون فمن ربكما يا موسى
قال ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى وهذا هو الدليل الذي
ذكره ابرهيم عليه السلام حيث قال خلقني فهو يهدين ثم حكى تعالى
عن موسى في سورة الشعراء انه قال لفرعون ربكم ورب اباءكم الاولين
وهذا هو الدليل الذي عول عليه ابرهيم في قوله ربي الذي يحيي
ويميت فلما لم يكف فرعون بذلك وطالبه بدليل اخر قال موسى رب
المشرق والمغرب وهذا هو الدليل الذي عول عليه ابرهيم عليه السلام
في قوله فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب وهذا
ينبهك على التمسك بهذه الدلايل حرفة هؤلاء الانبياء عليهم السلام
ثم ان موسى عليه السلام لما فرغ من تقرير دلايل التوحيد ذكر بعض
دلايل النبوة فقال ولقد جيتك بشيء مبين وهذا يدل على انه عليه السلام
فرغ بيان النبوة على بيان التوحيد والمعرفة واما سليمان عليه السلام
فله مقامان احدهما في اثبات التوحيد والاخر في اثبات النبوة
اما المقام الاول في اثبات التوحيد فهو قوله سبحانه حكاية عنه
الا يا اسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والارض ويعلم ما يخفون

الألوكة
www.alukah.net

وما يعلنون الله لا اله الا هو رب العرش العظيم وهذه الاية
دالة على وصف الله تعالى بالقدرة وبالعلم اما القدرة فقوله
يخرج الخبء في السموات والارض وسمي المخبوء بالمصدر وهو يتناول
جميع انواع الارزاق والاموال واخراجه من السماء بالغيث
ومن الارض بالنبات وتقريره ما قدمنا واما العلم فيدل
على ثبوته قوله ويعلم ما تخفون وما يعلنون واعلم ان المقصود
من هذا الكلام الرد على ان يعبد الشمس وتخصيص الدلالة على فانون
الجدل من وجهين الاول ان الاله يجب ان يكون قادرا على اخراج
الخبء ويكون عالما بالخفيات والشمس ليست كذلك فهي لا تكون
الها اما انه سبحانه يجب ان يكون قادرا عالما على الوجه المذكور
لانه واجب الوجود لذاته فلا يختص علمه وقدرته ببعض المقدورات
وبعض المعلومات دون البعض واما ان الشمس ليست كذلك فانها
جسم متناه وكل ما كان متناهيا في الذات كان متناهيا في الصفات
واذا كان كذلك امتنع ان تكون الشمس قادرة على اخراج الخبء وعالمة
بالخفيات واذا لم تعلم من حالها ذلك لم تعلم من حالها كونها قادرة
على جلب المنافع ودفع المضار فيرجع حاصل هذا الدليل الى ما ذكره
ابرهيم عليه السلام في قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني
عنك شيئا الوجه الثاني ان هذا اشارة الى دليل ابرهيم عليه السلام
في قوله ربي الذي يحيي ويميت الى اخر الاية وبيانه ان سبحانه هو الذي
يخرج الشمس من المشرق بعد افولها وهذا هو المراد باخراج الخبء
في السموات وهو المراد من قول ابرهيم لا احب الافلين ومن قوله

ان الله يأتي بالشمس من المشرق ومن قول موسى عليه السلام رب
المشرق والمغرب وحاصل الكلام يرجع الى ان افول الشمس وطلوعها
يدلان على كونها تحت تدبير مدبر قاهر فكانت العبادة لقاهرها
ومدبرها والمتصرف فيها اولى واما اخراج الخبء من الارض
فالمراد منه اخراج النطفة من بين الصلب والترايب وهو المراد
من قول ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت ومن قول موسى عليه السلام
ربكم وربّ اباءكم الاولين فان قيل ان ابرهيم وموسى عليهما السلام
قد ما دلا على النفس على دليل الافلاك فان ابرهيم قال ولا ربي
الذي يحيي ويميت ثم قال ان الله يأتي بالشمس من المشرق وموسى
عليه السلام قال ربكم وربّ اباءكم الاولين ثم قال ربّ
المشرق والمغرب فلم عكس سليمان عليه السلام هذا الترتيب فقدم
دليل السموات على دليل الانفس فقال الذي يخرج الخبء في السموات
والارض قلنا ان ابرهيم وموسى عليهما السلام كان مناظرتهما
مع من ادعى الالهية البشر فان نمرود وفرعون كل واحد منهما كان
يدعي الالهية فلا جرم ابتدأ ابرهيم وموسى بابطال الهية البشر
ثم انتقلا الى ابطال الهية الافلاك والكواكب واما سليمان
فانه كانت مناظرته مع من يدعي الهية الشمس فان الهدهد قال
رايتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله فلا جرم ابتداء بذكر
السموات والارض ثم بذكر الارضيات ثم ان سليمان عليه السلام لما تم
دليل التوحيد قال بعده لا اله الا هو رب العرش العظيم والمراد
انه لما بين افتقار السموات والشمس وسائر الكواكب الى مدبر خالق

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

ذكر بعد ذلك ان كل ما كان جسما فهو مخلوق ومربوب سواء كان
عظيما او صغيرا فقال لآ اله الا هو رب العرش العظيم فهذا مقام
سليمان عليه السلام في تقرير دلايل التوحيد واما المقام الثاني
له عليه السلام في تقرير دلايل النبوة فهو قوله تعالى حكاية عنه
قال يا ايها الملا ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين قال
عفريت من الجن انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك واني عليه
لقوي امين قال الذي عنده علم من الكتاب انا اتيك به قبل ان
يرتد اليك طرفك الاية واعلم ان كثيرا من الناس قالوا ذلك
الشخص الذي قال انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك هو غير
سليمان وظنوا ان الكاف في قوله انا اتيك به خطاب مع سليمان
وعلى هذا التقدير لابد وان يكون ذلك القايل غير سليمان الآن
هذا ضعيف بل الصحيح عندنا ان الاتي بذلك العرش العظيم هو سليمان
وذلك لانه عليه السلام انما قال ايكم يأتيني بعرشها على سبيل
التحدي فقال العفريت انا اتيك به قبل ان تقوم من مقامك
فقال سليمان للعفريت انا اتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك
فهذا الكلام قاله سليمان عليه السلام للعفريت تقريرا
لتحديه الذي ذكره اولا وكسرا لعفريته واظهارا لمعجزته والذي
يدل عليه وجوه الاول ان سليمان عليه السلام كان قد ذكر
دلايل التوحيد اولا فافتقر بعد ذلك الى تقرير دلايل النبوة
مع بلقيس فان سليمان عليه السلام كان قد كلفها الاقرار
بالتوحيد والنبوة فلما ذكر دلايل التوحيد وجب عليه ان يذكر

بعد ذلك دلايل النبوة وهذا معجز دال على النبوة فوجب جعله معجزا
لسليمان حتى يتم الدليل الوجه الثاني ان لفظة الذي موضوعة في اللغة
للاشارة الى شخص معين عند مجادلة تقريبها بقصة معلومة والشخص
المعروف بان عنده علم الكتاب هو سليمان قال تعالى ففهمناها سليمان
وقال ووورث سليمان داود فوجب انصرافه اليه واقصى ما في الباب
ان اصف ايضا كان عالما بالكتاب الا ان سليمان كان اعرف به منه
لان الرسول كان اعرف بكلام الله من غيره فكان صرف هذا اللفظ
الى سليمان اولى الثالث ان احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة
درجة عالية فلو حصلت لآصف دون سليمان لاقتضى ذلك تفضيل
آصف على سليمان وانه غير جايز الرابع ان سليمان لو افتقر في هذا
الغرض الى آصف لاقتضى ذلك الى قصور حال سليمان في اعين الخلق
الخامس ان سليمان قال هذا من فضل ربي الاية وظاهره يقتضي ان
يكون ذلك المعجز قد اظهره الله بدعاء سليمان فهذا ما يتعلق باشتغال
سليمان عليه السلام بتقرير التوحيد والنبوة واما عيسى عليه السلام
فانه اول ما تكلم شرع امر التوحيد فقال اني عبد الله وشهادة حاله
كانت دالة على صدق مقالة وهذه الكلمة الواحدة كانت جامعة
لكل المقاصد اما دلالتها على التوحيد فلان نطاق الطفل في
اول زمان الطفولية لا يتأتى الا من لا له القادر على كل المقدورات
واما دلالتها على النبوة فلان اختصاصه بهذا الفعل الخارق
للعادة دال على النبوة واما دلالتها على براءة امه من طعن اليهود
فلانه لا يليق بحكمة الحكيم تخصيص ولد الزنا بهذه الرتبة العالية

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

والدرجة الشريفة ثم انه عليه السلام بعد هذه الكلمة الوافية
بتقرير كل الاغراض ينتقل الى بيان الشرايع فقال اتاني الكتاب وجعلني نبيا
واما محمد عليه السلام فاعلم ان اشتغاله بتقرير دلايل التوحيد
والنبوة والمعاد اظهر من ان يحتاج فيه الى مزيد تقرير وذلك لانه
عليه السلام كان مبتلى بالرد على جميع فرق الكفار فالاول الدهرية
الذين كانوا يقولون وما يهلكنا الا الدهر فالله تعالى ابطل قولهم
بانه خالق الدهر والزمان والثاني الذين ينكرون القادر المختار
والله تعالى ابطل قولهم بحدوث انواع النبات واصناف الحيوانات
مع اشتراك الكل في تاثير الطبايع والافلاك والثالث الذين
اثبتوا شريكا مع الله وذلك الشريك اما ان يكون علويا او سفليا
والشريك العلوي فمنهم من اثبت ان ذلك الشريك هو الكواكب والشمس
والله تعالى ابطله بدليل الخليل وهو قوله لا احب الآفلين ومنهم
من قال انه هو النور والظلمة والله تعالى ابطله بقوله الحمد لله
الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ومنهم
من قال انه يزدان واهرمن والله تعالى ابطله بقوله لو كان فيهما
الهة الا الله لفسدتا وبقوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا
وبقوله ولعلا بعضهم على بعض واما الشريك السفلي فمنهم من
قال الهية المسيح والله تعالى ابطله بقوله لن يستنكف المسيح
ان يكون عبدا لله ومنهم من قال انه هو الوثن والله تعالى ابطله
بقوله افمن يخلق كمن لا يخلق والرابع الذين طعنوا في اهل النبوة
وحكى الله عنهم قولهم ابعث الله بشرا رسولا فانه تعالى رد عليهم

بقوله

بقوله اهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا الخامس الذين طعنوا في
التكليف تارة بانه لا فايدة فيه والله رد عليهم بقوله ان احسنتم
احسنتم لانفسكم وان اسانتم فلها واخرى بان الحق هو الجبر والله
ما في صحة التكليف والله تعالى اجاب عنه بقوله لا يسئل
عما يفعل وهم يسئلون والسادس الذين سلموا اصل النبوة
وطعنوا في نبوة محمد عليه السلام والقران مما مر في الرد عليهم
ثم ان طعنهم كان من وجوه تارة بالطعن في القران من حيث انه
يشتمل على ذكر خسايس الحيوانات من البعوضة والنملة والذبابة
فاجابهم الله تعالى بقوله ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة
فما فوقها وتارة بان القران سحر وشعر فاجاب الله عنه بقوله
فاتوا بسورة من مثله وتارة بالتماس ساير المعجزات وهو قوله
وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا فاجاب الله تعالى
عنه بان الدليل لما تم لم يبق للاقتراح في الزيادات فايدة وهو
قوله قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وتارة بان هذا
القران نزل بخما بخما وذلك يطرق التهمة فاجاب الله تعالى عنه بقوله
كذلك لنثبت به فوادك وتارة بانه يحتمل ان يكون هذا القران
من القاء الجن والشياطين كما في حق الشعراء فاجاب الله تعالى عنه
بقوله هل انبئكم على من تنزل الشياطين الاية والسابع الذين
انكروا الحشر والنشر والقران مما مر في الرد عليهم فثبت بمجموع
ما ذكرنا ان الاشتغال بدليل التوحيد والنبوة حرفة جميع الانبياء
عليهم السلام الحجة العاشرة الدالة على نهاية شرف هذا العلم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوله تعالى ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم
بالتى هى احسن وليس المراد منه المجادلة فى فروع الشرايع لان من
انكر نبوته فلا فايدة فى الخوض معه فى تفاريع الاحكام ومن اثبت
نبوته فلا يخالفه فلا يحتاج الى الجدل فعلمنا ان هذا الجدال
المأمور به كان فى تقرير مسايل الاصول واذا ثبت هذا فى حق الرسول
عليه السلام ثبت فى حق امته لقوله تعالى حكاية عنه وانه هذا صراطى
مستقيما فاتبعوه ولقوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم
الله ولقوله عليه السلام عليكم بسنتى وسنة الخلفاء بعدى
الحجة الحادية عشر قوله تعالى ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم
ولا هدى ولا كتاب منير وذلك يقتضى ان الجدال مع العلم لا يكون
مذموما وايضا حكى الله تعالى عن قوم نوح انهم قالوا يا نوح قد
جادلتنا فاكثرت جدالنا ومن المعلوم ان ذلك الجدال ما كان الا فى تقرير
دلايل الاصول واذا ثبت بهذه الايات ان الجدال فى تقرير الدلايل
مستحسن ثبت ان المراد من قوله تعالى ما ضربوه لك الا جدلا بل هم قوم
خصمون محمول على ذم الجدل فى تقرير الباطل الحجة الثانية عشرة تعالى
امر بالنظر فقال فلا يتدبرون القران الاية افلا ينظرون الى الابل الاية
سنريهم اياتنا فى الآفاق وفى انفسهم ولم يريدوا انا نأتى الارض ننقصها
من اطرافها اولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض الحجة الثالثة عشر
انه تعالى ذكر المتفكرين فى معرض المدح فقال ان فى ذلك لايات لاولى
الباب ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار وذم المعرض فقال وكاين
من اية فى السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وقال لهم

قلوب لا يفقهون بها الحجة الرابعة عشرة تعالى ذم التقليد فقال
حكاية عن الكفار انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مقتدون
وقال بل نتبع ما الفينا عليه اباءنا وقال بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون
وقال انا وجدنا اباءنا على امة وانا على اثارهم مهتدون وقال ان كاد
ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها وقال فى والد ابرهيم لئن لم
تنته لارجمنك واهجرنى ملينا وكل ذلك يدل على وجوب النظر وفساد
التقليد الحجة الخامسة عشرة تعالى حكى عنهم انهم سالوا محمدا
صلى الله عليه وآله عن امور كقوله ويسالونك عن المحيض ويسالونك
عن الانفال فذكر فى كل هذه المواضع قل كذا وكذا الا فى اية واحدة
وهى انهم سالوا عن مسئلة اصولية وهى قوله ويسالونك عن الجبال
فقل ينسفها الاية فههنا ذكر حرف التعقيب يعنى يا محمد اذكر هذا الجواب
فى الحال لان هذه المسئلة مسئلة اصولية ولا يجوز تاخير الجواب عنها
لان ذلك يقدح فى الايمان اما ساير المسايل فهى فروعية فلا يكون
تاخير الجواب عنها الى وقت الحاجة ضارا فثبت بمجموع هذه الدلايل
وجوب تقديم علم الاصول على الفروع فلا جرم قال تعالى فاعلم انه
لا اله الا الله واستغفر لذنبك الاية قدم الامر بمعرفة التوحيد
على الامر بالاستغفار الفصل الثانى فى فوايد لا اله الا الله
الفايدة الاولى ان هذا الذكر لما كان افضل الاذكار فالعدو لما جاءه
به المحنة فزع اليه والولى لما جاءته المحنة فزع اليه اما العدو فلان
فرعون لما قرب من الغرق قال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو
اسراييل والمعنى انه لا اله يقدر على ان يجعل النار راحة كما فى حق ابرهيم

والماعذابا كما فى حق الا الذى امنت به بنو اسرايل واما الولى فكما
فى حق يونس عليه السلام قال تعالى فنادى فى الظلمات ان لا اله الا انت
سبحانك والمعنى لا اله الا انت فانك انت الذى تقدر على حفظ
الانسان حيا فى بطن الحوت ولا قدرة لغيرك على هذه الحالة فان قيل
كل واحد منهما نادى فلم قبل نداء احدهما ولم يقبل نداء الثانى قلنا
الفرق ظاهر من وجوه الاول ان يونس عليه السلام كان قد سبقت
له المعرفة مع هذه الكلمة فسبق المعرفة اعانه على قبولها منه واما
فرعون فقد تقدمت له سبق الكفر وذلك لان الذى تقدم له النداء
على نفسه كما قال تعالى فحشر فنادى فقال انا ربكم الاعلى واما يونس
فقد كان ينادى الله كما قال ولا تكن كصاحب الحوت اذ نادى وهو
مكظوم وايضا قال فلولا انه كان من المسبحين للبث فى بطنه وهذا
ينبهك على ان من حفظ الله فى الخلوات فحفظه فى الفلوات الثانى
ان يونس عليه السلام انما ذكر هذه الكلمة مع الحضور فقال لا اله
الا انت فكان فى الحضور والشهود واما فرعون فانه قالها فى الغيبة
فقال آمنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل فاحال العلم بحقيقة
هذه الكلمة على الغير الثالث ان فرعون ذكر هذه الكلمة على سبيل
التقليد لبنى اسرائيل فقال امنت انه لا اله الا الذى امنت به بنو اسرائيل
واما يونس عليه السلام فانه انما ذكرها على سبيل الاستدلال مع العجز
والانكسار وذلك لانه قال فنادى فى الظلمات فحصل له العجز
وانكسار القلب بسبب تلك الظلمات ثم قال بعده سبحانك انى كنت
من الظالمين فحصل له العجز والانكسار بسبب الزلة فلما كانت هذه

الكلمة مسبوقة بالعجز والانكسار وملحوقة بهما لا جرم صارت مقبولة
لقوله امن يجيب المضطر اذا دعاه الرابع ان فرعون انما ذكر هذه الكلمة
لا للعبودية بل لطلب الخلاص من الغرق بدليل قوله تعالى فلما ادركه
الغرق قال آمنت الاية واما يونس عليه السلام فهو انما قالها لما حصل له
من الانكسار بسبب التقصير فى الطاعة والعبودية بدليل قوله تعالى بعده
سبحانك انى كنت من الظالمين فظهر الفرق من هذه الوجوه الفائدة
الثانية لهذه الكلمة انه تعالى امرك بطاعات كثيرة مثل الصلوة والزكوة
والصيام والحج ويستحيل ان يكون موافقا لك فى شئ منها ثم امرك بان
تقول لا اله الا الله فان الله تعالى يوافقك فيها فقال شهد الله انه
لا اله الا هو اى قوله لا اله الا هو العزيز الحكيم والمقصود من التكرير
وجهان الاول ان يكون العبد مواظبا على تكريرها طول عمره الثانى
كانه قال عبدى جعلت هذه الكلمة اول الاية واخرها فاجعلها انت
ايضا اول عمرك وآخره حتى تفوز بالنجاة والسلامة وههنا نكت الاولى
انه تعالى جعل ثالث نفسه فى هذه الاية فقال شهد الله انه لا اله الا هو
والملائكة واولوا العلم قائما بالقسط وكفاك بهذا فخرا الثانية روى
ان يوسف عليه السلام اراد ان يتخذ وزيرا فجاء جبريل عليه السلام
وقال ان الله يامرك ان تتخذ فلانا وزيرا لك فنظر اليه يوسف عليه السلام
فكان فى غاية الدناءة فسأل جبريل عليه السلام عن السبب فقال ان له عليك
حق الشهادة لانه هو الذى شهد ان كان قميصه قد من قبل الاية الاشارة
ان من شهد لمخلوق وجد وزارنه فى الدنيا فمن شهد لله بالتوحيد والجلال
كيف لا يجد معرفته ورحمته فى العقبى الثالثة فى الحديث ان لله ملائكة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يؤمنون عند تامين الامام فمن وافق تامينه تامين الملائكة غفر له
ما تقدم من ذنبه وما تاخر والاشارة فيه ان من وافق تامينه
تامين الملائكة مرة واحدة صار مغفورا فمن وافقت شهادته بوحدانية
الله شهادة الله الاف مرة الا بصير مغفورا الرابعة انه تعالى سبحانه
وقت التخليق مختارا فقال وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم
الخيرة وفي وضع الذنب جاهلا قال انه كان ظلوما جهولا وفي موضع
الرزق دابة قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها وفي وقت
الطاعة اجيرا قال ويوفيهم اجورهم وعند الشهادة عالما قال والملائكة
واولوا العلم ثم ان العلم افضل الدرجات وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما والغرض منه التنبيه على الدرجات
يقول فانت من حيث اني خلقتك مختاري فلك درجة موسى حيث قلت
وانا اخترتك فاسمع لما يوحى وحين ذنبت فانت جاهل لان الجهل
عذر من بعض الوجوه وحين تشغل بطلب الرزق فكالبهيمة لانه لما تكفل
برزقك فما هو مقدر لك يصل اليك وما ليس بمقدر لك لا يصل
اليك فكان الطلب عديم الفائدة فكان تشبها فعال البهايم وحين
تشتغل بالعمل كنت كالاجير وكل ذلك درجات نازلة اما حين تشتغل
بالشهادة والتوحيد فانت من العلماء العاملين في لجة بحر التحقيق
والتوحيد وبلغت الغاية القصوى في المنقبة والشرف كما قال تعالى
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات الخامسة
قال تعالى وما تلك بيمينك يا موسى وقت هذه الاشارة على العصا
وعلى اليد اما العصا فقوله وما تلك واما اليد فقوله بيمينك فصارت

العصا من قوة هذه الاشارة تلقف جبال السحرة وعصيهم وصارت اليه
يد بيضاء لاجل قوله وادخل يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء
فكلمة لا اله الا الله وهي صفة وحدانيته وفردانيته وجلاله هو
وعزته الا يستقل بافناء اثار العصيان عن قلب العبد وانارة روحه
بنور المعرفة والهداية السادسة عصى موسى عليه السلام اخرج من الجنة
فبطلت عصى السحرة عندها فهذه الكلمة انما ظهرت من شجرة العزة والربوبية
والعظمة فرجوا ان تبطل الذنوب عندنا السابعة حكي عن الحجاج
انه امر بقتل رجل فقال لا تقتلني حتى ياخذ بيدي وتمشي معي في دارك
فاجابه اليه فقال الرجل بحرمة صحبتي معك في هذه الساعة ان لا تقتلني
فعفى عنه فههنا وقعت المؤمن صحبة مع الله الكريم في هذه الشهادة
فرجوا ان يغفر الله له الثامنة وجد المؤمن بهذه الشهادة ابوة ابراهيم
قوله تعالى ملة ابيكم ابراهيم وامومة ازواج النبي عليه السلام بقوله
وازواجه امهاتهم واخوة المؤمنين بقوله انما المؤمنون اخوة
واستغفار الانبياء بقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات
واستغفار الملائكة بقوله ويستغفرون للذين امنوا وشفاعة امثل
محمد عليه السلام لقوله شفاعتي لاهل الكبائر من امتي ومشاركة الله
تعالى في اسمه المؤمن فذنبه ما ازال عنه هذه التشريفات افترى انه
يخرجه عن رحمة ارحم الراحمين وكرم اكرم الاكرمين التاسعة يحكى انه
عرض عسكر نصر بن احمد الساماني عليه وكان يسال عن اسماء الرجال
فيجيبونه فسال واحدا عن اسمه فسكت لانه سمية ففطن لذلك واعطاه
خلعة جسيمة فاذا كان حال سمي الملك ذلك فكيف من كان سمي ربه تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وفي الخبر يؤتى برجل يوم القيمة اسمه محمد فيقول الله عز وجل اما استحييت
ان عصيتني وانت سمي حبيبي فانا استحيي ان اعذبك وانت سمي حبيبي
فاذا كان لا يعذب سمي الرسول عليه السلام فنرجوا من فضله ان لا يعذب
سمي نفسه وهو المؤمن الفضيلة الثالثة لهذه الكلمة ان كل طاعة
فانه يصعد بها الملك اما قول لا اله الا الله يصعد بنفسه دليله
قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب ثم قال والعمل الصالح يرفعه
اى العمل الصالح يرفعه الملك الى الله هكذا قال بعضهم الفضيلة الرابعة
لهذه الكلمة قال بعضهم الحكمة في قوله اذا الشمس كورت واذا النجوم
انكدرت ان يوم القيمة تجلى نور كلمة لا اله الا الله فينمحق في ذلك
النور نور الشمس والقمر لان تلك الانوار انوار مجازية عرضية ونور
لا اله الا الله نور ذاتي حقيقي واجب الوجود لذاته والمجاز يبطل في
مقابلة الحقيقة فلا جرم يبطل كل نور في مقابلة هذا النور بل
يبطل كل وجود في مقابلة هذا الوجود كما قال كل شيء هالك الا وجهه
الفضيلة الخامسة ان جميع الطاعات تزول يوم القيامة مثل الصلاة
والصيام والحج والجهاد فان التكليف انما هو في الدنيا فاما يوم القيامة
اما طاعة التهليل والتحميد فلا تزول عنهم وكيف يمكن زوالها عنهم
والقرآن يدل على انهم مواظبون على الحمد والمواظبة على الحمد توجب
المواظبة على الذكر والتوحيد وانما قلنا انهم مواظبون على الحمد
لقوله تعالى حكاية عنهم وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن
وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وعوضهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين وقوله

لا اله الا هو له الحمد في الاولى والاخرة فثبت انهم مواظبون على الحمد
والمواظبة على الحمد مواظبة على الذكر والتوحيد والتحميد لانا علمنا
ان جميع العبادات زايلة عن اهل الجنة الا طاعة الذكر والتوحيد
والتحميد فوجب المواظبة على الذكر والتوحيد والتحميد والفضيلة
السادسة ما روى في الآثار انه اذا قال العبد لا اله الا الله
فانه سبحانه يعطيه من الثواب بعدد كل كافر وكافرة على وجه الارض
قال المحققون السبب في ذلك انه لما قال هذه الكلمة فكانه لله قد
رد على كل كافر وكافرة بيثبت لله ضدا وندا وشريكا فلا جرم
يستحق الثواب بعددهم الفضيلة السابعة قال السدي في قوله
تعالى حم عسق الحاء حلمه وحكمه وحجته والميم ملكه ومجده والعين
عظمته وعدله وعزته وعلمه والسين سناوه وستره والقاف
قهره وقدرته يقول الله تعالى بحلمي وحكمي وحجتي ومجدي وملكي
وعظمتي وعلمي وعدلي وعزتي وسناي وستري وقهري وقدرتي
لا اعذب بالنار ابدا من قال لا اله الا الله الفضيلة الثامنة
قيل اذا كان اخر الزمان فليس لشيء من الطاعات فضل كفضل كلمة
لا اله الا الله لان صلوتهم وصيامهم يشوبها الرياء والسمعة
وصدقاتهم يشوبها الحرام والاخلاص في شيء منها اما كلمة
لا اله الا الله فهي ذكر الله والمؤمن لا يذكرها الا عن صميم القلب
الفضيلة التاسعة الاحاديث الواردة في فضل هذه الكلمة
فالاول قوله عليه السلام افضل الذكر لا اله الا الله وافضل
الدعاء الحمد لله والثاني عن ابن عمر انه عليه السلام قال البسن على اهل

الشبكة الألوكة www.alukah.net

لا اله الا الله وحشة في الموت ولا عند النشور وكاني انظر الى اهل
لا اله الا الله عند الصيحة ينفضون شعورهم عن التراب وهم يقولون
الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والثالث يروى ان المامون لما انصرف
الى المرو يريد العراق واجتاز بنيسابور وكان على مقدمته علي بن موسى
الرضا رضي الله عنهما فقام اليه قوم من المشايخ وقالوا نسالك بحق
قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تحدثنا بحديث ينفعنا
فروى عن ابيه عن آبائه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام
عن الله تعالى انه قال لا اله الا الله حصني فمن دخل حصني امن عذابي
والرابع روى ابن عباس عن النبي عليه السلام انه قال يفتح الله بواب
الجنة وينادي مناد من تحت العرش ايتها الجنة وكل ما فيك من النعم
لمن انت فتنادي الجنة وكل ما فيها نحن لاهل لا اله الا الله ونشتاق
الى اهل لا اله الا الله وتطلب الا اهل لا اله الا الله ولا يدخل علينا
الا اهل لا اله الا الله ونحن محرمون على من لم يقل لا اله الا الله ولم
يؤمن بلا اله الا الله وعندها يقول النار وكل فيها من العذاب
لا يدخلني الا من انكر لا اله الا الله ولا اطيب الا من كذب بلا اله
الا الله وانا حرام على من قال لا اله الا الله ولا امتلي الا ممن جحد
لا اله الا الله وليس غيظي الا على من انكر لا اله الا الله قال فتجيء معرفة
الله ورحمته ومغفرته ويقولون لاهل لا اله الا الله وناصر من قال
لا اله الا الله ومحب لمن قال لا اله الا الله ومتفضل على من قال لا اله
الا الله وابحت الجنة لمن قال لا اله الا الله وحرمت النار على من قال
لا اله الا الله واغفر كل ذنب لمن قال لا اله الا الله ولا اجب بحمة ومغفرة

عمن قال لا اله الا الله وما خلقت الرحمة الا اهل لا اله الا الله فلا تخلطوا
اقول لا اله الا الله الا بما يوافق لا اله الا الله والخامس قال عليه السلام
امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا
مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله قال بعض العلماء
انه تعالى جعل العذاب عذابين احدهما السيف من يد المسلمين والثاني
عذاب الاخرة فالسيف في غلاف يرى والنار في غلاف لا يرى وقال
تعالى لرسوله من اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال
لا اله الا الله ادخلنا السيف في العمد الذي يرى ومن اخرج لسان
القلب من الغلاف الذي لا يرى وهو السر فقال لا اله الا الله ادخلنا
سيف عذاب الاخرة في عمد الرحمة حتى يكون واحد بواحد ولا اظلم ولا اجور
والسادس عن انس قال عليه السلام من قرأ عند منامه شهد الله الى
قوله الاسلام خلق الله تعالى سبعين الف خلق يستغفرون له الى يوم القيمة
ثم قال وانا على ذلك من الشاهدين والسابع عن علي بن ابي طالب
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان فاتحة الكتاب واية الكرسي
وشهد الله الى قوله ان الدين عند الله الاسلام وقل اللهم مالك الملك
الى قوله بغير حساب معلقات بينها وبين الله حجاب يقول الله تعالى
بي حلفت لا يقرأكن احد من عبادي الا جعلت الجنة مثواه على ما كان فيه
ولا سكنته حظيرة القدس ولا نظرن اليه بعين الرحمة كل يوم سبعين
مرة لاقضين وله كل يوم سبعين حاجة ادناها المغفرة واعذته
من كل عدو وحاسد والثامن عن ابي سعيد الخدري انه قال عليه السلام
من عبد يقول اربع مرات اللهم اني اشهدك وكفى بك شهيدا واشهد

حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك انى اشهد ان لا اله الا انت
وحدك لا شريك لك واشهد ان محمدا عبدك ورسولك الا كتب الله
له به صكا بالعتق من النار والتاسع عن ابن عمر قال عليه السلام
بجائ رجل من امتى يوم القيمة على رؤس الخلايق فينشر عليه تسعة
وتسعون سجلا كل سجل مثل مد البصر فيقال له انكر من هذا شيئا
اظلمك الحافظون فيقول لا يا رب فيقال له الك عذر فيقول لا يا رب
فيقول الله تعالى ان لك عندي وديعة وانه لا اظلم عليك اليوم
فيخرج له بطاقة فيها مكتوب اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا
عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات
فيقول الله تعالى لا اظلم اليوم فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة
فى كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة فلا يثقل مع اسم الله تعالى
شئ والعاشر عن انس قال النبى عليه السلام ما زلت اشفع الى ربى
فيشفعنى حتى اقول يا رب شفعتنى فيمن قال لا اله الا الله فيقول الله
هذا ليست لك يا محمد انما هذا لى وعزتى وجلالى ورحمتى
لا ادع فى النار احدا قال لا اله الا الله واعلم ان اهل العرفان ذكروا
فى تفسير لا اله الا الله وجوها الاول قال ابن عباس لا اله الا الله
لا نافع ولا ضار ولا معز ولا مذل ولا معطى ولا مانع الا الله الثانى
لا اله الا من رحم فضله ويخاف عدله ويؤمن جوره ويوكل رزقه ويترك
امره ويسأل عفوه ويركب نهيه ولا يحرم فضله الا الله الذى
هو رب المؤمنين وغفار المذنبين وملجاء التائبين وستار العيوبين
وغاية رجاء الراجين ومنتهى مقصد العارفين الثالث قول العبد

لا اله الا الله اشارة الى المعرفة والتوحيد بلسان الحمد والتمجيد
الى الملك المجيد فاذا قال العبد لا اله الا الله فالمعنى لا اله الا الا
النعما والقدرة والبقا والعظمة والسنا والعز والثناء
والسخط والرضا الا الله الذى هو رب العالمين وخالق الاولين
والاخرين وديان يوم الدين الرابع لا اله الا الرغبة ولا اله الا الرهبة
الا الله الذى هو كاشف الكربة عن عمران بن حصين قال النبى عليه السلام
لابى حصين كم تعبد اليوم من اله فقال اعبد ستا او سبعا فى الارض
وواحدا فى السماء فقال عليه السلام وايهم تعد لرغبتك ورهبتك
فقال الذى فى السماء فقال عليه السلام فيكفيك اله السماء ثم قال
يا حصين لو سلمت علمتك كلمتين ينفعانك فاسلم حصين ثم قال
يا رسول الله علمنى هاتين الكلمتين فقال عليه السلام قل اللهم
الهمنى رشدى واعذنى من شر نفسى الخامس قيل فى قوله تعالى
شهد الله انه لا اله الا هو شهد فى حظاير القدس وعالم الجلال
وسرادقات الصمدية والملائكة يشهدون بهذه الشهادة فى
السموات واولوا العلم يشهدون بهذه الشهادة فى الارضين
وقال جعفر الصادق رضى الله عنه وقد سألوه عن هذه الاية
ان الله شهد لنفسه بالفردانية والصمدية والاحدية والازلية
والابدية ثم خلق الخلق فشغلهم بعبادة هذه الكلمة وذلك لان
شهادة الحق لنفسه حق وشهادتهم له رسم فكيف يستوى الرسم
مع الحق ومن اين للتراب طاقة تجلى نور رب الارباب وقال سعيد
بن جبير كان حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما نزل شهد الله الاية

خرقت الاصنام سجدا حول الكعبة واما حاتمة المجلس ففيها وجوه
الاول اسلم نصراني ببغداد ايام الشبلي فقال الشبلي ما سبب اسلامك
قال كنت في حال النصرانية اكره دين النصرانية فرزقت دين الاسلام
من بركة اكرام ذلك الدين فصاح الشبلي وقال اذا كان من يكرم الدين
الباطل فالله يكرمه ويرزقه الدين الحق فمن يكرم الدين الحق الا يرزقه
الله الرحمة والمغفرة والثاني يحكى ان رجلا كان واقفا بعرفات
وكانت في يديه سبعة احجار فقال اني اشهدكم
اني اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فنام فرأى
في المنام كان القيمة قد قامت وحوسب ذلك الرجل ووجبت له النار
فلما ساقوه الى باب من ابواب جهنم جاء حجر من تلك الاحجار السبعة
والقت نفسها على ذلك الباب فاجتمعت ملائكة العذاب على رفعها
فما قدروا ثم سيق الى الباب الثانية فكان الامر كما في الاول وهكذا
الباب السبعة فسيق به الى العرش فقال الله سبحانه عبدي اشهدت
الاحجار فلم تضع حقك وانا شاهد على شهادتك على توحيدي
ادخل الجنة فلما قرب من باب الجنان فاذا ابوابها مغلقة فجاءت
شهادة ان لا اله الا الله وفتحت الابواب فدخلها الرجل الثالث
رأى يزيد بن هرون في المنام بعد موته فقالوا ما فعل الله بك قال
غفر لي ربي قالوا بالحديث قال لا قالوا بالعلم قال لا قالوا بالزهد
قال لا قالوا فبماذا قال اتاني ملكان مهيبان فقالا لي من ربك وما
دينك ومن نبيك قلت امثلي يسأل عن هذا وقد كنت ادعو الخلق اليه
منذ سبعين سنة فانصرفا عني الرابع زاد الماء في بغداد حتى اشرفت

على الغرق قال بعض الصالحين رأيت في بعض تلك الليالي كأني واقف
على طرف وأقول لا حول ولا قوة الا بالله غرقت بغداد فجاء انسان
حسن الصورة وكنت اعلم انه ملك وجاء آخر من ناحية اخرى فقال
احدهما للآخر ما الذي امرت به فقال امرت بتغريق بغداد ثم نهيت عنه
فقال ولم قال رفعت ملائكة الليل ان البارحة اقتضين ببغداد سبع
مائة فرج حرام فغضب الله وامرني بتغريقها ثم رفعت ملائكة النهار
في صبح هذا اليوم سبع مائة اذان واقامة فغفر الله لهؤلاء
قال صاحب الرؤيا فانتبهت وجئت الى الدجلة فاذا الماء قد نقص
الخامس قال بعضهم لا اله الا الله محمد رسول الله اربعة وعشرون
حرفا وساعات الليل والنهار كذلك فكانه قيل لكل ذنب اذنبته من الصغيرة
والكبيرة والسر والجهر والخطاء والعمد والقول والفعل في هذه
الساعات فهي مغفورة بهذه الحروف والكلمات وايضا قول لا اله
الا الله محمد رسول الله سبع كلمات وللعبد سبعة اعضاء وللنار
سبعة ابواب كما قال تعالى لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم
فكل كلمة من هذه الكلمات السبع تغلق بابا من الابواب السبعة على عضو
من الاعضاء السبعة وقيل ايضا ان كلمة لا اله الا الله اثنا عشر حرفا
فلاجرم وجب بها اثنا عشر فريضة ستة ظاهرة وستة باطنة
اما الظاهرة فالطهارة والصلوة والزكوة والصوم والحج والجهاد
واما الباطنة فالتوكل والتفويض والصبر والرضا والزهد والتوبة
السادس سئل الشبلي رجل وقال لم يقول الله ولا يقول لا اله الا الله
فقال لان الصديق اعطى ماله كله فلم يبق له شيء فتخلل بكساء بين يديه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النبي عليه السلام فقال النبي عليه السلام ما خلفت لعيالك فقال الله
فكذا انا اقول لله فقال السائل اريد اعلى من هذا فقال الشبلي انا
استحيي من ذكر كلمة النفي في حضرته والكل نوره فقال السائل اريد
اعلى من هذا فقال الشبلي اخشى ان اموت عند الانكار فلا يصل
الى الاقرار فقال السائل اريد اعلى من هذا فقال الشبلي قال الله
لرسوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فقام شاب فزعق
زعقة فقال الشبلي الله فزعق ثانيا فقال الشبلي الله فزعق ثالثا
ومات فاجتمع اقربا الفتى وتعلقوا بالشبلي واذعوا الدم عليه
وحملوه الى الخليفة فاذن لهم فدخلوا واذعوا الدم فقال الخليفة
للشبلي وما جوابك فقال روح حتى فرت فشمت فصاحت فزعيت
فسمعت فعلمت فاجابت فماذنبي فضاح الخليفة وقال خلوا سبيله
السابع سئل بعض العلماء عن قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد
فقال ابير المعطلة قلب الكافر معطل من قول لا اله الا الله والقصر
المشيد قلب المؤمن المعمور بقول لا اله الا الله الثامن جاءت امراة
الى بعض اكابر الصوفية بقارورة من زيت وقالت يا شيخ اجب ان تصلح
قنادبل المسجد من هذا الزيت فقال الشيخ انما احب اليك نور يصعد
الى السقف او نور يصعد الى العرش فقالت المرأة بل نور يصعد الى العرش
فقال الشيخ اذا صبت هذا الدهن في القنادبل صعد النور الى السقف
واذا صببته في طعام الفقراء صعد النور الى العرش ثم اصطلح طعاما
بذلك الدهن للفقراء فلما اكلوا قالوا لا اله الا الله من صدق وخلاص
وجعلوا ثوابها لتلك المرأة التاسع روي ان امية بن خلف الجمحي كان

ذا مال واولاد وكان له صنم يعبده من دون الله وكان له اثنا عشر
مملوكا ولم يكن احب اليه من بلال وكان موكلا ببيت الصنم وكان بلال
يسجد لله في بيت الصنم بستر وكان يقول احدا احد فبلغ ذلك الى النبي
صلى الله عليه وسلم فسر بذلك وبلغ هذا الخبر الى امية فقال يا بلال
اتسجد لرب محمد فقال نعم اسجد لله رب العالمين الكبير المتعال
فوثب اليه امية يضربه ويعذبه فلما كان نصف النهار رجله عريانا
وطلى عليه الزيت واقامه على الرمضاء الصبيان فكان اذا اصابته
الشمس وحر الرمل يقول احدا احد فمر عليه ابو بكر فقال يا امية الى كم
تعذب هذا الغلام فقال اشتريته بمالي فانا احق بعذابه فقال
لا كرامة لك تعذب عبدا قال لا اله الا الله فاختصما فقال ابو بكر
لي غلام ابيض على دينك فانا اشتريته بذلك العبد وعشرة اواق
من الذهب وفي رواية اخرى باربعين فقال امية لو طلبت مني هذا
الغلام بدرهم بعته فقال ابو بكر ولو ساومتني بكل ما املكه لاشتريته
فاخذ بيد بلال وستر برداءه ومسح وجهه من التراب وجاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم وقال يا معشر قريش اشهدوا انه حر لوجه الله تعالى
فانزل الله تعالى في شانه والليل اذا يغشى العاشر قال بعضهم
ان الحكمة في سؤال الملكين ان الملائكة طعنت في بني آدم بقولهم
اتجعل فيها من يفسد فيها الاية فقال الله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون
فاذا مات المؤمن بعث الله الى قبره ملكين فيقولان له من ربك وما
دينك فيقول ربي الله ودبني الاسلام فيامرهما الله تعالى ويقول
اشهدا بين الملائكة بما سمعتما لان قول الشهود اثنان ثم يقول الله تعالى

الألوكة
www.alukah.net

ملائكتي انظروا الى عبدي قد اخذت روحه وماله وزوجته
فماله لعدو وزوجته في حجر غيره وضيعته في يد غيره ثم ان الملائكة
يسألونه في بطن الارض فلم يذكر شيئا عن شيء الا عن توحيدي وتنزيهي
ليعلموا اني علام ما لا تعلمون وايضا قالوا الحكمة في هذا السؤال
ان الله تعالى قال في الابتداء الست بربكم قالوا بلى فشهد الله عليهم
فلما اخرجهم الى الدنيا شهدوا بالتوحيد وشهد عليهم الانبياء المؤمنون
بذلك فاذا مات ورجعوا لقبر سأله الملكان عن هذه الشهادة فشهدوا
في قبره فسمع الملائكة تلك الشهادة فاذا جاء يوم القيمة جاء ابليس يريد
ان ياخذ ويقول هذا من شيعتي لانه تبعني في المعاصي فيقول الله تعالى
لا سلطان لك عليه لاني سمعت منه التوحيد في الابتداء والانبياء
والرسل سمعوا منه ذلك في الوسط والملائكة سمعوا منه ذلك في الانتهاء
فكيف يكون من شيعتك وكيف يكون لك عليه سلطان اذهبوا به الى
الجنة الحادي عشر قال بعضهم حضرت مجلس يحيى بن معاذ الرازي فقرأ
رجل قوله تعالى فقولا له قولا لينا فبكى يحيى وقال هذا رفقك بمن
يقول انا الآله فكيف رحمتك لمن يقول انت الاله وهذا رفقك
بمن يعاديك فكيف رفقك بمن يتولاك وينا ديك هذا رفقك
بمن يقول انا الرب فكيف رفقك بمن يقول انا العبد وانت الرب
الحي قول لا اله الا الله يهدم كفر سبعين سنة فما يصنع بذنوب ساعة
الثاني عشر قال بعضهم في تفسير قوله فقولا له قولا لينا يعني ذلك
القول اللين ان يقول موسى وهرون لفرعون يا فرعون وجدت عمرك
اربعمائة سنة نقول انا ربكم الاعلى فاتيت بقول منكر ما ذكر احد

من الكفار قبلك فقل مرة واحدة انت الرب الاعلى ليغفر لك كفر
اربعمائة سنة ويطهرك عن نجاسة الكفر والشرك الثالث عشر سئل
الشبلي عن ارجى آية في القرآن فقال قوله تعالى قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف فالله تعالى اطلق للكافر دخول الجنة
بذكر الكلمة مرة واحدة انظر ان من واظب على هذه الكلمة طول عمره
يمنعه من الجنة **الفصل الثالث** في اسماء كلمة التوحيد
الاسم الاول كلمة التوحيد وذلك لانها تدل على نفي الشرك على الاطلاق
وفائدة قولنا على الاطلاق انه تعالى لما قال والهكم اله واحد امكن
ان يخطر ببال احد ان يقول هب ان الهنا واحد فلعل اله غيرنا مغاير
لالهنا فالله تعالى ازال هذا الوهم ببيان التوحيد المطلق فقال
لا اله الا هو وذلك لان قولنا لا رجل يقتضي نفي هذه الماهية
ومتى انتفت الماهية انتفت جميع افرادها اذ لو حصل فرد من افراد
تلك الماهية لحصلت تلك الماهية لان كل فرد من افراد الماهية مشتمل
على تلك الماهية واذا وجدت الماهية فذلك يناقض نفي الماهية
فثبت ان قولنا لا رجل يفيد نفي العام الشامل فاذا قيل بعد ذلك
الا زيدا افاد التوحيد التام الكامل ثم اعلم ان لهذه الكلمة ثمرتان
احديهما ان جوهر الانسان خلق في الاصل مشرفا مكرما قال الله تعالى
ولقد كرمنا بني آدم واذا كان الاصل فيه كونه مكرما كان كونه
مطهرا على وفق الاصل وكونه منجسا على خلاف الاصل ثم اذا رأينا
ان الانسان متى اشرك صار نجسا بدليل قوله تعالى انما المشركون نجس
فاذا كان المشرك يقتضي كونه نجسا مع ان ذلك على خلاف الاصل فكونه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

موحد بان يقتضى كونه طاهرا اولى لانه كان على وفق الاصل واذا ثبت
ان الموحد كامل فى كونه طاهرا وجب ان يكون من خواص الله لقوله
الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات والثانى ان الشرك سبب
لخراب العالم بدليل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا واذا كان الشرك سببا
لخراب العالم وجب ان يكون التوحيد سببا لعمارة العالم ضرورة كون
الضدين مختلفين فى الحكم واذا ثبت ان كلمة التوحيد سبب لعمارة العالم
فالاولى ان يكون سببا لعمارة القلب الذى هو محل معرفة الوحدانية
ولعمارة اللسان الذى هو محل ذكر الوحدانية وذلك تناسب عفو الله
عن اهل التوحيد الاسم الثانى ان هذه الكلمة تسمى كلمة الاخلاص
وكان معروف الكرخى يقول يا نفس اخلصى تخلصى ثم التحقيق فيه ان
بيان كل شئ يتصور ان يشوبه غيره فاذا صفا عن شوبه وخلص يسمى
خالصا ويسمى الفعل المصفى اخلاصا ولا شك ان كل من اتى بفعل اختيارى
فلا بد له فى ذلك الفعل من غرض فهما كان الغرض فى الفعل واحدا يسمى ذلك
اخلاصا فمن تصدق وكان غرضه محض الريا فهو مخلص ومن كان غرضه
محض التقرب الى الله تعالى فهو مخلص لكن العادة جارية بتخصيص اسم
الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما ان
الالحاد عبارة عن الميل ولكن خصصه العرف بالميل عن الحق واذا عرفت
هذا فنقول الباعث على الفعل اما ان يكون رحمانيا فقط وهو
الاخلاص ونفسانيا وهو الرؤيا او مركبا منهما وهو على ثلثة اقسام
لان الطرفين اما ان يكونا على السوية او يكون الرحمانى اقوى ويكون

النفسانى اقوى اما القسم الاول وهو ان يكون الباعث رحمانيا
فقط فهذا لا يتصور الا من محب لله تعالى مستغرق الهم به بحيث
لم يبق لحب الدنيا فى قلبه مقر حتى لا يحب الاكل والشرب بل يكون رغبته
فيه كرغبته فى قضاء الحاجة من حيث انه ضرورة الجبلة فكذلك لا يشتهى
الطعام لانه طعام بل لانه يقوى به على عبادة الله فمثل هذا الشخص
لو اكل او شرب او قضى حاجته كان خالص العمل فى جميع حركاته وسكناته
ولو نام مثلا ليريح نفسه فيقوى على العبادة كان نومه ايضا عبادة
واما القسم الثانى وهو ان يكون الباعث نفسانيا فهذا لا يتصور
الا من محب للنفس والدنيا مستغرق الهم بهما بحيث لم يبق لحب الله
فى قلبه مقر وكما ان فى القسم الاول لما غلب حب الله وحب الآخرة
على قلبه اكتسبت جميع حركاته الاختيارية هذه الصفة كذلك من
غلب حب النفس والدنيا على قلبه اكتسبت جميع حركاته وافعاله تلك
الصفة ولا يسلم له شئ من عباداته وهذان القسمان لا يخفى حكمهما
فى الثواب والعقاب واما الاقسام الثلاثة الباقية فنقول
اما الذى يستوى الباعثان فيه فالاظهر انهما عارضان ويتساقطان
فيصير ذلك العمل لا له ولا عليه واما الذى يكون احد الطرفين فيه اغلب
فيحط منه ما يساوى الطرف الاخر ويبقى الزيادة موجبة اثرها
للاخرى وذلك هو المراد بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره وقوله
ان الله لا يظلم مثقال ذرة وتمام التحقيق فيه ان الاعمال انما تاثيرات
فى القلب فان خلا المؤثر عن المعارض خلا الاثر عن الضعف وان كان
المؤثر مقرونا بالمعارض فان تساويا تساقطا وان احدهما اغلب

فلابد وان يحصل في الزايد بمقدار الناقص فيحصل التساوي بينهما
ويحصل التساقط ويبقى القدر الزايد خاليا عن المعارض فيوثر لا محالة
اثرا ما وكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن اثره
في الجسد فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر عن اثره في التقرب
من باب الله والتبعد منه فاذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا
فقد عاد الى ما كان لا عليه ولا له وان كان احد الفعلين مما يقربه
شبرين والفعل الثاني مما يبعده شبرا واحدا فضل له لا محالة شبر
واحتج من زعم ان المشوب لا ثواب عليه بوجهين الحجة الاولى ما روي
ان رجلا سال النبي عليه السلام عن يصطنع المعروف ثم يحب ان يحمد عليه
ويوجر فلم يدر ما يقول حتى نزل قوله تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والحجة الثانية
ما روى ابو هريرة انه عليه السلام قال يقول الله لمن اشرك في عمله
خذ اجرك ممن عملت له وعن النبي عليه السلام ان الله تعالى يقول
انا اغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا اشرك فيه غيري تركت نصيبي
لشريكي والجواب عن الحجة الاولى انها محمولة على ما اذا اتى بالعمل لغرض
الدنيا فقط والجواب عن الحجة الثانية ان لفظ الشرك محمول
على تساوي الداعيتين وقد بينا ان عند التساوي يحبط كل واحد
منهما بالاخر واذا عرفت هذه المقدمة فنقول كلمة لا اله الا الله
مستماة بكلمة الاخلاص وذلك لان الاصل في هذه الكلمة عمل القلب
وهو كون الانسان عارفا بقلبه وحدانية الله تعالى وهذه المعرفة
الحاصلة بالقلب يستحيل ان يوتى بها لغرض آخر سوى طاعة الله وحبه

وعبوديته فهذه المعرفة ان طلبت لوجه الله لا لغرض آخر البتة
بخلاف سائر الطاعات البدنية فانه كما يوتى بها لتعظيم الله تعالى
فقد يوتى بها لسائر الاغراض العاجلة من الرياء والمدح والثناء
فلهذا السبب سميت هذه الكلمة كلمة الاخلاص الاسم الثالث
لهذه الكلمة كلمة الاحسان ويدل على صحة هذه التسمية القرآن
والخبر والمعقول اما القرآن فايات احديها قوله هل جزاء
الاحسان الا الاحسان قال المفسرون المراد من قوله هل جزاء الاحسان
اي هل جزاء الايمان والتحقيق فيه ان عليك عهد العبودية وعلى
كرمه عهد الربوبية كما قال تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم
وعهد عبوديتك ان تكون عبدا لله لا لغيره ثم كمال هذه الدرجة
ان تعرف ان كل ما سوى الله فهو عبد لله كما قال ان كل من في السموات
والارض الا آتي الرحمن عبدا ومن اتى بالفعل على احسن الوجوه كان
محسنا فيه وقول لا اله الا الله يدل على الاعتراف بان كل من سواه
فهو عبد ومربوب فثبت ان قول لا اله الا الله احسان من العبد
فقوله هل جزاء الاحسان الا الاحسان اي هل جزاء من اتى بقوله
لا اله الا الله الا ان اجعله في حماية لا اله الا الله وثانيها قوله
للذين احسنوا الحسنى وزيادة المراد من قوله احسنوا هو قول
لا اله الا الله باتفاق ائمة التفسير ويدل عليه انه لو قال ذلك ومات
ولم يتفرغ لعمل آخر دخل الجنة وثالثها قوله تعالى ومن احسن قولا ممن
دعا الى الله وعمل صالحا (واتفقوا) على ان هذه الاية نزلت في فضيلة الاذان وما
ذاك الا لاشتمال الاذان على كلمة لا اله الا الله وايضا قال تعالى

شبكة الألوكة www.alukah.net

قال في صفة الكافرين ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا فكما انه
لا قبيح اقبح من كلمة الكفر فكذلك لا حسن احسن من كلمة التوحيد
ولهذا قال في اول سورة المؤمنين قد افلح المؤمنون وقال في آخر
هذه السورة انه لا يفلح الكافرون ثم انه لما كان قول الموحد
حسنا كان مقبله ايضا حسنا كما قال لاصحاب الجنة يومئذ خير
مستقرا واحسن مقيلا ولما كان قول الكافر قبيحا مظلما كان مقبله
ايضا مظلما قال تعالى والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم
من النور الى الظلمات ورابعها قوله الذين يستمعون القول
فيتبعون احسنه ولا شك ان احسن الاقوال هو قولا اله الا الله
وخامسها قوله انا الله يامر بالعدل والاحسان قيل العدل
الاعراض عما سوى الله والاحسان الاقبال على الله وسادسها
قوله ان احسنتم احسنتم لانفسكم ولا شك ان اول هذا الاحسان
هو قول لا اله الا الله واما الخبر ما روى ابو موسى الاشعري
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للذين احسنوا الحسنى وزيادة
اي للذين قالوا لا اله الا الله الحسنى وهي الجنة وزيادة هي النظر
الى وجهه الكريم واما المعقول وهو ان الفعل كلما كان اشد
حسنا كان فاعله اكثر احسانا ولا شك ان احسن الاذكار ذكر
لا اله الا الله واحسن المعارف معرفة لا اله الا الله واذا كان
كذلك كانت هذه المعرفة وهذا الذكر احسانا الاسم الرابع
دعوة الحق قال الله تعالى في سورة الرعد له دعوة الحق قال ابن عباس
هو قول لا اله الا الله واعلم ان قوله له دعوة الحق يفيد الحصر

معناه

معناه له هذه الدعوة لا لغيره كما ان قوله لكم دينكم ولي دين
معناه لكم دينكم لا لغيركم وتحقيق الكلام في اثبات هذا الحصر ان الحق
نقيض الباطل والحق هو الموجود والباطل هو المعدوم فلما كان الحق
سبحانه حقا في ذاته ولذاته وكان ممتنع التغير في ذاته وحقيقته كانت
معرفته هي المعرفة الحقة وذكره هو الذكر الحق والدعوة اليه هي الدعوة
الحقيقية واما كل ما سواه فهو ممكن لذاته والممكن لذاته لا يكون حقا
لذاته فلا يكون معرفته واجبة التحقيق ولا ذكره ولا الدعوة اليه
واذا ثبت هذا ظهر تحقيق قوله تعالى له دعوة الحق واعلم ان دعوة
الحق تارة تكون من الحق للحق الى الحق وتارة تكون من الخلق للخلق الى الحق
اما الاول فنقول ان دعوة الحق تكون من الحق فلانه تعالى هو الذي
دعا القلوب الى حضرته فلولا دعوته الى تلك الحضرة وتوفيقه لها
في ذلك الوصول والا فمن اين يتمكن العقل البشري من الوصول الى
جلال حضرة الله وايضا فلان مبادي الحركات واوايل المحدثات
ينتهي الى قدرة الله وقضائه وقدره ولهذا المعنى قال تعالى لله الامر
من قبل ومن بعد واما تلك الدعوة للحق فلقوله تعالى لمن الملك اليوم
لله الواحد القهار واما انها الى الحق فلقوله تعالى وان الى ربك
المنتهى واما ان دعوة الحق تارة تكون من الخلق فلقوله تعالى
ومن احسن قولا ممن دعا الى الله ولقوله ربنا انا سمعنا منادیا
ينادي للايمان ان آمنوا بربكم فامنا الاسم الخامس كلمة العدل
قال الله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان قال عثمن بن مظعون
للجمحي ما اسلمت يوم اسلمت الا حياء من محمد عليه السلام وذلك لانه

كان كثيرا يعرض على الاسلام فاستحييت منه واسلمت ولكن الاسلام
ما كان مستقرا في قلبي ثم انه عليه السلام دعاني يوما فجلست اليه
فبينا هو يحدثني اذ رايت بصره يشخص الى السماء فنزل جبرئيل عليه السلام
وقال يا محمد ان الله يأمرك بالعدل والاحسان شهادة ان لا اله الا الله
والاحسان القيام بالعبودية قال عثمن فوقع الايمان في قلبي وقال
ابن عباس العدل شهادة ان لا اله الا الله والاحسان الاخلاص فيه
وقال الاخرون العدل مع الناس والاحسان مع نفسك بالطاعة
كما قال ان احسنتم احسنتم لانفسكم وقال آخرون يأمر بالعدل مع الاعضاء
وبالاحسان مع القلب بان تربيه بغذاء التوحيد وشراب المحبة وقال
آخرون العدل رؤية الافتقار الى الحق والاحسان مشاهدة احسان
الحق على كل شئ في الخلق واعلم ان السبب في تسمية هذه الكلمة بكلمة
العدل وجوه الاول ان العدل في كل شئ تحصيل ما هو سبب اعتداله
وكمال حاله ومن المعلوم ان كمال حال القوى الجسمانية في ادراك المحسوسات
وكمال حال القوة الشهوانية في جلب الاشياء النافعة الجسمانية وكمال
حال القوة الغضبية في دفع الاشياء الضارة المنافية الجسمانية
واما القوة العقلية فكمال حالها وغاية سعادتها ان يرتسم فيها
صور الحقايق واشباح المعقولات كما هي حتى يصير القوة العقلية كالمرآة
التي تتجلى فيها صورة الوجود بتمامها ولا شك ان اشرف المعقولات
واعلاها معرفة جلال الله تعالى وقدسه وعظمته وعزته فكان
غاية العدل والاعتدال للارواح البشرية والقوى النفسية كونها
مقبلة على هذه الحالة مستغرقة فيها فلهذا السبب سميت كلمة لا اله الا الله

بكلمة العدل السبب الثاني ان هذه الكلمة انما سميت بكلمة العدل لان
معرفة الله تعالى متوسطة بين الافراط الذي هو التشبيه وبين التفريط
الذي هو التعطيل فمن بالغ في الاثبات وقع في التشبيه ومن بالغ في
النفي وقع في التعطيل والحق هو طريق الاعتدال بين هذين الطرفين
المتباينين السبب الثالث ان من ترك النظر والاستدلال في معرفة الله
وعول على الطريقة التي الفها بحسبه وخياله وقع في اضلالات
واما من توغل في البحث واراد الوصول الى كنه العظمة وهوية الجلال
تحير وتردد بل عمي فان نور الجلال الالهية عز وجل مما يعمي حداق العقول
البشرية فصار هذان الطرفان مذمومين والطريق المستقيم هو ان
يخوض الانسان في البحث المعتدل ويترك التعمق والى هذا الاشارة بقوله
عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فهذه هي الوجوه
التي لاجلها سميت كلمة لا اله الا الله بكلمة العدل فان قيل كيف امر الله
تعالى بالعدل في بحر التوحيد وقد قال تعالى ولن تستطيعوا ان تعدلوا
بين النساء فمن عجز عن العدل في حق النساء كيف يقدر على العدل في معرفة
الاحد الصمد والجواب اظهر عجزك في الضعيف واقدرك على الشريف
لتعرف ان الكلمة الاسلم الستاد سل الطيب من القول قال الله تعالى وهدوا
الى الطيب من القول وهدوا الى صراط الحميد اي كلمة توجد اطيب واطهر
من هذه الكلمة وقد قال تعالى انما المشركون نجس ثم ان النجاسة الحاصلة
بسبب كفر سبعين سنة تزول بسبب ذكر هذه الكلمة مرة واحدة وتحقيق
القول فيه ان الطيب هو اللذيذ واللذيذ هو ادراك الملايم وقد بينا
ان الملايم للقوى الحساسة ادراك المحسوسات والملايم للقوى الشهوانية

شبكة الألوكة www.alukah.net

جلب المنافع الجسمانية وللقوى الغضبية دفع المنافي الجسماني
اما الملايم للقوى العقلية فهي ادراك جلال الله وقدسه وعزته
واذا عرفت هذا فيقول ادراك القوة العاقلة اقوى من ادراك
القوة الحساسة وسياتي شرح هذا فيما بعد ذلك ان شاء الله تعالى
واما مدركات القوى الحساسة فهي الاعراض القايمة بالاجسام
الكائنة الفاسدة ومدرك القوة العاقلة فهو ذات الله وجلاله
وعظمته فظاهر انه كلما كان الادراك اقوى والمدرك اشرف
فكانت اللذة الحاصلة بسبب ذلك الادراك اشرف واعلى فعلى هذا
نسبة اللذة العقلية الى اللذة الحسية في الشرف والقوة كنسبة الادراك
العقلي الى الادراك الحسي وكنسبة ذات الله وصفاته في الشرف والتعالي
الى الاعراض القايمة وكما انه لانهاية للنسبة الحاصلة بين هذين
الادراكين وبين هذين المدركين فكذلك لانهاية للنسبة الحاصلة
بين اللذات العقلية الحاصلة بسبب ادراك جلال الله وبين اللذات
الحاصلة بسبب ادراك الطعوم والروايح وسايرالحواس واذا عرفت
هذا ظهر ان الطيب المطلق هو معرفة لا اله الا الله وذكر لا اله الا الله
والاستغراق في انوار جلال لا اله الا الله فلهذا السبب قال الله
تعالى وهدوا الى الطيب من القول والمراد منه كلمة لا اله الا الله
والالف واللام في لفظة الطيب للاستغراق كانه تعالى نبه
على انه لا لذيذ ولا طيب الا هذا وذلك هو الحق لانا بينا ان طيب
المحسوسات بالنسبة الى الطيب هذه الحالة عدم محض فلذلك بين بحرف
الاستغراق ان كل الطيب ليس الا ذلك الاسم الشايع الكلمة الطيبة

قال

قال الله تعالى ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها
في السماء واختلفوا في انه تعالى لم سماها كلمة طيبة على وجوه الاول
انها طيبة بمعنى انها طاهرة عن التشبيه والتعطيل ولكنها طريقة
متوسطة بينهما مباينة لكل واحد منهما كما ان اللبن خارج من بين الفرث
والدم وهو مبراعنهما مصفى عن شايبة كل واحد منهما الثاني انها طيبة
بمعنى ان صاحبها يكون طيب الاسم في الدنيا طيب المسكن في العقبى اما طيب
الاسم فلقوله تعالى الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات واراد به
المؤمنين والمؤمنات واما طيب المسكن فلقوله تعالى وساكن طيبة
في جنات عدن والثالث انها طيبة بمعنى انها مقبولة تقبلها الله تعالى
ويصعد اليه كما قال اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه
قال اهل الاشارة والسبب في ان هذه الكلمة يصعد الى الله تعالى بانها
لان هذه الكلمة طيبة وقال عليه السلام ان الله تعالى لا يقبل الا الطيب
وتمام التحقيق فيه ان العقل والروح عاشقان على التخلي والمعرفة
والمكاشفة على ما سبق تقريره بالبرهان والمعرفة منجذبة الى المعروف
فاذا تصاعد العرفان الى المعروف والعارف ملازم العرفان انجذب
العارف الى المعروف وصعد اليه فذلك هو المراد من قوله اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه المثول قال المفسرون الشجرة
الطيبة هي النخلة فما السبب في تشبيه كلمة التوحيد بالنخلة والجواب عنه
من وجوه الاول ان شجرة النخلة لا تنبت في جميع البلدان بل في بعض
دون البعض فكذلك كلمة التوحيد لا تجري على كل لسان ومعرفة
التوحيد لا تحصل في كل قلب والثاني ان النخلة اطول الاشجار فكذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كلمة التوحيد على الكلمات والثالث ان شجرة النخلة ثابتة في الارض
وفرعها في السماء فكذا اصل الكلمة الطيبة ثابتة في القلب
وهو المعرفة وفرعها ثابت في السماء اليه يصعد الكلم الطيب
الرابع ان شجرة النخلة تحمل كل سنة مرتين كذا الايمان يحمل في الدنيا
مرة فيثاب لاجل ايمانه وهو اهلية الشهادة والولاية والامانة
ومرة اخرى في الاخرة وهي الجنة الباقية والنعمة الدائمة الخامس
ان النخلة وان خصلت في وسط ثمرتها نواة لا خير فيها ولا
منفعة فان قيمة تلك الثمرة لا ينتقص بسبب تلك النواة فكذا
كلمة التوحيد وان كان يحصل معها شيء من المعاصي لان قيمتها
لا تنتقص بسبب ذلك قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الآية
السادس ان النخلة اسفلها الذي يقرب من الناس كله شوك والثمرة
والمنفعة تحصل في اعلاها فكذا الذين اوله التكاليف الشاقة
التي هي كالشوك وفي اعلاها الثمرة الحلوة اللذيذة وهي المعرفة
والمحبة الاسم الثامن الكلمة الثابتة قال الله تعالى يثبت الله
الذين امنوا بالقول الثابت في الحيوة الدنيا وفي الاخرة وفي علة
هذه التسمية وجوه الاول علم ان المذكور والمعلوم ثابت واجب
الثبوت لذاته ممتنع العدم لذاته والقول والاعتقاد يتبعان
المقول والمعتقد فلما كان المقول والمعتقد واجب الثبوت لذاته
كان القول والاعتقاد كذلك فلهذا سماه الله تعالى بالقول الثابت
والثاني ان هذا القول ثابت لا تؤثر فيه الاعمال وذلك اشارة
الى ان الايمان لا يزداد بالطاعة ولا ينتقص بالمعصية الثالث

ان هذا القول ثابت لا يؤثر فيه الذنب بل هو يؤثر في ازالة الذنب لان
الموحد وان عظم ذنبه الا انه يرجى له المغفرة وقال الله تعالى ان الله
لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والكافر وان عظم
كفره فاذا رجع عن الكفر الى التوحيد هدم التوحيد كفره الرابع ان هذه
الكلمة ثابتة في الآخرة لا يرتفع عن العبد وذلك لان اهل الجنة
مشتغلون في الجنة بذكر التوحيد الا ترى ان الله تعالى اخبر عنهم
انهم قالوا وقالوا الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وقالوا الحمد لله
الذي صدقنا وعده الحمد لله الذي هدانا لهذا والخامس انها ثابتة
لان لها اصلا محكما وذلك لان اول من شهد بهذه الشهادة هو الله تعالى
بدليل قوله تعالى شهد الله فشهادة جميع الشاهدين بتوحيد الله فرع على
شهادة الله وشهادته هي الاصل وكل شهادة اصلها شهادة الله
فهي ثابتة في الدنيا والاخرة والسادس ان الانسان بدون هذه
الكلمة يعمل فيه الماء والنار ان فرعون اغرق في الماء اولا ثم نقل
من الماء الى النار لقوله اغرقوا فادخلوا نارا وعجل السامري احرق
بالنار اولا ثم نقل من النار الى الماء لنحرقنه ثم لننسفنه في اليم
نسفا اما ابرهيم وموسى فقد كانا مع حقيقة هذه الكلمة فلم
فلم تعمل النار في ابرهيم قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم
ولم يعمل الماء في موسى فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي
ولا تحزني انا رادوه اليك وجاعلوه من المرسلين الاسم التاسع
كلمة التقوى قال الله تعالى والزمهم كلمة التقوى وفي سبب هذه
التسمية وجوه الاول انه لما اتى صاحب هذه الكلمة ان يصف ربه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بما وصفه به المشركون وصف هذه الكلمة بانها كلمة التقوى
وراس التقوى اتقاء الشرك ثم في هذه الاية اشارة وبشارة اما
الاشارة فهي انه تعالى سمى نفسه اهل التقوى فقال هو اهل التقوى
وسمى الموحدين اهل كلمة التقوى فقال والزمهم كلمة التقوى كانه
تعالى يقول انا اهل ان اكون مذكورا بهذه الكلمة وانت اهل ان تكون
ذاكرا بهذه الكلمة فما اعظم هذا الشرف واما البشارة فهي انه تعالى
قال والزمهم كلمة التقوى وكانوا احق بها واهلها فاثبت الموحدين
احقا لخلق بهذه الكلمة وهم اهل هذه الكلمة وانه كريم لا ينزع الحق
عن مستحقه فهذا يدل على انه لا ينزع الايمان عن المؤمن الوجه الثاني
في بيان انه لم سميت هذه الكلمة بكلمة التقوى هو ان هذه الكلمة
واقية لبدنك عن السيف ولمالك عن الاستغنام ولذمتك عن
الجزية ولاولادك عن السبي فان نضاف القلب الى اللسان صارت
واقية لقلبك عن الكفر فان نضم التوفيق اليه صارت واقية
لجوارحك عن المعاصي ثم قال تعالى والزمهم كلمة التقوى اي نحن
الزمناهم هذه الكلمة التي هي المفتاح لباب الجنة فنحن اردنا هم اولا
وهم ما اردونا قلنا المنة عليهم في فتح هذا الباب وتفرير قوله تعالى
يمنون عليك ان اسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم
ان هديكم للايمان الاسم العاشر الكلمة الباقية روى عن كثير
من المفسرين انهم قالوا في تفسير قوله وجعلها كلمة باقية في عقبه
انه قول لا اله الا الله ويدل عليه وجوه الاول تقدمة هذه الاية
وهي قوله تعالى واذ قال ابرهيم لابيه وقومه اني براء مما تعبدون

الا الذي فطرني فانه سيهدين فكان معنى قوله اني براء مما تعبدون
نفي الالهية عن الاشياء التي كانوا يعبدونها ثم قال الا الذي فطرني
فكان فيه اثبات الالهية لله الذي فطره فاذا حصل بهذا النفي
كان مجموعهما هو قول لا اله الا الله ثم قال وجعلها كلمة باقية في عقبه
فثبت ان المراد من الكلمة الباقية هو قول لا اله الا الله والثاني
انه تعالى قال في اخر القصص ولا تدع مع الله الها اخر لا اله الا هو كل
شيء هالك الا وجهه فبين ان كل شيء هالك الا هو فانه واجب الدوام
والبقاء والسرمدية لذاته وقد عرفت ان القول يتبع المقول لا عكسا
يتبع المعتقد فكان تصدق لا اله الا الله وحقيقة لا اله الا الله واجب
الثبوت والدوام والبقاء وذلك هو المراد بكونها كلمة باقية الثالث
انا بينا ان التوحيد لا يزول بسبب المعصية البتة والمعصية تزول
بسبب التوحيد وايضا التوحيد يبقى مع اهل الجنة وسائر الطاعات
لا تبقى روي جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل عم
يقول الله تعالى يوم القيمة مالي اري فلان بن فلان في صفوف اهل النار
فاقول يا رب انا لم نجد له حسنة فيقول الله تعالى اني سمعته في الدنيا
يقول يا حنان يا منان فاذهب اليه فساله فيا تيه فيجده في زاوية
من زوايا جهنم يقول يا حنان يا منان فيساله جبريل عن هذه الكلمة
فيقول وهل حنان ومنان غير الله قال جبريل عليه السلام فاخذ
بيده من صفوف اهل النار وادخله في صفوف اهل الجنة الاسم
الحادي عشر كلمة الله العليا قال الله تعالى وجعل كلمة الذين كفروا
السفلى وكلمة الله هي العليا واعلم ان السبب في علو هذه الكلمة وجوه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاول وهو ان القلب اذا تجلى فيه بنور هذه الكلمة كان ذلك
التجلي نور الربوبية ونور الربوبية اذا تجلى في القلب استعقب حصول
قوة الهية ربانية ولهذا السبب فان العارفين المستغرقين في انوار
جلال الله يستحقرون الاحوال الدنياوية فيستحقرون عظماء الملوك
ولا يبالون بالقتل ولا يغتمون لشيء من طيبات الدنيا وزخارفها
البتة وكل ذلك يدل على استعلاء قوة هذه الكلمة وان اردت
ان تعرف ذلك فانظر الى استغراق شجرة فرعون لما تجلى لهم نور هذه
الكلمة كيف لم يلتفتوا الى قطع الايدي والارجل وان محمدا عليه السلام
لما استغرق في هذا النور لم يلتفت الى الملكوت كما قال ما زاغ البصر
وما طغى روى ان ابرهيم الخواص كان في البادية فظهر عليه شيء من
هذه الاحوال فاضطجع فجاءه السباع واحاطوا به وما كان يبالي بها
فخاف صاحبه الذي كان معه وصعد بعض تلك الاشجار وبقي هناك
خايفا ثم لما كان في الليلة الثانية زال ذلك الوجد فوقعت بعوضة
على يده فالم واظهر الجزع والانين فقال له صاحبه ما اظهرت
الجزع في البارحة من ظهور السباع واظهرت الجزع في هذه الليلة
من البعوضة فقال ابرهيم كان في البارحة نزل في القلب سلطان
فبقوة ذلك السلطان ما كنت ابالي بجميع الملكوت واما الان فقد
غاب ذلك السلطان فظهر الجزع كما ترى السبب الثاني في كون هذه
الكلمة عالية استعلاء وها في الدنيا على سائر الاديان كما قال تعالى
ليظهره على الدين كله السبب الثالث في استعلائها كونها مستعلية
على جميع الذنوب فانها تزيل جميع الذنوب وشيء من الذنوب لا تزيلها

هذه الكلمة الاسم الثاني عشر الاعلى فان قتادة في قوله تعالى
ولله المثل الاعلى قال معناه قول لا اله الا الله واعلم ان معنى المثل
ههنا الصفة كذا قال اهل اللغة نظيره قوله مثل الجنة التي
وعد المتقون اي صفتها فصار المراد من قوله ولله المثل الاعلى
عين المراد من قوله وكلمة الله هي العليا الاسم الثالث عشر
كلمة السواء قال الله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم قال
ابو العالية الرياحي هي كلمة لا اله الا الله والدليل عليه انه قال بعد
الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا الاية ولا معنى لهذه الاية
الا ما هو المراد من قولنا لا اله الا الله فثبت ان المراد من كلمة سواء
هي كلمة لا اله الا الله ومما يقرر ذلك ان جميع العقول معترفة بصحة
لا اله الا الله وجميع الالسنة ناطقة بها وجميع الرقاب متخضعة
متضرعة لها قال الله تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله وايضا يحتمل انها انما سميت بكلمة سواء لانها تفيد
الاستواء في الدين والعقل والروح ووجوب الاستقامة و
ترك الاعوجاج في كل الامور الاسم الرابع عشر انها كلمة النجاة
والذي يدل عليه القران والحديث اما القران فمن وجوه الاول
قوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء
فهذه الاية صريحة في ان النجاة لا تحصل بدون الايمان بلا اله
الا الله وتحصل مع الايمان بلا اله الا الله الثاني قوله تعالى
ويا قوم مالي ادعوكم الى النجاة اي الى قول لا اله الا الله الى قوله
العزيز الغفار واما الخبر فيدل عليه الاخبار التي ذكرناها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الفصل الثاني ونزيد ههنا اخبارا آخر احدها ما روي عن جابر
قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم الموجبتين عن الموحدين
فقال عليه السلام من لقي الله ولا يشرك به شيئا دخل الجنة ومن لقي الله
يشرك به شيئا دخل النار وثانيها عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال
قال عليه السلام لقنوا موتاكم شهادة ان لا اله الا الله وثالثها
روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه طلحة بن عبد الله نفيلا معمورا
بعد موت رسول الله صلعم فقال له عمر مالك فقال طلحة سمعت
من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا ما منعني ان اساله الا
القدرة عليه حتى مات سمعته يقول اني لاعلم كلمة لا يقولها عبد
عند موته الا انها اشرق لها لونه ونفس الله بسببها كربته فقال
عمر اني لاعلم ما هي قال وما هي قال هي الكلمة التي امرها عمه عند الموت
وهي لا اله الا الله قال طلحة صدقت هي والله هي ورابعها روي
ابو امامة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر بنادي
في الناس من شهد ان لا اله الا الله دخل الجنة وخامسها قال
معاذ بن جبل حين حضرته الوفاة اكشفوا عني سجف القبة حتى
احدثكم بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمنعني
ان احدثكموه الا ان تتكلوا وتتركوا العمل سمعت رسول الله صلعم
يقول من قال شهدان لا اله الا الله مخلصا من قلبه دخل الجنة
وسادسها عن عبد الله بن ابي قتادة عن ابيه قال قال رسول الله صلعم
من قال شهدان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله يجري بها
لسانه واطمان بها قلبه حرمته النار عليه وسابعها روي ابو هريرة

قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لابي الدرداء ناد في الناس
من شهد ان لا اله الا الله وجبت له الجنة قال ابو الدرداء وان زنى وان
سرق قال وان زنى وان سرق حتى قالها ثلث مرات وقال في الثالثة
وان رغم انف ابي الدرداء وثامنها روى معاذ بن جبل عن رسول الله صلعم
انه قال من كان آخر كلامه لا اله الا الله وفاضت نفسه بعين دخل الجنة
الخامس عشر كلمة العهد قال ابن عباس في قوله لا يملكون الشفاعة الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا قال ابن عباس العهد هو قول لا اله الا الله واقول
الذي يدل على صحة قول ابن عباس وجوه الاول ان قوله الا من اتخذ
عند الرحمن عهدا نكرة في طرف الثبوت وذلك لا يفيد الا عهدا واحدا
فهذه الاية تدل على ان ملك الشفاعة تحصل بسبب عهد واحد ثم
اجمعنا على ان ما سوى الايمان فان الواحد منه بل مجموعه لا يفيد
تلك الشفاعة البتة فوجب ان يكون ذلك العهد الواحد الذي يفيد
تلك الشفاعة هو الايمان وهو قول لا اله الا الله والثاني ان جماعة
من المفسرين قالوا في تفسير قوله تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم
انه هو عهد الايمان بدليل ان لفظ العهد بحمل فلما اعقبه بقوله
وامنوا بما انزلت مصدقا لما معكم علمنا ان المراد من ذلك العهد
هو الايمان وهو قول لا اله الا الله محمد رسول الله والثالث
قوله تعالى قل اتخذتم عند الله عهدا اي قلتم لا اله الا الله الرابع
ان اول ما وقع من العهود قوله الست بربكم قالوا بلى وذلك في الحقيقة
قول لا اله الا الله فكان لفظ العهد محمولا عليه الخامس انه قال
ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم الى قوله ومن اوفى بعهده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الله فكان العهد من جانبك عهدا الاقرار بالعبودية ومن جانبه
سبحانه عهد الكرم والربوبية فثبت بهذه الوجوه ان المراد من قوله الا من
اتخذ عند الرحمن عهدا هو عهد قول لا اله الا الله الاسم السادس عشر
كلمة الاستقامة قال الله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا
قال ابن مسعود المراد من قوله استقاموا هو قول لا اله الا الله وذلك
لان قولهم ربنا الله اقرار بوجود الرب ثم ان من المقرين بذلك من اثبت
الله ندا وشريكا فالذين نفوا الشركاء والاضداد هم الذين استقاموا
على النهج القويم والصراط المستقيم واعلم ان القيمة في القيامة
بقدر الاستقامة في نفي الشركاء فمن الناس من اثبت الشرك ظاهرا
وهو الشرك الظاهر واستقامته في الدين لا يحصل الا بقدر نفي الشركاء
كما قال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون ومنهم من اقر
بالوحدانية في الظاهر الا انه يقول قولا يهدم ذلك التوحيد مثل ان
يضيف السعادة والنحوسة الى الكواكب ويضيف الصحة والمرض الى الدواء
والغذاء او يضيف الفعل الى العبد على سبيل الاستقلال وكل ذلك
يبطل الاستقامة في معرفة الحق سبحانه وتعالى ومنهم من ترك كل ذلك
ولكنه قد يطيع النفس والشهوة في بعض الافعال واليه الاشارة بقوله
افرايت من اتخذ الهه هواه وهذا النوع من الشرك هو المسمى بالشرك الخفي
وهو المراد من قوله تعالى حكاية عن ابرهيم واسمعيل عليهما السلام
ربنا واجعلنا مسلمين لك وقول يوسف توفني مسلما فان الانبياء
عليهم السلام مبرؤون من الشرك الجلي والخفي اما الحالة المسماة بالشرك
الخفي وهو الالتفات الى غير الله فالبشر لا ينفك عنه في جميع الاوقات

فلهذا السبب تضرع الانبياء والرسل عليهم السلام الى الله في ان يصونهم عنه
الاسم السابع عشر مقاليد السموات والارض قال ابن عباس هو قولك
لا اله الا الله واقول هذا هو الحق ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى
بين انه لو كان في الوجود الهان لحصل الفساد في العالم ولاختلف المصالح
قال الله تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا فثبت ان الشرك سبب
لفساد العالم وان التوحيد سبب لانتظام العالم فثبت ان مقاليد
السموات والارض هو قول لا اله الا الله الثاني انا بينا ان الشرك
سبب لاختلال العالم بدليل قوله تعالى تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا واذا كان كذلك
كان التوحيد سببا لعمارة العالم الثالث ان ابواب السموات لا تفتح
عند الدعاء الا بقول لا اله الا الله وابواب الجنان لا تفتح الا
بهذا القول وابواب النيران لا تغلق الا بهذا القول وباب القلب
لا ينفتح الا بهذه الكلمات وانواع الوساوس لا تندفع الا بهذا القول
فكانت هذه الكلمة اشرف مقاليد السموات والارض واعز مفاتيح
الارواح والنفوس والاجسام والعقول الاسم الثامن عشر
القول السديد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله وقولوا قولا
سديدا قيل في تفسيره الفعل قد يكون بمعنى الفاعل كالسميع بمعنى
السامع وقد يكون بمعنى المفعول كالقتيل بمعنى المقتول والجريح بمعنى
المجروح واذا حملته على معنى الفاعل كان معناه انه يسدد على صاحبه
ابواب جهنم واذا حملته على معنى المفعول كان معناه انه قد سد عن
ان يضمن شيء من الذنوب وايضا ان ذا القرنين بنى السد فدفع الضرر

ياجوج وماجوج والله تعالى جعل الايمان سدا لضرر الشياطين
من الجن والانس الاسم التاسع عشر البر قال الله تعالى ليس البر
ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله
والاشارة في الاية ان من كان مشتغلا بجميع الجوانب والجهات
لم يكن صاحب بر وانما صاحب البر هو الذي يتوجه الى الكعبة وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض فقوله ليس البر ان تولوا وجوهكم
قبل المشرق والمغرب اشارة الى الكثرة والقول بالشركاء وقوله
ولكن البر من آمن بالله اشارة الى التوحيد فصار معناه هو المفهوم من
قول لا اله الا الله الاسم العشرون الدين الخالص قال الله تعالى
الا لله الدين الخالص واعلم ان الدين هو الانقياد والخضوع قال
عليه السلام في دعواته يا من دانت له الرقاب اي خضعت فقوله الا لله
الدين الخالص اي له الخضوع والخشوع لا لغيره وانما كان كذلك اذا
كان واحدا في الهيته اذ لو وجد الهان لكان كما ان الخضوع حاصل
لاحدهما كان ايضا حاصل للثاني فحينئذ لا يمكن حصر ثبوت الخضوع
لله فقط فالحصر دل على انه لا اله سواه ولا معبود الا اياه الاسم
الحادي والعشرون الصراط المستقيم قال الله تعالى حكاية عن رسوله
وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وانك لتهدي الى صراط مستقيم
صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض واعلم ان هذا
الصراط المستقيم قال المفسرون هو قول لا اله الا الله وذلك
باعتبار ان حدوث كل محدث وامكان كل ممكن يحوجه الى المؤثر
الذي يوجده وينقله من العدم الى الوجود فاذا كان الموجد والمؤثر

والمدبر واحدا فمتى نسبت حدوث المحدثات ووجود الممكنات
الى قدرته كان ذلك صراطا مستقيما وطريقا قويما ومتى نسبت
حدوث المحدثات ووجود الممكنات الى غير قدرته كان ذلك طريقا
معوجا وسبيلا منحرفا فثبت ان الصراط المستقيم لا يحصل الا
باسناد كل الحوادث والممكنات الى تخليق الله وتكوينه واسناد
الكل اليه هو التوحيد فثبت ان الصراط المستقيم هو قولنا لا اله الا
الله الاسم الثاني والعشرون كلمة الحق لقوله تعالى ولا يملك
الذين يدعون من دونه الشفاعة الا من شهد بالحق يعني قول لا اله
الا الله الاسم الثالث والعشرون العروة الوثقى قال تعالى فمن
يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى يعني
بلا اله الا الله الاسم الرابع والعشرون كلمة الصدق قال تعالى
والذي جاء بالصدق وصدق به يعني قول لا اله الا الله فهذه جملة
الكلام في اسماء كلمة لا اله الا الله اللهم بحق اسمائك الطاهرة
المطهرة المقدسة احفظ بفضلك في قلوبنا معرفة لا اله الا الله
وعلى لساننا ذكر لا اله الا الله وذكرها على لساننا يا ارحم الراحمين

الفصل الرابع في الاشياء التي شبه الله تعالى بها كلمة التوحيد

فالاول ان الله تعالى شبه الايمان بالنار فقال مثلهم كمثل الذي
استوقد نارا وقال في آية اخرى ومما توقدون عليه في النار ونفيه
اثبات ثلثة الاولى كما ان النار اذا عرض عليها الذهب المغشوش
احرقت كل ما فيه من الغش وبقي جوهر الذهب سليما عن الاحتراق فكذا يوم
القيامة اذا عرض المذنب على نار جهنم احترقت ذنوبه ومعاصيه وبقي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ايمانه سليما عن الاحتراق والثاني ان النار تحرق كل شئ فكذا الايمان
اذا قوى نوره احرق ما سوى الله عن القلب قال الله تعالى قل الله ثم
ذرهم في خوضهم يلعبون الثالث انه تعالى شبه الايمان بنوره فقال
مثل نوره والسبب في انه اضاف المعرفة الى نفسه وجوه الاول انه
اضاف المعرفة الى نفسه قطعا للاطماع عنها وذلك لانها جوهرة
نفيسة وقيمتها رفيعة وصاحبها غافل والشيطان محتال مكار
وحل مقصوده ان ياخذ المعرفة من العارف ويحول بينها وبينه
فالحق سبحانه برحمته جعل المعرفة في حمايته حتى ينقطع طمع ابليس
عنها وتحقيقه انه لما قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من
اتبعك فلما اضاف العباد الى نفسه انقطع طمع ابليس عنهم فقال
فبعزتك لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين فههنا لما اضاف
الايمان الى نفسه بقوله مثل نوره لاجرم كان طمع ابليس منقطعا عنه
الثاني ان كل ما للعبد فهو للحق لانه حصل بتخليقه وايجاده فاذا بلغ
العبد في درجات المكاشفات الى ان شاهد هذه الحالة فقد كملت
حالته وعظمت درجته فعند ذلك قيل كل ماله فهو لنا وكل ما لنا
فهو له فالمعرفة التي هي له فهي لنا فلاجرم اضافها الى نفسه فقال مثل نوره
ليكون طمع ابليس منقطعا عنه الثالث ان تخصيص الشيء باضافته الى الله
سبب للتشريف كما في قوله ان طهرا بيتي وطهر بيتي وكما في قوله هذه ناقة الله
وقوله وانه لما قام عبد الله فكذا ههنا اضاف المعرفة الى نفسه تدل
على انها اشرف الخلع والتشريفات ثم ههنا سوالات الاول ما الحكمة
في ان الله تعالى شبه نور المعرفة بنور السراج حيث قال مثل نوره كمشكوة

فيها مصباح الجواب من وجوه الاول ان البيت اذا كان فيه سراج لا يجاسر
اللص على دخوله مخافة ان ينتبه والثاني ان البيت اذا كان فيه سراج
اهتدى صاحبه الى الطلب الامتعة فكذا القلب اذا كان فيه سراج المعرفة
اهتدى صاحبه الى الشروع في الطاعات الثالث السراج اذا كان في
البيت انتفع بضيائه كل احد من غير ان ينقص من استضاءة صاحبه بنوره
شيء فكذا كل قلب فيه سراج المعرفة انتفع بنوره غير صاحبه من غير ان
ينتقص من نور صاحبه شيء الرابع ان السراج اذا كان في البيت وكان
موضوعا في كوة مسدودة زجاجة اضاء داخل البيت وخارجه
فكذا سراج المعرفة في القلب يضيء داخل القلب وخارج القلب حتى
يظهر نوره على الاذنين والعينين واللسان فيظهر نور الطاعات
في بين هذه الاعضاء واليه الاشارة بقوله اللهم اجعل في قلبي
نورا وفي سمعي نورا وفي بصري نورا وفي عظمي نورا وفي مخي نورا ان
الخامس ان البيت اذا كان فيه سراج كان صاحبه مستانسا مسرورا
فاذا طفي السراج صار مستوحشا فكذا القول في القلب ما دام فيه
سراج المعرفة كان صاحبه مستانسا مسرورا فان فارقه والعياذ
بالله صار مغموما قال تعالى فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره
للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا الآية
السادس ان نور السراج صغير وضوءه ينتشر من كل جانب فكذا ضوء
المعرفة ينتشر من القلب الى جميع الجوانب كما قال تعالى ولله المشرق والمغرب
فاينما تولوا فثم وجه الله وخصوصا من جانب العلو قال تعالى اليه
يصعد الكلم الطيب السؤال الثاني ما الفرق بين سراج الدنيا التي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هي الشمس وبين سراج المعرفة فالجواب الفرق من وجوه الاول ان الشمس
يجمها غمامة والمعرفة لا يجمها سبع سموات الثاني ان الشمس تغيب
بالليل والمعرفة لا تغيب ليلا ولا نهارا بل هي في الليل اكثر قال تعالى
ان ناشئة الليل هي اشد وطاً واقوم قيلا وقال سبحان الذي
اسرى بعبده ليلا وقال ليلة القدر خير من الف شهر الثالث ان
الشمس يفنى قال تعالى اذا الشمس كورت واما المعرفة لا تفنى قال تعالى
كل شئ هالك الا وجهه اى الا ما حصل برضاه الرابع الشمس تكشف
والمعرفة لا تكشف الخامس الشمس تسود الاشياء والمعرفة تبيضها
السادس الشمس تحرق والمعرفة تنجي من الحرق السابع الشمس الشمس تارة
تضر وتارة تنفع والمعرفة تنفع ولا تضر البتة الثامن الشمس منفعتها
في الدنيا والمعرفة منفعتها في الدنيا وفي العقبى التاسع الشمس
في السماء زينة لاهل الارض والمعرفة في الارض زينة لاهل السماء
العاشر الشمس في الفوق وهي تضئ كل ما تحتها والمعرفة في قلب المومن
وهي في التحت وتضئ ما فوقها اليه يصعد الكلم الطيب الحادي عشر
بالشمس تنكشف وجوه الخلق وبالمعرفة تنكشف وجود الخالق والدليل
عليه قول امير المومنين رضي الله عنه حين قيل له هل رايت ربك فقال
لا اعبد ربا لم اره الثاني عشر الشمس تقع على الولي والعدو والمعرفة
ليست الا للولي الثالث عشر ولاية الشمس في الدنيا دون الاخرة
واما المعرفة فانها في الدنيا ذات ولاية وفي الاخرة ذات ولاية
وايضا فان الكواكب مصابيح الخلق والمعرفة مصابيح الحق وايضا فان شعاع
الكواكب ينزل الى الاسفل وشعاع المعرفة يصعد الى العلو وايضا

فان

فان الكواكب تطلع من خزانة الفلك والمعرفة تطلع من خزانة الملك
وايضا فان الكواكب علامة والمعرفة كرامة وايضا فان الكواكب
موضع نظر المخلوقين والمعرفة نظر رب العالمين قال عليه السلام
ان الله لا ينظر الى صوركم والى اعمالكم ولكن ينظر الى قلوبكم ونياتكم
السؤال الثالث ما الفرق بين السراج وبين المعرفة الجواب من وجوه الاول
ان سراج الدنيا نوره مشوب بالظلمة وهي الدخان الذي يعلوه وسراج
المعرفة نور صاف لا ظلمة معه والثاني ان سراج الدنيا يحرق نفسه
لينتفع به غيره وسراج المعرفة والتوحيد يحرق الذنب ويروح القلب
وينور الصدر والثالث ان سراج الدنيا يضمحل من نور الشمس واما
سراج المعرفة والتوحيد فانه لا يضمحل من نور الشمس والرابع ان سراج
الدنيا لا وفاء معه يحرق من اوقد ومن امده بالفتيلة كما يحرق من لم
يوقد ولم يمد بشئ وسراج المعرفة ذو وفاء لا يحرق صاحبه البتة
بل ينجيه من الحرق فشتان ما بين السراجين السؤال الرابع ما الحكمة في
تشبيه المعرفة بالمصباح الجواب من وجوه الاول ان المصباح تضر
الرياح والمعرفة تضر الوساوس والشبهات والثاني ان المصباح
لا يبقى بغير الدهن والمعرفة لا تبقى بغير التوفيق الثالث لا بد للمصباح
من حافظ يتعهده ولا بد لمصباح المعرفة من متعهد وهو فضل الله
ورحمته السؤال الخامس ما الحكمة في تشبيه القلب بالزجاجة
وهلا شبهه بالذهب والفضة فانهما اعز من الزجاجة الجواب
من وجوه الاول ان الذهب والفضة وان كانا نفيسين رفيعين لانهما
كثيفان يوقعان الحجاب وان زجاجة وان كانت قليلة القيمة الا انها

لطيفة صافية لا توقع الحجاب فانه يرى باطنها من ظاهرها وبالضد
والله تعالى ذكر هذا المثل لرفع الحجاب لا لوضعه والثاني انه ليس
لانية الزجاجة خطر انما الخطر لما في الانية فكذا ليس لقلبك
خطر انما الخطر للايمان والثالث اذا انكسرت الزجاجة لم تصلح
الا بادخال النار والاذابة كذلك القلب اذا فسد لا يصلح لم يخلص
من شوايب الذنوب والوساوس الا بادخال النار والاذابة وان
منكم الا واردها الاية الرابع ان صاحب الذهب والفضة لا يخاف
كسرهما لعلمه ان قيمتها لا يبطل بسبب الانكسار اما صاحب الزجاجة
فانه يكون على حذر ووجل لعلمه بانها اذا انكسرت بطلت قيمتها
فكذلك ينبغي للمؤمن ان يكون على حذر ووجل كصاحب الزجاجة
ولا يكون على امن وسكون كصاحب الذهب والفضة والخامس شبهه
بالزجاجة لان النور في الزجاجة احسن واتم ضياء منه في الذهب والفضة
فالزجاجة لقلة قيمتها واستعدادها للانكسار والبطلان صار
النور فيها احسن وهو الاشارة الى قوله تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم
من اجلي السؤال السادس ما الحكمة في تشبيه تلك الزجاجة بالكوكب
الدري الجواب من وجوه الاول ان الكوكب الدري فيه زينة وهداية
لاهل الارض كما قال وعلامات وبالنجم هم يهتدون وفيه زينة
لاهل السماء ايضا انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب فكذا قلب
المؤمن سبب لهداية صاحب القلب الى الخيرات وهو ايضا زينة لاهل السماء
فانه روي ان معرفة العارف يضيء لاهل السماء كما يضيء الكوكب الدري
لاهل الارض والثاني ان الكواكب لا قدرة الشيطان عليه بل الكوكب

تحرق الشياطين قال تعالى وجعلناها رجوما للشياطين فكذا نهنا
قلب المؤمن لا سبيل للشيطان عليه بل نور قلبه وايمانه تحرق الشيطان
ولذلك قال ان عبادي ليس لك عليهم سلطان وقال يوسوس في صدور
الناس ولم يقل يوسوس في قلوب الناس وقال تعالى ان الذين اتقوا
اذا مسهم طايف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون فذلك التذكر
هو ظهور نور الايمان وقوله فاذا هم مبصرون اشارة الى احتراق
وساوس الشيطان السؤال السابع ما الحكمة في انه شبه القلب
بالكواكب لا بالشمس والقمر الجواب من وجوه الاول ان الكواكب تستنير
بالنهار وتظهر بالليل والعارف مستور بالنهار فاذا اظلم الليل
ظهر بالخدمة والتضرع والثاني ان الكواكب زينة السماء والقلب
زينة العارف والثالث ان الكواكب مصابيح السماء ولقد زينا السماء
الدنيا بمصابيح والقلب مصباح العارف قال تعالى مثل نوره كمشكوة
فيها مصباح السؤال الثامن هل في تشبيه الايمان بالسراج بشارة
لاهل الايمان الجواب نعم من خمسة اوجه الاول ان الشمس سراج
استوقد الله للفناء ثم لا يقدر احد على اطفايه والمعرفة سراج
استوقد الله للبقاء كيف يقدر ابليس على اطفايه الثاني استوقد الله
سراج الشمس في السماء فهي تزيل الظلمة عن بيتك مع غاية البعد عنك
فاذا استوقد شمس المعرفة في قلبك كيف لا تزيل ظلمة المعصية عن قلبك
مع شدة القرب الثالث من استوقد سراجا فعليه تعهده والله هو الموقد
لسراج المعرفة في قلبك قال تعالى كتب في قلوبهم الايمان فلاجرم جعل
الرحمة امداده وتعهده انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون الرابع

شبكة الألوكة www.alukah.net

اللص اذا رأى السراج في البيت مستوقدا لا يقصد ذلك البيت بالسرقة
والله اوقد سراج المعرفة في قلبك وكيف يقدر لص الشيطان ان يقرب
منك الخامس المجوس اوقدوا نارا فلا بد ان طفاها فالملك
القدوس اوقد نار المحبة والمعرفة فكيف يرضى باطفائها والسادس
من اراد ان يستوقد سراجا احتاج الى سبعة اشياء زند وحجر
وحراق وكبريت ومسرجة وفتيله ودهن فالعبد اذا طلب سراج المعرفة
فلا بد له من زند الجهد والذين جاهدوا فينا وحجر التضرع ادعوا
ربكم تضرعا واما الحراق فهو احراق النفس بمنعها من الشهوات قال تعالى
ونهى النفس عن الهوى فان الجنة هي المأوى والرابع كبريت الانابة
وانيبوا الى ربكم والخامس سرجة الصبر واصبروا فان الله مع الصابرين
والسادس فتيلة الشكر واشكروا نعمة الله عليكم والسابع
دهن الرضاء بقضاء الله تعالى قال تعالى واصبر لحكم ربك وقال عليه السلام
الرضاء بقضاء الله باب الله الاعظم فهذه الامور السبعة يتعلق بك
في حفظ عهد العبودية فاذا وفيت بعهد العبودية فهو اولى ان يفي
بعد الربوبية كما قال واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فتحفظ هذه النكت
من الامور التي شبه الله المعرفة في قلبك به والذكر في لسانك وجعلها
نورا باقيا معك في القبر وظلمات القيامة النوع الثالث من الامور
التي شبه الله تعالى الايمان بها التراب قال والبلد الطيب يخرج نباته
باذن ربه ووجه المشابهة من وجوه الاول ان التراب وامانة من اودع
اليه شيئا سلم اليه اضعافه قال تعالى في كل سنبلة مائة حبة فكذا
المؤمن اذا عمل عملا سلم الله اضعافه ذلك العمل اليه يوم القيامة قال تعالى

انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب الثاني من خاصية الارض
انه يطرح عليها كل قبيح ويخرج منها كل مليح فكذا ارض الايمان يطرح
عليها قبائح الكفر والذنوب ثم تخرج منها كل مليح ثمرات المغفرة والرحمة
والرضوان فاولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات الثالث من خاصته
الارض انها كالام الحاضنة فهي لك كالمهد قال تعالى الذي جعل
لكم الارض مهادا فراشا وكالخزانة لك خلق لكم ما في الارض جميعا
وكالام المشفقة عليك منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية فكذا
الايمان لحصل منه جميع منافعك في الدنيا والاخرة وبه تندفع
عنك جميع المضار في الدنيا والعقبى النوع الرابع من الاشياء التي
شبه الله الايمان والقرآن بها الماء قال الله تعالى انزل من السماء
ماء فسالت اودية بقدرها الى قوله كذلك يضرب الله الحق والباطل
اي الايمان والكفر فالزبد هو الكفر والماء هو الايمان وفي تقرير
وجه المشابهة وجوه الاول ان الماء يزيل الانجاس عن البدن
والثياب وانزلنا من السماء ماء طهورا وثيابك فطهر وكذا
الايمان يزيل نجاسة الكفر والمعاصي عن القلب قال عليه السلام
الاسلام يجب ما قبله الثاني ان الله تعالى سمى الماء المنزل
من السماء رحمة قال هو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته
وسمى القرآن رحمة فقال وهدى ورحمة للمؤمنين وجعل الايمان
رحمة وسببا للرحمة فقال وكتب في قلوبهم الايمان وقال كتب
ربكم على نفسه الرحمة فلاجرم شبه الايمان والقرآن بالماء
لهذا السبب الثالث انه تعالى سمى القرآن مباركا فقال وهذا ذكر مبارك

وقال كتاب انزلناه اليك مبارك وقال في الماء وانزلنا من السماء ماء
مباركا فالجرم شبه القران بالماء لكون كل واحد منهما مباركا الرابع
ان الماء شفاء للنفوس والقران شفاء للقلوب قال تعالى وننزل من القران
ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين فهو شفاء لقلوبهم ورحمة لذنوبهم
والخامس كما انه تعالى هو الذي تولى انزال الماء من السماء ولا يقدر
عليه احد سواه فكذلك هو الذي تولى انزال القران ولا يقدر عليه
احد غيره السادس كما انه تعالى اذا انزل المطر من السماء لم يقدر
احد على دفعه فكذلك لما انزل القران من السماء لم يقدر احد
على دفعه وادخال الباطل عليه وانه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل
من بين يديه الاية السابع ان المطر لا يقدر مخلوق على احصاء عدد
قطراته فكذلك القران لا يحيط احد بكمال اسراره ولطايف حقايقه
الثامن كما ان المطر ينزل من السماء قطرة قطرة ثم يسيل في الارض
نهرا نهرا وبحرا بحرا فكذا انزل القران من السماء آية آية وبخما بخما ثم صار
المجموع انهارا وبحارا وفي الخبر ان القران بحر عميق لا يدرك قعره
التاسع كما ان المطر لو نزل من السماء دفعة واحدة لقلع الاشجار
وخرب الديار وكان الفساد فيه اكثر من الصلاح فكذلك القران
لو نزل جملة واحدة لضلت فيه الافهام وتاهت فيه الاوهام قال
لو انزلنا هذا القران على جبل الاية العاشر كما ان الله تعالى يحيي الارض
بعد موتها بالمطر فكذلك احيا القلوب الميتة بالقران قال أو من
كان ميتا فاحييناه الحادي عشر كما ان المطر واحد ثم انه يقع على الارض
فيخرج منه الورد والريحان وعلى ارض اخرى فيخرج منه الشوك والسموم

فكذلك

فكذلك القران يقع على قلب المطيعين فيخرج منه ورد العبودية وريحان
الطاعة ويقع على قلب الكافر فيخرج منه سموم الكفر وشوك المعصية
قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا الثاني عشر ان في الماء النازل
من السماء غنية عن جميع المياه فكذلك في القران غنية عن جميع الكتب
والعلوم الثالث عشر ان الماء الكثير اذا انغمس فيه من لا يحسن السباحة
هلك فيه فكذا القران اذا تكلم فيه احد بغير العلم هلك قال عليه السلام
من فسر القران برايه فليتبوا مقعده من النار الرابع عشر كما ان الشرب
فوق الكفاية يضر ولا ينفع فكذلك الكلام في القران فوق الفهم
والفطنة يضر ولا ينفع قال عليه السلام امرت ان اكلم الناس على
قدر عقولهم الخامس عشر اذا انزل المطر زال القحط وظهر النبات
والغذاء والفاكهة فكذلك كان قبل نزول القران ظهر قحط الدين
فلما نزل القران زال القحط في الدين وظهر انواع الغذاء والفاكهة
للروح وهو بيان التوحيد والنبوة والشرايع السادس عشر كما ان الماء
يطفي النار كذلك الايمان والقران يطفي على المؤمن الذي هو حامل القران
نار جهنم النوع الخامس من الاشياء التي شبه الله تعالى القران
والايمان بها بالجبل قال تعالى واعتصموا بحبل الله ووجه المشابهة
من وجوه الاول ان من اراد ان يصعد من السفل الى العلو لم يأمن
وخافت من الانزلاق فاذا تمسك بالجبل امن من ذلك الخوف فالعبد
يريد ان يصعد من شفل البشرية الى علو عالم الجلال والكبرياء ويخاف
من ان يزلق قدم عقله فاذا تمسك بالقران امن منه الثاني ان الانسان
اذا اراد الذهاب الى موضع فان كان بين مكانه وبين ذلك الموضع جبل

مشدود تمسك بذلك الحبل وذهب فارغا من غير خوف فكذلك
العقول البشرية كالعمى في سلوك سبيل التوحيد والمعرفة فاذا
تمسكوا بالقران آمنوا من الخوف والثالث ان من سقط في البئر
فطريق تخليصه ان يرسل اليه حبل حتى يتعلق به ويصعد ويخرج
من الهلاك فالارواح البشرية وقعت في هاوية عالم الاجسام
والملك الرحيم ارسل اليه حبل القران فمن تعلق به وصعد نجا ومن
لم يتعلق به بقي في بئر الظلمات وكان من اهلها لكن النوع السادس من
الاشياء التي شبهه الله تعالى الايمان بها شجرة الزيتون فقال
وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين وذكروا
في وجه التشبيه امورا الاول انه تعالى انما شبه الايمان بهذه الشجرة
لان هذه الشجرة في اكثر الامر انما تنبت في الامكنة المطهرة فكذلك
المعرفة لا تستقر في كل قلب بل في القلوب المطهرة الثاني ان شجرة الزيتون
يتولد من ثمرها ذلك الدهن الذي هو في غاية الصفاء فكذلك قلب
المؤمن يتولد منه الايمان والمعرفة وهما اصفى الانوار واشرفها واعلم
ان الله تعالى وعد المؤمنين بعشر كرامات احدها المغفرة قال تعالى
قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمعنى ان قبل الايمان
وتركوا الكفر فانيها الامن قال الله تعالى الذين امنوا ولم يلبسوا
ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن الثالث الهداية قال الله تعالى ان
الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم الآية والرابع
الزيادة قال تعالى للذين احسنوا الحسنى وزيادة والخامس الفلاح
قال الله تعالى اولئك على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون وقال

قد افلح المؤمنون والسادس التثبيت قال الله تعالى يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت السابع الشفاعة قال الله تعالى يومئذ لا تنفع
الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضي له قولا يعني قول لا اله الا الله
الثامن اصلاح الاعمال قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا اتقوا الله
وقولوا قولا سديدا يصلح لكم اعمالكم والتاسع البشارة قال
الله تعالى وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون والعاشر سماع كلام الله
ورؤيته قال الله تعالى سلام قولا من رب رحيم وجوه يومئذ ناضرة
الى ربها ناظرة اما الخاتمة فمن وجوه الاول قال بعضهم عجبا لمن
عرفك كيف يخلو قلبه من ذكرك وكيف يكون هم نفسه وولد اكبر
من هم مناجاتك وكيف يفرح بغير احسانك وكيف لم يطلب الغنى
بالتعزز بك وكيف لم يطلب الكفاية في صدق التوكل عليك وكيف
لم يعد البلاء في طاعتك اعظم انواع السعادات وكيف لم تشغله
معرفتك عن معرفة غيرك وكيف لم يبن على قلبه مصايب الدنيا
وكيف لم يطلب راحته وروحه بتفويض اموره اليك وكيف يطلب
لذة العيش في غير وقت المعرفة وكيف يستلذ بمن يشغله عنك
وكيف يوثر شهوات الدنيا مع سرعة فنائها على محبتك وكيف يغفل
عنك وهو يعلم انك لا تغفل عنه الثاني قال بنان بن الحسين
من اقبل على الدنيا احرقته بنيرانها يعني نار الحرص فصار رمادا ومن
اقبل على الاخرة احرقته بنيرانها يعني نار الخوف فصار سبيكة ذهب
ينتفع بها ومن اقبل على الله احرقت نار التوحيد والمحبة فصار جوهرا
نفيسا لا قيمة لها الثالث قيل لا يستكمل العبد حقيقة الايمان

شبكة الألوكة www.alukah.net

حتى يكون خير منا مولا وشر منا مولى وحتى تكون الضعة احب اليه
من الرفعة والفقر احب اليه من الغنى والذل في الله احب اليه من العز
فيما سواه ويستكثر القليل من عمل غيره ويستقل الكثير من عمل نفسه
ولا يرى احدا الا ظن انه خير منه الرابع قال لقمان لابنه يا بني للايمان
سبع حقايق ولكل حقيقة منها حق فالحقايق السبعة اليقين والخوف
والمعرفة والهدى والعمل والتفكر والورع فحقيقة اليقين الصبر
وحقيقة الخوف الطاعة وحقيقة المعرفة الايمان وحقيقة الهدى
البصيرة وحقيقة العمل النية وحقيقة التفكر الفطنة وحقيقة
الورع الفرار الخامس قيل اركان الايمان اربعة توحيد بلا حد
وذكر بلا لبث وحال بلا نعت ووجد بلا وقت ومعنى قولنا حال بلا
نعت ان يصير بحيث لا يصفها لا من الاحوال الرفيعة الا ويكون حاصلا
لانه لو لم يكن حاصلا له لكان غايبا وقيل ذكر الغايب غيبة السادس
قال علي رضي الله عنه اربع خصال من كن فيه فهو مؤمن اذا قال صدق
واذا قال وعد وفى واذا ايتمن ادى واذا عاهد لم يغدر السابع
قال الجنيد المؤمن كالارض تطيق حمل كل شيء والقطر اذا سقط سقى كل شيء
والمحقق في ذلك انه في جميع احواله ناظر الى الله فهو لا ينظر مع من يعامل
ولكنه ينظر لاجل من يعامل فلا جرم يستوي الكل عنده الثامن
قال يحيى بن معاذ الرازي الايمان تقي فلا تدنسه بآثامك والليالي
طويلة فلا تقصرها بمنامك والايام قصيرة فلا تجعلها في غير صيامك
وقال ايضا اذا لم يكن الايمان هادما للسيئات كما كان الكفر هادما للحسنات
فما فضل الايمان والتاسع قال سهيل بن عبد الله المؤمن بين خمسة اعداء

نفس

نفس تنازعه ومنافق يبغضه وشيطان يغويه وملوك يحسد وكافر
يقاتله العاشر قال ابو بكر الوراق للمؤمن اربع علامات كلامه ذكر
وصمته فكر ونظره عبر وعمله طاعة الحادي عشر قال ابو بكر الواسطي
في معنى قول معاذ تعالوا نؤمن ساعة اي حتى نخرج من الارادات التي تنازعنا
لان كل ارادة ارادها الانسان على خلاف ارادة الحق فهي منازعة
الربوبية الثاني عشر قال ابو يزيد الهي انك خلقت هذا الخلق بغير علمهم
وقلدتهم امانة بغير ارادتهم وقدرتهم فاغنهم بغير علمهم فان لم تغنهم
فمن يغنيهم الثالث عشر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمن
من يكون نفسه منه في عناء والناس منه في راحة **الفصل الخامس**
في شرح المباحث المتعلقة بكلمة لا اله الا الله وهي من وجوه البحث
الاول زعم جماعة من النحويين ان هذا الكلام فيه حذف واضمار ثم ذكروا
فيه وجهين احدهما التقدير لا اله لنا الا الله والثاني لا اله في الوجود
الا الله واعلم ان هذا الكلام غير سديد اما الاول فلانه لو كان
التقدير لا اله لنا الا الله لم يكن هذا الكلام مفيد التوحيد الحق
اذ يحتمل ان يقال هب انه لا اله لنا الا الله فلم قلتم انه لا اله لجميع المحدثات
والممكنات الا الله ولهذا السبب انه تعالى لما قال والهكم اله واحد
قال بعده لا اله الا هو الرحمن الرحيم لانه لما قال والهكم اله واحد
بقي للسائل ان يسأل ويقول هب ان الهنا واحد فلم قلتم ان اله الكل
واحد فلاجل ازالة هذا السؤال قال بعده لا اله الا هو الرحمن الرحيم
ولو كان المراد من قوله لا اله الا هو انه لا اله لنا الا هو كان هذا تكرارا
محضا واما الثاني وهو قولهم التقدير لا اله في الوجود الا الله فنقول

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واى حامل يحملكم على التزام هذا الاضمار بل نقول حمل الكلام على
ظاهره اولى من هذا الاضمار الذى ذكرتم وذلك لانا لو ارسلنا
الزمام ذلك الاضمار كان معناه لآاله الا الوجود الا هو وكان
هذا نفيا لوجود لآاله الثانى فاما لو احرزنا الكلام على ظاهره
كان هذا نفيا لماهية الاله الثانى ومعلوم ان نفى الماهية اقوى
فى اثبات التوحيد من نفى الوجود فيثبت ان اجراء الكلام هذا
على ظاهره اولى فان قيل نفى الماهية غير معقول فانا اذا قلنا
السواد ليس بسواد كنت قد حكمت بان السواد انقلب الى نقيضه
وصيرورة الشئ عن نقيضه غير معقوله اما اذا قلنا السواد ليس
بموجود كان هذا كلاما معقولا فلهذا السبب اضمرنا فيه هذا
الاضمار الجواب قولكم نفى الماهية غير معقول قلنا هذا باطل
فانا اذا قلنا السواد ليس بموجود فقد نفينا الوجود لكن الوجود
من حيث هو هو وجود ماهية فاذا نفينا الماهية المطلقة فقد
نفينا الماهية المسماة بالوجود واذا كان كذلك صار نفى الماهية
امرا معقولا واذا عقل ذلك فلم لا يجوز اجراء هذه الكلمة على
ظاهرها فان قلت انا اذا قلنا السواد ليس بموجود فانا ما نفينا
الماهية وما نفينا الوجود ايضا وانما نفينا موصوفية الماهية
بالوجود فنقول موصوفية الماهية بالوجود هل هى امر مغاير
للماهية وللوجود ام لا فان كانت مغايرة لهما كان ذلك المغاير
ماهية فكان قولنا السواد ليس بموجود نفيا لتلك الماهية المسماة
بالموصوفية وحينئذ يعود الكلام المذكور واما ان قلنا ان موصوفية

الماهية بالوجود ليست امرا مغايرا للماهية وللوجود امتنع توجيه
النفى اليها واذا امتنع ذلك نفى النفى متوجها اما الى الماهية واما
الى الوجود وحينئذ يحصل غرضنا من ان الماهية يمكن نفيها واذا
كان الامر كذلك ظهر ان قولنا لآاله الا الله حق وصدق من غير حاجة
الى الاضمار البحث الثانى قال النحويون قولنا لا اله الا الله ارتفع
الله لانه بدل من موضوع لا مع الاسم وبيانه انك اذا قلت
ما جاءنى رجل الا زيد فقوله الا زيد مرفوع بالبدلية لان
البدل هو الاعراض عن الاول والاخذ بالثانى فصار التقدير
ما جاءنى الا زيد وهذا معقول واما قولهم ما جاءنى القوم
الا زيد يفيد نفى المجئ عن الكل الا عن زيد واما قولهم جاءنى القوم
الا زيد فههنا البدلية غير ممكنة لانه يصير التقدير جاءنى الا زيد
وذلك يقتضى انه جاءه كل احد الا زيدا وذلك محال فظهر الفرق
البحث الثالث اتفق النحويون على ان محل الا فى هذه الكلمة محل غير
والتقدير لا اله غير الله كقول الشاعر وكل اخ مفارقه اخوه
لعمر ابيك الا الفرقدان والمعنى كل اخ غير الفرقدين فانه يفارقه
اخوه وقال تعالى لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا اى التقدير
لو كان فيهما الهة غير الله لفسدتا والذى يدل على صحة ما قلناه
انا لو حملنا الا على الاستثناء لم يكن قولنا لا اله الا الله توحيدا
محضا لانه يصير تقدير الكلام لا الهة يستثنى عنهم الله فيكون
هذا نفيا لالهة يستثنى عنهم الله ولا يكون نفيا لالهة لا يستثنى
عنهم الله بل عند من يقول بدليل الخطاب يكون اثباتا لذلك وهو

كمر فثبت انه لو كانت كلمة الا محمولة على الاستثناء لم يكن قولنا
لا اله الا الله توحيدا محضا ولما اجمعت العقلاء على انه يفيد
التوحيد المحض فوجب حمل الا على معنى غير حتى يكون معنى الكلام
لا اله غير الله البحث الرابع قال جماعة من الاصوليين الاستثناء
من النفي لا يكون اثباتا واحتجوا عليه بوجهين الاول ان الاستثناء
ماخوذ من قولك ثنيت الشيء عن جهته اذا صرفته عنها فاذا قلت
لا عالم فهنا امران احدهما الحكم بهذا العدم والثاني نفس هذا
العدم ثم اذا قلت عقيبه الا زيدا فهذا الاستثناء يحتمل ان يكون
عايدا الى حكمك بذلك العدم ويحتمل ان يكون عايدا الى نفس ذلك
العدم فان كان عايدا الى الحكم بالعدم لم يلزم تحقق الثبوت لان
سبب الاستثناء زوال الحكم بالعدم وعند زوال الحكم بالعدم
بقي المستثنى مسكوتا عنه غير محكوم عليه لا بالنفي ولا بالاثبات
وحينئذ لا يلزم الثبوت اما ان كان نائبا لاستثناء في صرف العدم
ومنعه فحينئذ يلزم تحقق الثبوت لانه لما ارتفع العدم وجب حصول
الوجود ضرورة لانه لا واسطة بين النقيضين واذا ثبت هذا فنقول
عود الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى من عوده الى نفس العدم ويدل عليه
وجوه الاول ان الالفاظ وضعت دالة على الاحكام الذهنية
لا على موجودات الخارجية فانك اذا قلت ان العالم قديم فهذا
لا يدل على كون العالم قديما في نفسه والا لكنا اذا قلنا العالم قديم
العالم محدث لزم كون العالم قديما وحادثا معا وذلك محال فهذا
الكلام يدل على حكمك بقدم العالم واذا كانت الالفاظ وضعت دالة

على الاحكام الذهنية لا على موجودات الخارجية كان صرف ذلك
الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى من صرفه الى نفس ذلك العدم
والوجه الثاني في بيان ان عود الاستثناء الى الحكم بالعدم اولى
من عوده الى نفس ذلك العدم وذلك لان عدم الشيء في نفسه وجوده
لا يقبل تصرف هذا القابل بل القابل لتصرفه هو حكمه بذلك الوجود
والعدم واذا كان كذلك كان عود الاستثناء الى الحكم اولى من عوده
الى المحكوم به الحجة الثانية في بيان الاستثناء من النفي ليس باثبات
هو انه جاء في الحديث والعرف صور كثيرة في الاستثناء في النفي
مع انه لا يقتضي الثبوت قال عليه السلام لا نكاح الا بولي ولا صلاة
الا بطهور ويقال في العرف لا عز الا بالمال ولا مال الا بالرجال
ومرادهم من الكل مجرد الاشتراط اقضى ما في الباب ان يقال وقد
ورد هذا اللفظ في صور اخر وكان المراد ان يكون المستثنى من النفي
اثبات الا انا نقول انه لا بد وان يكون مجازا في احدى الصورتين
الا انا نقول ان قلنا لا يقتضي ان يكون الخارج من النفي اثباتا فحيث
افاد ذلك احتمل ان يكون تلك الزيادة مستفادة من دليل آخر ولا يكون
ذلك تركا لما دل اللفظ عليه وان قلنا انه يقتضي ان يكون الخارج
من النفي اثباتا فحيث لا يفيد ذلك لزمنا ترك العمل بما يكون اللفظ
دليلا عليه ومعلوم ان الاول اولى لان اثبات الامر الزايد
بدليل زايد ليس فيه مخالفة للدليل اما ترك ما دل الدليل عليه
يكون مخالفا للدليل فثبت بما ذكرنا ان الاستثناء من النفي لا يكون
اثباتا واذا ثبت هذا كان قولنا لا اله الا الله تصريحا بنفي ساير

شبكة الألوكة www.alukah.net

الالهة ولا يكون اعترافا بوجود الله واذا كان كذلك لم يكن مجرد
هذا القول كافيا في صحة الايمان وههنا اشكال آخر وهو انا قد
دللنا على ان كلمة الا بمعنى غير في هذا الموضع واذا كان كذلك
كان قولنا لا اله الا الله معناه لا اله غير الله فيصير المعنى نفي الهة
غير الله ولا يلزم من نفي ما عدا الشيء اثبات ذلك الشيء وحينئذ
يعود الاشكال الجواب من وجهين الاول ان اثبات الاله سبحانه
كان متفقا عليه بين كل العقلاء بدليل قوله تعالى ولئن سألتهم
من خلق السموات والارض ليقولن الله فكان ذلك مفروغا عنه
متفقا عليه الا انهم كانوا يثبتون الشركاء والاضداد والانداد
فكان المقصود من هذه الكلمة نفي الاضداد والانداد فاما القول
باثبات الاله للعالم فذلك من لوازم المعقول الثاني ان سلمنا
ان هذه الكلمة كما دلت على نفي سائر الالهة دلت على اثبات الهية
الله تعالى الا انا نقول هذه الدلالة تكون حاصلة بموضع الشرع
لا بمفهوم اصل اللغة فهذا تمام القول في هذا المقام البحث
الخامس اعلم انه يجوز ان يقال لا رجل في الدار وان يقال لا رجل
في الدار اما على الوجه الاول فانه يوجب النفي الرجال بالكلية و
الدليل عليه ان قولنا لا رجل يقتضي نفي ماهية الرجل ونفي الماهية
يقتضي انتفاء افراد كل الماهية لانه لو ثبت فرد من افراد الماهية
لثبت الماهية ضرورة انه متى ثبت فرد من افراد الماهية فقد ثبت
الماهية لا محالة واما قولنا لا رجل في الدار فهو نقيض قولنا رجل
في الدار لكن قولنا رجل في الدار يفيد ثبوت رجل واحد فقولنا

لا رجل في الدار وجب ان يفيد عموم النفي حتى يحقق التناقض بين
القولين فالحاصل ان قولنا لا رجل قوي في الدلالة على عموم النفي
من قولنا لا رجل مع ان كل واحد منهما يفيد عموم النفي ولاجل كون كل واحد
منهما يفيد العموم قوي قوله تعالى لا ريب فيه بالقرائن وكذا قوله
فلا رفث ولا فسوق ولا جدال ولاجل ان البناء على الفتح اقوى
في الدلالة على العموم اتفقوا عليه في قولنا لا اله الا الله البحث
السادس من الناس من قال ان تصور الاثبات متقدم على تصور النفي
بدليل ان الواحد منا يمكنه ان يتصور الاثبات وان يخطر بباله
معنى النفي والعدم ويمتنع عليه ان يتصور العدم والنفي الا وقد تصور
الاثبات ولا وذلك لان العدم المطلق غير معقول بل العدم لا يعقل
الا اذا اضيف الى امر معين فيقال عدم الدار وعدم الغلام فثبت ان
تصور الاثبات متقدم واصل وتصور النفي متاخر وفرع واذا
ثبت هذا فما السبب في ان جعل النفي الذي هو الفرع متقدما والاثبات
الذي هو الاصل متاخرا والجواب ان في تقديم النفي على الاثبات
ههنا اغراض الاول ان نفي الربوبية عن غيره ثم اثباتها له اكد في
الاثبات من اثباتها له من غير نفيها عن غيره كما ان قول القائل
ليس في البلد عالم غير فلان آكد في باب المدح من قولنا فلان عالم
البلد والثاني ان لكل انسان قلبا واحدا والقلب الواحد لا يتسع
الاشتغال بشيئين دفعة واحدة فبقدر ما يبقى مشغولا باحد الشيئين
يبقى محروما عن الشيء الثاني فقوله لا اله اخراج لكل ما سوى الله عن
القلب حتى اذا صار القلب خاليا عن كل ما سوى الله ثم خطر فيه الا الله

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اشرق نوره اشراقا تاما وكمل استيلاؤه عليه كما لا قويا
الثالث ان النفي الحاصل بلا يجري مجرى الطهارة والاثبات
الحاصل بالا يجري مجرى الصلوة فكما ان الطهارة مقدمة
على الصلوة فكذا وجب تقديم لا له على قولنا الا الله ويجري
مجرى تقديم الاستعاذة على قراة القرآن فكما انا نقدم الاستعاذة
على قراة القران فكذا ههنا وايضا ان من اراد ان يحضر الملك
في بيته وجب عليه ان يقدم تطهير البيت عن الاقذار فكذا
ههنا وعن هذا قال المحققون النصف الاول من هذه الكلمة
تنظيف الاسرار والنصف الثاني جلاء الانوار عن حضرة
الملك الجبار والنصف الاول فناء والثاني بقاء والنصف الاول
انفصال والثاني اتصال والنصف الاول اشارة الى قوله
ففروا الى الله والثاني اشارة الى قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم
يلعبون البحث السابع لقائل ان يقول ان من عرف ان للعالم
صانعا قادرا عالما موصوفا بجميع الصفات المعتبرة في الالهية
من الصفات السلبية والصفات الثبوتية فقد عرف الله
معرفة تامة ثم ان علمه بعدم الاله الثاني لا يزيد علما بحقيقة
ذات الاله الاول وصفاته لان عدم الاله الثاني ليس عبارة
عن وجود الاله الاول ولا صفة من صفاته ثم انا اجمعنا
على ان علمه بذات الاله وصفاته لا يكفي في تحقيق النجاة بل
ما لم يعتقد عدم الاله الثاني لا يحصل العلم المعتبر في النجاة
فما السبب ان كانت معرفة ذاته وصفاته غير كافية في تحقيق النجاة

بل

بل كان العلم بعدم الاله الثاني معتبرا في تحقيق النجاة الجواب
ان بتقدير ان يكون للعالم الهان فالعبد لا يعلم انه عبد لهذا الاله
او عبد لذلك الاله او عبدهما معا فحينئذ لا يكون جازما بكونه
مشتغلا بشكر مولاه وخالقه بل يجوز ان يكون عبادته لغير
خالقه ومتى كان الامر كذلك لم يكن جازما في تلك العبودية
وتلك الطاعة اما اذا عرف انه لا اله للعالم الا الله واحد فحينئذ
يكون جازما بكونه مشتغلا بعبودية مولاه وخالقه فلهذا
السبب لم تحصل النجاة والفوز بالدرجات الا بمعرفة التوحيد
البحث الثامن ان المكلف اذا تمم النظر والاستدلال في معرفة
الله تعالى ثم كما تمم مات وله يجد من الوقت ما امكنه ان يقول
لا اله الا الله فههنا لا شك انه يموت مؤمنا لانه اتى بما
وجب عليه ولم يجد مهلة التلفظ بهذه الكلمة فاما اذا تمم
النظر والاستدلال في معرفة الله تعالى ووجد من الوقت ما امكنه
ان يقول لا اله الا الله ثم انه لم يقل ومات فهذا الشخص هل
مات مؤمنا ام لا فمن الناس من قال انه مات كافرا لان صحة
الايمان متوقفة على التلفظ بهذه الكلمة عند القدرة عليه
ومن الناس من قال انه مؤمن لاجل انه حصل له العرفان التام
فيما سبق وفاسق لاجل انه كان مامورا بذكر هذه الكلمة وما
ذكرها والدليل على انه مؤمن قوله عليه السلام يخرج من النار
من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا الشخص قلبه
مملو من الايمان فكيف لا يخرج من النار البحث التاسع من الناس

شبكة الألوكة www.alukah.net

من قال تطويل المدة في كلمة لا من قولنا لا اله الا الله مندوب اليه
مستحسن لان المكلف في زمان التمديد مستحضر في ذهنه جميع
الاضداد والانداد وينفيها ثم بعد ذلك يعقب هذه الكلمة
بقوله الا الله فيكون ذلك اقرب الى الاخلاص والكمال ومنهم من
قال بل ترك التمديد اولى لانه ربما مات في زمان التلفظ بلا قبل
الانتقال الى كلمة الا والذي عندي ان المتلفظ بهذه الكلمة ان كان
يتلفظ بها من الكفر الى الايمان فترك التمديد اولى حتى يحصل الانتقال
من الكفر الى الايمان على اسرع الوجوه وان كان المتلفظ بها مؤمنا
وانما يذكرها لتجديد هذه الكلمة فالتمديد اولى حتى يحصل في
زمان التمديد صور الانداد والاضداد على التفصيل في الخاطر
وينفيها ثم بعقبها بقوله الا الله فيكون الاقرار بالالهية اصفى
واكمل البحث العاشر اعلم ان الناس في قول لا اله الا الله على مراتب
وطبقات فادناها طبقة من قالها لحقن دمه واحراز ماله على ما
اقتضاه موجب قوله عليه السلام امرت ان اقاتل الناس حتى يقولوا
لا اله الا الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها
وهذه درجة يشترك فيها المخلصون والمنافقون فكل من تعلق
بهذه الكلمة نال من بركتها واحرز حظا من فائدتها ان طلب بها
الدنيا نال الامن فيها والسلامة من آفاتها وان قصد بها الآخرة
جمع بين الحظين واحرز بها السعادة في الدارين والطبقة الثانية
الذين ضموا الى القول باللسان الاعتقاد بالقلب على سبيل التقليد
واعلم ان الاعتقاد التقليدي لا يكون علما وذلك لان العقد

ضد الانحلال والانشراح والعلم عبارة عن انشراح الصدر
قال الله تعالى افمن شرح الله صدره للاسلام فثبت ان صاحب
التقليد لا يكون عارفا ولا عالما وهل يكون مسلما فيه خلاف
المشهور بين الائمة الطبقة الثالثة الذين ضموا الى الاعتقاد
بالقلب معرفة الدلائل الاقناعية المفوتة لذلك الاعتقاد الا
ان تلك الدلائل لا يكون براهينه يقينية بل اقناعية ظنية
الطبقة الرابعة الذين اكدوا تلك العقايد بالدلائل القطعية
والبراهين اليقينية الا انهم لا يكونون من ارباب المشاهدات
والمكاشفات ولا من اصحاب التجلي وارباب مطالعة الانوار الالهية
ثم اعلم ان الاقرار باللسان له درجة واحدة واما الاعتقاد
بالقلب فله درجات مختلفة بحسب قوة الاعتقاد وضعفه
ودوامه وعدم دوامه وكثرة تلك الاعتقادات وقلتها فان
المقلد ربما كان مقلدا في مجرد ان الله تعالى واحد وربما زاد عليه
فكان مقلدا في ذلك وفي ان الصانع عالم قادر واعلم انه كلما
كان وقوف الانسان على هذه المطالب اكثر كان تشويش امر التقليد
عليه اكثر وذلك لان الطالب اذا حصل له شعور بهذه المطالب
وحصل له وقوف على هذه المباحث مال الى العلم وكره التقليد فتغير
عليه المقلد واما المرتبة الثالثة وهي تقوية الاعتقاد بالدلائل
الاقناعية فمراتب الخلق فيه متفاوتة غير مضبوطة واما المرتبة
الرابعة وهي الترقي من الدلائل الاقناعية الى البرهانية القطعية
فالاشخاص الذين يكونون واصلين الى هذه الدرجة يكونون في غاية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الغلة ونهاية الندرة لان ذلك يتوقف على معرفة شرائط البراهين
واستعمالها في المطالب وذلك في غاية العزة واما المرتبة الخامسة
وهم اصحاب المكاشفات والمشاهدات فنسبتهم في الغلة الى اصحاب
البراهين القطعية كنسبة اصحاب البراهين القطعية الى عوام الناس
واعلم ان عالم المكاشفات لا نهاية له لان ذلك عبارة عن سفر
العقل في مقامات جلال الله تعالى ومدارج عظمته ومنازل
كبريائه وقدسه ولما كان لا نهاية لذلك المقامات فكذلك لا نهاية
للسفر في تلك المقامات واعلم ان الانسان لما انكشفت له
اسرار لا اله الا الله اقبل على الله واخلص في عبادته ولم يلتفت
الى احد سواه فلا يرجو اغيره ولا يخاف غيره ولا يرى الضر والنفع
الا منه فانقطع بالكلية عما دونه وتبرا من شرك الباطن كما قد
تبرا من شرك الظاهر وذلك كله هو موجب كلمة التوحيد ولهذا
السبب لما قال لمحمد عليه السلام فاعلم انه لا اله الا الله ثم قال بعد
واستغفر لذنبك والمعنى والله اعلم الامر بالاستغفار في تقصير
وقع في موجب كلمة لا اله الا الله اما الغفلة تحول دونها والعارض
شغل يعوق عنه وهو معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي
فاستغفر الله في اليوم سبعين مرة وقد روي مائة مرة وفي
هذا الحديث وجوه الاول ان المراد ما يغشى على قلبه من غفلة
او يعرضه من فترة يحكم الطبع البشري وكان عند ذلك يفزع
الى الاستغفار والثاني انه عليه السلام كان ابدا في الترقي
فاذا انتقل الى درجة نظر الى الدرجة المنتقل عنها فكان يستحقرها

في العبودية فكان يستغفر الله على ذلك والثالث انه ربما لاح
له شيء من تجلي عالم الغيب فيستعظم تلك الدرجة وينتهج بها ثم
كان يصير استعظامه لها وابتهاجه بها شاغلا له عن الاستغراق
في التبتل فكان يستغفر الله عن ذلك الرابع انه كلما لاح له شيء من
عالم الغيب كان يعلم ان الذي لاح له انما لاح بقدر قوته وطاقته
وكان يعلم ان قدر عقله وطاقته بالنسبة الى جلال الله وعلو
كبريائه كالعدم فحينئذ يعلم ان الذي لاح له من كمال عالم الغيب
بالنسبة الى ما لم يلح له كالعدم بالنسبة الى الوجود فكان يستغفر
الله عن ان يصفه بما يصل اليه قلبه وعقله وفكره وذكره وخاطره

الفصل السادس في فضل المؤمنين اعلم ان الله تعالى سمى
المؤمنين ثالث نفسه في عشرة اشياء في المراقبة والولاية والموالاة
والصلوة والعزة والطاعة والمشاقة والاذى والالتجاء والشهادة
المقام الاول في المراقبة ويدل عليه قوله تعالى وقل اعملوا
فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون هدد المذنبين والخاطئين
برؤية المؤمن كما هددهم برؤية نفسه وفيه لطائف الاولى
روي ان عمر رضي الله عنه خرج ليلة فسمع امراة يقول لابنتها
قومي وامزجي الماء باللبن فقالت ابنتها اليس قد نهانا عن ذلك
امير المؤمنين قالت لا يرانا امير المؤمنين قالت بلى ولكن يرانا
رب العالمين فلما سمع ذلك عمر خطبها في الغد لابنه وكان عمر
بن عبد العزيز من حفدتها الثانية امراة شاطرة كانت بمكة
قالت لا ابرح حتى افتن طاوس اليماني وكان رجلا جميلا فعرضت

نفسها عليه مرارا حتى ظنت انها تحبه فقال لطاوس احضرني الليلة
فجاء بها الى المقام فقال اضطجعي ههنا فقالت سبحان الله الا يرى
الناس فقال لطاوس وليس يرانا الله في كل موضع فقالت الثالثة
قال ابو عبد الرحمن العتبي خرجت ليلة فاذا انا بجارية مليحة فاردتها
فقالت ويلك اما لك زاجر من عقلك ان لم يكن ناه من الدين
فقلت لا يرانا الا الكواكب قالت فاين مكوكبها الرابعة قال حاتم
الاصم راع نفسك في ثلث اوقات اذا عملت بالجوارح فاذكر نظر الله
اليك واذا قلت بلسانك فاذكر سمع الله اليك واذا كنت ساكنا
فاذكر علم الله فيك لانه تعالى قال اني معكما اسمع وارى الخامسة
ثلثة نفر حضروا عند بعض الزهاد فقالوا اوجنا فقال لواحد
الست نقول انه عالم قال بلى فقال يا لك وان يعلم منك شيئا
يفضحك به غدا وقال للثاني اليس هو بصيرا قال بلى قال يا لك ان يراك
في عمل يستحيي منه يوم القيامة وقال للثالث اليس هو سميعا قال
بلى قال يا لك وان يسمع منك شيئا يردك عن باب رحمته بسببه
السادس قال سفيان من وجد في نفسه ثلثة اشياء فليحكم
عليها بالسعادة الهيبة للعزيز الجبار والحرمة للبني المختار
والحياء من الابرار والاخبار المقدمة الثاني الولاية وانه
تعالى جعل المؤمنين ثالث نفسه فيها فقال انما وليكم الله و
رسوله والذين امنوا قيل نزلت في عبد الله بن سلام حين
شكا من عداوة اليهود له بعد اسلامه فنزلت وقال محمد بن
اسحق نزلت في عبادة بن الصامت قال يا رسول الله تبرات

من حلف اليهود وتولي الله ورسوله والمسلمين عامة وفيه
نكت الاولى ان يوسف عليه السلام قال انت وليي في الدنيا
والاخرة فوجد الملك والعز بسبب ذلك القول الذي هو قايله
وههنا قال الله للمؤمنين انما وليكم الله ورسوله فاولى ان
يرجوا المؤمن ملك الجنة والمغفرة الثانية قوله انما وليكم الله
يعني حافظكم وناصركم الله ورسوله والمؤمنون ثم قال عليه
المرء مع من احب ثم ان كل مسلم يحب الله فوجب بحكم ذلك الخبر
ان يكون المسلم ابدا مع حفظ الله فاذا كان حفظ الله لا يفارقه
بسبب انه يحب الله فكيف يفارقه حفظ الله مع ان الله وليه
وحافظه وناصره الثالثة هذه الاية دلت على ان الصحابة
يحبوننا لان الله جعل المؤمنين اولياءنا وهو قوله والذين امنوا
الذين يقيمون الصلوة ثم اكد ذلك بقوله والمؤمنون والمؤمنات
بعضهم اولياء بعض ثم امرنا ان نحب الصحابة بدليل قوله والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار وبقوله ربنا اغفر لنا
ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الآية فثبت بمجموع هاتين
الايتين حصول المحبة بيننا وبين الصحابة والحبيب لا يرضى
بعذاب الحبيب فدل ذلك على ان جمهور الصحابة والتابعين وسلف
المؤمنين كلهم يكونون شفعاء للمذنبين المقام الثالث الموالاة
قوله تعالى فان الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين فحكم
ان مولى المؤمنين هو الله وجبريل وصالح المؤمنين ثم اسقط
شركة جبريل والمؤمنين فقال واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المولى ونعم النصير وقال في حق الكافرين مأويكم النار هي مولاكم
وقال لبئس المولى ولبئس العشير فمن كان الله مولاه فلا يذل ولا
يجزى ومن كان المؤمنون مواليه فلا يضيع ولا يشقى وقال عمر
بن الخطاب رضي الله عنه يوم احد للكفار حيث قالوا لنا العزى
ولا عزى لكم فقال لنا المولى ولا مولى لكم فنزل على وفق قوله
ذلك بان الله مولى الذين امنوا وان الكافرين لا مولى لهم
الثانية ان الله تعالى سمى النار مولى الكفار فقال النار هي
مولاكم وانما سمى النار مولاهم لانها لا تتركهم فلما سمى نفسه
مولى المؤمنين فنرجوا ان لا يتركنا عاتهم الثالثة قال بعضهم
من كان مولاه ربه لا يعاب ومن كان ناصره ربه لا يغلب ومن كان
هاديه ربه لا يضل ومن كان معينه ربه لا يشقى ومن كان مولاه
ربه لا يضيع ولا يحتاج الى احد المقام الرابع الصلوات قال
الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين
امنوا صلوا عليه فجعل المؤمنين ثالث نفسه في الصلوات على
الرسول عليه السلام وههنا نكت الاولى في الخبر انه لما نزلت
هذه الاية قال عليه السلام هنيئا لنا هنيئا لنا قالوا هنيئا لك
يا رسول الله فما حظنا فنزل قوله هو الذي يصلي عليكم وملائكته
والاشارة ان الله تعالى لما صلى على الرسول في الدنيا فما ترك
المؤمنين حتى صلى عليهم فيوم القيامة كيف يترك المذنبين محرومين
عن المغفرة الثانية الصلوة من الله تعالى على ثلثة اوجه عام
وخاص وخاص الخاص فالعام هو قوله هو الذي يصلي عليكم

والخاص

والخاص قوله اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وخاص
الخاص ان الله وملائكته يصلون على النبي الاية والثالث
فالحديث ان الله ملائكة بايديهم قراطيس من فضة واقلام
من ذهب لا يكتبون شيئا الا الصلوة على وعلى اهل بيتي والسبب
في الامر بهذه الصلوات ان روح الانسان لضعفه لا يستعد
لقبول الانوار الالهية فاذا استحكمت العلاقة بين روحه وارواح
الانبياء عليهم السلام فالانوار الفايضة من عالم الغيب على ارواح
الانبياء تنعكس على ارواح هولاء المصلين بسبب الانعكاس وهو مثل
الشمس والطست المملوء من الماء والسقف معلوم الرابعة جعل
الله اهل بيته مساويا له في خمسة اشياء الاول في المحبة
قال تعالى فاتبعوني يحببكم الله وقال لاهل بيته قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى والثاني في تحريم الصدقة قال
عليه السلام حرمت الصدقة علي وعلى اهل بيتي والثالث
في الطهارة قال تعالى طه ما انزلنا عليك القران لتشقى الا تذكرة
لمن يخشى وقال لاهل بيته ويطهركم تطهيرا والرابع في السلام
قال تعالى السلام عليك ايها النبي وقال في اهل بيته سلام
على ال يس الخامس في الصلوات على الرسول وعلى الال كما في التشهد
المقام الخامس العزة قال تعالى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين
وههنا نكت الاولى ان عزة الله عز الربوبية وعز الرسول عز النبوة
وعز المؤمن عن التلفظ بكلمة لا اله الا الله ثم كما ان عز الله وعز
رسوله لا يقبلان الذل فكذا عز المؤمن لا يقبل الذل الثانية

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

لله عز الانشاء والتكوين قال تعالى كن فيكون وللرسول عز
الدعاء حيث اشار الى القمر فانشق القمر ببركة دعاء الرسول
وللمؤمنين عز الايمان والشهادة ثم ان الاشياء تكونت عند
قوله كن فيكون وانشق القمر عند دعاء الرسول فنرجوا ان يحصل
الغفران والرحمة للمؤمن من عز كلمة الشهادة الثالثة عز المؤمن
في ان قلبه المعرفة وصدره الجنة وعينه الروية عز في انه ربا
كافيا وكابا شافيا ورسولا وافيا اسمه اسم الله ولسانه
شاهد الله ونفسه طالبة لمرضاة الله وقلبه محل نظر الله
ومزاجه معرفة الله وشهادته محبة الله وروحه نور الله بصيرة
مشتاقا الى روية الله فحقيق به ان يكون عز متصلا بعز الله
الرابعة لله العزة سواء اعدم او وجد وللرسول العزة سواء
بلغ او سكت فكذا المؤمن سواء اطاع او عصى الخامسة لله
العزة بالولاية لقوله ان وليي الله الذي نزل الكتاب وللرسول العزة
ايضا بالولاية لقوله ايضا النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم وللمؤمن
ايضا العزة بالولاية لقوله والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء
بعض السادسة لله العزة بالعلو والعظمة لقوله وهو العلي
العظيم وللرسول الرفعة لقوله ورفعنا لك ذكرك وللمؤمنين
بالقبول والرحمة ان الله يغفر الذنوب جميعا السابعة لله عز
المعبودية لقوله واياي فاعبدون وللرسول عز المتبوعية
لقوله واتبعوني لعلكم تهتدون وللمؤمنين عز العبودية لقوله
يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم الثامنة لله عز الاستغناء

والله

والله الغني وانتم الفقراء وللرسول ايضا عز الاستغناء لقوله
ووجدك عايلا فاغنى وللمؤمن ايضا عز الاستغناء لقوله وان
يتفرقا يغن الله كلا من سعته التاسعة قال امير المؤمنين علي رض
من اراد عزا بغير عشيرة وهيبة بغير سلطان وغنى بلا مال
وحسبا بلا نسب فليخرج نفسه من ذل المعصية الى عز الطاعة
العاشرة قال هرون الرشيد لمنصور بن عمار ما اعقل الناس
واجهلهم واغناهم واعزهم فقال اعقلهم محسن خايف واجهلهم
مسيء امن واغناهم القانع واعزهم الاتقى المقام السادس
الطاعة قال الله تعالى اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر
منكم وههنا نكت الاولى في الخبر اني ملك لا ازول فاطعني حتى
اجعلك ملكا لا تزول واني حي لا اموت فاطعني حتى اجعلك حيا
لا تموت واني اذا اردت شيئا قلت له كن فيكون فاطعني حتى
انزلك منزلا اذا قلت لشيء كن فيكون الثانية في الخبر ما راه
المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما راه المسلمون قبيحا فهو
عند الله قبيح وقال لا يجتمع امتي على الضلالة وقال عليكم بسنتي
وسنة الخلفاء الراشدين بعدي عضوا عليها بالتواجد وقال
اقتدوا بالذين من بعدي ابو بكر وعمر وكل ذلك يدل على انه كما يجب
طاعة الله وطاعة الرسول فكذلك يجب طاعة اولي الامر من المؤمنين
الثالثة قيل بقاء الدنيا بسيوف الامراء ولسان العلماء
فعليك بطاعتهما الا في معصية الله المقام السابع المشاقة
قال ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب وقال

الألوكة
www.alukah.net

في المؤمنين ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين وفيه نكت النكتة الاولى لله تعالى ثلثة
بحور عظيمة يهلك العبد فيها ان لم يكن له معتصم يتمسك به
فجعل جبل التوحيد سببا للنجاة من الكفر قال تعالى فقد استمسك
بالعروة الوثقى وجعل القران سببا للنجاة من البدعة لقوله
واعتصموا بحبل الله جعل الاجماع سببا للنجاة من الفتن لقوله
ويتبع غير سبيل المؤمنين الاية ثم قال واعتصموا بحبل الله جميعا
ولا تفرقوا والثانية قال عليه السلام سبع من الهدى وفيمن
الجماعة من خرج منهن فقد خرج من الجماعة لا يشهدوا على اهل
قبلتكم بكفر ولا بشرك واتركوا سرايرهم الى الله وصلوا على من
مات من اهل القبلة وصلوا الصلوات الخمس في الجماعة خلف
كل بر وفاجر وجاهدوا مع كل خليفة ولا تخرجوا على ائمتكم
بالسيف وادعوالهم بالصلاح ولا تدعوا عليهم وجانبوا الاهوا
كلها فان آخرها واولها باطل الثالثة سئل واحد عن القلب السليم
فقال هو الذي دينه بلا شك ومذهبه بلا هوى وعمله بلا رياء
وبدنه بلا خصم المقام الثامن في الاذى يدل عليه قوله تعالى
ان الذين يؤذون الله ورسوله الى قوله والذين يؤذون المؤمنين
والمؤمنات واعلم انه تعالى نهى عن ايذاء المؤمنين كما نهى عن ايذاء
نفسه وايذاء رسوله ثم اكد ذلك بقوله وقولوا للناس حسنا
وبقوله واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما وقال عليه السلام
المؤمنون قوم برره وهم المتحابون المتباذلون والمنافقون قوم

فجرة وهم المتقاطعون المتدابرون وقال عليه السلام ان الله يبغض
الفاحش والمتفحش وفيه نكت الاولى قال تعالى في الملائكة ويستغفرون
للذين امنوا ولم يقل يلعنونهم ويوذونهم الثانية قوله عليه السلام
ان الله رفيق يحب الرفق الثالثة عاتب الله نوحا حين دعا على قومه
بالهلاك وقال والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض ولم
يقل بعضهم اعداء بعض وقال عليه السلام من اذى مؤمنا بغير حق
فكانما هدم مكة والبيت المعمور عشر مرار وكانما قتل الف الف
ملك من المقربين وقال ابن عمر اذا لعن العبد دابته يقول الدابة
لعن الله اعصانا الرتبة الرابعة قال الله تعالى لرسوله فبما رحمة
من الله لنت لهم الاية وقال خذ العفو وامر بالعرف ونهى عن الهمز
واللمز فقال ويل لكل همزة لمزة وقال ولا تطع كل حلاف مهين الاية
وقال لموسى وهرون فقولا له قولا لينا وقال فقل هل لك الى ان
تزكى امتا المقام التاسع الالتجاء قوله تعالى ولم يتخذوا من دون الله
ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة مدح المؤمنين على الجهاد وعلى التولي
في ذلك بالمؤمنين لان المنافقين كانوا يتولون اليهود واتخذوهم
وليجة وبطانة فعليك ان يتولى الله ورسوله والمؤمنين وليجة
وبطانة وفيه نكت النكتة الاولى انه تعالى مدح ابرهيم حيث
تبرا من ابيه وشكا عن حاطب بن ابي بلتعه حيث كاتب الكفار
فقال لا تتخذوا عدوي وعدوكم اولياء تلقون اليهم بالمودة
وقال لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الاخر يوادون من حاد
الله ورسوله وقال ومن يتولى الله ورسوله والذين امنوا فان

الشبكة الألوكة www.alukah.net

حزب الله هم الغالبون فمتى من يتولى الله ورسوله حزب الله وقال
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون النكتة الثانية
قال الواسطي علامة الولي اربعة لا يشكوا من المصايب ولا يتخذ
عمله رياء ويحتمل اذى خلقه ولا يكافيهم ويداري عباده على تفاوت
اخلاقهم وقال الشبلي احوال الاولياء ثلث ترك الاختيار وترك
الشكوى عند الاضطرار والافتقار الى الملك الجبار المقام العاشر
في الشهادة على التوحيد قال الله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة
واولوا العلم وفي الاية سؤالات الاول ان الله تعالى شهد لنفسه
بالوحدانية ومن شهد لنفسه في الشاهد فان تلك الشهادة لا تقبل
الجواب من وجوه الاول ان هذا في الظاهر شهادة وفي المعنى اقرار
واقرار المقر على نفسه مقبول وانما قلنا ان هذا اقرار وذلك
لانه لما ادعى الوحدانية في الالهية فقد اقر بان الخلق كلهم عبيده
ورزق العبد على المولى لازم فكانه تعالى اقر بان الخلق كلهم عبيده
واقرارهم على نفسه بالرزق والتربية والحفظ والنصرة الا ترى
انه تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها الثاني ان
الشهادة عبارة عن قول يدل على شئ دلالة ظاهرة ثم ان ذلك
القول لا يراد لكونه قولا بل لكونه دالا على ذلك المطلوب فلا جرم
كل فعل قام مقام القول في ذلك التعريف كان شهادة ثم ان القول
الدال لو كانت دلالته قطعية غير محتملة كان اولى بان تكون شهادة
فاذا ثبت ذلك فجميع مخلوقات الله تعالى دالة على وحدانيته
والهيته دلالة يقينية قطعية فكانت اولى ان تكون شهادة

فاذا شهادة الله على التوحيد لاجل انه خلق الدلائل الدالة على
الوحدانية قطعا واما شهادة الملائكة واولي العلم فمعناها شهادة
الاقرار والاعتراف فكانت شهادة الله على ذلك اقوى واتم الثالث
وهو ان كل مسئلة لا يتوقف العلم بصدق الرسول على العلم بصحتها فانه
يمكن اثباتها بالدلايل السمعية ومسئلة الوحدانية كذلك فلا جرم
ذكر العلماء انه يمكن اثبات ان الله واحد بالدلايل السمعية واذا
كان الامر كذلك كان المقصود من هذه الشهادة ان يستدل بها على
وحدانية الله تعالى السؤال الثاني انه تعالى نهى العباد عن ان يمدحوا
انفسهم بقوله فلا تزكوا انفسكم ثم انه مدح نفسه واثنى عليه
فما السبب فيه فالجواب من وجوه الاول انه اذا حصل لواحد منا
نوع فضيلة فذلك من فضل الله وكرمه فالمستحق للثناء هو الله
حيث اعطى تلك الفضيلة فلا جرم قبيح من الواحد منا ان يثني على نفسه
اما الحق سبحانه فانه قد حصلت له صفات الكمال ونعوت الجلال
على وجه يمتنع زواله وتغيره فظهر الفرق الوجه الثاني في الفرق
ان ما فينا من الخصال الممدوحة لا تنفك عن اضدادها فان علمنا
مشوب بالجهل وقدرتنا مشوبة بالعجز والضعف وملكنا بعرض
الهلاك وبقانا بعرض الفناء وحيوتنا بعرض الموت واما صفات
الله تعالى فانها خالية عن اضدادها فانه عالم بلا جهل قادر قوي
بلا عجز ملكه بلا زوال وبقاوه بلا فناء وحيوته بلا موت وعزه
بلا ذل فظهر الفرق الوجه الثالث ان الله تعالى انما نهى عبده عن
تزكية نفسه لان العبد يقوم الدعوى على اظهار المعنى فاما الحق سبحانه

الشبكة الألوكة www.alukah.net

فانه كان قد اظهر المعنى قبل الدعوى لانه خلقك واعطاك الحواس والعقل وانواع المنافع واظهار الدعوى بعد اقامة البرهان على المعنى يكون مستحسنا بخلاف حال العبد فان اكثر احواله يكون اظهار الدعوى متقدما على اظهار المعنى الوجه الرابع من اوله نطفة قذرة وآخره جيفة مذرة وهو فيما بين ذلك حامل بول وعذرة لايليق به ان يمدح نفسه انما الحق مدح النفس بمن هو الاول والاخر والظاهر والباطن الوجه الخامس ان حب الانسان لنفسه غالب فاذا شرع في مدح النفس استولى عليه حب ذلك ثم ان ذلك يعميه ويصمه عن التنبه لما فيه من المعايب فيصير ذلك سببا الى بقايه في ظلمات الحماقات والجهالات بخلاف الحق سبحانه فانه متنزه عن النقايص والآفات فلا يصير مدحه لنفسه سببا لشيء من المعايب والنقصانات السؤال الثالث لما شهد لنفسه بالوحدانية فاي حاجة مع حصول شهادته الى شهادة الملائكة واولى العلم فما الحكمة في انه تعالى ذكر بعد شهادة نفسه شهادة الملائكة والمؤمنين الجواب من وجوه الاول روي انه عليه السلام كان يمشي خلف جنازة فقال واحد هذا الميت كان رجلا صالحا فقال عليه السلام واجب فقال الثاني والثالث كذلك فقال عليه السلام اثنان ثلثة فلما قال الرابع مثل ذلك قال عليه السلام وجبت فقيل له يا رسول الله وما الذي وجبت قال وجبت مغفرته في كرم الله وذلك لان المؤمنين شهود على وحدانية الله فلو لم يقبل شهادتهم ههنا لصارت شهادتهم في الوحدانية غير مقبولة

وهو حكيم لا يفعل ذلك واذا عرفت هذا فنقول انه تعالى لما جعل المؤمنين شهودا الوحدانيته فلو ظهر ذنبهم ومعصيتهم يوم القيامة لصارت شهاداتهم مردودة وذلك لا يليق بالحكمة الحكيم فلما جعلهم في هذه الاية شهودا على الوحدانية دل ذلك على انه تعالى لا يظهر ذنبهم وقبيح فعلهم يوم القيامة اللهم حقق رجاءنا بكرمك وفضلك الثاني انه ليس المقصود من ذكر شهادة الملائكة والمؤمنين توقيف هذا المطلوب على شهادتهم بل المقصود منه شهادة الله لهم بموافقتهم في كل ما وصل اليهم من امره ونهيه وخبره فالمقصود اظهار شرفهم في كونهم موافقين لله في هذه الشهادة لا توقيف المطلوب على شهادتهم السؤال الرابع ما الحكمة في تكرير كلمة لا اله الا هو في قوله شهد الله الجواب من وجوه الاول المقصود من التكرار التنبيه على ان الانسان يجب ان يكون مواظبا على ذكر هذه الكلمة في اكثر اوقات عمره وثانيها انه لما جعل هذه الكلمة اول هذه الاية وآخرها فصار ذلك تنبيها على انه يجب على العاقل ان يجعل هذه الكلمة مذكورة في اول عمره وفي اخر عمره حتى يكون في الدنيا سعيدا وفي الاخرة حميدا الثالث ان احدى الشهادتين كانت قبل خلق الخلايق والثانية بعد خلقهم والرابع انه تعالى ذكر احدى الشهادتين عن نفسه والاخرى عن خلقه

الفصل السابع

في اقامة الدلايل على ان الله تعالى واحد لا شريك له قد بينا ان هذا المطلوب يمكن اثباته بالدلايل العقلية وبالدلايل النقلية فلنذكر الكل اما الدلايل العقلية فمن وجوه الاول القول بوجود الاثنين يفضي الى المحال فيكون القول به محالا اما

قلنا انه يفضي الى المحال لانا لو فرضنا وجود الهين فلا بد وان يكون
كل واحد قادرا على كل المقدورات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما
قادرا على تحريك زيد وتسكينه فاذا فرضنا ان احدهما حاول تحريكه
والاخر تسكينه فاما ان يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين
الضدين ولا يقع واحد منهما وهو ايضا محال لان المانع من وجود مراد
كل واحد منهما حصول مراد الاخر فلا يمتنع وجود هذا المراد الا عند
وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنعا معا لوجدا معا وذلك محال
واما ان يقع مراد احدهما دون الاخر وهو محال لوجهين احدهما
انه لما كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون احدهما
اقدر من الاخر بل لا بد وان يستويا في القدرة واذا استويا في القدرة
استحال ان يصير مراد احدهما اولى بالوقوع من الاخر والا لزم ترجح
احد المتساويين على الاخر من غير مرجح وهو محال والثاني انه ان وقع
مراد احدهما دون الثاني فالذي يحصل مراده يكون الها قادرا والذي
لا يقع مراده يكون عاجزا والعاجز لا يكون اله الخلق فان قيل لا نسلم
صحة اختلافهما في الارادة ويدل عليه وجهان الاول انه لا بد وان
يكون كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات واذا كان كل واحد منهما
عالما بان اتى احد الضدين يقع وبانهما لا يقع وما علم الله انه لا يقع
كان ممتنع الوقوع وما كان ممتنع الوقوع فان العالم باستناعه لا يريد
فاذا كل واحد منهما لا يريد الا ايقاع شيء واحد والثاني انا كل واحد
كان كذلك منهما لا بد وان يكون حكيما فيكون كل واحد منهما عالما
بان ايهما هو الاصلح وانهما ليس هو الاصلح فيكونا متوافقين في ارادة

ما علما انه هو الاصلح وبهذه الطريقة يمتنع وقوع المخالفة سلمنا
انه يصح المخالفة لكن المحال انما لزم من وقوع المخالفة لا من جواز
المخالفة فلا جرم نقول المخالفة لا تقع وان كانت ممكنة الوقوع
الجواب انه لو كان العلم بانهما يقع وانهما لا يقع يوجب اراده
ما علم وقوعه وتمتنع ارادة ما علم عدم وقوعه لزم ان يكون
الله موجبا لا فاعلا له لا موجدا لها على سبيل الاختيار والكلام
في الوحدانية فرع على الكلام في اثبات القادر المختار والحجة
الثانية لو فرضنا الهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع
المقدورات وذلك يفضي الى وقوع مقدور واحد بين قادرين
مستقلين وذلك محال فالقول بوجود الهين محال بيان
الملازمة انه اذا كان كل واحد منهما قادرا على جميع المقدورات
كان مقدور كل واحد منهما مقدورا للآخر ثم اذا اتفقا على انه
لا بد من دخول احد المقدورين في الوجود حينئذ لا يكون وقوع
ذلك المقدور باحدهما اولى من وقوعه بالثاني لان كل واحد منهما
مستقل بايجاده وكل واحد منهما مريد وجوده ولا رجحان لاحدهما
على الاخر في ذلك فيلزم وقوع المقدور الواحد بالقادرين
المستقلين وانما قلنا ان ذلك محال لان ذلك الفعل يستغني بكل
واحد منهما عن كل واحد منهما فيكون محتاجا اليهما معا وغنيا
عنهما معا وذلك جمع بين النقيضين وهو محال الحجة الثالثة
اذا قدرنا الالهين فاما ان يتفقا عليهما التخالف ولا يصح فان صح
الاختلاف افضى ذلك الى عجز احدهما على ما بيناه في الحجة الاولى وان لم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يصح عليهما الاختلاف كان كل واحد منهما عاجزا عن اظهار مخالفه
صاحبه فيعود الامر الى كون كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون
الها واعلم انك متى وقفت على تقرير هذه الوجوه الثلثة عرفت ان
جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والمخلوقات فهو دليل
وحدانية الله لانه لو اراد احدهما ان يكون صيفا والآخر ان يكون شتاء
وصحيحا او مريضا وسعدا ونحسا فحينئذ يعود التقسيم المذكور
الحجة الرابعة لو فرضنا موجودين واجبي الوجود لذاتيهما فلا بد
وان يكون كل واحد منهما مشاركا للآخر في الوجود ومباينا له في
تعينه وما به المشاركة غير ما به المباينة فكل واحد منهما مركب عن الوجود
الذي به يشارك الآخر وعن التعين الذي به يباين الآخر وكل مركب
فانه يحتاج الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزائه غيره وكل ما
كان محتاجا الى غيره فهو ممكن الوجود لذاته فلو وجد شيئان كل واحد
منهما واجب الوجود لذاته لكان كل واحد منهما ممكن الوجود لذاته
وذلك محال فالقول بان واجب الوجود اكثر من واحد محال الحجة
الخامسة لو فرضنا موجودين كل واحد منهما واجب الوجود لذاته
فلا بد وان يتميز كل واحد منهما عن الآخر بامر ما والا لما حصل
التعدد ثم نقول ما به الممايزة اما ان يكون صفة كمال او لا يكون
فان كان صفة كمال فالخالي عنها يكون خاليا عن صفة الكمال فيكون
ناقصا والناقص لا يكون الها وان لم يكن صفة كمال فالموصوف به
يكون موصوفا بما لا يكون صفة كمال وما لا يكون صفة كمال
كان صفة نقصان فالموصوف به ناقص والناقص لا يكون الها

الحجة السادسة ان يقال ما به امتياز احدهما عن الآخر اما
ان يكون معتبرا في تحقق الالهية واما ان لا يكون معتبرا فيه فان
كان معتبرا فيه كان الخالي عنه لا يكون الها وان لم يكن معتبرا في الالهية
لم يكن الاتصاف به واجبا فيفتقر الى المخصص فالموصوف به
مفتقر ومحتاج فلا يكون الها الحجة السابعة لو فرضنا الهين
لكان لا بد وان يكون كل واحد منهما بحيث يمكن العبد من التمييز
بينهما لكن الامتياز في عقولنا لا يحصل الا بالتباين في المكان
او بالزمان او في الوجوب والامكان وكل ذلك على الاله تعالى
محال فيمتنع حصول الامتياز الحجة الثامنة احد الالهين اما ان
يكون كافيا في تدبير العالم وتخليقه او لا يكون فان كان كافيا
كان الثاني ضايعا غير محتاج اليه وذلك نقص والناقص لا يكون
الها وان لم يكن كافيا فهو ناقص والناقص لا يكون الها الحجة
التاسعة العقل يقضي ان احتاج الفعل الى الفاعل والفاعل
الواحد كاف وما وراء الواحد فليس عددا اولى من عدد فيقضي
كل الى وجود اعداد ما لا نهاية لها وذلك محال فالقول بوجود الهين
محال الحجة العاشرة احد الالهين اما ان يقدر على ان يخص تحقق
نفسه بدليل يدل عليه على التعيين او لا يقدر والاول محال لان
دليل اثبات الصانع ليس الا حدوث المحدثات وامكانها وليس في
الحدوث والامكان ما يدل على تعيين احدهما والثاني ايضا باطل
لانه يفضي الى كون كل واحد منهما عاجزا عن تعريف نفسه على التعيين
والعاجز لا يكون الها الحجة الحادية عشر احد الالهين اما ان يقدر

الألوكة
www.alukah.net

على ان يستر شيئا من افعاله عن الاخر ولا يقدر فان قدر لزم كون
المستور عنه جاهلا وان لم يقدر لزم كونه عاجزا الحجة الثانية عشر
لو قدرنا الاهين لكان مجموع قدرتهما اقوى من قدرة كل واحد منهما
والاقل من الغير الذي يوجد متناهيا فقدرة كل واحد منهما متناهية
فكل واحد منهما عاجز الحجة الثالثة عشر العدد ناقص لاحتياجه
الى الواحد وايضا الواحد الذي يوجد من جنسه ونوعه وغيره ايضا
ناقص لان مجموع العددين يزيد منه والناقص لا يكون الها الحجة الرابعة
عشر لو فرضنا معدوما ممكن الوجود ثم قدرنا الهين فان لم يقدر واحد
منهما على ايجاده كان كل واحد منهما عاجزا والعاجز لا يكون الها وان
قدر احدهما دون الآخر فهذا الاخر لا يكون الها وان قدرا جميعا فاما
ان يوجداه بالتعاون فيكون كل واحد منهما محتاجا الى اعانة الآخر
فيكون كل واحد منهما عاجزا وان قدر كل واحد منهما على ايجاده بلا
بالاستقلال فاذا اوجد احدهما فاما ان يبقى الثاني فاذ زا عليه
وهو محال لان ايجاد الموجود محال وان لم يبق فحينئذ يكون الاول
قد زال قدرة الثاني وعجزه فيكون مقهورا تحت تصرفه فلا يكون
الها فان قيل فالواحد اذا اوجد مقدورا قدرته فقد زالت
قدرته فيلزمك ان يكون هذا الواحد قد جعل نفسه عاجزا قلنا
الواحد اذا اوجد مقدورا نفسه فقد نفذت قدرته نفاذا لقدرة
لا يكون عجزا اما الشريك فانه ما نفذت قدرته البته بل زالت قدرته
بسبب قدرة الاول فيكون ذلك تعجيزا الحجة الخامسة عشر انا نعين
جسما ونقول هل يقدر كل واحد منهما على الحركة فيه بدلا عن السكون

وبالعكس او لا يقدر فان لم يقدر كان عاجزا وان قدر فيسري
الدلالة المتقدمة الى ان يقول اذا خلق احدهما فيه حركة امتنع
على الثاني خلق السكون فالاول ان زال قدرة الثاني وجعله
عاجزا فلا يكون الها الحجة السادسة عشر انا لو قدرنا الهين
لكان كل واحد منهما عالما بجميع المعلومات فكان علم كل واحد
منهما متعلقا بعين معلوم الاخر فوجب التماثل عليهما والذات القابلة
لاحد المثلين قابلة للمثل الآخر فاختصاص هذه الذات بهذا العلم
مع جواز اتصافها بذلك العلم الثاني بدلا عن هذا العلم يكون امرا
جايزا فيستدعي مخصصا يخصص كل واحد منهما بعلمه وقدرته
فيكون كل واحد منهما عبدا ناقصا مفتقرا الى الاله وانه محال
الحجة السابعة عشر ان الشركة في الملك عيب في الشاهد والقرآنية
والتوحيد بالملك والاستقلال به صفة كمال ويرى الملوك يكرهون
الشركة في الملك الحقير المختصر جدا اشد الكراهية ويرى انه كلما
كانت المملكة اعظم كانت النفرة عن الشركة اشد فما ظنك بملك
الله وملكوته فاذا اراد احدهما استخلاص الملك لنفسه فان قدر
عليه كان المغلوب فقيرا عاجزا فلا يكون الها وان لم يقدر عليه
كان في اشد الغم والحسرة فلا يكون الها الحجة الثامنة عشر انا لو
قدرنا الهين لكان كل واحد منهما اما ان يحتاج الى الاخر او يستغني
كل واحد منهما عن الاخر او يحتاج احدهما الى الاخر ويستغني الاول
عن الاخر فان كان الاول كان كل واحد منهما محتاجا وكل محتاج ناقص
والناقص لا يكون الها وان كان الثاني كان كل واحد منهما مستغنيا عنه

نسخة
الألوكة
www.alukah.net

والمستغنى عنه ناقص والناقص لا يكون الها وان كان الثالث كان كل واحد منهما مستغنيا عن الاخر والمستغنى عنه ناقص الا ترى ان البلد اذا كان له رئيس والناس يحصلون مصالح البلد من غير رجوع منهم اليه ومن غير التفات منهم اليه عد ذلك الرئيس في غاية الذلة والمهانة فالاله هو الذي يستغنى به ولا يستغنى عنه وان احتاج احدهما الى الاخر من غير عكس كان المحتاج ناقصا والمستغنى هو الاله واعلم ان هذه الوجوه بعضها قطعية وبعضها اقناعية واما الدلايل السمعية فالحجة الاولى قوله تعالى والهكم اله واحد لا اله الا هو وقال تعالى قل هو الله احد وقال لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد الحجة الثانية قوله تعالى هو الاول والاخر فالاول هو الفرد السابق ولذلك لو قال واحد اول عبد اشتريته فهو حر فلو اشترى اولا عبدين لم يحنث لان الاول يجب ان يكون فردا وهذا ليس بفرد ثم لو اشترى بعد ذلك واحدا لم يحنث ايضا لان الاول يجب ان يكون سابقا وهذا ليس بسابق فثبت ان الاول هو الفرد السابق فلما وصف الله نفسه بكونه اولا لزم ان يكون فردا سابقا وذلك يقتضي ان لا يكون له شريك الحجة الثالثة قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو فالنص يقتضي ان لا يعلم احد سواه تلك المغيبات ولو كان له شريك كان عالما بالغيب وهو على خلاف هذا النص الحجة الرابعة ان الله تعالى صرح بكلمة لا اله الا الله في سبعة وثلثين موضعا من كتابه وكل ذلك يدل على المقصود الحجة الخامسة قوله كل شيء هالك الا وجهه

حكم

حكم بان كل ما سواه فهو هالك وكل ما جاز عليه العدم بعد وجوده لا يكون قديما الان ما ثبت قدمه امتنع عدمه وما لا يكون قديما لا يكون الها الحجة السادسة قوله وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ولو كان له شريك لكان ذلك الشريك قادرا على النفع والضر وذلك بخلاف قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الحجة السابعة انه تعالى استدل في كتابه على صحة التوحيد بثلثة اوجه احدها قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا والثاني والعلى بعضهم على بعض والثالث قوله اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا ٥ واعلم انه تعالى لما ذكر قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا قال بعده فسبحان الله رب العرش عما يصفون وفيه لطايف اولها انه تعالى لما اقام الدلالة القاطعة على صحة التوحيد قال بعده فسبحان الله رب العرش عما يصفون وذلك تنبيه على ان الاشتغال بالتسبيح انما ينفع بعد اقامة الدلايل على كونه تعالى منزها وثانيها انه لم يقل فسبحان الله عما يصفون بل قال فسبحان الله رب العرش عما يصفون والسبب فيه ان هذه المناظرة انما وقعت مع عبدة صنام الا ان الدليل الذي ذكره تعالى وهو قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا يفيد الرد على كل من اثبت لله شريكا ثم انه تعالى بعد ان ذكر هذا الدليل العام نبه على نكتة خاصة لعبدة الاصنام وهي انه كيف يجوز للعاقل ان يجعل الجماد الذي لا يحس ولا يعقل شريكا في الالهية لخالق العرش العظيم وموجد السموات والارضين

الشبكة الألوكة www.alukah.net

واما قوله لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فاعلم انه تعالى علق
هذه الآية بما قبلها ان عمدة من اثبت لله شريكا ليست الا طلب
اللمية في افعاله تعالى وذلك لان الثنوية والمجوس وهم الذين يثبتون
لله شريكا عولوا في تقرير مذهبهم على نكتة واحدة وهي انا نرى
في العالم خيرا وشرا ولذة والما وصحة وسقما وحيوة وموتا
وغنى وفقرا وقد ثبت في العقول ان فاعل الخير خير وفاعل الشر
شرير ويستحيل ان يكون الفاعل الواحد خيرا وشريرا معا فلابد
من فاعلين ليكون احدهما فاعلا للخير والاخر فاعلا للشر ويرجع
حاصل هذه الشبهة الى ان الفاعل الحكيم لا يجوز ان يخصص بعض
عبيده بالفقر والالم والموت دون الاخر فيرجع حاصل الكلام
الى طلب اللمية في افعال الله تعالى والجواب الاصلي لهذه الشبهة
ان افعال الله تعالى لا يعلل وله ان يفعل كل ما يشاء فلما كان
مدار كلام المبتين لشريك لله على طلب اللمية في افعال الله تعالى
لاجرم انه سبحانه بعد ان ذكر الدليل الدال على التوحيد ذكر ما
هو النكتة الاصلية في الجواب عن شبهة القائلين بالشريك لان
الترتيب الحسن في المناظرة ان يقع الابتداء بذكر الدليل المثبت
للمطلوب ثم يذكر بعده ما هو الجواب المعتمد عن شبهة الخصم
فان قال قائل فما الدلائل العقلية على انه تعالى لا يسئل عما يفعل
وانه لا يجوز تعليل افعاله واحكامه برعاية المصالح قلنا
اما اصحابنا اهل السنة فقد استدلوا عليه من وجوه الحجة
الاولى انه لو كان كل شيء معللا بعلة لكانت علية تلك العلة

معللة

معللة بعلة اخرى ولزم اما الدور واما التسلسل وهما محالان
فلابد في قطع العلة من الانتهاء الى ما يكون غنيا عن العلة وان
الاشياء بذلك ذات الله تعالى وصفاته فكما ان ذاته تعالى منزهة
عن الافتقار الى المؤثر والعلة وصفاته مبراة عن الافتقار الى المبدع
والمخصص فكذلك فاعليته وجب ان يكون مقدسة عن الافتقار
الى الموجب والمؤثر الحجة الثانية فاعليته لو كانت معللة بعلة
لكانت تلك العلة اما ان تكون واجبة او ممكنة فان كانت واجبة
لزم من وجوبها وجوب كونه تعالى فاعلا وحينئذ يكون موجبا بالذات
لا فاعلا باختيار وان كانت ممكنة كانت تلك العلة ايضا من فعل
الله تعالى فيفتقر كونه تعالى فاعلا لها الى علة اخرى ولزم التسلسل
الحجة الثالثة تلك الفاعلية ان كانت قديمة لزم كون الفاعلية
قديمة فيلزم كون المفعول قديما فهذا خلف وان كانت محدثة افتقرت
الى علة اخرى ولزم التسلسل الحجة الرابعة ان من فعل فعلا لغرض
فاما ان يكون قادرا على تحصيل ذلك الغرض بدون تلك الواسطة
او لا يكون قادرا عليه فان كان الاول كان توسط تلك الواسطة
عبثا وان لم يكن قادرا عليه كان عاجزا وذلك على الله محال بخلاف
الواحد منا فان العجز علينا جايز فلاجرم كنا فاعلين معللة
بالاغراض الحجة الخامسة لو كان فعله تعالى معللا بغرض لكان
ذلك الغرض اما ان يكون عايدا الى الله او الى العباد والاول محال
لانه منزه عن النفع والضر واذا بطل هذا تعين ان الغرض لابد وان
يكون عايدا الى العباد ولا غرض للعباد الى حصول اللذات وعدم حصول

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

الا لله والله قادر على تحصيلها ابتداء من غير شيء من الوسايط
واذا كان كذلك استحال ان يفعل شيئا لاجل شيء الحجة السادسة
لو فعل فعلا لغرض لكان وجود ذلك الغرض وعدمه بالنسبة
اليه اما ان يكون على السوية او لا يكون فان كان على السوية استحال
ان يكون غرضا وان لم يكن على السوية لزم كونه سبحانه ناقصا لذاته
مستكملا لغيره وهو محال فان قلت وجود ذلك الغرض وعدمه
بالنسبة اليه على السواء اما بالنسبة الى العباد فالوجود اولى
من العدم فنقول تحصيل تلك الاولوية للعبد وعدم تحصيلها له اما
ان يكون بالنسبة الى الله على السوية او لا على السوية وحينئذ يعود
التقسيم الاول الحجة السابعة ان الموجودات باسرها مملوكة له
ومن تصرف في ملك نفسه لا يقال له لم فعلت الحجة الثامنة من قال
لغيره لم فعلت ذلك فهذا السؤال انما يحتمل حيث يقدر السائل
على منع المسئول عنه عن فعله وذلك من العبد في حق الله تعالى محال
فانه لو فعل اي فعل شيئا فالعبد كيف يمنعه عن ذلك الفعل لان
منعه بان يهدده بالعقاب والايلام وذلك على الله محال او بان
يهدده باستحقاق الذم والخروج عن الحكمة والاتصاف بالسفه
على ما تقوله المعتزلة وذلك ايضا محال لان استحقاق الذم اتصاف
بصفات الحكمة والجلال امور ذاتية له وما ثبت الشيء لذاته يستحيل
ان يتبدل لاجل تبدل الصفات العرضية فثبت بهذه الوجوه انه
لا يجوز ان يقال لله في افعاله لم فعلت فظهر صدق قول مشايخنا
ان علة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه واما المعتزلة فانهم سلموا

انه لا يجوز ان يقال لله تعالى لم فعلت لكنهم بنوا الجواب عن شبهة
الثنوية على اصل آخر وهو انه تعالى يقبح القبايح وعالم بكونه غنيا
عنها ومن كان كذلك فانه يستحيل ان يفعل القبيح واذا عرفنا ذلك
عرفنا اجمالا ان كل ما يفعله الله فهو حكمة وصواب واذا كان كذلك
لم يجز للعبد ان يقول لله لم فعلت هذا فظهر بما ذكرنا على اختلاف
المذهبين صدق قوله تعالى لا يسئل عما يفعل واذا ظهر ذلك سقطت
شبهة الثنوية في اثبات الشريك وبالله التوفيق **الفصل الثامن**
في الاحكام الفقهية المتفرعة على قولنا لا اله الا الله اعلم ان الايمان
لا بد له من الامرين احدهما وهو الاصل حصول المعرفة في القلب واليه
الاشارة بقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله وثانيهما الاقرار باللسان
بالتوحيد واشارة بقوله تعالى قل هو الله احد وذلك لان قوله
قل امر للمكلف بان يقول بلسانه ما يدل على التوحيد ثم تاكدت هذه
الآية الدلالة بالسنة الغراء وهي قوله عليه السلام امرت ان اقاتل
الناس حتى يقولوا لا اله الا الله والسبب في انه لا بد من هذا القول
هو ان للايمان احكاما بعضها يتعلق بالباطن وبعضها بالظاهر
فما يتعلق بالباطن فهو احكام الاخرة وذلك متفرع على العلم الذي
هو باطن عن الخلق وما يتعلق بالظاهر فهو احكام الدنيا ولا يمكن
اقامتها الا بعد معرفتنا كونه مسلما ولا معرفة الا بالقول باللسان
فصارت المعرفة ركنا اصليا في حق الله تعالى والقول ركنا شرعيا
في حق الخلق واليه الاشارة بقوله تعالى ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن
وقال عليه من قال لا اله الا الله خالصا مخلصا دخل الجنة وقال الفتح

www.alukah.net

ابو علي الدقاق من قالها مخلصا قلبه في قالبه دخل الجنة في حالته
وقال تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان جنة في الوقت وهي جنة المعرفة
وجنة غدا وهي جنة الاخرة اختلف المحققون فقال الاكثرون الاولى
ان يكون الذكر في الابتداء قول لا اله الا الله وفي الانتهاء الاقتصار
على ذكر كلمة الله ومنهم من واظب في الابتداء والانتهاء على ذكر لا اله
الا الله وحجة هؤلاء ان عالم القلب مشحون بغير الله ولا بد من كلمة
النفي لنفي الاغيار فاذا صار خاليا فحينئذ يوضع سر التوحيد ويجلس
عليه سلطان المعرفة واما الذين اكتفوا في النهايات بكلمة الله فلهم
فيه وجوه الحجة الاولى ان نفي العيب عمن يستحيل عليه العيب عيب الحجة
الثانية انه من قال لا اله الا الله فلعله حين ذكر كلمة النفي لا يجد
من المهملة ما يصل فيه الى الاثبات فحينئذ يبقى في النفي غير منتقل الى
الاثبات وفي المحمود الى الاقرار والحجة الثالثة ان المواظبة على
هذه الكلمة مشعر بتعظيم الحق بنفي الاغيار والا ان نفي الاغيار
من باب الاشتغال بالاغيار فالاشتغال بنفي الاغيار يرجع في الحقيقة
الى شغل القلب بالاغيار وذلك يمنع من الاستغراق في نور التوحيد
فمن قال لا اله الا الله فهو مشتغل بغير الحق ومن قال الله فهو مشتغل
بالحق فاين احد هذين المقامين من الاخر الحجة الرابعة ان نفي الشيء
انما يحتاج اليه عند خطران ذلك الشيء بالبال وخطران غير الله
بالبال لا يكون الا عند نقصان الحالة فاما الكاملون الذين لا يخطر
ببالهم وجود الشريك امتنع ان يكلفوا بنفي الشريك بل هؤلاء لا يخطر
ببالهم ولا يحضر في خيالهم الا ذكر الله فلا جرم كيفهم ان يقولوا الله

الحجة الخامسة قال تعالى قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فامر
بذكر الله ومنعه من الخوض معهم في اباطيلهم ولعبهم والقول الشريك
من الاباطيل ففيه خوض في ذلك الكلام فكان الاولى الاقتصار
على قولنا الله فهذا ما في هذا المقام ههنا انواع من التضرعات
احدها ان نقول الهنا ان موسى سالك اجل الاشياء فقال رب ارني انظر
اليك وسالك اقل الاشياء فقال ربنا ما انزلت الي من خير فقير
فنحن ايضا نسالك اجل الاشياء وهو خيرات الاخرة واقل الاشياء
وهو خيرات الدنيا فنقول ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة
حسنة الهنا يحكى ان رجلا باع جارية ثم ندم واستحيى ان يظهر
تلك هذه الحالة للمشتري ولسائر الناس فكتب في كفه حاجته ورفعها
الى السماء ولم يقل لبسانه شيئا فراى المشتري في المنام ان فلانا من اوليائي
وقلبه مشتغل بهذه الجارية فردها عليه واجرك علي فلما اصبح الرجل
حمل الجارية اليه وردها اليه فاراد البايع ان يرد الذهب فقال
المشتري اني لاجل ذلك الثمن ضامنا هو خير منك الهنا ان كان ذلك البايع
ندم على بيع تلك الجارية فنحن ندمنا على بيع على ان بهذا الاخرة فان كان
ذلك البايع قد استحيى من العود فنحن من كثرة ذنوبنا نستحيي منك وان
كان ذلك البايع قد كتب على كفه شيئا من حاجته ورفعها الى السماء فجميع
اعضائنا مكتوب عليه احتياجنا الى رحمتك وذلنا بين يديك فههنا
كما ضمنت دين الغرماء فاضمن ديننا واسقط عنا تبعات اعمالنا وافعل
بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله يا من لا يشغله شان عن شان
الهنا يروى ان علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان له مودن وكانت له

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جارية فقالت له الجارية يا مولاى ان هذا المؤذن يقول انى احبك
فقال على رضى الله عنه فقولى له وانا ايضا احبك فماذا قلت
الجارية ذلك قال المؤذن فصبرا الى ان يحكم الله بيننا فحكى ذلك لعلى
بن ابى طالب رضى الله عنه فقال الماسكت ولم يرفعه اهلا لمطلب
فحن نسلمها اليه فدعاه وزوجها منه فلما المؤذن لما استحقر نفسه
ولم يرها اهلا لذلك المطلب كرمه على رضى الله عنه فانت العلى الاعلى
وانت كريم الاكرمين وارحم الراحمين ونحن لا نرى انفسنا اهلا لطلب
رحمتك لحقارة انفسنا فى اعيننا فلا تحرمنا فيض رحمتك وآثار
جودك يا من لا يبرمه الحاح الملحين فانه يروى ان الصديق رضى الله عنه
كان يخافت فى صلوته بالليل ولا يرفع صوته بالقراءة وكان عمر رضى الله
يجهر فى صلوته بالليل فسأل الرسول عليه السلام ابا بكر عن فعله
فقال انا اجيه بسمع كلامى وسأل عمر فقال اوقظ الوسنان واطرد
الشيطان وارضى الرحمن فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر
حتى يرفع صوته قليلا وامر عمر حتى يخفضه قليلا فهذا الايمان فيما
كان للرسول والقلب مثل ابى بكر واللسان مثل عمر فالقلب يخافت بالذكر
كابى بكر واللسان يظهر الذكر مثل عمر والايمان بامر القلب اولى وزيادة فى الذكر
وبامر اللسان اخفاء الذكر هو قضاء ما يجب وترضى بفضلك يا ارحم
الراحمين **فصل** ومن العارفين من اختار السكوت عن تحقيق النهاية
قال عليه السلام من عرف الله كل لسانه ويروى ان الجنيد كان فى مجلس
وعنده السبلى وقال الله فقال الجنيد اشارة حواء ومعناه انك ان ذكرت
غايتا ذكر الغايب غيبة وان كنت حاضرا فذكر الاسم حضرة سؤاب

وتمام التحقيق فى هذا المقام سيأتى ان شاء الله **فصل** روى
الامام محمد بن على الحكيم الترمذى عن معاذ بن جبل قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ما من نفس تموت يشهدان لا اله الا الله وانى
رسول الله يرجع ذلك الى قلب موقن الا غفر الله له قال الشيخ فهذه
شهادة شهد بها عند الموت وقد مات منه الشهوات فلانت
نفسه الممتردة من هول الموت وذهب حرصه والتى نفسه بين يدى
قدرة ربه فاستوى منه الظاهر والباطن فلقى الله مخلصا بتلك الشهادة
فغفر الله له بتلك الشهادة الصادقة التى وافق ظاهرها باطنها واما
الذى يقوله ايام الصحة فيقول مع التخليط لانه يشهد بهذه الشهادة
وقلبه مشحون بالشهوات فلا يستوجب بذلك القول المغفرة ونفسه
اشرة بطرة فلا يستوجب ايضا بذلك المغفرة فهذا هو التفاوت
بين ذكر الشهادة حالة الصحة وذكرها فى آخر زمان الحياة وتمام
القول فيه ان الانسان الذى يكون قلبه مفتونا بدنياه ماسورا
فى الشهوات سكران عن الآخرة خيران عن الله لم يحصل فيه اليقين
البته لان قلبه مملوء بالميل الى غير الله فلا يحصل الميل فيه الى الله
اما اذا حصل فى القلب اليقين بالله كان الامر بخلاف ذلك وذلك
لان اليقين سمى يقينا لاستقراره فى القلب وهو النور يقال يقن الماء
فى الحفرة اذا استقر فاذا استقر النور دام واذا دام صارت النفس
ذات بصيرة فاطمأن القلب بجلال الله ثم انقطع عن غير الله فوقف
هنالك عاجزا فاستغاث بالله صارخا مضطرا فاجابه الحق فانه
يجيب دعوة المضطرين فيقذف فى ذلك النور المتلالئ فى القلب غير معلق

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

ظلمات الاشتغال بغير الله فيصير امر الملكوت مشاهدا له وهو قول
حارثة لرسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال كاني انظر الى عرش
ربي بارزا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد نور الله
الايمان في قلبه وقد جاء في الاخبار ان ادريس وموسى ومحمدا
صلوات الله عليهم كان كل واحد منهم في زمانه مواظبا على هذا
الدعاء يا نور كل شيء وهداه انت الذي فلق الظلماء نوره وهما
يحققان ما قلناه فقوله صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله وحده
لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير
مخلصا بها روحه مصدقا بها قلبه ولسانه فتقت له السموات فنظر
حتى ينظر الرب الى قائلها من اهل الدنيا وعن زيد بن ارقم قال قال
النبي صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله مخلصا دخل الجنة
قال يا رسول الله وما اخلاصها قال ان تحجزه عن المحارم وقال عليه السلام
اخلص يكفك القليل وعن زيد بن ارقم قال قال صلوات عليه ان الله
عهد الي ان لا يأتيني احد من امتي بلا اله الا الله لا يخلط بها شيئا الا
وجبت له الجنة قالوا يا رسول الله وما الذي يخلط بها قال حرصا
على الدنيا وجمعها ومنعها يقول بقول الانبياء ويعمل بعمل
الجبابرة فالحاصل انه لا بد من اليقين عند التكلم بهذه الكلمة حتى تكون
نافعة ولا يحصل اليقين بها الا بموت الشهوات ولا يحصل موت
الشهوات الا باحد طريقين احدهما ان يروض نفسه حتى تموت
شهواتها حال حيوته والثاني ماتت شهواته عند وفاته وعظم رجاؤه
وخوفه عن ربه وانقطع نظره عن غير الله بالكلية اضطرارا فاذا نطق

بهذه الكلمة في تلك الحالة استوجب المغفرة ولهذا السبب استحب
السلف بلقنوا المحتضر هذه الكلمة وقال عليه السلام لقنوها موتاكم
فالانسان عند القرب من الموت فنيت شهواته فحصل له نور اليقين
فصارت هذه الكلمة مقبولة منه واما الاول وهو الذي يروض نفسه
فقد فتحت له دروزنة الى الغيب فركبتها هوال سلطان الجلال فيطلق
بها عن القلب الصافي فهو بالمغفرة اولى واحق وعن عبد الله بن ابي جعفر
عن ابيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لقنوا موتاكم
لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم
والحمد لله رب العالمين قالوا يا رسول الله فكيف هي للحي قال هي احرى
واجود وكان اهل البيت رضي الله عنهم يسمون هذه الكلمات كلمات
الفرج فيتكلمون بها في النوائب والشدائد فجعلهم الفرج وفيه زيادة
كلمة لا اله الا الله العلي العظيم وعن مكحول ان كلمات الفرج لا اله الا الله
العلي العظيم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله رب السموات ورب
العرش العظيم والحمد لله رب العالمين وقال علي رضي الله عنه قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الا اعلمك كلمات اذا قلتها غفرت لك ذنوبك
وان كان مثل عدد الذر من الخطايا لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله
العلي العظيم سبحان الله رب السموات ورب العرش العظيم والحمد لله
رب العالمين **فصل** يروى انه كان صفان تيقاتلان من المسلمين والكفار
والكفار كانوا من النصارى فقال الكافر عمن تقاتل فقال المسلم عن الواحد
وقال النصراني بل انا اقاتل عن ثالث ثلثة فلما تقاتلا صرع المسلم
الكافر وجلس على صدره قال نصراني الواحد وضعيك الثلثة قال

شبكة الألوكة www.alukah.net

جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه عجبت لمن لي باربع كيف يغفل عن اربع
عجبت لمن اعجب بامر كيف لا يقول ما شاء الله لا قوة الا بالله وانه تعالى يقول
ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله وعجبت لمن خاف
قوما كيف لا يقول حسبي الله ونعم الوكيل والله تعالى يقول الذين قال لهم
ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله
ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء الايات وعجبت
لمن مكر به فكيف لا يقول حسبي الله وافوض امري الى الله ان الله بصير
بالعباد والله تعالى يقول فوقاه الله سيئات ما مكروا وعجبت لمن
اصابه غم او كرب كيف لا يقول لا اله الا انت سبحانك اني كنت من
الظالمين الى قوله فنجيناه من الغم وقال سفيان بن عيينة انه تعالى لما قال
وكذلك ننجي المؤمنين فقد وعد كل مؤمن يقول لا اله الا انت سبحانك
اني كنت من الظالمين ان ينجيه من كل غم ومن المعلوم بالضرورة ان الله
لا يخلف الميعاد **فصل** اعلم انه تعالى ذكر كلمة لا اله الا الله في
القرآن العظيم في سبعة وثلاثين موضعا اثنان في البقرة والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم بالله لا اله الا هو الحي القيوم واربعة
في آل عمران ج الم الله لا اله الا هو الحي القيوم هو الذي يصوركم في
الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم شهد الله انه لا اله الا
هو والملائكة وقايما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم وواحد في النسا
الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الآية واثنان
في الانعام ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو
على كل شيء وكيل ط اتبع ما يوحى اليك من ربك لا اله الا هو واعرض عن المشركين

وواحد في الاعراف ى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا
الذي له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فامنوا بالله
ورسوله النبي الامي الذي يومن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون
واثنان في التوبة اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح
بن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما
يشركون ب فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو وواحد في يونس
ح حتى اذا ادركه الغرق قال امنت انه لا اله الا الذي امنت به بنو اسرائيل
وواحد في هود د فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله
وان لا اله الا هو وواحد في الرعد به قل هو ربي لا اله الا هو عليه
توكلت واليه متاب وواحد في النحل بوانا نذروا انه لا اله الا انا
فاتقون وثلثة في طه ينا الله لا اله الا هو له الاسماء الحسنى ح انني
انا الله لا اله الا انا فاعبدني يط انما الهكم الله الذي لا اله الا هو
وسع كل شيء علما واثنان في الانبياء ك وما ارسلنا من قبلك
من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون كا وذا النون
اذ ذهب مغاضبا فظن ان لن نقدر عليه فنادى في الظلمات ان لا اله
الا هو سبحانك وواحد في المؤمنين كب فتعالى الله الملك الحق لا اله
الا هو رب العرش الكريم وواحد في النمل كج الله لا اله الا هو رب
العرش العظيم واثنان في القصص كد وهو الله لا اله الا هو له
الحمد في الاولى والاخرة كه ولا تدع مع الله الها آخر لا اله الا هو
كل شيء هالك الا وجهه وواحد في فاطر هل من خالق غير الله يرزقكم
من السماء والارض لا اله الا هو وواحد في الصافات كز انهم كانوا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون وواحد في الزمر كم يخلقكم
في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث ذلكم الله
ربكم له الملك لا اله الا هو فانى تصرفون وثلثة في المؤمن كط ذي
الطول لا اله الا هو اليه المصير ذلكم الله ربكم خالق كل شئ لا اله
الا هو فانى تؤفكون لا هو الحى لا اله الا هو فادعوه مخلصين له
الدين الحمد لله رب العالمين وواحد في الدخان لب لا اله الا هو
يحيى ويميت ربكم ورب اباءكم الاولين وواحد في سورة محمد لج
فاعلم انه لا اله الا الله واستغفر لذنبك واثنان في الحشر لدهو الله
الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة له هو الله الذي لا اله الا هو
الملك القدوس وواحد في التغابن لو الله لا اله الا هو وعلى الله فليتوكل
المؤمنون وواحد في المزمل لز رب المشرق والمغرب لا اله الا هو
فاتخذه وكيلا فهذا مجموع كلمات بسعة وثلثين من كلمات لا اله
الا الله وردت في القران العظيم ربنا اتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا
من امرنا رشدا **فصل** فان عقول الخلق قاصرة عن معرفة الله تعالى
اتفق مشايخ الطريقه رضى الله عنهم على هذا نقل الاستاذ ابو القسم
القشيري في كتاب الرسالة في باب التوحيد عن يوسف بن الحسين انه قال
سمعت ذا النون المصري وقد سئل عن التوحيد فقال ان تعلم ان قدرة
الله تعالى في الاشياء بلا مزاج وصنعة في الاشياء بلا علاج وعلة كل شئ
صنعة ولا علة لصنعه ومهما تصورته في نفسك شئ فالله بخلافه وقول
لما كان كل ما تصوره النفس فالله بخلافه لم يتمكن العقل والنفس من الاشارة
الى حقيقته معلومة بان حقيقة الاله هي هذه الحقيقة وقال ايضا اعرف

الناس

الناس بالله اشدهم تحيرا فيه ويروى عن سهل بن عبد الله انه سئل
عن ذات الله تعالى فقال ذات الله موصوفة بالعلم غير مدركة بالاحاطة
فقد حجب الخلق عن معرفة كنه ذاته ودلهم عليه بآياته فالقلوب
تعرفه والعقول لا تدركه ينظر المؤمنون اليه بالابصار من غير
احاطة ولا ادراك نهاية وروى عنه ايضا انه قال غاية المعرفة
الدهشة والحيرة وقال يوسف بن الحسين من وقع في بحار التوحيد
لا يزداد على ممر الايام الا ظماء ووقف رجل على الحسين بن منصور
وقال من الحق الذي يشيرون اليه فقال فعل الايام ولا يفضل وقيل
للشبلي اخبرنا عن توحيد مجرد بلسان حق مفرد فقال من اشار اليه
فهو ثنوي ومن كيفه فهو وثني ومن نطق به فهو غافل ومن سكت عنه
فهو جاهل ومن وهم انه واصل فليس له حاصل ومن ظن انه قريب
فهو بعيد ومن توهم انه واجد فهو فاقد وكل ما ميزتموه باوهامكم
وادركتموه بعقولكم في ايتم معانيكم فهو مصروف مردود اليكم
محدث مصنوع مثلكم وقال الشبلي ايضا ما شم روايح التوحيد
من تصور ان عنده التوحيد وقال ابن عطاء العقل خلق آلة للعبودية
لا للاشراف على الربوبية وقال غيره العقل يحول حول الكون فاذا نظر
الى المكون ذاب واعلم ان من الناس من احتج في هذه المسئلة بآيات
منها قوله وما قدروا الله حق قدره قال اهل التفسير اى وما عرفوه
حق معرفته من قدر الثواب اذا احزره واراد معرفة مقداره واعلم
ان هذا الاستدلال ضعيف لان هذه الآية وردت في كتاب الله تعالى
في ثلثة مواضع اولها في سورة الانعام قال تعالى وما قدروا الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

حق قدره عايد الى هؤلاء وثانيها قال في سورة الحج يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له الى قوله ما قدروا الله حق قدره ولما كان الكلام
الاول مع عبدة الاوثان كان هذا الكلام عايدا اليهم وثالثها قوله
تعالى في سورة الزمر قل افغير الله تامروني اعبد ايها الجاهلون
ولقد اوحي اليك والى الذين من قبلك لئن اشركت ليحبطن عملك
ولتكونن من الخاسرين بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ثم قال
بعد هذا وما قدروا الله حق قدره فيكون هذا الكلام عايدا
الى الذين اشار اليهم قبل هذه الكلمة بقوله افغير الله تامروني
اعبد ايها الجاهلون واذا ثبت هذا فنقول قوله ما قدروا الله
حق قدره عايد في الاية الاولى الى من انكر نبوة كل الانبياء في الاية
الثانية والثالثة الى عبدة الاوثان فهذه الاية في المواضع الثلثة
عايدة الى الكفار فلا يلزم من وصف الكفار بهذا الوصف وصف المؤمنون
وهذا سؤال حسن لمن يدعي كمال المعرفة ان يتمسك بهذه الايات
لانه تعالى لما جعل قوله وما قدروا الله حق قدره عيبا على الكفار
وطعنا فيهم فوجب ان يكون حال المؤمنين بخلاف ذلك وقد اشتهر
التمسك به في هذه المسئلة قوله تعالى في سورة طه يعلم ما بين ايديهم
وما خلفهم ولا يحيطون به علما واجيب عنه بانا لم لا نجوز ان
يكون المراد من الاية انه تعالى يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون
به علما بما بين ايديهم وما خلفهم فالضمير في قوله به غير عايد الى الله تعالى
بل الى ما بين ايديهم وما خلفهم لان عود الضمير الى اقرب المذكورين
هو الاولى واعلم ان العمدة في هذه المسئلة ان الله سبحانه وتعالى

غير متناه في الذات والصفات والعقل متناه في الذات والصفات
والمتناهي لا سبيل له الى ادراك غير المتناهي وهذا هو النكتة ونحن
نشرحها ليظهر قوتها فنقول العقل عاجز عن معرفة كونه تعالى قديما
ازليا وذلك لان كل ما يستحضره العقل استحضارا على سبيل التفصيل
من مقادير الازمنة فذلك متناه مثلا اذا يفرض قبل هذا الوقت
الف الف سنة ويفرض كل لحظة من هذه المدة الف الف سنة وهكذا
الى اقصى ما يقدر الوهم والخيال على استحضاره ثم اذا تامل العقل
عرف ان كل ذلك متناهي الاول وهو انه تعالى انما كان قديما ازليا
لانه كان موجودا قبل هذه المدة التي احاط العقل والخيال بها فثبت
ان كل مقدار يصل العقل والخيال اليه فهو متناه والحق سبحانه ليس قديما
باعتبار انه كان موجودا في ذلك الوقت بل باعتبار انه كان موجودا فيما
وراء ذلك الوقت فاذا لا سبيل للعقل البتة الى معرفة القدم والازلية
واذا عرفت هذا في كونه تعالى قديما ازليا فاعرف مثله في كونه دايما
ابديا فاذا للعقل لا سبيل له البتة الى معرفة كونه قديما ازليا ولا الى
معرفة كونه دايما ابديا على سبيل التفصيل فان كل ما يشير العقل اليه
فازليته وابديته خارجتان عن ذلك المتصور وايضا اذا قلنا انه
موجود ليس بجوهر ولا عرض ولا حال ولا محل فهو بنا قص معرفة ذات
الحق لانا لو اردنا بقولنا موجود ما ينا قض المعدوم فهذا المفهوم
المناقض للعدم امر يصدق على جميع الموجودات وحقيقة الحق لا يوجد
في شئ سواه فالعلم بكونه موجودا ليس علما بحقيقته المخصوصة
وانما العلم بانه ليس بجوهر ولا عرض فهذا يعلم بعدم هذه الاشياء

الألوكة
www.alukah.net

وليس علما بحقيقته لان حقيقته ثابته متحققه والسلب لا يكون
نفس الثبوت فيمتنع ان يكون حقيقته هي نفسانها ليست بجوهر ولا بعرض
فثبت بمجموع ما ذكرنا انه لا سبيل للعقول الى معرفة حقيقته وقد تحقق
ما ذكرنا ان العلماء اتفقوا على ان كل صفة شاهدها الحس وادركها
العقل في المكونات فلو وصف الحق بها صار جاهلا فاذا لا طريق له
الى معرفة الحق الا بنفي كل ما عداه ولهذا اتفقوا على ان احسن كلمة قيل
في التوحيد ما قاله علي بن ابي طالب رضي الله عنه وهو ان المعرفة
ان تعرف ان كل ما تصورته في وهمك فالله بخلافه ثم قال المحققون
لما كان كل ما تصورته في وهمك وفهمك فالله بخلافه فلو تصورت في
وهمك من ذلك الخلاف شيء فالله تعالى ايضا بخلافه ثم لو تصورت في هذه
المرتبة الثانية امرا خارجا زمه نفيه فلم يبق للعقل في طريقة معرفة الحق
الا ان ينفي كل ما وقع في خاطره ثم اذا وقع من هذا النفي في ذهنه اشتغل
بنفيه ايضا وهكذا في النفي الثالث والرابع الى غاية النهاية فلو بقي العبد
ابدا الاباد ودهر الداهرين لكان مشغولا بنفي شغل القلب عن هذه الواردات
وازاله هذه التصورات واذا كان الامر كذلك بقي الحق سبحانه منزها
عن لواحق فكر واشارات عقله وعلايق ضميره وفكره وذكر الحجة
الثانية وهي ان الانسان عاجز عن معرفة نفسه فانه ان قيل ان نفسه
هو هذا الهيكل المشاهد وهو باطل من وجهين الاول ان الانسان
قد يعرف ذاته حال ما يكون غافلا عن جميع اعضاء الظاهرة والباطنة
والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم والثاني ان ذاته من اوله عمره الى آخر عمره
شيء واحد واجزاء بدنه غير باقية والباقي مغاير لغير الباقي فثبت انه

ليس عبارة عن هذا الهيكل المحسوس ثم بعد هذا يحتمل ان يقال انه
جسم في داخل هذا الهيكل اما في القلب فقط او في الدماغ فقط
او يكون ساريا في كل ذلك البدن ثم ذلك الجسم هو من جنس الاجسام
التي تولد البدن عنها او هو جسم مخالف لهذه الاجسام في الماهية
والحقيقة ويحتمل ايضا ان يقال انه ليس بمتحيز ولا حال في المتحيز
بل هو مدبر لهذا البدن على ما يقوله الفلاسفة واعلم ان هذه
الاحتمالات بقيت من الزمان الاقدم الى الان وما بعد ما زالت
الشكوك والشبهات ولا شك ان اعرف المعارف في الشيء المشار
اليه لي بقولي انا فاذا كان في حالي في معرفة اظهر الاشياء كذلك
فكيف يكون حالي في معرفة اشد الاشياء مناسبة عن علايق العقول
وروابط الخيالات وتحقيق الكلام فيه ان العقل كالسمع ولا شك
ان كل ما كان اقرب الى السمع كان ضوء اكثر مما بعد عنه واقرب الاشياء
الى العقل نفسه فاذا كان نور العقل انطفا الى حيث لم يبصر به ذاته
مضيئا فحضرة الجلال سبحانه مع انه ابعد منه بغير نهاية كيف يصير
مضيئا به ولهذا قال السنابي الشاعر رحمه الله بالفارسية شعر

ای شش در شناس خود عاجز ٭ کی شناسی خدایرا هرگز ٭
چون تو در علم خود زبون باشی ٭ عارف کردگار چون باشی ٭

واعلم انه كما وقعت الشبهات المذكورة في معرفة النفس فقد وقعت
ايضا في معرفة حقيقة الزمان وحقيقة المكان وتحير الخلق في
ان القوة الباصرة كيف تبصر اخروج الشعاع وحصول الشبح وكذا
القول في البحث عن القوة السامعة والذايقة وتحيروا ايضا في البحث

عن كيفية التخيلات فان هذه الصورة المتخيلة ان لم يكن لها وجود
اصلا فكيف حصل فيها التميز والتعيين وان كان لها وجود فهي
قايمة بانفسها او محلها شئ مجرد او محلها جسم والكل محال ممتنع
ولما كانت معرفة الخلق بهذه الامور الظاهرة الجلية بلغت في الصعوبة
الى هذا الحد فما ظنك بمعرفتهم من تقدس عن مناسبات العقول
والافكار وتنزه عن مشابهات الخيالات والانظار الحجة الثالثة
قد ثبت في العلوم الحقيقية انه سبحانه تعالى هو النور المطلق فهو نور
الانوار وكما ان من وضع السراج في مقابلة قرص الشمس لطفي ولم يظهر
نور البته فكذا اذا وضع ضوء العقل في مقابلة نور جلال الله تعالى
واضمحل وتلاشى ولذلك قالوا بان العقل يدور على الكونيات فاذا
وصل الى حضرة المكون لاكوان ذاب واعلم ان القطرة اذا وقعت في البحر
اضمحلت والشعلة اذا وقعت في مقابلة قرص الشمس فبيت وبطلت
ونسبة القطرة الى البحر والشعلة الى الشمس اعظم من نسبه نور العقل
الى نور الجلال بل لا نسبة لاحدهما بين الى الاخرى لان القطرة متناهية
والبحر متناه وللمتناهي الى المتناهي نسبة وكذلك الشعلة والشمس
اما نور العقل فهو في غاية القلة والقصور ونور جلال الله في غاية
العظمة وعدم التناهي فلما اضمحلت القطرة في البحر والشعلة في الشمس
فكيف يعقل بقاء ضوء العقل في حضور نور جلال الله وشروق اعلام
كبريائه الحجة الرابعة ان نسبة نور العقل الى اعظم الانوار الروحانية
كنسبة نور البصر الى منبع الانوار الجسمانية وكما ان الشمس اظهر الاشياء
من وجه واخفاها من وجه آخر فكذلك منبع الانوار الروحانية بالنسبة

الى عين البصيرة يكون اظهر الاشياء من وجه واخفاها من وجه آخر
الحجة الخامسة العقل اضعف من العاقل لان العقل صفة والعاقل
موصوف والصفة اضعف من الموصوف فاذا عجز العاقل عن المعرفة
فلان يعجز العقل مع غاية ضعفه كان اولى الحجة السادسة من يمكنه
ادراك شئ بتمامه وكماله فله قدرة بوجه ما عليه وقدرة المحدث
ممزوجة بالعجز ومتناهية والحق سبحانه واجب الوجود غالب لا يغلب
قاهر لا يقهر فالمحدث الموصوف بالقصور والتناهي كيف يمكنه معرفة القديم
الذي لا نهاية له الحجة السابعة العقل لا يتصرف الا فيما يكون في
زمان ومكان لان كل ما ادركه فانه يدركه اما في الماضي او في
المستقبل او في الحال وكل ذلك بحسب الزمان وكل ما يتصوره فانه
انما يتصوره اما ههنا او هناك وكل ذلك بحسب المكان واذا قلت
الحق بخلاف هذه الاشياء فعرفتك في هذه المعرفة ليس الا نفي ما عرفته
وتصورته فالحاصل فيه نفي غير الحق لا يكون هو غير وجدان الحق الحجة
الثامنة اشتهر في اقوال الخلق قولهم انما يعرف ذا الفضل من الناس
ذووه فما لم يكن الانسان اعلم من غيره لا يمكنه ان يعرف مقداره الا
ترى ان الناس يقولون لا يقدر على التمييز بين فلان وفلان الا من كان
اعلم منهما لا محالة لا بد وان يعرف مقدار معلومات ذاك ومعلومات
هذا ومقدار ما به ازداد احدهما على الاخر وانتقص منه وهذا
لا يتيسر الا لمن كان اعلم من كل واحد منهما واذا كان لا يتيسر للناقص
ان يحيط بمن هو اكمل منه في العرف والشاهد فكيف يتيسر للعقول
الناقصة الاحاطة بجلال من جلاله غير متناه الحجة التاسعة العقل

الألوكة
www.alukah.net

كالانثى والفكر كالذكر فاذا حصل الازدواج بينهما تولدت المعرفة
ولا شك ان الولد يكون على قدر قوة الابوين والعقل ناقص فكيف
وهو عاجز عن معرفة نفسه والفكر ناقص فكيف ولا يمكنه ان يصون
نفسه عن الغلط واذا كان الابوان في غاية النقصان كيف يعقل
ان يكون الولد في غاية الكمال فامتنع تولد مثل هذه المعرفة على غاية شرفها
من هذين الابوين الحجة العاشرة اذا ادرك العقل وقف عند مدركه
وانتهى اليه وكل مدرك هذا شانه فهو متناه والحق لا نهاية له وهذا
يوجب ان ذلك المدرك ليس هو الحق بل كان شيئا غير الحق الحجة الحادية عشر
قال عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن وهذا عبارة
عن كونه محدودا مقهورا مغلوبا متناهيا وما كان كذلك امتنع ان يكون
له احاطة بما لا نهاية له ومن النكتة في هذا الباب وجوه احدها انه
اخبر سبحانه عن ضعف البشر فقال وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه
منه ضعف الطالب والمطلوب فمن بلغ عجزه الى حيث لا يقوى على مقاومة
الذباب كيف يمكنه الوصول الى كنه صمدية رب الارباب الثانية قالوا
الرجل اذا كان في مفازة عظيمة واشتد الحر ولم يكن هناك ماء اصلا
والبته واشتد عطشه وغلبه خوف الفقدان فالى اي جهة نظر
ظنه ماء ورآء سرابا فاذا وصل اليه لم يجد عنده شيئا كما قال تعالى
حتى اذا جاءه لم يجده شيئا فكذا العقول البشرية والارواح الانسانية
وقعت في بيداء كبرياء الله تعالى فعظمت الانوار وتعاكست الاشعة
وغلبت حيرات الاشياق الى الوصول الى حضرة الله فكلما نظر الى
جانب ظنه هناك ماء فالاشعرية نظروا الى جانب التنزيه فظنوا ان الله

هناك

هناك والمشبهة نظروا الى جانب الاثبات فظنوا ان ماء العرفان هناك
وكذلك الجبر والقدر والرفض والخوارج ثم ان كل واحد يوجه الى
مقصده وسار الى مطلبه فوصلوا الى مطالبهم يوم القيامة فلم يجدوا
هناك من هذا الحديث شيئا كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل
فجعلناه هباء منثورا ثم الاقوياء لما عرفوا عظمة المفازة وعجز البشرية
وحيرة العقل فروا عن انفسهم واستغاثوا بارشاده وهدايته فقال
الخليل عليه السلام رب هب لي حكما والحقني بالصالحين وقال يوسف
الصديق توفني مسلما والحقني بالصالحين وقال الكليم رب اشرح لي
صدري ويسر لي امري وقال سليمان وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال عيسى ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا
اعلم ما في نفسك وقال الجبرئيل ارنا الاشياء كما هي الثالثة قالوا الصبي
ينظر في المرآة فرأى فيها صورة فيشتاق الى ان يقرب من تلك الصورة فيقرب
من تلك الصورة فيرى تلك الصورة ايضا يقرب منه فاذا راى قرب الصورة
منه حال قربه منها يشتد طمعه في اخذها فيمد يديه اليها ليأخذها
فاذا مد يديه راى حجابا من الحديد وراى الصورة محتفة بحجب العزة
وسرادقات القدرة فهكذا قوة العقلية ينظر في مرآة من عرف نفسه
فيلوح له بتجلي انوار عرف ربه فكلما كان نظر العين الى هذه المرآة اشد
كان ذلك التجلي اعظم فيشتاق العقل الى الوصول الى كنه الصمدية فيمد
يد الطلب فيرى بين نفسه وبين المطلوب سدا من الازلية والقدم
والاستغناء فيبقى ورآء هذه السد عاجزا مسكينا وبسبب مزيد
التصرف يزول ذلك التجلي محتجبا بسرادقات الكبرياء والعظمة والجبروت

الألوكة
www.alukah.net

الرابعة كان سوادي يحمل حملا من القوارير وكان مذهب به لاجل التجارة
الى بلد آخر فلما وصل الى باب البلد وضع ذلك الحمل ثم قال اني اذا
دخلت هذه البلدة ابيع هذه القوارير واشتري باثمانها الغنم
ثم يحصل من نتاجها واولادها مال عظيم فاشتري به الخيل والجمال
ثم يحصل من نتاجها مال عظيم استوى به الالات المملكة فاذا حصل
الملك اتزوج بابنة الملك الفلاني ويحصل لي منها اولاد ثم احضر الادباء
والعلماء لتعليمهم وتاديبهم ايضا وفي اثناء ذلك ضرب بن ساقيه
على الحمل فسقط الحمل وانكسر الكل فهذا مثال الاكثر توهمات الخلق
فان كل احد يظن ان ما معه من العلوم والاعمال يكون وسيلة الى
وجدان ملك الجنة والوصول الى عتبة حضرة الله فاذا جاء وقت
الموت بطلت تلك الاوهام وزالت تلك الافكار وبقي المسكين على تراب
الحرمان وموضع الذلة والعجز الخامسة من اسمايه سبحانه وتعالى
الجبار وهو ماخوذ من قولهم نخلة جبارة اذا لم يصل اليها الايدي
فكذا ههنا الافهام لا تصل الى صمدية فالعبد له اليوم طلب عرفان
وجوده وغدا طلب جوده وحقيقته الصمدية منزهة عن الاحاطة
والادراك السادسة المتكبرين الى الله ثلثة مقامات الحكم والحق
والامر ثم كل ما دخل في الوجود ان عرضته على نقاد الحكم كان الكل
حسنا لان الكل بتقدير وحكمته حصل وان عرضته على نقاد الحق
كان الكل قبيحا لان المعارف بالنسبة الى حضرة جلاله جهل والعبادات
بالنسبة الى عتبة عزته تقصير وان عرضته على نقاد الامر كان البعض
حسنا والبعض قبيحا فالحكم فضل محض والحق عدل محض والامر تارة

مع الفضل وتارة مع العدل فان عرضت على الحكم اعمال كل الخلق
لم يكن شئ منها مردودا وان عرضت على الحق اعمال الانبياء والملائكة
لم يصر منها شئ مقبولا واما الامر فعلى ما عرفت بالفارسية
هر بارگه در آينهٔ امر نكوي سودايي در سرت بديد آيد كه من كيمي
ام لكن هم بر عقب آن بايد كه در نكرتا خود را از عدم كه بنياد هر دو
انبيا نبوت و رسالت مي نكرند ملائكه بطاعت وعصمت مي نكرند
موحدان باخلاص وايمان مي نكرند فرداجون سراوقات جلال باز
كشند وسرابردهٔ عزت بزنند واعلام جلال حقيقت ظاهر كنند همه
فرياد عجز فرايش كيرند كي كويد ما عبدناك حق عبادتك ديكري
كويد ما عرفناك حق معرفتك السابعة درراه الوهيت عقل خواست
كه فرايش روز فرو ماند نور عقل خواست كه بر اين جلال او كردد
هباء منثورا كنت سر خواست كه قدر كمال او بداند خبر نشد معرفة
دلايل خواست كه بحضرة قدس او محيط شود عاجز اندا كر هزار
هزار دلايل وحدانيت برخواني وآنج بنقل آمن است نقل كني
ودر بحار معقول ومنقول غوص كني ودر دروغرر وجواهر زواهر
در سلك تحصيل كشي جون نيك نظر كني خود را در بلهٔ زيرين ولا
يحيطون بشئ من علمه بيني ودون الغيب استتار وفي الاستار
اسرار محجوبة عن الاغيار فسبحانه من عزيز ضلت العقول في بحار
عظمته وحارت الالباب دون ادراك عزته وكلت الالسن
عن وصف جلاله ومدح جماله وكل من اغرق في نعمته اصبح منسوبا
الى الغنى ديده عقول در ادراك جلال او خيره احداق عقول

در مقابله نور شروق عزت او تیره افکار ارباب حکمت در تیار
بحار عظمت او غرق شده نتایج و نسایج ارباب فطنت در انوار
اسرار جلال او محترق کشته زبانها اهل فصاحت از شرح مدح
جمال و وصف جلال او کلیل و دهر کوشنه هزار طریح و جریح
و شهید و قتیل المناجات ای که تراجستن محال و از تو عبارت
کردن وبال جون باسنی تراجکونه جویم جون بهیج حبز نمانی از تو
عبارت جون کنم نه بی تو امان ایمان نه با تو امان تو ان لامنك
فرار و لا معك قرار المستغاث منك الیك ای عز تو همه عزها را
نفت دل بر کشید ای جلال تو همه جلالها را داغ اختلال بر نهاد
ای کمال تو همه کمالها را رقم نقصان بر زده ای الهیت تو همه عالم را
طراز عبودیت لازم کردانیده ای ذات تو بی این و ای صفات
تو بی کیف ای بطش تو بی جارحه و ای بصر تو بی حدقه ای صفات
تو عقول را متحیر کرده ای صمدیت تو جانها را سراسیمه کردانیده
ای ارادت و مشیت و احکام الهیت تو از لایش و هم خلق باك
ای غیب غیب و از ال ازل تو از هواجس خواطر و ضمایر آب و کل
منزه ای همه جانها را بر من ترید عشق تو نهاده و جز حسرت سود
نکرده ای همه عشاق قصد روا قی سواقی شوق تو کرده و جز
تو میدی بدست نیاورده ای همه اجابت بادنها کباب قدم
در راه تو نهاده و مال و عیال و جاه و مهتری و سروری بر باد
داده بدستشان نا امید بفضل خی علت تو کدام را از شر نفس خلاص
برحمتك یا ارحم الراحمین تقریر آخر فی انه لا سبیل الی معرفته

لاشك ان کل من کان انقطاع نظره عما سوی الحق اکمل و کان استغراق
قلبه فی معرفة الله اتم کان معرفته اکمل و لاشك ان محمدا علیه السلام
لیلة المعراج بلغ الغایة القصوی فی هذا الباب فکانت معرفته اکمل
المعارف ثم انه مع ذلك اعترف بعدم المعرفة لانه قال لا احصی ثناء
علیك فاذا کان مع کمال القرب لم یعرف فمن کان فی غایة البعد کیف
یمکنه المعرفة النوع الثانی من علوم هذا الکتاب فی تقریر الدلائل
الدالة علی اثبات الصانع سبحانه و هذا النوع مشتمل علی مقدمة
و ابواب اما المقدمة فاعلم انه سبحانه رتب دلایل اثبات الصانع
فی القرآن العظیم علی وجهین الوجه الاول انه تعالی ابتداء من الاعرف
فالاعرف نازلا الی الاخفی فالاخفی فی الدلایل و هذا هو الترتیب
الذی اختاره فی سورة البقرة و ذلك بانه ابتدا باستدلال کل واحد
علی وجود الصانع بنفسه و ذاته فقال اعبدوا ربکم الذی خلقکم
ثم ذکر عقیبه استدلالهم بابایهم و اجدادهم ثم ذکر عقیبه
استدلالهم باحوال الارض فقال الذی جعل لکم الارض فراشا
ثم ذکر عقیبه الاستدلال باحوال السماء ثم قال و السماء بناء
ثم ذکر عقیبه الاستدلال بالاحوال المتولدة فیما بین السماء و الارض
و السبب فی هذا الترتیب ان اظهر الاشیاء لکل احد نفسه ثم آباؤه
و اجداده ثم الارض التی هی مسکنه ثم السماء التی هی فی غایة البعد
عنه ثم الاحوال التی لا یتولد الا بمجموع الارض و السماء و هو
المراد بقوله و انزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات الایة
و الوجه الثانی فی ترتیب الدلایل ما ذکره تعالی فی اول سورة النحل

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

فانه تعالى ابتدأ من الاشرف فالاشرف نازلا الى الادون فالادون
وذلك لانه تعالى ذكر المطلوب اولا فقال تعالى تنزل الملائكة بالروح
من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون
ثم انه تعالى ابتدأ في ذكر دلائل الصانع بالسموات فقال خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم ذكر عقيبه الاستدلال بالانسان
فقال خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين ثم ذكر بعده
احوال الحيوانات فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع
ثم ذكر بعده احوال النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم
منه شراب ومنه شجر ثم ذكر احوال العناصر فذكر الماء فقال وهو
الذي سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا ثم ذكر الارض فقال والقى في
الارض رواسي ان تميد بكم ثم لما تمم ذكر هذه الدلائل اعاد المطلوب
الذي ذكره اولا فقال افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون والمطلوب منه
اثبات التوحيد ونفي الشركاء والانداد ثم قال بعده وان تعدوا
نعمة الله لا تحصوها يعني ان هذه الاشياء التي ذكرناها استدللنا بها
على اثبات الصانع ووحدانيته فهي ايضا نعم جليلة ومنافع عظيمة
في خلقكم والانسان لو استقصى في تعديد نعم الله عليه فانه يعجز
بالاخرة واكثر دلائل القرآن هكذا فانها تكون دلائل من وجه ونعما
من وجه آخر ومثل هذه الدلائل الخفية يكون اجمع في القلب واشد
تاثيرا في الروح لانها من حيث انها دلائل تفيد المعرفة ومنه حيث انها
نعم تفيد الانقياد للمنعم والاشتغال بشكره والخضوع لعز جلاله فاذا
تعاونت هذان الوجهان كمل حصول المقصود من الاعتراف بالخالق

المنعم

المنعم والانقياد لعز وجهه وكمال صمديته واذا عرفت هذين
النوعين من الترتيب في الدلائل فنحن في هذا الكتاب نرتب الدلائل
على الوجه الثاني فنبدأ بشرح دلائل السموات ثم نذكر دلائل الشمس
والقمر ثم نذكر دلائل الانسان ثم نذكر دلائل الحيوانات ثم نذكر
دلائل النبات ثم نذكر دلائل الاثار العلوية من البرق والرعد
والصاعقة والسحاب ثم نذكر دلائل احوال البحار ثم نذكر دلائل
الجبال وذلك هو تمام المقصود من هذا النوع والله الموفق للخيرات

الباب الاول في تقرير كيفية دلائل السموات على اثبات الصانع

سبحانه اعلم انه تعالى ذكر في الكتاب الكريم مبدأ
تكون السموات واحوال وسطها واحوال معادها وفيه فصول

الفصل الاول في شرح مبدأ تكون السموات

اعلم انه تعالى ذكر في هذا المعنى آيتين الاية الاولى قوله في سورة الانبياء اولم ير الذين
كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما وفي الاية
سوالات احدها ان المراد من قوله اولم يروا ما الرؤية واما العلم
ولا يجوز ان يكون المراد هو الرؤية لان القوم ما راوا كيفية تخليق
السموات ولانه تعالى قال ما اشهدتهم خلق السموات والارض
ولا يجوز ان يكون المراد هو العلم لان الرتق والفتق عبارتان عن الاجتماع
والافتراق ولا شك ان الاجسام قابلة لكل واحد منهما بدلا عن
الاخر واذا كان ذلك فلا سبيل الى تقديم الرتق على الفتق الا بقول
الرسول وهذه المناظرة كانت مع الكفار المنكرين للرسالة فكيف
يجوز مثل هذا الاستدلال فهذا احد السوالين في الاية والسوال الثاني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما معنى الرتق والفتق في الآية واعلم انا نخوض في معنى الرتق والفتق
وفي اثناء الكلام يظهر الجواب عن السؤال الاول فنقول لفظ الرتق
والفتق يحتمل وجوها الاول ان الرتق اشارة الى العدم والفتق
اشارة الى الوجود وتقرير بحسب اللفظ ان الاجسام اذا كانت
مرتقة لا يكون لبعضها تميز عن البعض واذا كانت متفتقة كان
بعضها يتميز عن البعض واذا عرفت هذا فنقول ان العدم نفي
محض وليس فيه ذوات متميزة واعيان متباينة فصح تسمية
المعدوم بالرتق من حيث انه ليس فيه امتياز وتباين بوجه فاذا
وجد فقد تميز كل واحد من الجواهر عن غيره وكل واحد من الصفات
عن غيرها فصح تسمية الوجود بالفتق من هذا الوجه وبهذا التاويل
سمى تعالى خلق النور في وسط الظلمة بالفلق قال فالق الاصباح
بل سمى نفس الايجاد والتكوين بالفلق فقال قل اعوذ برب الفلق
فكذا لا يبعد ان يريد بالفتق بعد الرتق الوجود بعد العدم واذا
عرفت هذا فنقول المراد من قوله من هذه الاية هو المراد من قوله الحمد
لله الذي خلق السموات والارض ومن قوله الحمد لله فاطر السموات
والارض ومن قوله في سورة النحل خلق السموات والارض بالحق
وتمام وجه الاستدلال ان كل واحد من السموات والارضين مختص
بحيز معين وبصفة معينة وبخاصية معينة وبمقدار معين
مع انه لا يمتنع في العقل وقوعه على خلاف تلك الخاصية والصفة
والحيز واذا كان كذلك كان اختصاص كل واحد منهما بصفته
وحيزه وشكله لا بد وان يكون لتخصيص مخصص وتدبير مدبر وتقدير مقدر

فدل وجود السموات من هذه الجهة ومن وجودها بعد ان لم تكن
على افتقارها الى القادر المختار واذا حملنا الرتق والفتق على هذا
الوجه كان المراد من قوله اولم ير الذين كفروا اولم يعلم وذلك لان
دلايل الحدوث ذوات في السموات وفي صفاتها جلية قوية ظاهرة
والعلم اذا قوي وبعد عن مواقع الشكوك والشبهات جاز ان
يسمى بالرؤية لقوته وجلائه وكثرة شواهده ودلايله الوجه
الثاني في تفسير الرتق والفتق ان الظلمة سابقة على النور ويدل
عليه النقل والعقل اما النقل فمن وجوه الاول قوله تعالى
وجعل الظلمات والنور فقدم الظلمات في الذكر على النور
الثاني قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا فظاهر اللفظ
يدل على انه جعلها ضياء بعد ان لم يكن كذلك والثالث قوله تعالى
وآية لهم الليل نسلخ منه النهار والرابع قوله الله نور السموات
والارض اي منور السموات والارض وهذا مشعر بان النور متاخر
عن الظلمة فان قيل هذا يشكل بقوله ولا الليل سابق النهار
وهذا يدل على ان السابق هو النهار قلنا لا بد من التلفيق بين هذه
الايات التي قدمناها وكان المعنى ولا الليل المتاخر يسبق النهار
المتقدم واما المعقول فهو ان الليل ظلمة والظلمة عدم والنور
وجود وعدم المحدثات متقدم على وجودها فدل ذلك على ان
ظلمة العدم كانت سابقة على نور وجود هذه المحدثات واذا عرفت
هذه القاعدة فنقول كانت السموات والارضين مظلمة اولا ثم
اظهر الله الانوار فيها فعبر عن الظلمة السابقة بالرتق وعن الانوار

الألوكة
www.alukah.net

اللاحقة بالفتق فلهذا قال سبحانه كانتا رتقا ففتقناهما وتاكد
هذا القول بما روى عنه عليه السلام انه قال حاكيا عن رب العزة
جل جلاله خلق الخلق في ظلمة ثم رش عليهم من نوره وعلى هذا
التفسير تكون الرؤية المذكورة في الاية بمعنى العلم الوجه الثالث
في تفسير الرتق والفتق ان السموات والارض كانتا شيئا واحدا ملتزقا
بعضها بالبعض ثم فصل الله بينهما واقر الارض حيث هي ورفع
السموات الى العلو وهذا القول يدل عليه وجوه الاول قوله الله الذي
رفع السموات بغير عمد ترونها فوصف السموات بانها مرفوعة وذلك
يطابق ما قلنا ان السموات والارضين كانتا ملتصقا بعضها
ببعض ثم انه سبحانه اقر الارض في مكانها واصعد اجزاء السموات
ورفعها الى الجو العالي والثاني قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهي
دخان يروى انه تعالى خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فذابت
الجوهرة ثم سلط عليها الحرارة فارتفع على وجه الماء زبد وعلاه
دخان فخلق الارض من الزبد وخلق السموات من ذلك الدخان وهذا
يدل على ان اجزاء الارض والسموات كان بعضها مختلطا بالبعض
وملتصقا به ثم انه سبحانه ميز البعض عن البعض فصير البعض زبدا
واسكنه حيث هو واصعد الباقي الى الجو العالي وخلق منه السموات
والثالث قوله تعالى في صفة السموات رفع سمكها فسويها وذلك
يدل على انه تعالى اصعد الاجزاء التي منها خلق السموات عن السفل
الى العلو وذلك هو المراد من الرتق والفتق اعلم ان وجه الاستدلال
بالرتق والفتق على وجود الصانع بناء على هذا القول ان نقول لانك

ان كرة الارض محفوفة بالماء والماء بالهواء والهواء بالنار والنار
بالافلاك وكل فلك بفلك اخر الى آخر الافلاك فنقول هذه العناصر
والافلاك متساوية في الجسمية لانه لا معنى للجسم الا الطويل العريض
العميق والكل مشاركة في هذا المعنى ثم ان كل واحد من هذه
الاجسام يخالف في الاخر في الصفات والاعراض وهي كون بعضها
عالية والبعض سافلة والبعض لطيفا والبعض كثيفا والبعض
حارا والبعض باردا فنقول اختصاص كل واحد من هذه الاجرام
الفلكية والعنصرية بصفته المعينة وحيزه المعين اما ان يكون
لذاته واما ان يكون من لوازم ذاته ولا من غير لازم لذاته والاول
والثاني يوجبان استواء الاجسام في كل الصفات وهو محال والثالث
يقتضي ان يكون اتصاف كل واحد من هذه الاجسام بما اتصف به
امرا جايزا واذا كان الامر كذلك استحال اختصاصه بتلك الصفة
الا لمرجح ومخصص ثم ذلك المخصص اما ان يكون جسما واما ان لا
يكون جسما فان كان جسما كان ذلك الجسم متميزا عن سايز الاجسام بتلك
الموثرية فيفتقر ذلك الاختصاص الى مخصص ومرجح فيلزم التسلسل
وهو محال وان لم يكن جسما فاما ان يكون موجبا واما ان يكون
مختارا لا جايز ان يكون موجبا لان نسبته الى الكل على السوية فوجب
ان يكون الموثر قادرا مختارا فثبت افتقار جميع الاجسام من العرش
الى ما تحت الثرى الى موثر فاعل بالاختيار قادر على جميع الممكنات
ليس بجسم ولا جسماني وذلك هو الله سبحانه واذا عرفت هذا فنقول
ان المراد من الرتق كون تلك الذوات متشابهة في الماهية الحقيقة

والمراد من الفتق اختصاص كل واحد منهما بطبع معين وشكل معين
وصفة معينة وحيز معين وعلى هذا التقدير يكون الرؤية بمعنى
العلم الوجه الرابع في تفسير الرتق والفتق ان السموات كلها كانت
سماء واحدة ثم انه سبحانه جعلها سبع سموات والذي يدل عليه
قوله في اول سورة البقرة ثم استوى الى السماء فسويهن سبع سموات
وهذه الاية دالة على ما قلناه من وجهين احدهما انه قال ثم استوى
الى السماء ولفظ السماء دالة على الواحد والثاني انه قال فسويهن
سبع سموات والفاء يدل على التعقيب فهذا يدل على ان السماء كانت
واحدة ثم انه تعالى جعلها واحدة سبعة بعد ان كانت واحدة فان
قيل فعلى هذا القول ما معنى فتق الارضين بعد رتقها قلنا انه تعالى
قال في آخر سورة الطلاق الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن
فلهذا السبب اختلفوا في تفسير الارضين السبعة فقال بعضهم هي طباق
سبعة بعضها اسفل من بعض كالسموات وقال آخرون هذه الارضون
اشارة الى الاقاليم السبعة فانه تعالى جعل لكل واحد من هذه الاقاليم
خاصية ومنفعة القول الخامس في تفسير الرتق والفتق قال الغزالي
رحمه الله عليه في كتابه المسمى بالمضنون به على غير اهله الرتق والفتق كما
عبارة عن انطباق دائرة البروج على دائرة معدل النهار وفي ذلك
الوقت ما كانت الارض معمورة على ما عرف تحقيق ذلك في علم الهيئة
والفتق عبارة عن انفراج احدى هاتين الدائرتين عن الاخرى وحدوث
مثل فلك البروج من معدل النهار ولما حدث هذا الانفراج حدثت
الفصول الاربعة في الارض وحصل من ذلك اختلاف الاهوية والبلدان

والمساكين

والمساكين وهذا هو المراد من حدوث الفتق في الارض فاعلم ان
وجه الاستدلال على اثبات الصانع سبحانه بناء على هذين القولين
ظاهر ايضا وذلك لان على القول الاول انه سبحانه فصل بعض هذه
الافلاك على بعض وخص كل واحد منها بقدر معين وسير معين
وجهة معينة لحكمة ظاهرة في علم الغيب مستورة عن عقول الخلق
فلا بد وان يكون ذلك لقدرة غالبة ومشيئة نافذة على ما حققنا
القول فيه واما على القول الذي ذكره الغزالي فاعلم ان منافع الرتق
والفتق بهذا المعنى كثيرة ونحن نذكر منها شمة فنقول لو لم تكن الكواكب
حركة في هذا الميل لكان التاثير مخصوصا بقعة واحدة فكان سائر
الجوانب يخلوا عن المنافع الحاصلة منه وكان الذي يقرب منه متشابه
الاحوال وكانت القوة هناك كيفية واحدة فان كانت حارة افنت
الرطوبات فاحالتها كلها الى النارية ولم يتكون المتولدات فيكون
الموضع المحاذي لممر الكواكب على كيفية وحظا المحاذية على كيفية
اخرى وحظ المتوسط بينهما على كيفية متوسطة فيكون في موضع
شتاء دايما يكون فيه الزمهرير والفجاءة وفي موضع اخر صيف دايم
يوجب الاحتراق وفي موضع اخر ربيع او خريف لا يتم فيه النضج
ولو لم تكن عودات متوالية متتالية وكانت الكواكب تجري بطيا
لكان الميل دليل المنفعة وكانت التاثير شديدا الافراط وكان بعض
قريبا مما لو لم تكن سيارة ولو كانت الكواكب اسرع حركة من هذه
لما كملت المنافع وما تمت فاما اذا كان هناك ميل لحفظ الحركة
في جهة ثم ينتقل الى جهة اخرى بمقدار الحاجة ويبقى في كل جهة

برهة من الدهر ثم بذلك تاثيره وكثرت منفعته فسبحان الله الخالق
المدبر بالحكمة البالغة والقدرة الغير المتناهية القول السادس
في معنى الرتق والفتق ان السموات والارضين كانتا رتقا بالاستواء
والصلابة ففتق الله السماء للمطر والارض للنبات والشجر ونظيره
قوله والسماء ذات الرجع والارض ذات الصدع واكثر المفسرين
اختاروا هذا القول واحتجوا بترجيحه على سائر الاقوال بقوله تعالى
وجعلنا من الماء كل شئ حي وهذا الكلام لا يليق ذكره بهذا الموضع
والمراد ما ذكرناه فان قيل هذا الوجه ضعيف لوجهين احدهما ان
المطر لا ينزل من السماء بل من السحاب والثاني ان بتقدير ان يكون
المطر نازلا من السماء لكنه ينزل من السماء الدنيا لا من كل السموات
والجواب عن الاول ان السماء مشتق من السمو وكل ما سما فهو سماء
وعن الثاني انما اطلق عليه لفظ الجمع لان كل قطعة منها تسمى سماء
كما يقال ثوب اخلاق وبرمة اعشار واعلم ان على هذا الثاني يجوز
حمل قوله اولم ير الذين كفروا على الابصار فان الناس يشاهدون
انفتاق السحاب بالمطر والارض بالشجر ثم وجه الاستدلال على
وجود الصانع بناء على هذا القول انك ترى الهواء في غاية الصحو
فتراه ينعقد الغيم دفعة وينزل من المطر ما يملى منه الاودية
العظيمة ويقلع الجبال العظيمة من شدة سيلانها ثم ان بزوال
ذلك المطر يصير سببا لخروج الانواع المختلفة من النبات من الارض
وكل ذلك يدل على تقدير الصانع المختار الحكيم جل جلاله فهذه الاقوال
الستة المذكورة وان كنا قد بالغنا في تقرير فهمها وجوه اخرى يمكن

حمل الاية عليها فالاول ان السموات لو كانت رتقا فما كان احد ينزل
من السماء الى الارض ولا احد يصعد من الارض الى السماء ثم انه
تعالى فتقها فصارت الملائكة ينزلون من السماء الى الارض وصار
البشر يصعدون من الارض الى السموات اما نزول الملائكة فقال
تعالى وما نتنزل الا بامر ربك وقال تنزل الملائكة بالروح من امره
وقال نزل الملائكة والروح فيها وقال نزل به الروح الامين على قلبك
واما صعود البشر الى السموات فقوله في ادريس ورفعناه مكانا عليا
وقال في عيسى اني متوفيك ورافعك الي وقال في محمد فكان قاب قوسين
او ادنى الثاني كانتا رتقا ففتقناهما بانزال انوار الكواكب من
السموات العالية الى الارضين المستفلة كما قال والنجم الثاقب قيل
هو انه رحل يثقب بنور سمك سبع سموات وتارة بصعود الدعوات
والتضرعات من الارضين الى على السموات كما قال اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه والثالث ان يحمل هذا الفتق على نزول
القضاء والقدر من معاقدهن على اركان عرشه ومن اركان عرشه
الى عالم السموات ثم الى بقاع الارضين فقال تعرج الملائكة والروح
اليه في يوم كان مقداره خمسين الف سنة وتمام الكلام في تحقيق
نزول القضاء والقدر وعروجه سياتي ان شاء الله تعالى في باب
تحقيق القضاء والقدر الفصل الثاني في تفسير اية اخرى
دالة على مبدا حدوث السموات قال تعالى ثم استوى الى السماء
وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا
طائعين فقضيهن سبع سموات في يومين واوحى في كل سماء امرها وزينا

هذه الاية قوله تعالى في اول سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في
الارض جميعا وفي هذه الايات ابحاث السماء البحث الاول في قوله
ثم استوى الى السماء وهي دخان اعلم ان قوله ثم استوى يدل على
امرين الاول انه يدل على انه حين استوى الحق سبحانه اليها كانت سماء
واحدة ثم قوله ففضيهن سبع سموات يدل على انها صارت سموات
سبعة بعد ذلك لان الفاء للتعقيب فصار قوله ثم استوى الى السماء
وهي دخان نظير قوله في سورة البقرة ثم استوى الى السماء وصار الفاء
في قوله ففضيهن سبع سموات في دلالته على ان هذا العدد انما حصل
بعد ان كان الكل واحدا وهو الرتق والفتق الذي شرحناه في الفصل
الاول والوجه الثاني ان الاية دالة على ان السموات مخلوقة من الدخان
واعلم ان تخليق السماء من الدخان دال على كمال القدرة ونهاية الحكمة
وذلك من وجوه الاول ان الدخان في غاية الكدورة والظلمة
والسموات في غاية الصفاء والشفافية فاظهار اعظم الاشياء صفاء
ولطافة من اشد الاشياء كدورة وظلمة من ادل الدلايل على كمال
القدرة ونهاية الحكمة ثم الذي يزيد هذا الكلام تفسيرا وايضاحا
ما روي في الخبر انه سبحانه خلق جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة فصار
ماء سلط الحرارة على ذلك الماء فارتفع منه زبد وعلاه دخان
فخلق الارض من الزبد والسموات من الدخان ثم ان الزبد يكون في
غاية البياض والصفاء والدخان يكون في غاية الظلمة والكدورة
فخلق الارض الكدرة المظلمة من الزبد الابيض الشفاف وخلق السموات
الشفافة الصافية من الدخان الكدر المظلم ليستدل باخراج الضد

من

من الضد على كمال القدرة ونهاية الحكمة ونظير قوله جعل لكم
من الشجر الاخضر نارا الآية والنظير الثاني لهذا المعنى ان النار نورانية
صافية والتراب ظلماني كدر ثم خلق ابليس من النار واغواه في ظلمات
الكفر والضلال وخلق آدم من التراب ورتبه بانوار الهداية والارشاد
حتى يعرف الانسان ان الكل من الله وبتقدير الله الوجه الثاني
ان الدخان مما يعمي العين ويبطل البصر ثم انه تعالى زين السماء
الدنيا بزينة الكواكب وجعلها بحيث ان النظر الى السماء والى
الكواكب يزيد البصر قوة وكمالا وجعل لون السماء لون رزقه
انفع الالوان للعين لعلم الانسان انه هو الذي يقلب الشيء من
صفة الى ضدها فيعرف به كمال قدرته وحكمته الوجه الثالث
الدخان يكون سريع التفرق والتلاشي ثم انه تعالى وصف السموات
باضداد هذه الصفات فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا
وقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا وقال ولم يروا الى السماء
فوقهم كيف بنيناها الوجه الرابع ان الدخان اذا توسط
بين الناظر والمنظور اليه صار حجابا ثم انه تعالى خلق الكواكب
النيرة في اجرام الافلاك وعمق تحتها مع انه لا يبصر شيئا من اجرام
الافلاك حاجبا بين تلك الانوار وبيننا وكل هذه الاحوال
تدل على انه سبحانه هو القادر الذي يقلب الشيء من الضد الى الضد
فلما قدر ان يخلق من الدخان الكثيف هذه الاجسام النورانية
الربانية الباقية المحفوظة فاي عجب لو اعاد الحيوة الى اجزاء
البدن بعد صيرورتها ترابا رميما واليه الاشارة بقوله سبحانه

شبكة الألوكة www.alukah.net

او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم بلى وهو
الخلاق العليم فالخلاق اشارة الى كمال القدرة وهي القدرة النافذة
في جميع اجزاء الممكنات والمبدعات المستولية على كل احوال المحدثات
والكاينات وقوله اشارة الى كمال علمه المتعلق بجميع الجزويات والكليات
والحاضرات والغايبات والذوات والصفات والموجودات
والمعدومات ولا شك ان مدبر العالم متى كان موصوفا بهاتين
الصفتين كان كل عسير بالنسبة الى كمال قدرته يسيرا وكل صعب بالنسبة
الى عظمة قهاريته وجلالته هينا فتبارك الله رب العالمين
وخالق الخلايق اجمعين والموضع الثاني من المواضع التي اشتملت
هذه الآية عليها في ابتداء تخليق العالم قوله تعالى وللارض ائتيا
طوعا او كرها قالتا اتينا طايعين وللناس في هذه الآية قولان
واعلم ان هذا الامر والاجابة محمولان على لسان الحال لا على ظاهر
المقال ويدل عليه وجوه الاول ان السموات والارض جمادات وامر
الجماد لا يليق بالحكمة والثاني ان بتقدير ان تكون حيا عاقلة فاهمة
لكنها لا يقدر على التصرف في نفسها وذواتها لان المتصرف في الشيء
متقدم بذاته وصفاته على ذلك التصرف وتقدم الشيء على نفسه
محال فثبت انه يمتنع كونها قادرة على التصرف في نفسها الثالث انه
سبحانه نص في محكم كتابه على انه سبحانه هو الخالق لذوات السموات فقال
الحمد لله الذي خلق السموات والارض ثم بين في آية اخرى انه سبحانه
خلقها من العدم المحض والنفي الصرف فقال الحمد لله فاطر السموات والارض
ثم بين انه سبحانه خلقها سبعا شدادا فقال وبنينا فوقكم سبعا شدادا

وبين انه خلقها سقفا محفوظا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا
ثم بين انه سبحانه هو الذي رفعها بغير علاقة ولا دعامة فقال
الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم وصف جميع اجرام السموات
بجميع صفاتها واحوالها فقال رفع سمكها فسواها واغطش ليلها
واخرج ضحيها واذا ثبت بهذه الايات المتاكدة والبراهين القاطعة
ان المدبر والمقدر والمتصرف والخالق والموجد لذوات هذه السموات
ولصفاتها هو الله سبحانه لم يكن في امرها فايدة ثم قالوا الامر
والاجابة ههنا عبارتان عن سرعة نفوذ قدرته ومشيته بلا مانع
ولا معارض ولا منازع ونظيره قول العرب قال الجدار للوتد
لم تشقني فقال سل من يدقني فان الذي ورايي ما خلاني وقال بتحا
انما امرنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون فالمراد من هذا الامر
هو سرعة التكوين وذلك لانه ان امر وهو معدوم فذلك محال وان
امر بعد الوجود فلا يمكن ان يقال للموجود كن موجودا وايضا
قال سبحانه وان من شيء الا يسبح بحمده والمراد منه التسبيح بلسان
الحال لا التسبيح بلسان المقال فان الجمادات لا قدرة لها على النطق
وايضا قال سبحانه ولله يسجد من في السموات والشمس والقمر
والنجوم والجبال والشجر والدواب وقال والنجم والشجر يسجدان
ومعلوم ان سجود الدواب والشجر لا يكون الا بلسان الحال فكذا
ههنا فهذا تمام الكلام في تقرير هذا القول الوجه الثاني انا لا نبعد
في قدرة الله ان يخلق فيها الفهم والعقل ثم يامرها وياطبها
فقال للسموات والارض ايتيا طوعا او كرها والذي يدل عليه وجوه

الاول الدلايل التي نذكرها من القران والمعقول على الحيوانات
عارفة بربها واذا لم يبعد خلق العقل ومعرفة الله في الحيوانات
فاي بعد في خلق الحيوة والفهم في اجرام الفلك الثاني قوله تعالى
فلما تجلى ربه للجبل والتجلي لا يمكن الا بعد خلق الفهم والادراك الثالث
قوله تعالى يا جبال اوبي معه والطير والرابع قوله اليوم نختم
على افواههم وتكلمنا ايديهم والخامس قوله تعالى انا عرضنا
الامانة على السموات والارض والجبال وبالجملة فهذا الاستبعاد
زايل عند الاعتراف بكونه سبحانه قادرا على كل الممكنات عالما بكل
المعلومات ومما يدل على صحة هذا الوجه قوله تعالى قالتا آتينا
طايعين ولو كانت السموات جمادات لكان حق اللغة ان يقال طايعات
فذلك قوله تعالى آتينا طايعين على انه خلق فيها الفهم والعقل
في ذلك الوقت واعلم انا سواء حملنا هذا الامر والاجابة على لسان
الحال وعلى لسان المقال فذلك يدل على كمال عظمة الله ونهاية كبريايه
وقدسه وعزه وعظمته وذلك لان كل ما كان غايبا عن الحس
والخيال والعقل فانه لا سبيل الى معرفة جلالته وعظمته الا بمعرفة
آثاره ومخلوقاته ولا شك ان السموات والارضين اجسام في غاية
العظم والشدة والاتساع ثم انها مع ذلك منقادة لامر الله سبحانه
وتسخيره وقهره وقدرته وتكوينه وتخليقه وذلك يدل على قدرة
لا نهاية لكمالها وحكمة لا غاية لجلالها ودليل اجابة السموات
والارضين على كمال عظمة الله قوله في قصة نوح قيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سماء اقلعي فان هذه الندا يدل على كون السموات والارضين

مسخرة في قبضة قدرته وتصريف حكمته الاله الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين الموضع الثالث في هذه الاية قوله فقضيهن سبع سموات
وفيه سوالات السوال الاول القضاء هو الالزام وذلك مشعر
بسبق منازعة وقد دلت الاية على انه ما كان فيها منازعة ومدافعة
حيث قال تعالى مخبرا عنهما قالتا آتينا طايعين الجواب لا نزاع ان
القضاء عبارة عن الالزام لكن يجب ان نعلم ما سوى الله ممكن الوجود
لذاته والممكن لذاته هو الذي نسبة وجوده وعدمه اليه على
السوية واذا استوى الطرفان لم يكن في ذاته اقتضاء ولا استلزام
لا للوجود ولا للعدم ثم ان الممكن لذاته ما لم يجب وجوده لاجل
ترجيح موثر لم يوجد فقوله سبحانه فقضيهن اشارة الى ذلك
الترجيح والتاثير الحاصل لسبب تخليقه وتكوينه وذلك الترجيح
هو الالزام لاحد الطرفين لا محالة وعند هذه الدقيقة يظهر ان
كل ما سوى الله فهو من حيث هو هو غير موجود بل وجوده من ايجاد
الحق وبقاوه من بقاء الحق وعدمه من اعدام الحق فاذا تاملت انه
علمت انه لا موجود بالحق الا الحق كما قال ولا تدع مع الله الها اخر
لا اله الا هو كل شيء هالك الا وجهه السوال الثاني قال تعالى فقضيهن
سبع سموات في يومين واليوم عبارة عن مدة حركة الشمس بحسب الطلوع
والغروب وقبل خلق الفلك يمتنع حصول اليوم الجواب المدة امر وراء
ادوار الفلك وذلك لان الحق سبحانه قديم والعالم حادث فتقدم
الباري على العالم ليس بسبب دوران الفلك وحركة الشمس والقمر وايضا
فالزمان اما ان يكون قديما او حادثا فان كان قديما كان مستمرا

الألوكة
www.alukah.net

من الازل الى الابد فذلك الاستمرار لا يكون لاجل الزمان والا لزم
افتقار كل زمان الى زمان آخر الا الى نهاية وذلك محال فثبت ان قولنا
الاستمرار والدوام لا يتوقف على وجود الزمان فان كان الزمان
محدثا كان عدمه مستمرا من الازل الى الابد فلا يكون ذلك الاستمرار
موقوفا على وجود الفلك وحركة الشمس والقمر واذا ثبت هذا فقول
هذا الاستمرار هو الذي تسميه المتكلمون بالزمان المقدر والمدة
المفروضة فتلك المدة المفروضة المقدرة هي المشار اليه بقوله
سبحانه فقضيهن سبع سموات في يومين وهذا كلام دقيق لا يتم
المقصود الا بالكشف عن حقيقة الدهر والزمان وذلك من مجازات
العقول السؤال الثالث قال تعالى انما اردنا لشيء اذا اردناه ان
يقول له كن فيكون فبين ان تخليقه وتكوينه لا يحصل الا على هذا
الوجه وهذا ينا قض قوله فقضيهن سبع سموات في يومين الجواب
انه سبحانه قادر على الايجاد دفعة واحدة وهو المراد بقوله كن فيكون
وقادر ايضا على الايجاد حينا فحينا على سبيل التدريج وانه سبحانه
فاعل مختار وفي كل واحد من الوجهين حكمة واسرار اما الحكمة
في الايجاد على سبيل التدريج هو انه لو حصلت مخلوقاته كلها دفعة
واحدة بحيث لا يخلق شيئا اصلا اشبه ذلك تاثير ما يكون بالطبع
وبالعلية لا بالقدرة والاختيار فان الشمس اذا طلعت حصلت
الاضاءة دفعة والنار اذا حضرت حصلت التسخين والاحراق
دفعة فلو حصلت افعاله سبحانه دفعة واحدة لما تميز فاعليته
في عقولنا وافكارنا عن تاثيرات العلل والموجدات بالطبايع

اما الحكمة

اما الحكمة في الايجاد دفعة واحدة هي انه تعالى لو حصلت
ابدا على سبيل التدريج ولم يحصل منها شيء دفعة واحدة لكان
ذلك يوهم العجز والاحتياج في الخالقية الى مدة واله والماكات
الامر كذلك فلاجرم تارة يفعل ويخلق دفعة ليلا يبقى شبهة العجز
والاحتياج وتارة على سبيل التدريج ليلا يبقى شبهة انه موجب
بالذات وموثر بالطبع فهذا ما وصل اليه العقل المختصر وله سبحانه
تحت كل فعل حكم واسرار لا يعلمها الا هو السؤال الرابع لا شك ان
العالم الاكبر هو هذا العالم بما فيه من السموات والارضين والعالم
الاصغر هو الانسان ولا شك ان العالم الاكبر اعلى واعظم من العالم
الاصغر فان العقل يدل عليه وكذا القران قال تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس ثم انه تعالى خلق العالم الاكبر في ستة
ايام وخلق العالم الاصغر في ستة اشهر فان اقل مدة الحمل ستة اشهر
بدليل انه تعالى قال وحمله وفصاله ثلثون شهرا ثم قال والوالدات
يرضعن اولادهن حولين كاملين فاذا اسقطنا مدة الرضاع وهي
اربعة وعشرون شهرا عن ثلثين شهرا بقي الباقي لمدة الحمل ستة اشهر
فما الحكمة في ان مدة تخليق العالم الاكبر ستة ايام ومدة تخليق عالم
الاصغر ستة اشهر الجواب من وجوه الاول انا بينا ان الحكمة تقتضي
تخليق بعض الاشياء على سبيل التدريج يوهم العجز والاحتياج الى
المادة والمدة والحق سبحانه ازال هذا الاشكال بان خلق العالم الاكبر
في ستة ايام وخلق العالم الاصغر في ستة اشهر ليعلم الخلق ان التخليق
على سبيل التدريج ليس لاجل الحاجة والعجز اذ لو كان الامر كذلك كان

تخليق العالم الاكبر في مدة اطول اولى فسبحان من له تحت كل شئ حكمة
قدسية الهية الثاني قال بعضهم انه تعالى لما اراد تخليق السماء
والارض كان جبرئيل وميكائيل وسايراكابر الملائكة عقلاء مكلفين
فخلق الله العالم على مهل حتى يمكنهم الوقوف على دقايق الحكمة في ذلك التخليق
الثالث لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق العالم على التدريج واخبر عن ذلك
حتى لا يصير ذلك شبهة في تخيل العجز والحاجة في قدرة الله تعالى وهو
نوع ابتلاء وامتحان كما قال ليبلوكم ايكم احسن عملا حتى ان الموقن
يعلم ان ذلك التدريج ليس للعجز والحاجة بل للعبرة والحكمة فكان هذا
الابتلاء سببا لمزيد الثواب في حق الموقنين ويظهر بسبب هذا المعنى
ان هذه الدار دار الابتلاء والامتحان والرابع انه سبحانه بين في
هذه الاية انه خلق الارض في يومين وكل ما في الارض من الجبال
والبحار والمعادن والنبات والحيوانات في يومين اخرين وثم خلق
السموات السبع بما فيه من الشمس والقمر والنجوم والعجايب والآيات
في يومين آخرين والحكمة فيه انه لا نسبة للارض وما فيها الى السموات
وما فيها فان الارضين في جنب السموات كالقطرة في جنب البحر فلما
خلق الارض على صغرها في يومين وخلق السموات على كبرها ونهاية
عظمها في يوم عرفان ذلك التدريج ما كان لاجل العجز والحاجة
بل لحكمة بالغة واسرار خفية يعجز عقول الخلق على الوقوف عليها
السؤال الخامس ان قوله تعالى ثم استوى الى السماء يدل على ان تخليق
السموات متاخر وقوله في سورة النازعات والارض بعد ذلك
دحاها يقتضي ان تخليق الارض وقع بعد تخليق السماء وحينئذ

يحصل

يحصل التناقض بين الايتين الجواب فيه قولان احدهما ان الله تعالى
خلق الارض اولا ثم خلق السماء ثانيا ثم دحى الارض بعد تخليق السما
لان التدحية عبارة عن البسط وحينئذ يزول التناقض واعلم
ان على هذا القول اشكالين الاول ان الارض جسم عظيم فيمتنع انفكاك
تخليقها عن التدحية فاذا كانت التدحية من لوازم تخليق ذات الارض
ثم ثبت بالنص ان التدحية متاخرة عن تخليق السماء لزم ان يكون تخليق
الارض متاخرا عن تخليق السماء وحينئذ يعود الاشكال الثاني
الدلايل الاعتبارية دلت على ان الارض متاخرة لانها كرة وايضا
انه تعالى قال في سورة البقرة هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا
ثم استوى الى السماء وهذا يدل على ان خلق الارض وخلق كل ما فيها
متقدم على خلق السماء لكن من المعلوم ان خلق الاشياء في الارض لا يمكن
الا اذا كانت مدحوة فهذه الاية يقتضي تقديم كون الارض مدحوة
على خلق السماء وحينئذ يعود السؤال ومما يؤكد هذا قوله تعالى
قل اينكم لتكفرون بالذي خلق الارض في يومين وتجعلون له اندادا
ذلك رب العالمين وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر
فيها اقواتها الاية فهذه الاية تقتضي انه جعل في الارض رواسي من فوقها
وبارك فيها بخلق البحار والاشجار والثمار وقدر فيها اقواتها بخلق
الزرع فيها وكل ذلك حصل قبل خلق السموات ومعلوم ان تخليق الرواسي
والاشجار والزروع لا يمكن الا بعد تدحية الارض فصار مجموع هذه
الآية مع الآية المذكورة في سورة البقرة تدل على ان تدحية
الارض حصلت قبل تخليق السماء وحينئذ يعود الاشكال وايضا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فان قوله تعالى والارض بعد ذلك دحيها اخرج منها ماءها
ومرعاها والجبال ارساها يدل على ان اخراج الماء وارساء الجبال
وتخليق المرعى كل ذلك وقع متاخرا عن تخليق السماء والاية الواردة
في النجم صريحة في ان كل ذلك قبل تخليق السماء وحينئذ يعود الاشكال
القول الثاني في هذه المسئلة قول من قال السماء مخلوقة قبل الارض
واحتجوا عليه بالنقل والعقل اما النقل فالحجة الاولى قوله
والارض بعد ذلك دحيها وقد بينا فيما تقدم ان كون الارض
مدحوة من لوازم وجود الارض لانها جسم عظيم والجسم العظيم
وان كان كره الا ان كان قوس منها يكون في المنظر على شكل المستقيم
فيكون مدحوة لا محالة الحجة الثانية قوله تعالى ثم استوى الى
السماء وهي دخان سماها سماء عند الاستواء اليها ثم انه تعالى جعلها
بعد ذلك سبعة وهي المراد من قوله فقضيهن سبع سموات وهذا صريح
في انها كانت سماء واحدة قبل ذلك ثم صيرها الله تعالى سبعة بعد
ذلك الحجة الثالثة في قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض
قدم السماء في الذكر على الارض واما المعقول فمن وجوه الحجة الاولى
ان السماء والارض كالزوج والزوجة والسماء كالغني والارض كالفقير
فكان تخليق السماء قبل تخليق الارض ليق الحجة الثانية ان السماء مسكن
الملائكة والارض مسكن البشر وخلق الملائكة قبل خلق البشر فكان
تخليق مسكنهم قبل تخليق مسكن البشر اولى فان يقال فما معنى قوله
ثم استوى الى السماء في سورة البقرة وفي سورة النجم فنقول فيه
وجهان الاول ان لا يكون المراد من كلمة ثم الترتيب في الوجود بل المراد

الترتيب

الترتيب في الذكر كقولك للرجل انت كذا وكذا ثم انت تعود ها
ويكون المراد الترتيب في الذكر قال تعالى فك رقبة او اطعام في
يوم ذي مسغبة الى قوله ثم كان من الذين امنوا والمراد منه الترتيب
في الذكر والثاني لعل السبب في تقديم ذكر الارض على السماء هو ان
الارض اقرب الينا من السماء اولاجل ان السماء اعظم من الارض
وآياتها اعظم من آيات الارض والانتقال من الحجة الى الحجة
انما يحسن من الادنى الى الاعلى كما انتقل ابرهيم عليه السلام من
قوله يحيي ويميت الى قوله فان الله يأتي بالشمس من المشرق فات بها
من المغرب السؤال السادس انه تعالى قال قل ائنكم لتكفرون
بالذي خلق الارض في يومين ثم قال وبارك فيها وقدر فيها اقواتها
في اربعة ايام فيكون المجموع ستة ثم قال فقضيهن سبع سموات
في يومين فيكون المجموع ثمانية فظاهر هذه الاية تقتضي انه تعالى
خلق السموات والارض في ثمانية ايام فيكون منافضا لقوله خلق
السموات والارض في ستة ايام الجواب ان تخليق الارض حصل في
يومين وتخليق الجبال وغيرها حصل في يومين اخرين فكان المجموع اربعة
وهو المراد بقوله في اربعة ايام سواء للسائلين ثم حصل تخليق
السموات في يومين آخرين فقد كان مجموع الايام ستة فقد زال
الاشكال في هذه الاية قوله سبحانه واوحى في كل سماء امرها و
سنذكره ان شاء الله تعالى في باب الملائكة الفصل الثالث في الاستدلال
بصفات السموات واحوالها الموجودة في هذه الوقت على انها
صانعا ومدبرا قال سبحانه ان في خلق السموات والارض واختلاف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الليل والنهار الى قوله الآيات لقوم يعقلون وقال في آل عمران
ان في خلق السموات والارض الى اخرها وقال في اول الانعام
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وقال في هذه السورة حكاية
عن الخليل عليه السلام وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
وقال في الاعراف ان ربكم الذي خلق السموات والارض وقال في
اول النحل خلق السموات والارض بالحق وقال في اول السبأ
الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الارض وقال في سورة الملائكة
الحمد لله فاطر السموات وفي القرآن من هذا الجنس آيات كثيرة فاقول
هذا البحث لا يتخلص الا بذكر مسائل المسئلة الاولى في تفسير لفظ الخلق
بحسب اللغة فقول المشهور في اللغة ان الخلق عبارة عن التقدير واحتجوا
عليه بالقرآن والشعر والاستعمال اما القرآن فآيات احديها قوله
احسن الخالقين اي المقدرين الثانية قوله لعيسى واذ تخلق من الطين
كهيئة الطير اي تقدر الثالثة ان يسمى الكذب خلقا واختلاقا
يقال هذا حديث مخلوق ومختلق اي كذب لا اصل له قال تعالى
وتخلقون افكا اي تقدرون كذبا وقال حكاية عن الكفار ان هذا
الا خلق الاولين وان هذا الا اختلاق اي كذب والسبب في تسمية الكذب
بالخلق لان الكاذب يضمر ذلك الكذب في ذهنه ويقدره في خاطره
الرابعة قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
ثم قال له كن فيكون فقد التخليق على التكوين فدل على ان التخليق ليس
عبارة عن التكوين لان الشيء لا يتقدم على نفسه بل التخليق عبارة
عن التقدير وهو متقدم على التكوين واما الشعر فقول زهير

ولانت تفري ما خلقت وبعض القوم يخلق ثم لا يفري وقال اخر
ولا يقط بابدي الخالقين ولا ابدي الخوالق الا جد الادم واما
الاستعمال فيقال خلق الفعل اذا قدره وسواه بالقياس ومنه
قول العرب للمقدار المعين من الخلق الخلايق ويقولون هو خليق
بكذا اي جدير به اي هذا الشيء على قدر استحقاقه والصخرة الحلقاء
الملساء لان الملاسة عبارة عن صيرورة جميع اجزاء الشيء بقدر
واحد ومنه اخلق الثوب اذا بلي وصار املس واستوى جميع اجزائه
فثبت بهذه الوجوه ان الخلق عبارة عن التقدير وهذا الذي قلنا
هو قول جمهور المعتزلة ثم القايلون بهذا القول اختلفوا فقال
ابو عبد الله البصري منهم اطلاق اسم الخالق على الله تعالى محال في
الحقيقة لان التقدير عبارة عن الفكر والظن والحسبان وذلك
في حق الله محال قال تلميذ القاضي عبد الجبار بن احمد التقدير
عبارة عن العلم بعواقب الشيء وهذا المعنى حاصل في حق العبد
وفي حق الله اما في حق العبد فانه قد يحصل له هذا العلم بناء على
الامارات اللايحة الواضحة وبسبب الفكر والروية اما في حق الله
فلا شك في حصوله واذا كان الامر كذلك كان اطلاق لفظ الخالق
على الله وعلى العباد على سبيل الحقيقة واما اصحابنا من اهل
السنة والجماعة فقد قالوا الخلق حقيقة في الايجاد والابداع
والاختراع والذي يدل على ذلك وجوه الاولى قوله تعالى في اول
سورة الفرقان وخلق كل شيء فقدره تقديرا ولو كان الخلق
عبارة عن التقدير لصار تقديرا الاية وقد ترى كل شيء فقدره تقديرا

ومعلوم انه تكرير من غير فايدة اما اذا حملنا الخلق على الايجاد
لم يحصل التكرير وانتظم الكلام الحجة الثانية قوله انا كل شيء
خلقناه بقدر فلو كان الخلق هو التقدير لكان قوله خلقناه بقدر
تكريرا بغير فايدة الحجة الثالثة اجماع السلف من الامة على انه
لا خالق الا الله وايضا قوله هو الله الخالق البارئ المصور تقتضي
ان لا تحصل هذه الصفات الا له سبحانه كما اذا قلت زيد هو العالم
فانه يقتضي حصر هذا الوصف فاذا ثبت انه لا خالق الا الله وثبت
ان غير الله مصورة ومقدرة علمنا ان اصل الخلق ليس عبارة عن
التقدير فاما الجواب عن الوجوه التي تمسكوا بها فنقول الوجوه
التي ذكرتم تدل على استعمال لفظ الخلق في معنى التقدير وما ذكرنا
يدل في غير معنى التقدير بل في معنى الايجاد والابداع فنقول
لا بد من جعله حقيقة في احدهما مجازا في الاخر فنقول من فرض
شيئا وقدره مع ان ذلك الشيء معدوم فكانه يريد ان يجريه مجرى
الموجود فكان هذا شبيها بالايجاد والابداع ولاجل المشابهة
اطلق لفظ الخلق على التقدير المسئلة الثانية اختلفوا في ان
الخلق نفس المخلوق او غيره قال جمع من المتكلمين الخلق غير المخلوق
ويدل عليه وجوه الحجة الاولى اجمعت الامة على انه سبحانه خالق
والخالق من كان موصوفا بالخلق فالله سبحانه موصوف بالخلق
وغير موصوف بالمخلوق باتفاق العقلاء فعلمنا ان الخلق غير المخلوق
الحجة الثانية اذا خطر ببال احد ان هذا الشيء يمكن ان يوجد ويمكن
ان يبقى على العدم قضى العقل بانه لا يمكن دخوله في الوجود الا بايجاد موجد

وتخليق

وتخليق خالق مختار قد علمنا وجود المخلوق بالتخليق وحصول
المكون بالتكوين والايجاد فلو كان الخلق والايجاد والتكوين
عبارات عن وجود المخلوق لكان قولنا المخلوق انما وجد لان
الخالق خلقه عايدا الى ان الموجود انما وجد وحدث لذاته ولانه
مخلوق وذلك يوجب استغناءه عن الخالق وقوعه بذاته وكل ذلك
محال الحجة الثالثة انا قد نعقل وجود هذا المخلوق وذاته
ونعقل وجود ذلك الخالق وذاته مع الشك في كون الشيء
خالقا لهذا الشيء وكون هذا الشيء مخلوقا لذلك الشيء والشكوك
فيه مغايرة للمعلوم وكون هذا الشيء خالقا لذلك الشيء لا بد
وان يكون امرا زايدا على ذات الخالق وذات المخلوق وهذا يفيد
القطع بان الخلق غير المخلوق وقال جمهور المتكلمين الخلق يمتنع
ان يكون مغايرا للمخلوق ويدل عليه وجوه الحجة الاولى ان الخلق
ان كان قديما لزم من قدمه قدم المخلوق وان كان حادثا افتقر
الى خلق آخر ولزم التسلسل الحجة الثانية ان الخلق ان كان محدثا
افتقر الى خلق آخر وان كان قديما كان من لوازم ذات البارئ سبحانه
فلا يكون ثبوته واقعا بقدرة البارئ واختياره ثم ان
الخلق مستلزم لوجود المخلوق لانه لا يتصور في العقل حصول
الخلق مع انه لا يترتب عليه وجود المخلوق اصلا واذا ثبت هذا
فنقول ذاته تعالى مستلزمة للخالق والخلق مستلزم للمخلوق
ومستلزم المستلزم مستلزم فذات الله تعالى مستلزمة لوجود
المخلوق فلا يكون وقوع المخلوق باختيار الله ومشيته بل يكون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ذاته تعالى موجبة لوقوع المخلوقات وحينئذ تكون ذاته موجبة
بالذات لا فاعلة بالاختيار وهو باطل والحجة الثالثة ان المراد
من القدرة الصفة المؤثرة والمراد من الارادة الصفة المرجحة
فاذا حصل مجموع الارادة والقدرة فقد حصل تمام المؤثر واما
وقوع المخلوق وهو الاثر فيمتنع ان يحصل بين مؤثر المستقل التام
وبين الاثر واسطة فهاهنا مجموع الارادة والقدرة وههنا
الاثر الحاصل بينهما واذا كان الامر كذلك بطل القول بان الخلق
صفة زايدة على القدرة والارادة وهو المطلوب الحجة الرابعة
قوله تعالى ان في خلق السموات والارض الى قوله لايات لاولى
الالباب والذي يمكن جعله ايات ودلايل على الله سبحانه هو هذه
المخلوقات لا الصفة القايمة بذات الله تعالى فعلمنا ان المراد
من قوله ان في خلق السموات والارض هو هذه المخلوقات وكيفية
تقدرها بالصفة المخصوصة والافعال المخصوصة المسئلة
الثالثة اعلم ان الاستدلال بالسموات على وجود الصانع يقع على
وجوه الاول الاستدلال بمقادير هذه الافلاك فانها مع اشتراكها
في الطبيعة الفلكية اختص كل واحد منها بحجم معين وضخامة
معينة مع انه لا يمتنع في العقل وقوع على ازيد من ذلك المقدار
او انقص منه بذرة فلما اختص كل واحد منها بمقداره الخاص
مع ان المقادير باسرها على السوية قضى العقل بافتقار هذا
المقدار المعين الى مخصص ومرجح وذلك هو الله سبحانه واعلم
ان ايق الوجوه بقوله تعالى ان في خلق السموات والارض هذا الوجه

لانا ذكرنا ان اطلاق لفظ الخلق على المقدار اطلاق مشهور
متعارف واعلم انا لو ساعدنا على ان لفظ الخلق في اللغة عبارة
عن التقدير لكنا نقول انما صار لفظ الخلق مخصوصا بفعل الله
لان افعاله تعالى واقعة على وفق علمه ومشيته من غير زيادة ولا
نقصان فلما كان هذا المعنى لا يحصل في غير فعل الله لاجرم لا يصح
استعمال لفظ الخلق الا في فعل الله تعالى النوع الثاني من الاستدلال
كون بعض الافلاك اعلى وبعضها اسفل وهذا في الجملة معلوم
الا ان اهل الهيئة قالوا اقرب الكواكب الينا القمر ثم عطارد ثم الزهرة
ثم الشمس ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل ثم الكواكب الثابتة وذكروا
في معرفة هذا الترتيب ثلثة اوجه الاول السير وذلك لان الكواكب
الاسفل اذا مرت بين ابصارنا وبين الكوكب الاعلى فانها يصيران
مثل كوكب واحد في الرؤية ويتميز الساتر عن المستور بلونه الغالب
عليه كصفرة عطارد وبياض الزهرة وحمرة المريخ ودرية المشتري
وكمودة زحل ثم ان القدما، وجدوا القمر يكسف الكواكب الثابتة
وكثيرا من الثوابت التي في طرفيه في ممر البروج وكوكب عطارد يكسف
الزهرة والزهرة يكسف المريخ والمريخ يكسف المشتري والمشتري
يكسف زحل وزحل يكسف الكواكب الثابتة التي تكون في ممره
فعرفوا هذا الترتيب بهذا الطريق الا انه بقي الاشكال من وجوه
الاول ان الشمس محتجبة في نورها ما هو اعلى منها وما هو اسفل منها
وحينئذ لا يمكن ان يعلم بهذا الطريق موضع الشمس والثاني هب
ان هذه السيارات يكسف الثوابت التي في ممرها لكنها لا يكسف

الثوابت التي لا تكون في جانبي القطبين فلم لا يجوز وجود كرة اخرى
تحت كرة القمر تكون هذه الثوابت مركوزة فيها وتكون حركة هذه الكرة
مشابهة لحركة كرة الثوابت وعلى هذا الطريق لا يختلف اوضاع
الثوابت البتة فبهذه الاعتراضات ظهر ضعف عقولهم في معرفة
هذا الترتيب الا ان وجه الاستدلال بها على الصانع المختار
لا يختلف على جميع الاحتمالات وذلك لان كل فلك فانه يماس بحدبه
فلكا اخر فوقه وبمقعره فلكا اخر تحته وذلك الفلك متشابه الاجزاء
متشابه الجوانب فكل ما يصح على احد جانبيه وجب ان يصح على الجانب
الاخر منه فالفلك الفوقاني الذي لقبه بحدبه يصح ان يلاقيه
بمقعر والفلك التحتاني الذي لقبه بمقعره صح بلاقيه بحدبه ومتى
كان الامر كذلك ثبت انه يصح ان يحصل الفلك الاعلى في الاسفل والفلك
الاسفل في الاعلى ومتى كان كل هذه الاحتمالات جايزة امتنع اختصاص
كل واحد من الافلاك بحيزه الذي هو فيه وبموضعه الذي هو فيه
الا بتخصيص مخصص وتقدير مقدر وتكوين قادر عليم حكيم وهو الله
سبحانه النوع الثالث من الاستدلال باحوال الافلاك ان كل كوكب
حصل في فلك فانه حصل في نقرة معينة وحصلت في جانب معين من ذلك
الفلك ثم ان القوم اتفقوا على ان الفلك بسيط غير مركب والجسم البسيط
هو الذي يكون له طبيعة واحدة متشابهة فكما امكن حصول تلك النقرة
في ذلك الجانب من الفلك امكن حصولها في سايرجوانب ذلك الفلك
وكما امكن حصول الاتصال في سايرجوانب الفلك امكن حصوله
في ذلك الموضع الذي حصلت النقرة فيه واذا ثبت هذا ظهر ان الاجرام

والافتراق والاتصال والانفصال جايز على جميع اجزاء الفلك
كل واحد منهما بدلا عن الآخر واذا كان الامر كذلك كان حصول النقرة
في احد جوانب الفلك وحصول الاتصال في سايرجوانب ذلك الفلك
امرا جايزا ولا يمكن حصوله الا بمرجح ومخصص ومدبر قادر مختار
وذلك هو المطلوب النوع الرابع من الاستدلال باحوال الافلاك
هو ان كل كرة من كرات الافلاك فانها تدور على قطبين معينين واذا
كان الفلك متشابه الاجزاء كان جميع نقطة المفروضة عليها
متساوية وجميع الدوايرالمفترضة عليها ايضا متساوية فاختصاص
بقطبين معينين بالقطب دون سايرالنقط مع استوايها في جميع
الماهية والحقيقة يكون امرا جايزا فيفتقر العقل الى افتقاره الى
المرجح المريد القادر المختار النوع الخامس من الاستدلالات
الاجرام الفلكية مع تشابهها في الجسمية وقبول الاعراض اختص
كل واحد منها بنوع معين من الحركة من البطؤ والسرعة فانظر الى الفلك
الاعظم مع نهاية اتساعه وعظمته يدور في كل يوم وليلة
دورة تامة والفلك الثامن الذي هو اصغر منه لا يدور دورة
تامة الا في ستة وثلثين الف سنة على قول القدماء وفي اربعة
وفي اربعة وعشرين الف سنة على قول المتاخرين ثم الفلك السابع
الذي تحته يدور في ثلثين سنة دورة تامة فاختصاص الفلك
الاعظم بتلك السرعة الشديدة والفلك الثامن بذلك البطؤ
العظيم امر على خلاف العقل فانه كان ينبغي ان يكون الاوسع
ابطا حركة والاصغر اسرع حركة فوقوعه على هذا الوجه يدل على ان

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

بسبب تقدير العزيز العليم القادر الحكيم سبحانه وتعالى النوع
السادس من الاستدلال انا الفلك الذي يسمونه بالممثل اذا
انفصل عنه الفلك الخارج المركز بقي على مذهبهم منه متمما ان احدهما
من الخارج والآخر من الداخل وانه جرم متشابه الطبيعة ثم اختص
احد جوانب هذا الجسم بغاية الثخن والاخر بغاية الدقة واذا كان
كذلك ان يكون ذلك الثخن والدقة بالنسبة الى طبيعة ذلك الجسم
على السوية فاختصاص احد الجانبين بالدقة والاخر بالثخن يدل
على القادر المختار النوع السابع من الاستدلال انها مختلفة
في جهات الحركات فبعضها من المشرق وبعضها من المغرب وبعضها
شمالية وبعضها جنوبية مع ان جميع الجهات بالنسبة اليها على
السوية فاختصاص كل واحد منها بجهته المعينة لا بد وان يكون
بتخصيص القادر المختار واليه الاشارة بقوله وكل في فلك يسبحون
النوع الثامن من الاستدلال انا نشاهد هذه الافلاك متحركة فلنا
ان يقال انها كانت متحركة في الازل وما كانت متحركة في الازل وانها
كانت موجودة في الازل وما كانت موجودة في الازل وان كانت
موجودة في الازل الا انها ما كانت متحركة في الازل والقسم الاول
محال لان ماهية الحركة عبارة عن الانتقال من حالة الى حالة اخرى
فهذا الانتقال لا محالة يكون مسبوقا بالمنتقل عنه فحقيقة الحركة
يقتضي بماهيتها ان يكون مسبوقة بالغير وحقيقة الازل ينافي
المسبوقية بالغير فالجمع بين الحركة والازل محال ولما بطل القسم
الاول ثبت انه لا حركة في الازل سواء قلنا ذوات الافلاك كانت

موجودة في الازل ساكنة او قلنا بانها كانت معدومة
في الازل وعلى القولين لا بد من الاعتراف بالقادر المختار الحكيم
لانا ان قلنا انها كانت موجودة وكانت ساكنة ثم تحركت فيما
لا يزال فلا بد من قادر حكيم مختار يحركها بعد ان كانت ساكنة وان
قلنا بانها كانت معدومة في الازل فلا بد ايضا من قادر حكيم
مختار يوجدها فيما لا يزال بعد ان كانت معدومة في الازل فعلى كلا
القسمين لا بد من الاعتراف باثبات اله قادر مختار وهذا الماخذ
احسن الماخذ واقواها واجلاها النوع التاسع ان حركات
هذه الافلاك اما ان يكون من لوازم جسميتها او لا يكون كذلك
والاول باطل لان كل ما كان من لوازم الشيء امتنع زواله مع بقاء
ذلك الشيء لامتناع انفكاك الملزوم عن اللازم لكنا نرى ان جسمية
كل واحد من الافلاك قد ينفك عن كل واحد من الاجزاء المفترضة
في الحركات فاذا كل واحد من اجزاء تلك الحركات ليس من لوازم جسميته
وليس ايضا من لوازم صورته المعينة وطبيعته المعينة والا عاد
المحال المذكور لان تلك الطبيعة والصورة باقية في كل واحد
من اجزاء تلك الحركة غير باق فاذا لكل واحد من الاجزاء المفترضة
في تلك الحركات مدبر ومقدر ومحرك الافلاك والسيارات
والثوابت هو الله سبحانه النوع العاشر ان هذا الترتيب العجيب
في تركيب هذه الافلاك وايتلافي اجزايها وانسياقها الى نظم
موافق لمصلحة هذا العالم لا يتاتى بالعبث والاتفاق ولا يتاتى
من الطبيعة الجاهلة بل صرايح الاذهان وبداية الافكار ناطقة

شبكة الألوكة www.alukah.net

بان ذلك لا يتاتى الا من القادر الحكيم اما انه لا يعقل اسنادها
الى العبث والجزاف فلان من يجوز في بناء رفيع وقصر مشيد ان التراب
والماء انضم احدهما الى الاخر ثم تولدت منهما اللبنات ثم تركبت
تلك اللبنات وتولد من تركيبها قصر مشيد وبناء عالي وكل ذلك
حصل من غير تدبير مدبر وتقدير مقدر فانه يقضي على مجوز
هذا بالجنون ونحن نعلم ان تركيب هذه الافلاك وما فيها من
الكواكب النيرات والحركات المختلفة وما حصل لها من البقاء
والنقاء والصفاء ليس اقل من ذلك البناء فثبت ان القول بوقوع
هذه السموات والكواكب على وجه العبث والجزاف محال ثم عند هذا
لا يخلو اما ان يقال انها يتحرك بانفسها على سبيل الطبيعة
او على سبيل الاختيار ولا جائز ان محركا يحركها والاول باطل لان
كل جسم متحرك بالطبع عن شيء فانه لا يتحرك بعين تلك الطبيعة
الى عين ذلك الشيء لان المهروب بالطبع لا يكون مطلوبا بالطبع والحركة
المستديرة وكل حركة وقعت هربا عن نقطته فان عين ذلك الهرب
يكون عين طلب تلك النقطة فعلمنا ان حركات الافلاك ليست
طبيعية وهي ايضا ليست ارادية وذلك لان حركاتها اما ان تكون
لغرض ممكن الحصول وليس كذلك فان كان الاول لزم وقوف هذه
الحركات وانتهاؤها الى السكون لان كل حركة كانت لطلب مقصود
فعند حصول ذلك المقصود وجب انقطاع تلك الحركة وان كانت
تلك الحركة لاجل غرض غير ممكن الحصول كانت تلك الحركة عبثا
والعبث لا يكون دائما ولا اكثريا ولما بطل القسمان علمنا ان حركاتها

ليست

ليست الا لاجل ان المدبر المقدر القاهر القادر العالم بالاسرار
والخفيات المطلع على الكليات والجزئيات يحركها على وفق مشيته
ومقتضى قدرته وليس لنا الا الايمان بها على سبيل الاجمال على
ما قال وتيفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت
هذا باطل النوع الحادي عشر من الاستدلال احوال السموات انا
نراها مختلفة في الالوان مثل محو القمر وصفرة عطارد وبياض
الزهرة وضوء الشمس وحمرة المريخ ودرية المشتري وكمودة زحل
ولمعان الثوابت وايضا فكل واحد من الكواكب الثابتة يختص
بعظم خاص وضوء خاص وجانب من الفلك خاص وايضا فهي
عند المنجمين مختلفة بالسعادة والنحوسة والذكورة والانوثة
والنهارية والليلية فترى زحل الذي هو ارفع السيارات نحسا
والمشتري هو ادون منه سعدا والشمس وهو سلطان الكواكب
سعدا وفي بعض الاتصالات نحسا ونراها مختلفة في الثبوت
والحدود والوجوه والمثلثات والرجوع والاستقامة والصعود
والهبوط مع كونها باسرها مشتركة في كونها اجساما مصونة
عن الكون والفساد والتغير والانحلال فحينئذ صريح العقل يشهد
بافتقارها الى مدبر يدبرها وقادر يخصص كل واحد بصفته
المعينة وخاصته المعينة النوع الثاني عشر ان هذه الكواكب
لو كان منها تاثير في هذا العالم فهي اما ان تكون متدافعة او متعاونة
او لا متدافعة ولا معاونة فان كانت متدافعة فاما ان يكون
بعضها اقوى من البعض كان القوي غالبا والضعيف يكون مغلوبا

شبكة الألوكة www.alukdh.net

ابدا فوجب ان يستمر احوال العالم على طبيعة ذلك الكواكب
ومعلوم انه ليس الامر كذلك فان قيل لم لا يجوز ان يختلف
اثار الكواكب بسبب اختلاف طبايع البروج قلنا لو كان طبايع
البروج مختلفة لكان الفلك جسما مركبا لا بسيطا وقد ثبت
عندهم فساد ذلك واما ان كانت متساوية في القوة مع انها
متدافعة فحينئذ لا يحصل الفعل عن شئ منها اصلا فتكون
الافعال الظاهرة في هذا العالم مستندة الى شئ غيرها فكون
مدبر هذا العالم ذلك الغير لا هذه الكواكب اما ان قبل هذه الكواكب
متعاونة لزم ايضا بقاء احوال هذا العالم على نسق واحد من غير
تغير اصلا واما ان قيل انها تارة متعاونة وتارة متدافعة
كان انتقالها من الحب الى البغض ومن المعاونة الى اللامعاونة
تغيرا يحصل لها في صفاتها ولا بد لذلك التغير من مغير ومدبر
فيكون الكواكب باسرها مفتقرة في حصول صفاتها وحدوث
افعالها واحوالها الى مدبر قاهر ذلك هو الله سبحانه النوع الثالث عشر
ان هذه السموات والكواكب اجسام وكل جسم مركب من الاجزاء لان
كل جسم فهو قابل للقسمة الوهمية كانت ذاته مركبة من تلك الاجزاء
التي كل واحد منها متميز عن الاخر في الاشارة الحسية وكل ما كان
مركبا فانه مفتقر في تحققه الى كل واحد من اجزائه وكل واحد من اجزاء
الشئ غيره فكل مركب فهو مفتقر الى غيره وكل مفتقر الى غيره ممكن
لذاته وكل ممكن لذاته فهو محتاج الى المؤثر وكل ما يحتاج في وجوده
الى المؤثر فاحتياجه اليه اما ان يكون حال بقايه او حال حدوثه

او حال عدمه وممتنع ان يحتاج الى الموجد حال بقايه لان ذلك
يقتضي ايجاد الموجود وتحصيل الحاصل وهو محال فلم يبق الا
ان يكون الحاجة اما ان زمان الحدوث او زمان العدم وعلى كلا
التقديرين كان كل محتاج الى المؤثر محدثا فثبت ان هذه الكواكب
والسموات باسرها ممكنة الوجود لذواتها محتاجة في وجودها
الى المؤثر محدثة مسبوقة بالعدم النوع الرابع عشر في الاستدلال
بسرعة حركة هذه الكواكب مع غاية عظمها وذلك لان اصغر كوكب
يرى هو مثل الارض بثماني مرات واكثرها ينتهي الى قريب من مايتين
وعشرين مرة مثل الارض واما الشمس فهي مثل الارض مايتين واربعة
وستين مرة ثم انك ترى الكواكب تطلع في لحظة يسيرة وذلك
لان الزمان من طلوع اول جزء من الكواكب الى تمامه يسير وذلك
الكواكب هو مثل الارض مايتين وعشرين مرة فقد دار الفلك في
تلك اللحظة اللطيفة مثل الارض مايتين وعشرين مرة وانظر كيف
عبر جبريل عليه السلام عن سرعة حركته اذ قال له النبي صلى الله
عليه وسلم هل زالت الشمس فقال لا نعم فقال الرسول عليه السلام
كيف تقول لا نعم فقال من حيث قلت لا الى ان قلت نعم سارت الشمس
مسيرة خمسماية عام فانظر الى عظم جسمها ثم الى حفة حركتها ثم انتقل
منها الى قدرة فاطرها وباريها كيف خلقها على عظم جسمها ثم حركها
هذه الحركة الخفيفة السريعة ثم امسكها في الهواء بغير عمد ترونها
النوع الخامس عشر في الاستدلال بهذه الاجسام ان الاجسام
متساوية في الجسمية بدليل انه يصح تقسيم الجسم الى الفلكي والى

الألوكة
www.alukah.net

العنصرى والى الكثيف والى اللطيف والى الحار والى البارد
والى الرطب والى اليابس ومورد التقسيم مشترك بين كل هذه
الاجسام والامور المتماثلة فى تمام الماهية تكون متساوية
فى قبول الصفات والاعراض فاذا ثبت ان كل ما صح على جسم فهو
صحيح على سائر الاجسام فاذا اختصاص كل جسم بما هو مخصص
فى المقدار والوضع والشكل والطبع لابد وان يكون من الجايزات
وذلك يقضى عليها بالافتقار الى الصانع القديم الحكيم المختار
جل جلاله وتقدست اسماؤه ولا اله غيره فهذه هى الوجوه التى
وصلت عقولنا الضعيفة اليها وهى بأسرها داخلة تحت قوله
تعالى ان فى خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار
لايات لاولى الالباب

الفصل الرابع فى تقرير صفات

السموات والاستدلال بكل واحد من تلك الصفات على وجود
الاله القادر الحكيم الصفة الاولى بقاؤها فى جو الهواء معلقة
قال الله سبحانه وتعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده الآية اخبر الله فى هذه الآية
انه سبحانه هو الذى يمسك السموات والارض عن الزوال والانتقال
فيحتاج اولا الى بيان ان السموات والارض غير زايلة عن موضعها
ومقارها ثم الى بيان ان ذلك الممسك هو الله سبحانه فلنبين ذلك
فى الارض ثم فى السماء اما الارض فمن الناس من قال انها هاوية
بطبعها ابدا فى الخلاء الذى لانهاية له من جهة السفل ومنهم من قال
الفلك واقف والارض هى التى تتحرك كل يوم وليلة دورة تامة

وسبب

وسبب طلوع الشمس والقمر والكواكب هو استدارة الارض والذى
يدل على انها غير هابطة انها لو كانت كذلك لكان من هبط من موضع
عال الى الارض وجب ان لا يصل اليها لان كل شيئين ينزلان من الاعلى
الى الاسفل واحدهما اخف من الاخر فان الاخف لا يدرك الاثقل
والدليل على انها غير مستديرة انها لو كانت كذلك لكانت حركتها فى
غاية السرعة وكان تموج الهواء المحيط بها تموجا شديدا وكان يجب
ان يكون تموج ذلك الهواء مانعا للانسان من ان يتحرك الى خلاف
تلك الجهة ومعلوم ان ذلك باطل ولما بطل هذا ان الاقسام ان ثبت ان
الارض واقفة اما السموات فهى ايضا مستقرة فى احيازها وغير
خارجة منها والدليل عليه انها لو خرجت عن موضعها فاما ان
تنزل او تصعد فان نزلت مع ان الارض واقفة صار السماء اقرب
الينا وكان يجب ان يرى كل يوم تلك الكواكب اعظم وان نرى من السماء
اقل مما راينا ه بالامس وان قلنا بان السماء تصعد لزم ضد ما
ذكرناه ولما كان كل ذلك باطلا علمنا ان السموات والارضين مستقرة
فى مواضعها مستمرة فى احيازها واذا ثبت هذا فنقول ممسكها
هو الله سبحانه واما الارض فنقول للناس فى سكونها سبعة
اقوال الاول ان الارض لا نهاية لها من جهة السفل واذا كان
كذلك لم يكن لها مهبط فلا جرم لم تنزل وهذا فاسد من وجهين
الاول انه ثبت بالدليل ان الاجسام متناهية والثانى ان الارض
طبيعتها واحدة فاختصاص احد وجهيها بالتناهى والوجه الاخر
بعدم التناهى لابد وان يكون لتخصيص مخصص وتقدير قادر والقول

مكتبة الألوكة
www.alukah.net

الثاني قول من سلم ان الارض متناهية من جميع الجوانب والقايلون
بهذا القول ذكروا في سبب سكون الارض وجوها الاول قالوا الارض
كنصف كرة وحدتها هي الجانب الذي يلينا واما سطحها الاسفل
فهو سطح مستقيم موضوع على الماء والهواء ومن شان الثقل الهبوط
لا يغوص في المسايل بقي واقفا عليه وهذا باطل من وجهين الاول
ان البحث يعود في علة وقوف الماء والهواء تحت الارض والثاني
لم صار احد وجهي الارض منحدبا والثاني مستقيما مع تساوي الماهية
بل لا يعقل هذا الا بسبب الفاعل المختار القول الثالث الذين قالوا
ان سبب وقوف الارض جذب الفلك لها من كل الجوانب فبقيت في الوسط
وهو ايضا باطل من وجهين الاول ان المدرة التي على وجه الارض
اقرب الى هذا الجانب من الفلك فوجب ان ينجذب الى هذا الجانب من الفلك
الثاني ان المدرة المقذوفة الى فوق وجب ان تجذب الى الفلك وان
لا يعود القول الرابع سبب وقوف الارض دفع الفلك لها من كل الجوانب
كما اذا جعل كف من التراب في قنينه ثم ادرت القنينه على قطبها
ادارة سريعة وقف التراب في وسط القارورة يتساوى الدفع
من كل الجوانب وهذا باطل من خمسة وجوه الاول لو بلغ قوة الدفع
الى هذا الحد فلم لا يحتس بها الواحد منا الثاني ما بال هذا الدفع
لم يجعل حركة السحب والرياح الى جهة بعينها الثالث ما بال هذا
هذا الدفع لم يجعل انتقالنا الى جهة الموافقة بحركة الفلك سهل
وضد تلك الحركة اصعب الرابع يجب ان يكون الثقيل كلما كان اعظم
ان يكون حركته ابطا لان اندفاع المدفوع اعظم من اندفاع فاسر

الخامس يجب ان يكون حركة الثقيل النازل في الابتداء اسرع منها عند
الانتهاء لانها عند الابتداء ابعد من الفلك وابعد من تاثير القول
الخامس الارض بطلب الوسط من الفلك بالطبع وهو قول ارسطاليس
وهو ضعيف لانا الاجسام متساوية فاختصاص بعضها بالصفة
التي لاجلها بطلب وسط العالم انما يكون امرا جايزا فيحتاج الى
المخصص الفاعل المختار القول السادس الفلك كرة فاذا استدار
على ما حشوه عرض لما هو في غاية القرب من الفلك ان يسخن فيصير
نارا ولما هو في غاية البعد من الفلك ان يبقى على البرد والكثافة
واليبس فيكون ارضا ثم الذي يقرب من النار يكون لا محالة الطف
مما يقرب من الارض فصار الملاصق للنار هوا والملاصق للارض
ماء فلهذا السبب حصلت العناصر على هذا الترتيب وهذا ايضا
ضعيف لان الكلام يعود في انه لم حصل بعض الاجسام ملاصقا
للفلك وبعضها في غاية البعد عن الفلك حتى صار القريب نارا والبعيد
ارضا القول السابع قال بعض المعتزلة النصف الاسفل من الارض
فيه اعتمادات صاعدة والنصف الاعلى فيه اعتمادات هابطة
فحصل التدافع من الاعتمادين المتضادين فلزم الوقوف وهذا
ايضا ضعيف لانا نقول ولم اختص ذلك الوجه بالاعتماد
النازل ولا يمكن ان يذكر فيه سببا لا الفاعل المختار ولما بطلت
هذه الاقاويل لم يبق الا ان يقال بقاء الارض والسموات في مواضعها
ومقاديرها واحيازها ليس الا بالاله سبحانه فثبت ان ممسك
السموات والارض هو الله سبحانه وتقرير الكلام على الوجه البرهاني

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يعود الى ما تقدم من ان الاجسام متساوية في الجسمية فاختصاص
كل واحد منها بخبر مخصوص لا يمكن ان يكون لذواتها ولا شئ من
لوازم ذواتها والا لزم التسلسل بل لابد ان يكون امرا جايزا فيكون
بتخصيص المخصص وهو القادر المختار فصار قوله تعالى ان الله
يمسك السموات والارض ان تزولا مؤكدا بهذه البراهين العقلية
القطعية واذا عرفت هذا البرهان فلنرجع الى البيان الاقناعي
الذي يصل اليه كل فهم فنقول لا شك ان السماء فوق الهواء وهو
محسوس ولا شك ان الارض فوق الماء بدليل انه لا يحفر موضعا
الا خرج عنه الماء والطف الاجسام المشاهدة هو الهواء وبعده
الماء ثم ان الارض مع ما فيها من الاجسام الثقيلة كالبحار والجبال
موضوعة على الماء ولا شك ان كل واحد من النجوم اعظم من الارض
مع ما فيها واثقل منها بكثير فاذا شاهدنا ان اصغر جزء من الارض
استقر على وجه الماء علمنا ان كل الارض مستقر على وجه الماء وعلمنا
ان ذلك لا يكون الا بامساك الله سبحانه ثم ان الهواء الطف من الماء
ولا يستقر فيه اصغر الاجزاء الثقيلة ثم ان السموات والكواكب
مع ما فيها من الثقل العظيم استقرت في الهواء علمنا ان ذلك
لا يكون الا بامساك الله سبحانه فظهر انه ليس استقرار الارض في حيزها
ولا استقرار السموات في مواضعها الا بقدرة قادر عالم وحكمة
حكيم هو اقدر الحاكمين تنزهت عظمته عن علايق العقول البشرية
وتقدست جلاله وكبريايه عن حوادث الافكار الانسانية بقي
ههنا سؤالات السؤال الاول ما معنى قوله ولئن زالتا ان امسكهما

من احد من بعد الله وهو كقوله ان انت الا نذير ما انت الا نذير
السؤال الثاني ما الفايدة في قوله ان زالتا وهما لا يزولان الى يوم
القيامة من وجوه الاول عدم الوقوع لا ينافي صدق قولنا لو
وقع كيف يكون كقوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا الثاني
المعنى لو زالتا حين امرت بالزوال يوم القيامة فمن ذا الذي يمسكهما
عن هذا الزوال الثالث لو زالتا بسبب كفركم وقولكم اتخذ
الرحمن ولدا على ما قال تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا السؤال الثالث
ما الحكمة في ختم هذه الاية انه كان حليما غفورا والجواب يحتمل
ان يكون تقدير الاية وان زالتا وحل العذاب باستعجالكم
فمن المانع لولا ان الله حليم غفور الصفة الثانية للسموات
الرفعة قال الله تعالى الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
وتقرير هذا المعنى ان جميع العالمين عاجزون عن رفع شئ ثقيل
في الهواء الا باحد طريقين اما بان يكون تحته شئ يستقر عليه
او بان يكون فوقه شئ معلق هو عليه ولا شك ان العالم منا
من فوقه ومن تحته فليس لجميع الاجسام جسم حتى يستقر هو عليه
فاذا عجز كل الخلايق عن رفع شئ ثقيل الا باحد هذين الطريقين
ثبت ان كل العالم بما فيه من العرش والكرسي والسموات
والكواكب والبحار والجبال معلقة من غير علاقة فوقها ولا
قرار تحتها لم يكن بد من الاقرار بقادر ممسك اقوى من جميع هذه
الاجسام واقدر منها حتى يمسكها بقدرته ويحفظها بالهيته

شبكة الألوكة
www.alukah.net

له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين وفي الاية سؤالات
السؤال الاول انه تعالى قال بغير عمد ترونها وهذا يوهم ان هناك
عمدا لا نراها الجواب من وجوه الاول انه لو قال بغير عمد ترونها
لكن خطابك لذلك عمد وهو امساك الله سبحانه كما قال ان الله يمسك
السموات والارض ان تزولا الا ان امساك الله وحفظه عماد
لا يرى فلهذا السبب قال بغير عمد ترونها الثاني قال الحسن وقتادة
معنى الاية الله الذي رفع السموات بغير عمد وانتم ترون انه رفعها
بغير عمد الثالث قال في صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية فههنا يحتمل ان يكون للسموات ملائكة يحملونها فاذا كان هذا
محتملا لا جرم ما نفى العمد مطلقا بل نفى عمدا يشاهد ويرى الا انا
نسبنا حمل العرش والسموات الى الملائكة فمن الذي يحمل الملائكة
هذا الحمل العظيم الا قدرة الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
السؤال الثاني الدفع مشعر بانها كانت موضوعة في السفل فقلها
الله من السفل الى العلو فهذا الامر كذلك والجواب في لفظ الدفع
في هذه الاية قولان احدهما انه عبارة عن الانشاء على صفة الارتفاع
لانها كانت موضوعة فرفعها نظيرها قوله والارض وضعها
للانام اي خلقها موضوعة للانام لانها كانت مرفوعة فوضعها
والقول الثاني ان السموات والارض كانتا رتقا شيئا واحدا ففتق
الله بينهما ورفع السموات على ما شرحناه الصفة الثالثة للسموات
قوله سبحانه والسموات مطويات بيمينه ولما آل الامر الى آدم عليه السلام
قال لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي فالسموات في آخر الامر

تكون في يمين الله سبحانه وآدم عليه السلام في اول الامر كان مخلوقا
بيديه وهذا يشير الى انما هو نهاية احوال السموات والارض
فهو بداية حال البشر الصفة الرابعة كون هذه السموات مخلوقة
بالحق لا بالباطل قال سبحانه ربنا ما خلقت هذا باطلا وقال
ايضا وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ذلك ظن
الذين كفروا وقال في حق البشر افحسبتم انما خلقناكم عبثا ثم بين
ان الحكمة في خلق السماء والارض اكبر واعظم من الحكمة في خلق
الناس فقال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس واعلم انه
ليس المراد من هذا الكبر الكبر في الجثة لان ذلك معلوم لكل احد
بالحس والضرورة بل المراد من ذلك الكبر في الاسرار الالهية والحكم
الربانية التي لا يعرفها احد الا هو ولا يطلع عليها احد الا هو الصفة
الخامسة قوله تعالى ءانتم اشد خلقا ام السماء بناها رفع سمكها
فسواها واغطش ليلها واخرج ضحيها واعلم انه سبحانه وصف
السماء في هذه الاية بصفات كثيرة احدها شدة الخلق ونظيره قوله
في عاد وبنينا فوقكم سبعا شدادا والشداد جمع شديد يعني محكمة
قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الزمان ولا يحصل فيها فطور ولا
فروج فان قيل فالملائكة كيف ينزلون عن السموات مع شدة خلقها
وكيف يعرجون فيها قلنا كما تنزل الانوار عنها مع شدتها بل يزول
الملائكة اولى لان ذوات الملائكة بالنسبة الى هذه الانوار المحسوسة
تجري مجرى هذه الانوار المحسوسة بالنسبة الى هذه الاجرام وقوله
الاية اشكال قال الكسائي والفراء والزجاج الكلام هم عند قوله

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

يعني أنتم اشد خلقا ام السماء ثم قوله بناها ابتداء الكلام وعند
غيرهما الوقف على قوله بناها لانه من صلة السماء والتقدير السماء
التي بناها فحذف التي ومثل هذا الحذف جايز يقال الرجل جاءك
اي الرجل الذي جاءك عاقل واذا ثبت ان هذا جايز في اللغة فقول
الدليل على ان قوله بناها صلة لما قبله انه لو لم يكن صلة لكان
صفة ثم قوله رفع سمكها فسواها صفة ايضا فقد توالت
صفات لا تعلق لاحديهما بالاخرى وكان يجب ادخال العاطف
فيما بينهما كما في قوله تعالى واغطش ليلها فلما لم يكن كذلك علمنا
ان قوله بناها صلة للسماء ثم قوله رفع سمكها ابتداء بذكر الصفة
واعلم ان قوله ام السماء بناها نظير قوله أولم يروا الى السماء فوقهم
كيف بنيناها وقوله في اول سورة البقرة الذي جعل لكم الارض
فراشا فان قيل انما يسمى الشيء بناء اذا كان مستقرا على الارض
والسماء قد سكنها الله معلقة في الجو فكيف سماه بناء قلنا هذا
مذكور على سبيل التشبيه وذلك لان اعظم الاجسام احكاما في
البنية والتركيب هو الذي يكون موضوعا على الارض فكانه تعالى
قال هذا الذي اسكنه في الهواء اكثر احكاما واشد مما تبنيه
على الارض ولشدة احكامه سماه بناء واعلم انه سبحانه لما بين
في السماء انه بناها بين بعد ذلك انه تعالى جعل السماء علة للمكان
وعلة للزمان اما انها سبب للمكان فهو قوله رفع سمكها
فسواها واعلم انا متى اردنا الشيء اذا اخذنا من اعلاه الى اسفله سمي
عمقا واذا اخذنا من اسفل الشيء الى اعلاه سمي سمكا فالمراد برفع سمكها

شنق علوها حتى ذكروا ان ما بين السماء والارض مسير خمسمائة
عام واما فسويها ففيل المراد به تسوية تاليفها وقيل المراد نفي
التفاوت على ما قال ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان كل
هذه الوجوه يدل على كمال العلم والقدرة لمدبرها وخالقها لان
وقوع التفاوت تارة يكون لجهل المدبر وتارة يكون لعجزه فمن كان
عالما بالكل قادرا على الكل امتنع وقوع التفاوت في مخلوقاته
وبهذا الطريق عرفنا انه صادق في وعده حكيم لا يقع السفه في فعله
لان صدور الكذب والسفه اما للعجز او للجهل والكل محال عليه فامتنع
الكذب في وعده والسفه في فعله واما ان تخليق السموات سبب
لحدوث الزمان فهو المراد من قوله واغطش ليلها واخرج ضحيها واعلم
ان اغطش قد يجيء لازما ومتعديا يقال اغطش الليل اذا صار
مظلما ويجيء ايضا متعديا يقال اغطشه الله اذا جعله مظلما
والغطش الظلمة والاغطش شبه الاعمش وههنا سوالات وهو ان
الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله اغطش
ليلها يرجع معناه الى انه سبحانه جعل المظلم مظلما وهذا الكلام بعيد
الجواب معناه ان الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان انما حصلت بتدبير
الله وتقديره واما قوله واخرج ضحيها فالمراد به هو النهار ونظير
هذه الاية قوله والضحى والليل اذا يغشى وذلك لان اضوأ اوقات
النهار الضحى وذلك ضوء التام بعد ظلمة التامة مما لم يقدر
عليه الا الله واعلم ان في الآية فوايد احدها انه سبحانه قدم
ذكر الظلمة على ذكر النور وهذا يدل على تقدم الظلمة على النور

وهو نظير قوله تعالى وجعل الظلمات والنور والثانية انه اضاف
الليل والنهار الى السماء لانهما انما حدثا بسبب غروب الشمس وطلوعها
والغروب والطلوع لا يحصلان الا بسبب حركة الفلك فلهذا السبب
اضاف الليل والنهار الى السماء والفائدة من هذه الآية ان المقصود
منها الاستدلال على وجود الخالق سبحانه والتقدير ان السماء
اشد خلقا من الادمي وقد اقررتم ان خالق السماء هو الله فكيف
انكرتم ان مدبر احوالكم هو الله والفائدة الثالثة اثبات المعاد
ايضا مقصود من هذه الآية وسياق الآية يدل عليه قال فيما قبل
هذه الآية يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة الى قوله انتم اشد
خلقا ام السماء والمعنى انكم انكرتم البعث واستبعدتم اعادة خلقكم
بعد موتكم والاعادة ايسر من الابتداء وابتداء خلقكم ايسر من ابتداء
خلق السماء فلما اقررتم انه تعالى هو الذي خلق السماء فبان تعترفوا
بكونه قادرا على اعادة الخلق والبعث كان اولى الفائدة الرابعة
كانه قيل السماء مع شدة خلقها وعظمها وكذلك الارض بجبالها
وبحارها مطيعة لحكمي وامري فكيف عصيتم في حكمي وامري مع انكم
في غاية الضعف بل يقول انتم والسماء مشتركة في كون كل واحد
منكم حاصلا بايجادي وابداعي وانتم انما فارقتم الارض بالمعرفة
والتمييز والاقرار بحصول الثواب والعقاب فانتم بسبب هذه
المعرفة اولى بالانقياد لطاعتي الفائدة الخامسة انا لما رفعت السماء
من الارض خلقت المكان لان المكان هو الفرجة الحاصلة بين السماء
والارض واليه الاشارة بقوله رفع سمكها فسواها واما حرك

جرم السموات اظهرت الزمان واليه الاشارة بقوله واغطش
ليلها واخرج ضحيها فالمكان والمكانيات والزمان والزمانيات
ملكي ونظيره قوله قل لمن ما في السموات والارض قل لله وهو اشارة
الى ان المكان والمكانيات ملكه وملكه فهو سبحانه خالق المكان
والمكانيات ومدبر الزمان والزمانيات وذلك يدل على كونه
منزها عن المكان والزمان وعلائق الحدوث والامكان الصفة
السادسة للسموات قوله وجعلنا السماء سقفا محفوظا وهم
عن آياتها معرضون سماه الله تعالى بالسقف المحفوظ وسماه
بالسقف المرفوع قال والبيت المعمور والسقف المرفوع واعلم
ان من تامل في هذا العالم وجد كالبيت الذي اعد فيه كل ما يحتاج
اليه فالسماء مرفوعة كالسقف والارض ممدودة كالبساط
والنجوم منضودة كالمصابيح والانسان كمالك البيت المتصرف
فيه وضروب النبات مهيأة لمنافعه وضروب الحيوان منتشرة
بتقدير شامل وحكمة بالغة وقدرة غير متناهية ومما يشبه
هذا الوصف انه سبحانه سماها سبعا طباقا وسبعا شدادا الصفة
السابعة للسموات انه تعالى جعلها قبلة الدعاء قال تعالى قد نرى
تقلب وجهك في السماء فقوله قد نرى اشارة الى تضرعه حال
اشتغاله بالدعاء والمجسمة تمسكوا على انه سبحانه في جهة فوق
وهذا باطل على ما سبجئ برهانه بل السبب لذلك وجوه الاول
انه تعالى جعل احوال الافلاك اسبابا لمصالح احوال هذا العالم
قال الله تعالى حكاية عن فرعون لعلي ابلغ الاسباب اسباب

الألوكة
www.alukah.net

السموات وقال ايضا فليمدد بسبب الى السماء ومن الدعوات
المشهورة يا مسبب الاسباب ومما يؤكد ذلك قوله تعالى في صفة
الملائكة فالمدبرات امرا وفي اية اخرى فالمقسمات امرا ولاشك
ان مسكن الملائكة هو السموات فلهذا الوجوه صارت احوال السموات
اسبابا لمصالح هذا العالم والثاني ان الارزاق انما تنزل من السماء
قال تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون الثالث ان الملائكة الذين
ينزلون بالسلام والرحمة من الله انما ينزلون من السموات قال
تعالى تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم والرابع ان الانوار
انما تنزل من السموات قال تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر
نورا فلما كان كل مصالح العالم لا تتم الا من السموات لاجرم كانت
الاعين ممدودة اليها والايدي مرفوعة اليها والقلوب متعلقة بها

الفصل الخامس في تفسير قوله فاطر السموات والارض حكى
سبحانه عن ابرهيم انه قال وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
انت وليي وقال سبحانه الحمد لله فاطر السموات والارض وقال
في حق البشر فطرة الله التي فطر الناس عليها واعلم ان الفاطر هو الذي
يحدث الشيء ابتداء وتحقيقه ان الفطور هو الشق فمن احدث شيئا
ابتداء فهو الذي شق ظلمة العدم واعلم ان فعل الله سبحانه وتكوينه
يغاير فعل غيره من وجوه الاول ان الانسان لا يمكنه ان يفعل الا
في محل مخصوص ومادة معينة فالحداد لا بد له من حديد والصانع
لا بد له من ذهب والحايك لا بد له من غزل والحق سبحانه غني في فعله
عن المادة وذلك لان تلك المادة لما كانت قابلة للاحوال المتغيرة

والحوادث المتعاقبة كانت محدثة فلا بد لها من محدث فلو افتقر
احداث الله وايجاده الى سبق مادة لزم افتقار المادة اخرى الى نهاية
وهو محال فلما كان سبحانه هو الفاعل للمراد والموجد لها دل ذلك على ان
فاعليته غنية عن سبق المراد الثاني ان العباد اذا تصرفوا في مادة
فهم لا يتصرفون في ذات تلك المادة فالنجار يتصرف في الخشب
لكن الخشب باق في حال ذلك التصرف والصايغ يتصرف في الذهب
ولكن الذهب باق في تلك الحالة اما الحق سبحانه فانه يتصرف في المواد
بتغيرها في نفسها الا ترى ان الله سبحانه يقلب الطين غذاء ثم يقلب
الغذاء نطفة ويقلب النطفة علقة والعلقة مضغة والمضغة
عظاما وايضا يخلق البشر من التراب كما قال ان مثل عيسى عند الله
كمثل آدم خلقه من تراب وركب من التراب لحما ودما وصور الترابية
غير باقية في شيء منها ويخلق الحيوان من الماء كما قال والله خلق كل دابة
من ماء ثم ان صورة المائية غير باقية فيها وخلق عيسى من نفخ جبريل
وكذلك كان عيسى عليه السلام يصور الحيوانات وينفخ فيها فتصير
حية وصورة الهوائية ما كانت باقية فيها وخلق الجان من النار
وصورة النارية غير باقية فيها وخلق ناقة صالح من الحجارة وصورة
الحجرية ما كانت باقية وخلق الثعبان من عصا موسى وصورة الخشبية
ما كانت باقية وخلق حوا من ضلع آدم عليهما السلام وما كانت
صورة العظمية باقية فبينت انه سبحانه يقلب المواد في ذواتها من
حالة الى حالة وسائر الفاعلين ليسوا كذلك فظهر الفرق الثالث
ان كل الفاعلين يفتقرون في فاعليتهم الى توسط الآلات والادوات

www.alukah.net

فالنجار لا بد له من منشار والقدوم والخياط لا بد له من الابرة
والمقراض والحق سبحانه غني في فعله عن الآلات والادوات لانه
فاعل الالات والادوات فلو افتقرت فاعليته لزم التسلسل
الفرق الرابع ان سائر الفاعلين لا يمكنهم ان يفعلوا فعلا الا بمماسة
وملاقاة بين الفاعل وبين محل الفعل فان لم يحصل المماسة اصلا
عجز عن الفعل فيه والحق سبحانه هو المتصرف من العرش الى ما تحت الثرى
من غير مماسة ولا مجاورة ولا مقارنة الفرق الخامس ان كل من فعل
فعلا فانه لا يفعل الا بمهلة وتدريج وزمان بعد زمان والحق سبحانه
غني عن المهلة والزمان كما قال انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون
وقال ايضا وما امرنا الا واحدة كلمح بالبصر وقال وما امر الساعة
الا كلمح البصر او هو اقرب والمعنى اني امتهم عند النفخة الاولى في اقل
من لمح البصر واجبهم عند النفخة الثانية في اقل من لمح البصر وارد
فهذه اللمحة اللطيفة جميع الارواح الى اشباحها الاصلية من غير
غلط ولا خلل وانما امكن ذلك لكونه سبحانه قادرا على جميع الممكنات
عالما بجميع المعلومات الفرق السادس ان كل من فعل فعلا فانه معب
بسبب ذلك وسوق عليه ذلك والحق سبحانه يدبر من العرش الى ما تحت
الثرى في تخليق ذواتها وايجاد صفاتها من غير تعب ولا نصب قال
ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا
من لغوب وقال افعيينا بالخلق الاول بل هم في لبس من خلق جديد فان
قيل ليس تعالى قال في الاعادة وهو اهون عليه وهذا يقتضي حصول
نوع من التعب في الخلق الاول قلنا هذا انما ذكره على حسب المعتاد فان في

العادة والابتداء اصعب من الاعادة فلما سلموا انه لا تعب في الابتداء
فلان لا يمتنع عليه الاعادة كان اولى الفرق السابع ان كل فاعل يفعل
فعلا فانه يتغير اولا في نفسه ثم بسبب تغيره يحصل الفعل خارجا
عن ذاته كالكاتب مثلا فانه ما لم يحرك اصابعه لا يمكن ان يكتب والحق
سبحانه منزه عن ذلك لانه لو توقفت فاعليته على حدوث تغير في ذاته
لكان المحدث لتلك الحالة المتغيرة هو الله سبحانه فكان يفتقر احداث
تلك الحالة الى حدوث حالة اخرى ولزم التسلسل فهو سبحانه يفقر
ويغني ويمرض ويبرئ ويميت ويحيي ويطعم ويسقي ويدبر السموات
والارض والبحار والجبال والذرات والذوات والصفات
مع انه منزه في ذاته وصفاته عن انواع التغير والزوال والتحول
والانتقال ثم من عجايب هذا الموضع ان كل من سواه من العالمين
فانه يتغير علمه بتغير المعلومات وتكثر علمه بتكثر المعلومات
وهو سبحانه يعلم بعلم واحد ما لا نهاية له من المعلومات ويعلم دايم
باق يعلم جميع التغيرات الفرق الثامن ان كل من سواه من الفاعلين
فانه لا يمكنه ان يجمع بين الافعال الكثيرة فالكاتب لا يمكنه ان يكتب
الكلمات الكثيرة على الجمع بل على التعاقب وبالجملة فما لم يفرغ عن احد
الفعلين لا يمكنه الاشتغال بالفعل الآخر واما الحق سبحانه فهو القادر
الذي لا يشغله شان عن شان فهو يدبر العرش والكرسي واللوح
والقلم والانوار والظلم والسموات والارضين والبحار والجبال
والحيوان والنبات دفعة واحدة تخلق ذواتها ويدبر صفاتها
ويرى حاجتها ويسمع نداءها ويجيب دعاءها فسبحان من لا يشغله شان

الألوكة
www.alukah.net

عن شان الفرق التاسع ان كل من فعل فعلا انما يفعله لجر نفع او دفع
ضرر والحق منزه عن جر المنافع ودفع المضار وكل شئ صنعه ولا علة
لصنعه وقد بينا دلائل هذا الفصل في باب دلائل التوحيد في تفسير
قوله لا يسئل عما يفعل الفرق العاشر ان كل من فعل فعلا فانه
يحصل بعضه على وفق مراده وبعضه لا على وفق مراده فالكادح يجتهد
ليجد الحجة والمعرفة فلا يحصل له مراده بل يقع في الشبهة والضلالة
وكل احد فانها يتحرك ويسعى لطلب الخيرات ثم قد يحصل وقد لا يحصل
وقيل لكل احد يخرج كرة يومه من داره قد يا ويعود اليها بالمساء
جبريا يقول بالبكرة افعل ليحصل كذا وبالمسا يقول اجتهدت
فما كان التقدير مطابقا للتدبير والحق لا يقع فعله الا على وفق مراده
ومشيته فان كل الممكنات في قبضة قدرته وربقه ارادته لا دافع
لما قضى ولا مانع لما ابدع ابدي قال سبحانه ولو اننا نزلنا اليهم
الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا
الا ان يشاء الله الفرق الحادي عشر كل من سواه من الفاعلين فانه
يبقى المفعول بعد فناء الفاعل وموته والحق سبحانه هو الباقي بعد فناء
مخلوقاته كما قال لمن الملك اليوم لله الواحد القهار الفرق الثاني
عشر ان كل من سواه من الفاعلين لا ينفك فعله عن الخلل والنقصان
اما الحق سبحانه ففعله غني عن الخلل والنقصان قال تعالى ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من فطور ثم
ارجع البصر كرتين ولو انه جعل جميع عقول العقلاء عقلا
واحدا ثم بذلك العقل تفكروا في جناح بعوضة حتى يجدوا ثقبا

احسن

احسن منه واكمل منه لفنيت تلك العقول وانقطعت تلك الافكار
ولا يصير ذرة من ذرات حكمة الله تعالى في خلقه تلك البعوضة
معلومة على سبيل الكمال والتمام فهذا مجموع الفرق بين فاعلية
العبد وفاعلية الحق سبحانه ولما كانت فاعليته غنية عن المادة
والمدة والآلة والعدة والزمان والمكان وجلب الاغراض وتغير
الاحوال والاعراض كان الحق سبحانه هو الفاطر للاشياء فلهذا قال
الحمد لله فاطر السموات والارض والله اعلم بحقايق الاشياء

الفصل السادس في شرح كون السموات خالية عن العيب
والنقصان والتفاوت قال تعالى في سورة الملك ما ترى في خلق
الرحمن من تفاوت واعلم ان المقصود من هذه الاية لا يظهر الا بعد
تفسير هذه السورة من اولها قال تعالى تبارك الذي بيده الملك
واعلم انه تعالى جعل لفظ تبارك مطلقا السورتين احديهما سورة
الفرقان وهي قوله تبارك الذي نزل الفرقان والثانية في هذه السورة
فيقول اما لفظ تبارك قال الزجاج تبارك تفاعل من البركة والبركة
كثرة الخير وزيادته وفيه معنيان احدهما تزايد خيره وتكاثره وهو
المراد من قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها والثاني معناه تزايد
عن كل موجود تعالى عنه في ذاته وصفاته وفي افعاله وهو المراد
من قوله ليس كمثله شئ اما تعاليه عن كل شئ في ذاته فيحتمل ان يكون
جل بوجوب وجوده ودوام قدمه عن جواز التغير والفناء ويحتمل
ان يكون المعنى جل بفرديته عن مشابهة الاضداد ومشاكلة الانداد
ومنازعة الاكفاء واما تعاليه عن كل شئ في صفاته فيحتمل ان يكون

www.alukah.net

المعنى جل في قدرته وفي علمه عن ان يخرج عنهما شئ من المعلومات
والمقدورات ويحتمل ان يكون المعنى جل علمه عن ان يكون ضروريا
واستدلاليا او تصوريا او تصديقيا وجلت قدرته عن ان يحتاج
في فاعليته الى مدة ومادة ومثال وآلة وجر نفع ودفع ضرر
وامتناعه في فعاله وهو الملك الحق مطلقا اى هو الغني عن كل شئ
ما سواه في ذاته وصفاته وفي احواله وكل ما سواه فمحتاج اليه
في ذواتها وفي صفاتها وفي احوالها حائق حدوثها وبقاءها وتجددها
واستمرارها لا ينقطع الحاجات اليه ولا يزول الافتقارات اليه
فكل موجود فبايجاده موجود وكل باق فببقاءه باق شهدت
الحاجات في عينه على تقدسه عن الحاجات وذلت التغيرات في غيره
على كونه منزها عن التغيرات وقال اخرون اصل الكلمة يدل على
البقاء وهو ماخوذ من بروك البعير ومن بروك الطاير على الماء
وسميت البركة بركة لثبوت الماء فيه والمعنى انه سبحانه باق في ذاته
ازلا وابدا ممتنع التغير باق في صفات كماله ونعوت جلاله ممتنع
التبدل ولما كان الحق سبحانه هو المعطي لجميع جهات المنافع والمصالح
والميسر لكل المطالب والمناجح لاجرم وجب وصفه بانه تبارك
واذا عرفت هذا فنقول انه تعالى ذكر في سورة الفرقان تبارك
الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا وقال في سورة
الملك تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شئ قدير ونحن نفسر
كل واحد منهما بقدر عقولنا القاصرة وافهامنا الناقصة
ونكل اسرارها الى علمه الكامل وحكمته المحيط فنقول في قوله

تبارك

تبارك الذي نزل الفرقان فوايد الفايدة الاولى ان الفرقان
هو القران ووصف بذلك من حيث انه سبحانه فرق به بين الحق
والباطل والحجة والشبهة في دلايل التوحيد والعدل والنبوة
والمعاد واولانه فرق في النزول كما قال وقرانا فرقناه لتقرأه على
الناس على مكث وهذا التاويل اقرب لانه قال تعالى نزل الفرقان
ولفظ نزل يدل على التفريق اولانه فرق بين الشرايع والاحكام
والحلال والحرام فخص بعضها بالايجاب وبعضها بالاستحباب
وبعضها بالتنزيه وبعضها بالتحريم وبعضها بالاباحة والاحلال
فقال ما اتيكم الرسول فخذوه وما نهيكم عنه فانتهوا فهذه
وجوه ثلثة في بيان ان القران لم سماه الله بالفرقان الفايدة
الثانية انه سبحانه لما قال في اول السورة تبارك ومعناه
كثرة الخير والبركة ثم ذكر عقيبه ام الفرقان دل ذلك على ان القران
منشأ اعظم الخيرات واكمل البركات لكن المستفاد من الفرقان هو
العلم والمعرفة والحكمة فدل هذا على ان العلم اشرف المخلوقات
وانفع المحدثات واكثرها خيرا وبركة الفايدة الثالثة لا نزاع
بالاجماع ان المراد من العبد ههنا محمد عليه السلام وسمعت بعض المشايخ
انه قال لما اسرى بمحمد صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين اوحى الله
سبحانه اليه بم تريد ان اشرفك به فقال الهي اريد ان تشرفني بان يذكرني
بكوني عبدا لك فاوحى الله سبحانه اليه سبحان الذي اسرى بعبده ليلا
فانظر الى هذه الدقيقة وصف نفسه في هذه الآية بالتسبيح والتنزيه
حين سماه عبدا وفي سورة الفرقان وصف نفسه بكونه متعاليا

الألوكة
www.alukah.net

متبارکا حین سماه عبدًا وهذا یدل علی ان کل نبی اشتد عرفانا
بعبودیته وذلته وخضوعه وافتقاره کان تجلی انوار قدس
جلال الله فی عقله وظهور نور کبریائه فی روحه اجل واعظم
الفائدة الرابعة اختلفوا فی المراد بقوله لیکون للعالمین نذیرا
منهم من قال المعنی لیکون هذا القران نذیرًا واضاف الانذار الیه
کما اضاف الهدایة الیه فی قوله ان هذا القران یهدی التی هی اقوم
الا ان هذا وان کان محتملا لکن جعل التذیر صفة لمحمد علیه السلام
اولی من جعله صفة للقران ویدل علیه وجهان الاول نص القران
دل علی ان التذیر صفة لمحمد علیه السلام قال تعالی انا ارسلناك
شاهدًا ومبشرًا ونذیرًا والثانی ان جعل التذیر صفة لمحمد علیه السلام
حقیقته وجعله صفة للقران مجاز وحمل الکلام علی الحقیقة اولی
من حمله علی المجاز الفائدة الخامسة قوله لیکون للعالمین نذیرا
یدل علی ان محمدًا علیه السلام مبعوث الی کل العالمین وذلك لان
لفظ العالم عبارة عن کل موجود سوی الله فیدخل فیه جمع المکلفین
من الجن والانس والملائکة لکنا اجمعنا علی انه علیه السلام ما کان
رسولا الی الملائکة فبقی کونه رسولا الی الجن والانس ویتاکد هذه
الایة بآیات اخری احدیها قوله وما ارسلناك الا کافة للناس
وثانیها قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن علی ان یاتوا بمثل هذا
القران وهذا یدل علی کونه مبعوثا الی کل الجن والانس وثالثها
سورة الجن وهو قوله تعالی قل اوحی الی الایة الفائدة السادسة
ان لفظ العالمین یتناول جمیع المخلوقات فهذه الآیة تدل علی انه علیه السلام

رسولا

رسولا الی الخلق الی یوم القیامة وهذه الآیة متاکدة بقوله تعالی
ولکن رسول الله وخاتم النبیین واعلم انه تعالی وصف ذاته
بعد هذه الآیة باربعة انواع من الصفات الکبریاء والجلال والقدس
والعظمة اولها الذی له ملك السموات والارض واعلم ان تعلق هذه
الآیة بما قبلها من وجهین الاول ان الله علی العباد نوعین من الملك
احدهما ملك التکلیف وذلك لانه سبحانه ملك مطاع فی المخلوقات
لانه مالکهم وخالقهم ومدبرهم والمتصرف فیهم والمستولی علیهم
فکان ملکا مطاعًا والملك المطاع من له الامر والنهی والثانی ملك
التخلیق ففوله تبارك الذی نزل الفرقان علی عبده لیکون للعالمین
نذیرًا اشارة الی تقریر ملك التکلیف ثم قال بعده الذی له ملك السموت
والارض وهو اشارة الی ملك التخلیق فان ملك التخلیق معلل بملك
التکلیف فلما قال نزل الفرقان علی عبده لیکون للعالمین نذیرًا ثبت
بهذه الآیة ملك التکلیف لنفسه کانه قیل ولم یحسن منك التکلیف
والامر والنهی مع انك غنی عن النفع والضر والمکلف لا ینتفع بهذا التکلیف
فاجاب الحق سبحانه انما حسن منی ملك التکلیف لانه حصل لی ملك التخلیق
فالخلق عبیدی والملك ان یتصرف فی ملکه کیف یشاء ولا اعتراض
للعبد علی المالك البته فلهذا قال بعد تلك الآیة الذی له ملك
السموات والارض الوجه الثانی فی بیان النظم انه تعالی لما
وصف نفسه بکونه مرسلا للرسل وذلك یتوقف علی ثبوت ذاته
وثبوت صفاته لاجرم اردفه بما یدل علی ذلك فقال الذی له ملك
السموات والارض فاستدل علی وجوده وعلی کمال قدرته وکبریائه

شبكة الألوكة www.alukah.net

والهيته بملك السموات والارض ووجه الاستدلال على وجود
الصانع وصفات جلاله قد شرحناه فيما قبل ثم في هذه الآية
فايدتان الفايدة الاولى ان الملك اشارة الى القدرة والمتكلمون
بينوا ان اول العلم بالله هو العلم بكونه قادرا فلهذا السبب قدم
ذكر هذه الصفة الفايدة الثانية ان قوله له ملك السموات اشارة
الى احتياج جميع المخلوقات اليه حالتي حدوثها وبقائها وذلك
لان علة الحاجة هي الامكان والامكان من لوازم هذه الماهيات
فهي ممكنة حالتي حدوثها وبقائها فهي محتاجة الى المؤثر والمدبر
حالتي حدوثها وبقائها في ماهيتها وفي وجود ذواتها وفي
صفاتها فلا جرم كان الحق سبحانه مالك الملك لجميع الممكنات على الاطلاق
ازلا ابدا وهو المتصرف فيها كيف شاء واراد لا راد لما حكم لا ناقض
لما ابرمه له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين الصفة الثانية
قوله ولم يكن له ولد واعلم ان صفات الله تعالى على قسمين صفات
الجلال وصفات الاكرام اما صفات الجلال فهي عبارة عن تنزيه الله
سبحانه عما لا يليق به في ذاته وصفاته وافعاله واما صفات الاكرام
فهي عبارة عن وصف الله تعالى بالصفات التي منها يمكن كونه خالقا
للعالم على بعث الاحكام والاتقان فقوله تعالى له ملك السموات
والارض من قسم صفات الاكرام وقوله ولم يكن له ولد من قسم صفات
الجلال وهو اشارة الى انه هو المدبر للعالم والمعبود للخلق ابدا
ولا يصح ان يصير عبده وارثا للملك فيكون نفي الولد لقوله تبارك
الذي بيده الملك ولقوله الذي له ملك السموات والارض كانه قيل

المفتقر

المفتقر الى الولد هو الذي ينقضي ويموت حتى يقوم ولد مقامه
فاما من كان متباركا دايم الوجود ممتنع التغير فكيف يليق به الولد الصفة
الثالثة قوله ولم يكن له شريك في الملك والمراد انه سبحانه هو
المتفرد بهذه الصفات فانه هو الواجب لذاته وما سواه ممكن لذاته
وهو الموجد للممكنات وما سواه فمن صفة الموجدية والخالقية
معزول واذا عرفت ذلك انقطع رجاوك وخوفك عن الخلق ولا
تبقى مشغول القلب ملتفت الخاطر الا به وبفضله ورحمته وهذه
الآية رد على الثنوية والقايلين بالهية النجوم وعبدة الاوثان
الصفة الرابعة قوله تعالى وخلق كل شئ فقدره تقديرا وفي
هذه الاية فوايد الفايدة الاولى ان قوله له ملك السموات والارض
اشارة الى صفة من صفات الاكرام ثم قوله الذي لم يتخذ ولدا ولم
يكن له شريك في الملك اشارة الى ذكر صفتين من صفات الجلال ثم
قوله وخلق كل شئ اشارة الى ما تركب من صفات الجلال والاكرام
لانه اشارة الى انه هو الخالق وان غيره ليس بخالق فان قيل صفات
الجلال اولى بالتقدم من صفات الاكرام ويدل عليه القرآن والبرهان
اما القرآن فهو تعالى ذكر الجلال والاكرام في آيتين فقال ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقال تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام وفي كل واحدة من هاتين الآيتين قدم الجلال على الاكرام
واما البرهان فلان صفات الجلال عبارة عن السلوب ويكفي
في تحقق هذه السلوب الذات المخصوصة من حيث هي هي واما صفات
الاكرام فانها لا يظهر الا عند وجود الممكنات وما يكتنفه ذاته

الألوكة
www.alukah.net

من حيث انه هو هو متقدم في الرتبة على ما لا بد معه من غيره الجواب
هاهنا مرتبتان احديهما ان يتوسل بمعرفة غير الله الى معرفة الله وهذا
هو مقام عروج السائرين والمسافرين الى حضرة جلال الله والثاني
ان يتوسل بمعرفة ذات الله الى معرفة غير الله وهذا هو مقام نزول
خواص حضرة الله عن تلك الحضرة المقدسة الى الالتفات الى غيرها
فانا عبرنا المرتبة الاولى فكانت صفات الاكرام مقدمة على معرفة
صفات الجلال لانها في هذه المرتبة يستدل بالمخلوقات على الخالق
ثم يستدل بعدم افتقار الخالق على خالق آخر على كونه منزها عن مشابهة
المخلوقات واما اعبرنا المرتبة الثانية وهي مرتبة النزول كان
تحقق صفات الجلال متقدما بالرتبة على تحقق صفات الاكرام فان
تلك السلوب تكفي في تحققها الذات اما الاضافات فلا تكفي فيها
الذات الواحدة بل لا بد في تحققها من حصول المضافين واذا عرفت
هذا فنقول انه تعالى لما قال تبارك الذي نزل الفرقان على عبده
ليكون للعالمين نذيرا فكانه قيل كونه مرسلا للرسل انما يثبت لو ثبت
كونه موجودا فما الدليل على وجوده وقدرته فقال الدليل عليه ملك
السموات والارض وهذا هو مرتبة التدرج من الخلق الى الخالق فلا
جرم قدم ههنا صفات الاكرام على صفات الجلال واما قوله ويبقى
وجه ربك ذو الجلال والاكرام وقوله تبارك اسم ربك ذي الجلال
والاكرام فليس المقصود ههنا ذكر الاستدلال بل المقصود منه الاخبار
عن نعوت قدسه وعظمته كبريائه فكانت صفات الجلال
مقدمة في هذا المقام على صفات الاكرام فسبحان من اودع هذا الكتاب

اسرارا تعجز العقول عن ادراكها فقد ظهر بما ذكرنا ان الترتيب
الصحيح في هذا المقام هو انه قدم صفات الاثبات فقال الذي
له ملك السموات والارض ثم ذكر بعد ذلك صفتين من صفات
الجلال اولهما نفي الولد والثاني نفي الشريك ثم ذكر بعدهما ما تركب
عن صفة الاكرام وصفة الجلال فقال وخلق كل شيء وذلك لان
قوله كل شيء يدل على كونه خالقا للاشياء وهو صفة الاكرام وعلى
ان غيره لا يشاركه في هذه الصفة وهو صفة الجلال ومعلوم
ان تقديم المفرد على المركب واجب فهذا هو الاشارة الى ترتيب
الصفات المذكورة في هذه الآية الفائدة الثانية من اسرار هذه
الآية انها دالة على انه سبحانه خالق اعمال العباد وذلك لان قوله
وخلق كل شيء نظير قوله الله خالق كل شيء وقد دللنا على ان الخلق
عبارة عن الايجاد وههنا لطيفة يؤكد هذا المقصود وهو انه تعالى
نفى الشريك بقوله ولم يكن له شريك في الملك فكان قائلا ان يقول ههنا
اقوام يعترفون بنفي الشركاء والانداد ومع ذلك يقولون انهم
يخلقون افعالهم فذكر الله هذه الآية ليكون لهم نصا صريحا في الرد
عليهم فان قيل هذه الآية لا تدل على هذا المطلوب ويدل عليه
وجوه الاول انه تعالى صرح بكون العبد خالقا فقال واذ تخلق
من الطين كهيئة الطير قال ويخلقون افكا وقال فتبارك الله
احسن الخالقين والثاني انه تعالى ذكر هذا في معرض التمدح ولا يجوز
ان يتمدح بكونه فاعلا لافعال العباد مع ما فيها من القبايح الا
ترى انه تعالى تنزه عن فعل القبايح في سائر الايات فقال وما

خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال افحسبتم انما
خلقناكم عبثا وقال وما الله يريد ظلما للعباد والثالث
انه تعالى قال وقدره تقديرا ولا يجوز ان يريد به الا الحكمة
والصواب الاترى انه تعالى نفى التفاوت عن افعال نفسه فقال
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فثبت بهذه الوجوه ان الآية
لا تدل على هذا المطلوب فلا بد من التاويل ولو دلت لانها
لا تدل بظاهرها على قولهم فكيف ولا دلالة فيها على قولكم لان
الخلق عبارة عن التقدير فيختص ذلك بما يقبل التقدير وهو
الجسم الذي يكون له حجم وامتداد والجواب اما الآيات الدالة
على كون العبد خالقا فنقول ههنا آيات دلت على ان العبد غير خالق
وآيات دلت على انه خالق ولا بد من التلفيق بينهما فنحمل الآيات
الدالة على نفي الخالقية على نفي كون العبد موجدا والايات الدالة على
كونه خالقا على كونه متصورا متفكرا مقدرا في ذهنه امورا
قوله لا يمكن التمدح بخلق العبث قلنا لا يمكن التمدح بخلقها من حيث
انها عبث لكن لم لا يجوز التمدح بخلقها من حيث انها اخراج الشيء
من العدم الى الوجود قوله لفظ الخلق لا يتناول الا الاجسام
قلنا لو كان كذلك لكان قوله وخلق كل شيء فقدره حطا لانه
ليس كل شيء جسما الفائدة الثالثة من اسرار هذه الآية ان كثيرا
من الناس زعموا ان الخلق هو التقدير فقط واصحابنا زعموا انه
حقيقة في الايجاد والابداع وهذه الآية دالة على قولنا اذ لو
كان الخلق عبارة عن التقدير لكان قوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا

تكريرا

تكريرا من غير فائدة ونظير هذه الآية في الدلالة على هذه المسئلة
قوله تعالى سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى والذي قدر
فهدى ولو كان الخلق هو التقدير لكان خلق وقدر تكرارا الفائدة
الرابعة انه تعالى قال فقدره تقديرا والتقدير في حق الواحد
منا يرجع الى الظن والحسبان اما في حقه تعالى فلا معنى له الا العلم
والاخبار عنه وذلك متفق عليه بيننا وبين المعتزلة واذا عرفت
هذا فنقول مذهبنا ان الامر والارادة لا يتلازمان وذلك لانه
سبحانه لما علم في الشيء الفلاني انه لا يقع فلو وقع ذلك الشيء لزم
انقلاب علمه جهلا وانقلاب خبره الصدق كذبا وذلك محال والمفضي
الى المحال محال فاذا وقوع ذلك الشيء والمحال غير مراد ثم انه مامور
فثبت ان الامر والارادة لا يتلازمان فظهر ان السعيد من سعيد
في بطن امه والشقي من شقي في بطن امه واعلم ان عندنا الارادة
والعلم يتلازمان والارادة والامر لا يتلازمان وعند المعتزلة
الارادة والامر يتلازمان والارادة والعلم لا يتلازمان وتحقيقه
ما ذكرناه فهذا ما يتعلق بهذه الآية وبين الآية المتقدمة من وجوه
الاول انه في سورة الفرقان اثبت اولا لنفسه ملك التكليف والحكم
والامر والنهي ثم اردفه بان اثبت لنفسه ملك السموات والارض
واما في سورة الملك فانه اثبت اولا لنفسه الملك على الاطلاق
فقال الذي بيده الملك وهذا يتناول لجميع اقسام الملك من ملك
التكليف وملك التخليق وملك الابقاء وملك الافناء كما قال
قل اللهم مالك الملك الآية والفرق الثاني بين الآيتين انه تعالى

في تلك الآية قال الذي له ملك السموات والارض وقال في سورة
الملك الذي بيده الملك فذكر لفظ اليد ههنا والفائدة في ذكر
هذه اللفظة انه تعالى لما اثبت لنفسه جميع انواع الملك حتى
دخل فيه ملك الاجسام من فوق العرش الى ما تحت الثرى وملك
الارواح المشار اليه بقوله وما يعلم جنود ربك الا هو فكان
سائلا قال المدبر الواحد كيف يمكنه الوفاء بتدبير كل هذه الممالك
التي لا نهاية لها ولا غاية لكميتها وكيفيتها فاجاب بان كل هذه الممالك
التي لا نهاية لاحوالها ولا غاية لكميتها في يده وفي قبضته كما قال
في آية اخرى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه وذلك لان كمال القدرة على الشيء ان يكون ذلك الشيء
في يده فجعل كونه في يده مجازا عن كمال القدرة فلهذا المعنى قال
تبارك الذي بيده الملك وقال بعده وهو على كل شيء قدير ليعلم
ان بيده ملك كل الموجودات وهو قادر على خلق المعدومات
التي تكون من الممكنات فقوله بيده الملك اشارة الى ملك الموجودات
بالابقاء والاعدام قوله وهو على كل شيء قدير اشارة الى ملك
المعدومات بالايجاد والابداع فان قيل القدير مبالغة في القادر
فلو قال وهو على كل شيء قادر افاد ذلك كونه تعالى قادرا على كل واحد
من المقدورات التي لا نهاية لها فاذا كان القدير للمبالغة وجب
ان يفيد هذا زيادة على كونه تعالى قادرا على كل واحد من تلك المقدورات
لكن الشيء الواحد لا يقبل التفاوت ولا يتطرق اليه الزيادة والنقصان
فما معنى هذه المبالغات قلنا لو انه تعالى قال وهو على كل شيء قادر

افاد ذلك كونه تعالى قادرا على المقدورات فلما قال وهو على
كل شيء قدير افاد ذلك زيادة قدرته في كل واحد من المقدورات
وتلك الزيادة والمبالغة راجعة الى ما بيناه فيما يقدم ان جميع
القادرين يفتقرون في الفعل والتكوين الى تقديم مادة ومدة
زمان ومكان وآلة وروية ثم قد يمنع عليهم تكوين مقدوراتهم
لاجل ان يمنعهم عن ذلك مانع ومعارض وكل ذلك على الله محال فلا
جرم صدق قولنا انه قادر على كل شيء وصدق ايضا بنا المبالغة
وهو انه قدير على كل شيء ثم قال الذي خلق الموت والحيوة واعلم انه
تعالى لما ذكر اولا ان بيده ملكوت ملك الموجودات والمعدومات
وزمام التصرف في كل الكائنات والممكنات خصص بعده بالذكر
ملك الاحياء والاماتة فقال الذي خلق الموت والحيوة ونظيره
قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم وانما قدم الموت
على الحيوة لوجوه الاول قال المقاتل يعني بالموت نطفة وعلقة
ومضغة وبالحيوة نفخ الروح والثاني انه لما ذكر عقيب هذه الاية
انه تعالى ابتلى الخلايق بالتكاليف فقال ليبلوكم ايكم احسن عملا
والناس انما يقدمون على محاسن الاعمال لخوف ما بعد الموت فكان
الموت اقوى تاثيرا في هذا المقصود فلاجرم قدم ذكر الموت على
الحيوة الثالث المراد بهذا الموت المذكور في هذه الآية الموت بعد
هذه الحيوة والمراد بالحيوة الحيوة الابدية في الجنة ولم يذكر الحيوة
العاجلة البتة وذلك لان هذه الحيوة حيوة بين موتين احد الموتين
من الازل الى الآن والموت الثاني من الان الى الابد فلاجرم ترك الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

ذكر هذه الحيوة لخستها وقلتها واما الحيوة فى الدار الاخرة فهى الحيوة
الاصلية لانها حيوة ابدية ولهذا قال تعالى وان الدار الآخرة
لهى الحيوان لو كانوا يعلمون ثم قال تعالى بعد ذكر الموت والحيوة
ليبلوكم ايكم احسن عملا والابتلاء هو التجربة والامتحان حتى يعلم
انه مطيع او عاص وذلك فى حق الله تعالى محال وسيجى تمام هذه
المسئلة فى باب التكليف ان شاء الله والحاصل هو ان الابتلاء
من الله تعالى هو ان يعامل عبده معاملة يشبهه عمل المحسنين
واعلم انا ان فسرنا الموت والحيوة بالموت حال كونه نطفة وعلقة
ومضغة وبالحيوة حيوة الدنيا فوجه الابتلاء على هذا التفسير
ان يعلم العبد انه تعالى هو الذى نقله من الموت الى الحيوة وكما فعل
ذلك فلابد وان يكون قادرا على ان ينقله من الحيوة الى الموت فيحذر
بحى الموت الذى به ينقطع استدراك ما فات واما ان فسرنا الموت
والحيوة بالموت فى الدنيا والحيوة فى القيامة فالابتلاء فيهما اتم
لان الخوف من الموت الحاصل فى الدنيا اشد منه من الخوف من الحيوة
فى القيامة واعلم ان اول سورة الفرقان مع هذه السورة متشابهات
فى المقصود وذلك لانه تارة يذكر الحكم ثم يذكر عقيبه سببه وعلته
واخرى بالعكس من ذلك وهو ان يذكر السبب والعلة اولا ثم يذكر الحكم
عقيبه واذا عرفت هذا فنقول فى سورة الفرقان ذكر انه التكليف
اولا بقوله نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا ثم ذكر العلة
والسبب بعده فقال الذى له ملك السموات والارض ولما فى سورة
الملك فانه ذكر السبب والعلة اولا وهو انه مالك الملك على الاطلاق

ومالك الملك فى الاحياء والاماتة ثم انه ذكر الحكم بعده وهو حسن
التكليف فقال ليبلوكم ايكم احسن عملا انظر الى هذه المناسبات العجيبة
والاسرار اللطيفة ثم ان المفسرين ذكروا فى تفسير احسن عملا وجوه
الاول المعنى ايكم يأتى بالاعمال على وجه الاخلاص والصواب لان
العمل اذا كان صوابا غير خالص لم يقبل ايضا بل المقبول ان يكون صوابا
خالصا لوجه الله تعالى والصواب هو ان يكون على وفق امر الله والخالص
هو ان يأتى به لوجه الله والثانى قال قتادة سالت رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال عليه السلام ايكم عقلا
واشدكم خوفا احسنكم فيما امر الله به ونهى عنه وانما جاز تفسير
حسن العمل بتمام العقل لان حسن العمل من نتايج كمال العقل فمن كان
اتم عقلا كان احسن عملا الثالث قال الحسن احسن عملا ازهدكم
فى الدنيا واشدكم تركا واعلم انه تعالى لما ذكر حديث الابتلاء قال
بعده وهو العزيز الغفور اى وهو الغالب الذى لا يعجزه من اساء
فى الاعمال الغفور لمن تاب واناب وانما قدم ذكر العزيز على الغفور
ليظهر به كمال الرحمة لان الانسان قد يغفر ذنب عبده اما لانه لا يقدر
على الانتقام فى الحال ولانه وان قدر عليه فى الحال لكن يتركه
لانه يخاف توابع ذلك الانتقام وعواقبه فههنا ذكر تعالى انه عزيز
قاهر قادر غالب لا يمتنع عليه فعل شئ من الافعال ولا يخاف عاقبة
شئ من الاشياء ثم انه مع ذلك غفور متجاوز عن سيئات عباده
ليظهر بذلك كمال كرمه ورحمته ثم فيه دقيقة اخرى وهى ان العبد
له من الظلم ثلثة اسماء والرب من المغفرة ثلثة اسماء احد اسماء العبد

الألوكة
www.alukah.net

الظالم قال فمنهم ظالم لنفسه وفي مقابلته للرب سبحانه من المغفرة
اسم الغافر قال غافر الذنب واثناني الظلوم قال انه كان ظلوما
جهولا وفي مقابلته للرب من المغفرة الغفور كما في هذه الآية
وفي قوله وربك الغفور ذو الرحمة والاسم الثالث للعبد الظلام
وفي مقابلته للرب من المغفرة الغفار فقال واني لغفار لمن تاب
وقال في نوح استغفروا ربكم انه كان غفارا فكانه لا تخف ولا
تياس فان كنت ظالما فانا غافر وان كنت ظلوما فانا الغفور وان
كنت ظلاما فانا الغفار ثم اعلم انه تعالى لما ذكر كونه عزيزا غفورا
فكونه عزيزا غفورا لا يتم الا اذا كان قادرا على كل الممكنات عالما
بكل المعلومات اما انه لا بد من القدرة فلانه لو لم يكن قادرا لا يتمكن
من ايصال جزاء كل احد اليه على سبيل الكمال والتمام سواء كان
عقابا او ثوابا واما انه لا بد من العلم بكل المعلومات فلاجل ان
يعلم ان المطيع من هو وان العاصي من هو حتى لا يقع الخطاء في ايصال
الحق الى مستحقه فثبت ان كونه عزيزا غفورا لا يمكن الاقرار بهما
الا بعد الاقرار بكونه تعالى عالما بكل المعلومات قادرا على كل
الممكنات فلهذا السبب ذكر الله تعالى عقيب هذه الآية ما يدل
على كمال القدرة وعلى كمال العلم ولما ثبت في عالم الاصول ان اول
العلم بالله هو العالم بكونه قادرا لاجرم قدم دلايل القدرة
على دلايل العلم اما دليل اثبات القدرة فهو قوله الذي خلق سبع
سموات طباقا قال صاحب الكشاف في قوله طباقا ثلثة اوجه
احدها طباقا اي مطابقة بعضها فوق بعض من طابق النعل اذا خصفها

طبقا على طبق وهذا وصف بالمصدر والثاني ان يكون التقدير ذات
طباق والثالث ان يكون التقدير طوبقت طباقا واعلم ان دلالة السموات
بطبقاتها على وجود الصانع المختار الحكيم سبحانه فقد تقدم شرح
اقسامها في هذا الكتاب فلا نعيدها واما دليل العلم فهو قوله ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت واعلم ان حقيقة التفاوت عدم التناسب
اذا كان بعض الشيء يقرب بعضا ولا يلايمه فيقال هذا خلق متفاوت
ونقيضه مناسب والمفسرون فيه وجوه ثلثة قال السدي ما ترى
في خلق الرحمن من تفاوت اي من اختلاف وعيب يعود الناظر فيه لو كان
كذا لكان احسن وقال آخرون التفاوت الفطور بدليل قوله فارجع
البصر هل ترى من فطور وهو نظير قوله وما لها من فروج وقال
الفراء يحتمل ان يكون المعنى ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت في
الدلالة على حكم صانعها وعلمه وقدرته واعلم ان وجه الاستدلال
بهذا المعنى على كمال علم الله ان نفوذ الحس دل على ان هذه السموات
وقع تركيبها على وجه عجيب بديع موافق للمصلحة والحسن وكل فاعل
كان فعله كذلك فهو لا بد وان يكون في غاية العلم والحكمة فقوله
ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت اشارة الى كونها محكمة متقنة
والاحكام والاتقان عند المتكلمين يدل على علم الفاعل دلالة ضرورية
ثم قال تعالى بعده فارجع البصر هل ترى من فطور كانه تعالى قال
وامثالك لا يحكم بمقتضى النظر الواحد ولا تعول عليه بسبب انه قد
يقع الغلط في النظر الواحد ولكن ارجع البصر وارد النظر مرة
بعد اخرى حتى تبين انه ليس في خلق الرحمن من تفاوت ولا عيب

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

ولا فطور والعجب انه تعالى قال الحمد لله فاطر السموات والارض
ثم بين في هذه الآية انه ليس فيها فطور كانه قال انا الفاطر للسموات
من غير فطور وانا المزين لها من غير عيب ولا قصور ونظير هذه الآية
قوله ومالها من فروج فليس فيها فطور وليس فيها فروج ولا فيها
تفاوت بل هي سبع شداد وسبع طباق وبناء مرفوع وسمك
مصنوع فيها آيات قاهرة وبراهين باهرة على وحدانيته وقدرته
مقدرها ومدبرها ثم قال ارجع البصر كرتين ينقلب اليك البصر
خاسئا وهو حسير امره بتكرير البصر في خلق الرحمن على سبيل
التصفح والتدبر والتتبع هل يجد فيه عيبا وخللا يعني انك وان كررت
هذا النظر مرارا واطوارا لم يرجع اليك بصرك بما يطلبه من وجدان
الخلل والعيب بل يرجع اليك خاسئا اي مبعدا وهو ماخوذ من قولك
حسأت الكلب اذا ابعدته قال المبرد الخاسئ البعيد المصغر المصغى
وقال ابن عباس الخاسئ الذي لا يرى ما يهوى والحسير الكليل ثم قال
تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وسنذكر تحقيق القول
في هذه الآية واسرارها في باب الاستدلال باحوال الكواكب على وجود
الصانع فهذا جملة الكلام في هذه الآية واعلم انه بقي من الصفات
المذكورة في القرآن للسموات صفاتها في قيام الساعة كقوله اذا السماء
انشقت واذا السماء كشطت ويوم تشقق السماء بالغمام ويوم نطوي
السماء كطي السجل للكتب ويكون السماء كالمهل يوم تمور السماء مورا
فكانت وردة كالدهان والكلام في شرح هذه الاحوال سيجيء في باب
كيفية القيامة ان شاء الله تعالى **الفصل السابع**

في الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع اعلم انه سبحانه
نبه على الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع وقدرته
وعلمه وحكمته وجلالته في آيات منها قوله في اول سورة
البقرة الذي جعل لكم الارض فراشا واعلم انه تعالى ذكر
انواع منافعها على الشرح والتفصيل في الكتاب الكريم النوع
الاول من منافع الارض انه تعالى خلق كل ما في الارض لنا قال تعالى
هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا وقال الم تروا ان الله سخر
لكم ما في الارض واعلم ان الكلام في الآية المذكورة في سورة البقرة
لا يتم الا بتفسير ما قبلها واعلم انه تعالى ذكر في اول هذه السورة
خمس آيات في تعظيم المؤمنين وهي الى قوله واولئك هم المفلحون
ثم ذكر بعد ذلك آيتين في ذم الكفار وهما قوله ان الذين كفروا
الى قوله ولهم عذاب عظيم ثم ذكر ثلثة عشر آية في ذم
المنافقين وهي من قوله ومن الناس من يقول امنا بالله الى قوله
يا ايها الناس اعبدوا ربكم فان قيل كفر الكافر المظاهر بكفره
اغلظ من كفر المنافق فلم كان ذم الكافر في آيتين وذم المنافق
في هذه الايات الكثيرة قلنا لان الكافر وان كان كافرا الا ان
طبعه طبع الرجال فما يضمر يظهر اما المنافق فطبعه طبع
المخنثين يضمر شيئا ويظهر شيئا اخر فلهذا ورد ذمه اكثر وظهر
قال ان المنافقين في الدرك الاسفل من النار ثم انه تعالى لما شرح
احوال هذه الفرق الثلثة شرع بعد ذلك في تقرير الدلايل فبداء
بذكر دلايل الصانع وذكر من الانفس دليلين ومن الافاق ثلثة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اما من الانفس فقوله تعالى اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من
قبلكم واما من الافاق فقوله الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء
بناء وانزل من السماء ماء ثم ذكر بعده دليل نبوة محمد عليه السلام
وهو قوله وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة
من مثله ثم ذكر بعده مسالة الحشر والنشر والقيامة فقال وبشر
الذين امنوا وعملوا الصالحات ثم اورد سوالا على الدليل الذى ذكره
على نبوة محمد عليه السلام وذلك لانه استدل على نبوته بعظم حال القران
وكمال درجته وطعن الكفار فيه بان قالوا كيف يكون عظيم الدرجة
وهو مشتمل على شرح احوال الحيوانات الخسيسة كالبعوض والذباب
والنمل والعنكبوت فاجاب الله عن هذا السوال بقوله ان الله لا يستحيى
ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها ثم ساق اخر هذا الجواب الى مسئلة
القضاء والقدر وهو قوله يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا الاية وعند
هذا تمت الدلايل على تقرير هذه الاصول الاربعة وهى التوحيد والنبوة
والمعاد والقدر ثم بعد تقرير هذه الاصول بالدلايل القاهرة والبراهين
الباهرة شرع فى تعديد النعم ومعلوم ان النعم منها عامة ومنها خاصة
فقدم ذكر النعم العامة ومعلوم ان اصل جميع النعم هو الحيوة فانه
لولا الحيوة لما كان الانتفاع بشئ من النعم ممكنا فلاجرم اول النعم التى
ذكرها الله تعالى هى الحيوة فقال كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم الى قوله ترجعون وفى هذه الاية فوايد الفايدة الاولى ان قوله
كيف تكفرون بالله وان كان فى صورة الاستخبار الا ان المراد منه
التكيب والتعنيف والتقبيح لان اعظم النعمة يقتضى عظم معصية المنعم

بيان

بيان ذلك ان الوالد لما عظمت نعمته على الولد بان رباه وعلمه
واعطاه الاموال وعرضه للامور الجسام لاجرم كانت معصية
لابيه اقبح المعاصى فقابل نعم الله عليك بنعم ابيك عليك حتى يعرف
عظم معصية الله ونهاية قبحها ثم ان اعظم المعاصى هو الكفر والشرك
ولما كانت هذه المعصية متناهية الى الغاية القصوى فى القبح
لاجرم ذكرهم الله سبحانه نعمته العظيمة عليهم ليصير ذلك تنبيها
لهم على عظم جرمهم وقبح طريقتهم فيصير ذلك زاجرا لهم عنهم فذكر
اولا امر الحيوة التى هى اصل جميع النعم ولذلك تلفظ كيف على سبيل
التعجب تنبيها على غاية هذه النعمة وغاية قبح تلك المعصية الفايدة
الثانية قالت المعتزلة هذه الاية تدل على ان الكفر من العبد لا من الله
وبيانه من وجوه الاول انه تعالى لو كان هو الخالق للكفر فيهم لما
جاز ان يقول كيف تكفرون بالله على سبيل التوبيخ كما لا يجوز ان
يقال لهم كيف تسودون وتبيضون وتسمنون لما ان ذلك انما
يحصل فيهم لان الله خلقه فيهم والثانى انه تعالى لما خلقهم للشقاوة
والنار وما خلقهم الا للكفر والضلال والبقاء فى النار فكيف يصح ان
يقول موبخا لهم كيف تكفرون والثالث انه كيف يليق بالحكيم ان يقول
لهم كيف يكفرون حال ما تخليق الكفر فيهم ويقول وما منع الناس
ان يؤمنوا حال ما منعهم عن الايمان ويقول فما لهم لا يؤمنون
فما لهم عن التذكرة معرضين وهو تخلق فيهم الاعراض ويقول انى
تؤفكون وانى تصرفون وهو يخلق الافك والصرف فيهم ومثل
هذا الكلام بان يعد من السخرية اولى من ان يذكر لالزام الحجة عليهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والرابع انه تعالى لما قال للعباد كيف تكفرون فهل ذكر هذا الكلام
توجيها للحجة او ليس كذلك فان لم يكن لطلب توجيه الحجة كان هذا
عبثا ولا يكون في انزال القران فايدة اصلا وان كان ذلك لازم
الحجة فللعبد ان يقول بناء على مذهب الجبر حصل في حقي امور كثيرة
موجبة للكفر مانعة عن الايمان فالاول انك علمت مني الكفر وانا
لا اقدر على ان اقلب علمك جهلا والثاني انك اردت مني الكفر وهذه
الارادة موجبة والثالث انك خلقت الكفر وانا لا اقدر على ازالة
فعلك والرابع انك اخبرت عن وجود هذا الكفر وانا لا اقدر
على جعل خبرك الصدق كذبا والخامس انك خلقت قدره لا يصلح
الا للكفر والسادس انك خلقت ارادة جازمة للكفر والسابع
زينت الكفر والثامن انك سلطت على القلب الدين والطبع والوقر
والغشاوة والختم وكل ذلك اسباب موجبة للكفر ثم لما خلقت هذه
الاسباب الثمانية الموجبة للكفر سلبت مجموع الاسباب الثمانية
المعتبرة في حصول الايمان فقد حصل لعدم الايمان ستة عشر سببا
كل واحد منها مستقل بالمنع من الايمان ومع قيام هذه الاسباب
الكثيرة كيف يحسن التوبيخ على الكفر والترغيب في الايمان والخامس
انه تعالى قال لرسوله قل لهؤلاء الكفار كيف تكفرون بالله الذي انعم
عليكم بهذه النعم العظيمة اعني نعمة الحيوة وعلى قول اهل الجبر
لا نعمة لله تعالى على الكافر وذلك لان عندهم كل ما فعله الله
بالكافر انما فعله ليستدرجه الى الكفر ويحرقه بالنار وعلى هذا
التقدير فاي نعمة يكون لله على العبد وهل يكون ذلك الا بمنزلة

من قدم الى غير بطبق فالوزج مسموم فان ظاهره وان كان لذيذا
وبعد نعمة لكن لما كان باطنه مهلكا لا يعد نعمة ومعلومات
العذاب الدايم اشد ضررا من ذلك السم وعلى هذا التقدير كيف يمكن
ان يكون لله نعمة على الكافر واذا لم يكن له نعمة عليه فكيف يليق بان
يامر رسوله بان يقول لهم كيف تكفرون عن انعم الله عليكم بهذه
النعم العظيمة والجواب عن هذه الوجوه عند البحث يرجع حاصلها
الى التمسك بطريقة المدح والذم والثواب والعقاب وهذه الطريقة
معارضة بوجهين الاول انه تعالى لما كان عالما من ابي جهل بانه لا يؤمن
والعلم بعدم الايمان مع وجود الايمان ضدان متنافيان لذاتيهما
فمع قيام احد الضدين يكون التكليف بضد الثاني تكليف ما لا يطاق
وحينئذ يلزمكم كل ما اوردتموه علينا والثاني ان قدرة العبد لما
كانت صالحة للايمان والكفر فترجح احد الطرفين على الاخر ان لم يتوقف
على مرجح لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وهو محال فحدوث ذلك المرجح
ان لم يكن بمحدث فقد استغنى الحدوث عن المحدث وهو نفي الصانع وان
افتقر الى محدث فذلك المحدث ان كان هو العبد لزم التسلسل وان
كان هو الله تعالى فقد لزم الجبر وحينئذ يلزمكم كل ما الزمتموه علينا
واعلم ان المعتزلي اذا طول وعرض وابرق وارعد بامثال هذه
الكلمات التي حكيناها عنهم فعليك ان تعارضه بهذين الوجهين
فانه لا يمكنه ان يتكلم ان كان ذكيا فهما الفايدة الثالثة من هذه الآية
اتفقوا على ان قوله وكنتم امواتا المراد به وكنتم ترابا ونطفا لان
ابتداء خلق آدم عليه السلم من التراب وخلق سايرالمكلفين من اولاده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا عيسى عليه السلام ولكنهم اختلفوا في ازاطلا قاسم الميت
على الجماد حقيقة او مجازا والاكثرون على انه مجاز لانه شبه
الموات بالميت والاقلون قالوا هو حقيقة فيه ومروى عن قتادة
قال كانوا امواتا في اصلاب ابائهم فاحياهم الله تعالى ثم اخرجهم
الى الدنيا ثم اماتهم الموتة الاولى التي لابد منها ثم احياهم بعد
الموت فهما حيوتان وموتان واحتجوا بقوله خلق الموت والحيوة
فالموت المقدم على الحيوة هو كونه مواتا والاقرب هو الاول
لانه يقال في الجماد انه موات ولا يقال انه ميت بشبه ان يكون
استعمال احدهما في الاخر على سبيل التشبيه قال القفال وهو كقوله
هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا فبين سبحانه
انا لانسان كان لا شيء يذكر ثم جعله الله حيا سميعا بصيرا ومجازه
من قولهم فلان ميت الذكر هذا امر ميت وسلعة ميتة اذا لم يكن
لها طالب ولا راغب فكذا معنى الآية وكنتم امواتا اى خاملين
لا ذكر لكم لا بكم ما كنتم شيئا ثم احياكم وجعلكم سميعا بصيرا
الفائدة الرابعة احتج قوم بهذه الآية على بطلان القول بعذاب القبر
قالوا لانه تعالى بين انه يحييهم مرة في الدنيا والاخرى في الاخرة
ولم يذكر فيه حيوة القبر الجواب ان الله تعالى ذكر حيوة القبر في هذه
الآية لان قوله يحييكم ليس المراد منه حيوة القيامة والا لكان هذا
هو عين قوله ثم اليه ترجعون ويحصل التكرار بل قوله ثم يحييكم
اشارة الى حيوة القبر ثم اليه ترجعون اشارة الى حيوة القيامة قال
الحسن البصري كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم يعني بالعامة

فاما

فاما بعض الناس فقد اماتهم الله ثلث مرات نحو ما حكي في قوله
او كالذي مر على قرية وهي خاوية الى عروشها الى قوله ثم بعثه وقوله
الم تر الى الذين خرجوا من ديارهم الآية وكذلك اعثرنا عليهم الآية
وقوله في قصة ايوب عليه السلام واتيناه اهله ومثلهم معهم
فانه جاء في بعض الروايات انه تعالى رد عليه اهله بعد ان اماتهم
واقول ايضا انه ان ثبت انه تعالى احيا الذر في صلب آدم عليه السلام
وخاطبهم بقوله الست بربكم لزم ان يقال ان هؤلاء الاقوام الذين
ذكرناهم قد اماتهم الله اربع مرات الفائدة الخامسة تمسك الجبة
بهذه الآية وهو قوله ثم اليه ترجعون على انه سبحانه في مكان وجهة
وهذا ضعيف والمراد الى حكمه ترجعون لانه تعالى يبعث من في القبور
ويجمعهم في المحشر فذلك هو الرجوع وانما وصف هذا بانه رجوع
الى الله لانه رجوع الى حيث لا يتولى الحكم فيه غير الله كقولهم رجع الحكم
الى الامير اى الى حيث لا يحكم فيه غيره الفائدة السادسة تمسك
اهل التناسخ على قدم الارواح بهذه الآية وذلك لان الرجوع الى الله
لا يصح الا بعد ان يقال كانت قبل تعلقها بالابدان في حضرة الله واكدوا
هذه الآية بقوله ارجعي الى ربك راضية مرضية والجواب ان الارواح
لما كانت من عالم الآخرة لا جرم سميت مفارقتها عن ابدانها بالرجوع
الى الله سبحانه الفائدة السابعة هذه الآية دالة على وجود الصانع
سبحانه فان الحيوة والموت ليسا من افعال البشر فلا بد من مدبر
وتمام تقرير ما ذكرنا في باب الاستدلال على وجود الصانع بتكوين
بدن الانسان الفائدة الثامنة ان هذه الآية تدل على انه لا قدرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على الاحياء والاماتة الا الله سبحانه فبطل به قول اهل الطبايع ان
الموت في الجوة والموت هو الطبايع والكواكب والاركان والمزاجات
وفيه ابطال قول من حكى الله عنهم وقالوا ان هي الا حيوتنا الدنيا
نموت ونحيى وما يهلكنا الا الدهر الفايدة التاسعة الآية دالة
على صحة الحشر ومنبهة على الدليل العقلي الدال على امكان الحشر
والنشر لانه بين ان هذه الاشياء كانت ميتة فاحياه الله فاذا
جاز الاحياء بعد الموت في المرة الثانية كان ذلك ولى الفايدة
العاشرة الآية دالة على التكليف والامر والنهي والترغيب والترهيب
والثواب والعقاب الفايدة الحادية عشر الآية دالة على وجود
الزهد في الدنيا لانه تعالى قال فاحياكم ثم يميتكم فبين انه لابد بعد
هذا الموت من سوال القبر ثم ذكر بعد ذلك انه لابد من الرجوع الى الله
ولشبر الى بيان هذه المراتب اما انه كان ميتا حين كان نطفة وعلقة
ومضغة فامر لا شك فيه واما انه تعالى احياه بعد ذلك فهو
ايضا حق وانا احياه وصوره فاحسن صوره وجعله بشرا سويا
واكمل عقله وصيره بصيرا بانواع المنافع والمضار ومكنه الاموال
والاولاد والدور والقصور واما انه تعالى يميته فالامر ظاهر فيه
واذا اماته فقد زال عنه كل تلك النعم وصيره بحيث لا يملك شيئا
ولا يبقى منه في الدنيا اثر ولا خبر وبقي مدة مديدة في اللحود قال
ومن ورايهم برزخ الى يوم يبعثون بنادى فلا يجيب وليستنطق
فلا يتكلم ثم يصير بحيث لا يزوره الاقربون ويناسه الاهلون قال
يحيى بن معاذ الرازي تمر اقاربي بحذاء قبري كانا قاربي لم يعرفوني

وقال علي رضي الله عنه الهي كاني بنفسي قد اضطجعت في حفرتها وانصرف
المشيعون من تشييعها وبكى الغريب لغربتها وناداها من شفير القبر
ذو مودتها ورحمها عند مصرعتها ولم يخف على الناظرين عجز حيلتها فما
رجاى الا ان تقول للملايكة انظروا الى فريد قد نابى عنه الاقربون ووحيد
قد جفاه المحبون اصبح مني قريبا وفي اللحد غريبا وقد كان لي في الدنيا
محبا وداعيا ولاحسانى اليه عند وصوله الى هذا البيت راجيا فاحسن
الى هنالك يا قديم الاحسان وحقق رجاء فيك يا واسع الغفران
واما انه لابد من الرجوع الى الله سبحانه فلانه سبحانه يامر بان ينفخ
في الصور وقال ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض
الآية وقال يخرجون من الاجداث سراعا كانهم الى نصب يوفضون
ثم يعرضون على الله كما قال وعرضوا على ربك صفا فيقومون خاشعين
خاضعين كما قال وخشعت الاصوات للرحمن قال بعضهم الهنا اذا قمنا
من قبورنا الاجداث مغبرة رؤسنا ومن شدة الخوف شاحبة وجوهنا
ومن طول القيامة مطرقة رؤسنا ومن طول المدة في القيامة جايعة
بطوننا وبلايه لاهل الموقف سوءاتنا ومن ثقل الاوزار منقلة
ظهورنا وبقينا متحيرين في امورنا نادمين على ذنوبنا فلا تضاعف
علينا المصايب باعراض وجهك الكريم عنا ولا تمنع غفرانك ورحمتك
يا عظيم الرحمة ويا واسع المغفرة قوله هو الذي خلق لكم ما في الارض
جميعا اعلم انه تعالى لما ذكر الحيوة التي هي اصل جميع النعم اتبعه بذكر
المنتفع به وهو المنافع المخلوقة في الارض وما احسن هذا الترتيب
فان الانتفاع بالارض والسماء لا يكون الا بعد حصول الحيوة اما لفظ

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الخلق فقد مر تفسيره واما قوله لكم فهو يدل على ان كل ما خلقه
في الارض انما خلقه لمنفعة المكلفين اما في الدنيا واما في الدين
فبان يستدل المكلف بهذه الاشياء ويعتبر بها في اثبات الصانع
ومعرفة قدرته وعلمه وحكمته وجمع بقوله ما في الارض جميعا
كل ما في الارض فمنها ما يتصل بالحيوان والنبات والمعادن والجبال
ومنها ما يتصل بضروب الحرف والصناعات والامور التي استنبطها
العقلاء وبين تعالى ان كل ذلك انما خلقها حتى ينتفع المكلف بها
كما قال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض فكانه سبحانه قال
كيف تكفرون بالله الذي خلق لكم ما في الارض جميعا ويقال كيف
تكفرون بقدرة الله على اعادتكم وقد خلق لكم ما في الارض فكيف
يعجز عن اعادتكم ثم انه سبحانه ذكر تفاصيل هذه المنافع في سور
مختلفة كما قال انا صببنا الماء صبا ثم شققنا الارض شقا وسنستقصي
الكلام في شرح هذه التفاصيل في باب الاستدلال على وجود الصانع
باحوال الحيوان والنبات ثم ههنا فوايد الفائدة الاولى اللام في
قوله خلق لكم لام الحكمة والغرض واعلم انه تعالى ذكر هذه اللام
في مواضع احدها وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون والثاني
ان اشرف العبادات بعد الايمان والصلوة فذكر الله تعالى هذا
اللام فيها فقال واقم الصلوة لذكري وفي الصوم قال عليه السلام
حكاية عن الله تعالى الصوم لي وانا اجزي به ثم ان الامة مجتمعة
على انه يجب على المصلي ان يقول بقلبه اصلي لله ولو قال اصلي لطلب
الجنة او للهرب من النار لم يصح صلوته ثم كانه قال سبحانه عبدي

انك ان وفيت بموجب هذه الايات ملكتك الدنيا والاخرة بلام الملك
اما الدنيا فهو قوله خلق لكم ما في الارض جميعا واما الاخرة فقوله
وجنة عرضها كعرض السموات والارض اعدت للمتقين والحاصل
انه سبحانه خلق لك خدمته وخلق كل ما سواك لاجلك فان صرفت
نفسك الى خدمته فهو سبحانه يصرف الدنيا والاخرة الى جهة غرضك
كما قال وامر اهلك بالصلوة الى قوله والعاقبة للمتقين النوع
الثاني من الاستدلال باحوال الارض على وجود الصانع المختار
كون الارض مقرا للحيوانات ومسكنا لها والله سبحانه ذكر هذا المعنى
في آيات في اول سورة البقرة الذي جعل لكم الارض فراشا وقال
في طه حكاية عن موسى حين استدل بها على وجود الصانع الذي جعل
لكم الارض مهادا وسلك لكم فيها سبلا وقال في سورة عم المرسل
الارض مهادا وقال في سورة النمل ام من جعل الارض قرارا وجعل
خلالها انهارا الآية وقال في سورة الملك هو الذي جعل لكم الارض
ذلولا الآية وقال في سورة نوح والله جعل لكم الارض بساطا وقال
وقال في المرسلات الم نجعل الارض كفاتا الآية واعلم انه يجب علينا
ان نبحث عن هذه الصفات التي ذكرها الله سبحانه للارض الصفة الاولى
كونه فراشا واعلم انه يعتبر في كون الارض فراشا للحيوانات شرايط
الشرط الاول كونه ساكنة وذلك لانها لو كانت متحركة الى السفل
لكان من دفع رجله عن الارض واراد بعد ذلك ان يضعها على الارض
لم يقدر على ذلك البتة لانا بينا انه اذا تحرك شيء الى اسفل
واحدها اخف من الاخر لم يصل الاخف الى الاثقل فعلى هذا التقدير

كان يصير المشي على الارض متعذرا على الحيوانات واما ان كانت
الارض متحركة على الاستدارة كان الهواء المحيط بها شديد التموج
بسبب حركتها فعند ذلك يصير الانسان وغيره من الاجسام الصغيرة
متحركة بخوجهة حركة الارض بالاضطرار ويمتنع عليها الحركة الى خلاف
تلك الجهة وعلى هذا التقدير يصير المشي متعذرا ونقل الاقدمنه من موضع
الى موضع متعذرا اما اذا كانت الارض واقفة ساكنة لاجرم كان
المشي ممكنا ونقل الاقدمنه من مكان الى مكان متيسرا على حسب المراد
والمصلحة فحينئذ يصلح كون الارض مسكنا للحيوانات ثم قد عرفت
انها ساكنة لا بسبب علاقة فوقها ولا دعامة تحتها والاعاد
الكلام في تلك العلاقة وتلك الدعامة ولزم التسلسل واذا ثبت
انها ساكنة بلا علاقة ولا دعامة ثبت ان ممسكها هو الله سبحانه
بقدرته واختياره وهو المراد في قوله ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا وقد يقدر ذلك مستقصى الشرط الثاني في كون الارض
فراشا للحيوانات ان لا يكون في غاية الصلابة ولا في غاية الرخاوة
اما انه يجب ان لا يكون في غاية الصلابة فانها لو كانت كذلك كالحجر
مثلا كان النوم عليه والمشي مما يولم البدن وايضا لم تنبت منه
انواع النبات والاشجار والثمار وايضا كان يسخن شديدا في الصيف
ويبرد شديدا في الشتاء فما كان يصلح لسكنى الحيوانات وايضا كان
يتعذر اتخاذ الابنية والمساكن منه وكان يتعذر حفرها وتركيبها
كما يراد وكما يوافق المصلحة فثبت ان الارض لو كانت صلبة جحرية
لما كان يصلح لان يكون فراشا للانسان من هذه الوجوه ثم تامل ان اعز

الاشياء عند الانسان الذهب والفضة والياقوت والزمرد ولو
انا قدرنا ان الارض كانت مخلوقة من هذه الاشياء لفاتت هذه المصالح
باسرها وبطلت المنافع وبهذا يظهر انه لا نسبة للتراب في كثرة المنافع
والمصالح الى هذه الاشياء التي نظنها الانسان كونها في غاية الشرف
والنفاسة وايضا من شرائط كون الارض فراشا ان لا يكون في غاية
الرخاوة كالماء وسائر الاشياء التي نغوص الانسان فيها فثبت ان كونها
فراشا للانسان وغيره كونها بهذه الصفة التي خلقها الله تعالى عليها
الشرط الثالث في كونها فراشا ان لا يكون في غاية الشفافية واللطافة
فان الشفاف لا يستقر عليه النور وما كان كذلك فانه لا يقبل السخونة
من الشمس والكواكب فبقي في غاية البرد فلا يصلح ان يكون مقرا
للحيوان وايضا ما جعلها في غاية الصقالة والبراقة والا لكان
يحترق من يقرب منها بسبب انعكاس اشعة الشمس عنها كما يحترق القطنة
التي يقرب من البلورة المحروطة اما لما جعل الارض كثيفة غير ممكن
استقرار النور على وجهها فحصل نوع من السخونة فيها ولما دامت كثيفة
لم ينعكس الاشعة منها فلاجرم صارت متوسطة في الحر والبرد فصلحت
ان يكون فراشا للحيوان الشرط الرابع ان يكون خارجا من الماء وذلك
لان الانسان وغيره من الحيوانات البرية لا يمكنه ان يعيش في الماء
والارض لا يمكن مسكنا للانسان وسائر الحيوانات الا اذا كانت
بارزة من الماء ثم ان طبع الارض يقتضي ان يكون غايصة فكان يجب
في كل الارض ان يكون البحار محيطة بها ثم انه سبحانه لكمال قدرته
ونهاية حكمته وغاية بالعباد قلب طبع الارض واخرج بعض جوانبها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من الماء كالجزيرة والبارزة حتى صلحت ان يكون فراشا لنا فهذا جملة
شرايط المعتبرة في كون الارض فراشا الصفة الثانية من الصفات
التي ذكرها الله للارض مهدا والمراد منه انه تعالى جعلها بحيث يتيسر
على العباد ان يتصرفوا فيها بالقعود والقيام والزراعة وساير
جهات المنفعة وهو قريب من الصفة الاولى الا ان المقصود من
تسميتها بالمهد ان الارض للخلق كالمهد للصبي وهو الذي يمتد فيقوم عليه
الصفة الثالثة قوله تعالى الم نجعل الارض مهادا واعلم ان المهاد
مصدر ثم فيه وجوه الاول ان يكون المراد في هذه الآية المهود والمعنى
الم نجعل الارض ممهودا وهذا من باب تسمية المفعول بالمصدر كقولهم
هذا ضرب الامير الثاني ان يكون الارض وصفت بهذا المصدر كما
يقول زيد جود وكريم كانه لكمال في تلك الصفات صار عين تلك الصفة
والثالث ان يكون بمعنى ذات مهاد الصفة الرابعة قوله تعالى في سورة
النمل ام من جعل الارض قرارا واعلم انه تعالى ذكر من منافع الارض
في هذه الآية امورا اربعة الاولى كونه قرارا وهذا ايضا قريب من كونها
فراشا وشرايط الاربعة المذكورة هناك معتبرة ايضا هاهنا ونزيد
هاهنا شرايط اخرى فالشرط الاول انه دحيها وسويها للاستقرار
قال سبحانه والارض بعد ذلك دحيها الى قوله متاعا لكم وقال
في حم السجدة قل اينكم لتكفرون الى قوله ايات للسايلين الشرط
الثاني انه سبحانه جعل الشمس بسبب قرب مدارها عن مدار منطقة
القلك الاعظم بحيث يبعد تارة من سمت الراس ويقرب اخرى
وبسبب هذا القرب والبعد تختلف الفصول الاربعة وبسبب

اختلاف هذه الفصول الاربعة صلحت البقاع لان يكون مسكنا
للحيوانات على ما بينا شرح هذا المعنى في ذكر منافع الميل في تفسير
اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما
الشرط الثالث انه سبحانه جعل الارض كفاتا للاحياء والاموات
على ما سنذكره في تفسير الكفات ولم تكن الارض كذلك لما صلحت ان تكون
قرارا للحيوانات المنفعة الثانية من منافع الارض التي ذكرها الله تعالى
في هذه الآية قوله وجعل خلالها انهارا واعلم ان اقسام المياه
المنبعة من الارض اربعة الاول مياه العيون السيالة وهي تنبعث
من اخرة كثيرة المادة قوية الاندفاع تفجر الارض بالقوة فلا يزال
يتبع جزء منها بعد جزء الثاني ما العين الراكدة وهي تحدث من اخرة
بلغت قوتها ان اندفعت الى وجه الارض ولم تبلغ من قوتها وكثرة
مادتها ان تطرد تاليها سابقها والثالث مياه القنى والانهار وهي
ايضا متوكدة من اخرة ناقصة عن ان تشق الارض فاذا ازيل عن وجهها
ثقل التراب صادفت حينئذ تلك الاخرة منفذا يندفع اليه بادنى
حركة والرابع مياه الآبار وهي بعينها كمياه القنى الا انه لم يجعل لها
سبيل الى موضع يسيل اليه ونسبة القنى الى الابار نسبة العيون
السالة الى العيون الراكدة فقد ظهر بمجموع ما شرحنا انه لولا صلابة
الارض لما اجتمعت تلك الاخرة في باطنها ولولا اجتماعها في باطنها
لما حدثت هذه العيون في ظاهرها المنفعة الثالثة للارض قوله
تعالى وجعل فيها رواسي والمراد منه الجبال ويقول اكثر العيون
والسحت والمعدنيات انما يتكون في الجبال وفيما يقرب منها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

امّا العيون فلان الارض اذا كانت رخوة نفشت الابخرة عنها
فلا يجتمع فيها قدر يعتد به فاذا هذه الابخرة لا تجتمع الّا في الارض
الصلبة والجبال صلب الاراضي فلاجرم كانت قواها على حبس
هذا البخار حتى يجتمع ما يصلح ان يكون مادة للعيون ويشبه ان يكون
مستقر الجبل مملوءا ماء ويكون الجبل في حقنه الابخرة مثل الابنيق
القلب المعد للتقطير لا يدع شيئا من البخار يتحلل ونفس الارض
تحته كالقرع والعيون كالانبار والبخار كالقوابل فان اكثر العيون
انما يتفجر من الجبال واقلها من البراري وذلك الاقل لا يكون الّا اذا
كانت الارض الصلبة والسحب انما يتكون في اكثر الامر في الجبال
فلاسباب ثلثة احدها ان في باطن الجبال من الندوات ما لا يكون
في بواطن الارض الرخوة والثاني ان الجبال بسبب ارتفاعها يكون
ابرد فلاجرم يبقى على ظواهرها من الاندآء والبلوح ما لا يبقى على
سائر الارض والثالث ان الابخرة المتصاعدة من الجبال تكون
محبوسة بالجبال فلا تتفرق ولا تتحلل واذا ثبتت تلك ظهر ان سبب
كثرة السحب في الجبال اكثر لان المادة فيها ظاهرا وباطنا اكثر والاحقان
اشد والسبب المحلل وهو الحر اقل فلذلك كانت السحب في الجبال اكثر
واما المعدنيات المحتاجة الى ابخرة يكون اختلاطها بالارضية
اكثر وبقي في ذلك الاختلاط مدة طويلة ثم النضج فيها فلا شيء لها تاثير
في هذا المقصود كالجبال المنفعة الرابعة للارض قوله وجعل بين
البحرين حاجزا فاعلم ان المقصود من ذلك الحاجز احد الامور
الاول ان لا يفسد العذب بسبب اختلاطه بالمالح والثاني ان ينتفع

بذلك الحاجز والثالث للمؤمن في قلبه بحران بحر الحكمة والايمان
وبحر الشهوة والطغيان والحق سبحانه بتوفيقه جعل بينهما حاجزا
لكن لا يفسد احدهما بالاخر وقال بعض الحكماء في قوله مرج البحرين
يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان قال عند عدم البغي بين البحرين
يخرج اللولوء والمرجان فكذلك عند عدم البغي في القلب يخرج الدين
والايمان واعلم ان وجه الاستدلال بهذه الاحوال على اثبات الصانع
الحكيم ظاهر وذلك لانه سبحانه دبر اجزاء الارض على هذه الاحوال
المحكمة المتقنة الموافقة لمصالح العباد وذلك لا يمكن الا بمشية
نافذة وقدرة كاملة وحكمة بالغة الصفة الخامسة للارض
قوله تعالى في سورة الملك هو الذي جعل لكم الارض ذلولا واعلم
ان الذلول من كل شيء المنقاد لك الذي يذل لك ومصدره الذلة وهو
الانقياد واللين ومنه دابة ذلول وفي وصف الارض بالذلول وجوه
الاول انه تعالى لم يجعلها صخرة خشنة تمتنع المشي عليها كما تمتنع المشي
على وجوه الصخور الخشنة والثاني انه تعالى جعلها لينة بحيث يمكن
حفرها وتبنى الابنية منها كما يراد ولو كانت حجرة صلبة لتعذر
ذلك والثالث انك ترمي عليها كل قبيح وهي تخرج كل طعام لذيذ والرابع
انها كهات للاحياء والاموات وهذه الوجوه قد شرحناها ثم قال
تعالى فامشوا في مناكبها والمفسرون ذكروا مناكب الارض وجوها
قال صاحب الكشاف المشي في مناكبها مثل يفرط التذليل لان المنكبين
وملتقاهما من الغارب ارق شيء من البعير وابعد من امكان المشي عليه
فاذا صار البعير بحيث يمكن المشي على منكبيه فقد صار نهاية في الانقياد

والطاعة فظهران قوله فامشوا فى مناكبها كناية عن كونها نهاية
فى الذلولية والثانى وهو قول قتادة والضحاك وابن عباس ان
مناكب الارض جبالها واكامها وسميت الجبال مناكب الانسان شاخصة
والجبال ايضا شاخصة والمعنى انى سهلت عليكم المشى فى مناكب الارض
وهى بعد اجزائها عن الذليل فكيف الحال فى سائر اجزائها والثالث
ان مناكبها هى الطرق والفجاج والاطراف والجوانب وهو قول
الحسن ومجاهد وقوله وكلوا من رزقه اى مما خلق الله رزقا لكم
فى الارض واليه النشور يعنى ينبغى ان يكون مكنكم فى الارض
واكلكم من رزق الله مكنا من يعلم ان مرجعه الى الله واكل من يتيقن
ان مصيره الى الله والمراد التحذير من الكفر والمعاصى وطول الامل
الصفة السادسة للارض قوله تعالى فى قصة نوح والله جعل
لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا اى طرقا واسعة
واحدها فج وهو قريب مما تقدم الصفة السابعة للارض قوله
فى سورة المرسلات الم نجعل الارض كفاتا ومعنى الكفت فى اللغة
الضم والجمع ويقال كفت الشئ اى ضممته ويقال جراب كفيت اذا كان
لا يضبع شيئا مما يجمع فيه والكفات اسم لما كفت كقولهم الضمام والجماع
لما يضم ويجمع يقال هذا الباب جماع الابواب وبه انتصب احياء وامواتا
او بفعل مضمر هذا يدل عليه هذا هو اللغة ثم فى المعنى وجوه
الاول انها تكفت الاحياء على ظهرها والاموات فى بطنها والمعنى
ان الاحياء يسكنون فى بيوتهم والاموات يدفنون فى قبورهم
ولهذا المعنى كانوا يسمون الارض امًا لانها فى ضمنها الناس كالام

التى تضم ولدها وتكفتها ولما كانوا يضمون ضمتها اليها جعلت كانها
تضمهم والثانى انها كفات للاحياء بمعنى انها تكفت ما ينفصل من الاحياء
من الامور المستقذرة الثالث انها كفات للاحياء بمعنى انها جامعة لما
تحتاج الانسان اليه فى حيوته من ماكل ومشرب لان كل ذلك يخرج
من الارض وايضا المساكن الجامعة للمصالح الدافعة للمضار مبنية
منها الرابع ان قوله احياء واموانا راجع الى الارض والحى ما انبت
والميت ما لم ينبت بقى فى الآية سؤالان السؤال الاول لم قال احياء
واموانا على التنكير وهى كفات الاحياء والاموات الجواب هو من باب
تنكير التفخيم كانه قيل تكفت احياء واموانا لا تحصر والسؤال الثانى
هل يدل على وجوب قطع النباش الجواب نقل القفال ان ربيعة
قال دلت الآية على ان الارض كفات الميت فيكون حرزا له والسارق
اذا سرق من الحرز يجب عليه القطع الصفة الثامنة للارض قوله
منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فهى لنا كالام
الحاضنة التى تربى حالتى الحيوة والموت النوع الثالث من الاستدلال
باحوال الارض على وجود الصانع الحكيم سبحانه واعلم ان هذه الاحوال
يدل من وجوه الاول ان الاشياء المتولدة فيها من المعادن والنبات
والحيوانات والاثار العلوية والسفلية كثيرة لا يعلم تفاصيلها
الا الله تعالى والثانى من منافع الارض ان الماء لرقته ورطوبته
لا يحفظ الشكل والتصوير فاذا خلط بين الماء والتراب حصل فى
الماء نوع قوام واستماك وحصل فى التراب قبول الاشكال فيصير
الطين قابلا للتشكيل والتخطيط كما قال تعالى انى خالق بشرا من طين

شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال في حق عيسى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير والثالث اختلاف
بقاع الارض فمنها رخوة وصلبة وحلوة ورمليه وسبخه وحرة
وهي المشار اليه بقوله وفي الارض قطع متجاورات وقال والبلد
الطيب يخرج نباته باذن ربه الاية والرابع اختلاف الوانها فاحمر
واسود وابيض ورمادي اللون واسمر واغبر كما قال ومن الجبال
جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود والخامس نضداها
بالنبات كما قال والارض ذات الصدع والسادس كونها خازنة
للماء المنزل من السماء واليه الاشارة بقوله وانزلنا من السماء ماء
بقدر فاسكناه في الارض الاية وقال قل ارايتم ان اصبح ماؤكم
غورا والسابع العيون والانهار العظام والصغار التي في الارض
واليه الاشارة بقوله وجعل فيها رواسي وانهارا والثامن
ما فيها من المعادن والفلوات واليه الاشارة بقوله والارض
مددناها والقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شئ موزون ثم
بين ذلك تمام البيان فقال وان من شئ الا عندنا خزائنه وما ننزله
الا بقدر معلوم التاسع الزروع والاشجار التي تنبت من الارض
من الحب والنوى قال الله تعالى ان الله فالق الحب والنوى وقال
نخرج الحب في السموات والارض ثم ان الارض لها طبع الكرم لانك
تدفع اليها حبة واحدة وهي ترد عليك سبعمائة قال كمثل حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة العاشر حيوتها بعد موتها
قال انظر وا الى اثر رحمة الله كيف يحيي الارض بعد موتها
وقال ولهم ارض الميتة احييناها والحادي عشر ما عليها من الدواب

المختلفة الالوان والصور والخلق واليه الاشارة بقوله وبث فيها
من كل دابة والثاني عشر ما فيها من النبات المختلف انواعه وطباعه
ومنافعه واليه الاشارة بقوله وانبتنا فيها من كل زوج بهيج
واختلاف الوانها دلالة واختلاف طعومها دلالة واختلاف ريحها
دلالة واختلاف منافعها دلالة فمنها قوت البشر ومنها قوت البهايم
كما قال كلوا وارعوا انعامكم ثم ان طعوم البشر ينقسم الى اقسام
منها الطعام ومنها الدام ومنها الدواء ومنها الفاكهة ومنها الانواع
المختلفة قال تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة ايام وايضا فمنها
كسوة البشر لان الكسوة اما نباتيه وهي القطن والكتان واما حيوانية
وهي الشعر والصوف والابريسم والجلود وهي من الحيوانات التي انبتها
الله من الارض فالمطعوم من الارض والملبوس من الارض والغذاء
من الارض والدواء من الارض ثم قال ويخلق ما لا تعلمون وفيه اشارة
الى منافع كثيرة لا نعلمها نحن والحق سبحانه عالم بها ثم انه تعالى جعل
الارض سائرة لفضلات بدن بعد موته فقال الم نجعل الارض كفاتا
احياء واموتا ثم انه سبحانه جمع هذه المنافع العظيمة للسماء والارض
فقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض والثالث عشر
ما فيها من الاحجار المختلفة ففي صغارها ما يصلح للزينة مثل الفصوص
للخواتيم وفي كبارها ما تتخذ منها الابنيه وانظر الى الحجر الذي تستخرج
منه النار مع كثرته وانظر الى الياقوت الاحمر مع عزته ثم انظر
الى كثرة النفع بذلك الحقير وقلة النفع بهذا الشريف والرابع عشر
ما اودع الله فيها من المعادن الشريفة كالذهب والفضة والملح والنفط

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ثم تامل فان البشر استخرجوا الحرف الدقيقة والصنائع الجليلة
واستخرجوا السمك من قعر البحر واستنزلوا الطير من اوج الهواء ثم
عجزوا عن اتخاذ الذهب والفضة والسبب فيه انه لا فايدة في
وجودهما الا التمنية وهذه الفايدة لا تحصل الا عند الغرة والقدرة
على اتخاذها تبطل هذه الحكمة فلذلك ضرب الله دونها بابا مسدودا
اظهارا لهذه الحكمة وابقاء لهذه النعمة واما الذي لا مضرة على
الخلق في اتخاذه فقد اقدرهم عليه مثل اتخاذ السبب من النحاس
واتخاذ الزجاج من الرمل واذا تامل العاقل في هذه اللطايف
والعجايب اضطر الى افتقار هذه التدابير الى صانع حكيم مقدر عليم
سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا الخامس عشر كثرة
ما يوجد على الاراضي والجبال من الاشجار التي تصلح للبناء والسقف
ثم الخطب ولما اشتدت الحاجة اليه في الخبز والطبخ وقد نبه
الله تعالى على دلايل الارض ومنافعها بالفاظ لا يبلغها البلغاء ولا
يقدر عليها الفصحاء فقال وهو الذي مد الارض وجعل فيها رواسي
وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين النوع الرابع من مباحث
الارض اختلفوا في ان السماء افضل ام الارض قال بعضهم السماء افضل
الوجوه الاول ان السماء متعبد الملايكة وما فيها بقعة يعصى الله فيها
حتى ان ابليس لعنة الله لما اظهر الكفر اخرج من السماء وقيل له اخرج
منها فانك رجيم وآدم عليه السلام لما اتى بالزلة قال تعالى اهبطوا
منها وقال له لا يسكن في جواري من عصاني والحجة الثانية ان تعالى
وصف السماء بصفات دالة على العظمة ولم يذكر مثلها في الارض

فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وبنينا فوقكم سبعا شدادا
سبعا طباقا سقفا محفوظا هل ترى من فطور ومالها من فروج
وقوله تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا
منيرا ثم ذكر عاقبة امرها فقال واذا السماء فرجت واذا السماء
كشطت يوم نطوي السماء وتكون السماء كالمهل واما الموضع الذي
ذكر فيه حال الارض وفيه ذكر السماء بما يدل على عظم حال السماء فقال
والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه
ومعلوم ان اليمين اشرف الجهة الثانية انه تعالى جعل الارض
موضع السجود والسموات قبلة للدعا فالايدي ترفع اليها والوجوه
تتوجه نحوها والقلوب متعلقة بها للجهة الرابعة انها منزل الانوار
ومحل الصفاء والاضواء ومصونة عن الخلل والفساد ومحل الطهارة
والعصمة والارض ليست كذلك الجهة الخامسة السموات مؤثرة
غير متاثرة والارضون متاثرة غير موثرة والموثر اشرف من القابل
ومما يدل على ان السموات موثرة قوله فيلمد دلسبب الى السماء وقوله
حكاية عن فرعون لعلي ابلغ الاسباب اسباب السموات الجهة السادسة
ان السموات مزينة بثمانية اشياء ثلثة منها محسوسة وهي الشمس
والقمر والنجوم وخمسة منها غير محسوسة وهي العرش والكرسي
واللوح والقلم والجنة وامثال هذه الاشياء غير موجودة في الارض
ولا ما يناسبها ويشاكلها الجهة السابعة انه تعالى ذكر امر
السموات والارض في كتابه وفي كل المواضع قدم ذكر السموات على
الارض وذلك يدل على المقصود وقال بعضهم لما الارض افضل

واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى انه تعالى وصف بقاع الارض
بالبركة اولها قوله ان اول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا
وثانيها قوله فى البقعة المباركة من الشجرة وثالثها قوله سبحان
الذى اسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا
حوله ورابعها وصف ارض الشام بالبركة فقال مشارق الارض
ومغاربها التى باركنا فيها وخامسها وصف حملة الارض بالبركة فقال
اينكم لتكفرون الى قوله وجعل فيها رواسى وبارك فيها الآية فان قيل
واى بركة فى الفلوات الخالية والمفاوز المهلكة قلنا انها مساكن
الوحوش ومرعاها ولولاها لاختطفت السباع بالناس فى مساكنهم
ثم انها مساكن الناس اذا احتاجوا اليها وهذه الحجة ضعيفة لان الله
انما وصف البركة فى السموات فى قوله وبركات من السماء الحجة الثانية
انه تعالى خلق الانبياء المكرمين من الارض على ما قال منها خلقناكم
وفيها نعيدكم ولم يخلق من السموات شيئا لانه قال وجعلنا السماء سقفا
محفوظا الحجة الثالثة انه سبحانه اكرم بنيه بما فجعل الارض كلها
مسجدا وجعل ترابها طهورا النوع الخامس من المباحث ما يدل على
تعظيم حال السماء والارض علم انه سبحانه بين صفات جلاله وعلوت
كبريائه بالاضافة الى السموات والارض وهذه الايات كثيرة فى القرآن
اما القسم الاول الآيات الدالة على الخلق قوله الحمد لله الذى خلق
السموات والارض ثم بين ان هذا الخلق اعظم من خلق الناس فقال
لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال انتم اشد خلقا
ام السماء بناها وقال وليس الذى خلق السموات والارض بقادر

على ان يخلق مثلهم بلى الآية ثم بين انه خلقها بالحق فقال خلق السموات
والارض بالحق تعالى عما يشركون ثم بين انه ما خلقها باطلا فقال وما
خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا ثم بين ان الكل تحت تدبيره
فقال الله الذى يخرج الخبء فى السموات والارض ثم بين ان فى خلق
السموات والارض اسرارا عجيبة فقال فى سورة البقرة ان فى خلق
السموات والارض الآية وقال فى سورة آل عمران ان فى خلق السموات
والارض لآية ثم بين سبحانه انه ما اطلع احدا على اسرار هذا الخلق
فقال ما اشهدتهم خلق السموات والارض وما خلق انفسهم هذا ما يتعلق
بصفة الخلق القسم الثانى ما يتعلق بصفة الربوبية فقال سبحانه
حكاية عن موسى فى سورة الشعراء استدلالا على فرعون رب
السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين وقال ايضا الله
نور السموات فقال قوم الله منزن السموات والارض كما يقال فلان
نور هذا البلد اذا كان سببا لنظم مصالح البلد وقال بعضهم الله هادى
اهل السموات والارض وقال بعضهم الله منور السموات والارض
وقال بعضهم لله نور السموات والارض واحتج على هذه القراءة
بقوله مثل نوره ثم بين انه غير عاجز عن هذا التدبير فقال وما
كان الله ليعجزه من شئ فى السموات ولا فى الارض القسم الثالث
ما يتعلق بالملك فقال ولله ملك السموات والارض ثم ذكر
التفصيل فبين انه مالك الجنود فقال ولله جنود السموات والارض
وانه مالك الخزائن ولله خزائن السموات والارض وانه المالك لفتح
المغاليق فقال له مقاليد السموات والارض ثم ذكر انه المالك لكل

شبكة الألوكة www.alukah.net

العقلاء فقال وله من في السموات ومن في الارض ثم اكد كيفية
هذه العبودية فقال ولله يسجد من في السموات وقال ايضا
يسجد له ما في السموات والارض ثم بين انه يجعل البعض مسخرا
للبعض بل يجعل القوى مسخرا للضعيف فقال وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما لاعبين لو اردنا ان نتخذهما لاتخذناه من لدنا
ثم بين فقال وسخر لكم ما في السموات وما في الارض ثم بين انه
لا يعجزه احد فقال وما انتم بمعجزين في الارض ولا في السماء
وقال فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السماء
واعلم ان الفرق بين الملك والمالك موجود على ما هو معلوم في تفسير
قوله مالك يوم الدين وملك يوم الدين ثم بين انه كما هو الملك
فهو ايضا مالك الملك فقال قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء
ثم بين بقاء الملك وكثرة بركاته فقال تبارك الذي له ملك السموات
والارض القسم الرابع ما يتعلق بالعلم وهو قوله ولله غيب السموات
والارض ثم بين انه تعالى يعلم الغيب والشهادة فقال يعلم ما في
السموات وما في الارض ثم بين احاطة علمه فقال لا يعزب عنه
مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ثم بين جلاله في هذا العلم فقال
قل ربي يعلم القول في السماء والارض ثم بين انه لا يخفى عليه شيء البتة
فقال لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء القسم الخامس ما يتعلق
بكيفية التدبير قال يدبر الامر من السماء الى الارض القسم السادس
ما يتعلق بالتسبيح والحمد فقال سبح لله ما في السموات والارض
وقال يسبح لله ما في السموات وما في الارض وقال وله الحمد

في السموات والارض القسم السابع ما يتعلق بالكبرياء فقال
وله الكبرياء في السموات والارض وقال وله المثل الاعلى وقال
فصعق من في السموات ومن في الارض وقال وسع كرسيه السموات
والارض وقال وله اسلم من في السموات والارض وقال يسئله
من في السموات والارض وقال انا عرضنا الامانة على السموات
والارض الآية وكل ذلك يدل على نهاية الجلالة والعظمة والهيبة
وقال وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا ونظيره من
ذا الذي يشفع عنده الا باذنه وقوله يوم يقوم الروح والملائكة
صفا الآية وقال وخشعت الاصوات للرحمن وقيل يا ارض ابلعي
ماءك ويا سما اقلعي وقال وهو الذي في السماء اله وفي الارض
اله القسم الثامن ما يتعلق بالالهية وهو قوله سبحانه وهو الله
في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم وقال وهو الذي في
السماء اله وفي الارض اله القسم التاسع ما يتعلق بالنظر والاستدلال
قال وكاين من اية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون
وقال قل انظروا ماذا في السموات والارض وقال وما بكت عليهم السماء
والارض وما كانوا منظرين واعلم ان اكثار الله من ذكر السموات
والارض في القرآن يدل على عظم شانهما وعلى انه سبحانه جعل فيهما
اسرارا عجيبة وحكمة بالغة لا يصل اليها افهام الخلق ولا عقولهم
فان قيل فما الحكمة في انه سبحانه عرف صفات جلاله وقدسه وعظمته
بذكر السموات والارض قلت الحكمة فيه ان ذات الله سبحانه غير شاهدة
للخلق ابتداء بل لا سبيل الى معرفتها الا بالدلايل والبراهين وكلما كانت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الا نار اجل واعظم كان ذلك دل على عظمة الموثرات فلما كانا اعظم
الموجودات المحسوسة هو السموات والارض لاجرم عرف الله سبحانه
كمال قدرته ونهاية علمه وحكمته بذكر السموات والارض فهذا
تمام القول في هذا الموضع النوع السادس من شرح المنافع الحاصلة
من مجموع السماء والارض اعلم ان السماء والارض مع غاية بعد كل
واحد منهما عن الاخر متعاونان على تحصيل مناظم العالم ومصالحه
وبيانه من وجوه الاول ان الفوق هو الذي يلي جهة السماء والتحت
هو الذي يلي جهة الارض والجهات لا توجد الا بالفوق والتحت
والسماء والارض متعاونان على تحصيل وجود الجهات واذا كان
حصول الجهات من توابع السماء والارض وحصول الجهات من المناظم
كانت السماء والارض متعاونين على تحصيلها وكان خالق السماء والارض
منزها عن الجهات والاحياز الثاني ان السماء والارض متعاونان
على تحصيل النبات والسماء كالاب ينزل القطر من صلبه ويقع في بطن
الارض فاذا وقعت الحبة في ذلك البطن اثرت نداوة البطن في تلك
الحبة وكذلك السخونة المختفية في باطن الارض فوصلت النداوة الى باطن
الحبة واثرت وبسبب تلك السخونة انشقت تلك الحبة ورمت فعظمت
فانفلقت فلقة من فوقها وفلقة من تحتها والانفلاق الفوقاني
يخرج منه ساق الشجر والانفلاق التحتاني يخرج منه عروق الشجر
واذا عرفت هذا فنقول لو وقعت الحبة في ارض يابسة لم يحصل المقصود
اصلا ولو وقعت في الطين ولكن بحيث لا يصل اليه تاثير الهواء وشعاعات
الكواكب لم يحصل المقصود اصلا الا ترى ان الاشجار التي تكون في ظل

مانع من شروق نور الشمس والقمر عليها فانها تكون فاسدة ناقصة
والشجرة الصغيرة الواقعة في ظل شجرة كبيرة يكون بضا فاسدة فاذا
تاملت هذا علمت ان هذا المقصود لا يحصل الا اذا وجدت كرة الارض
ووجدت كرة الماء كانا متقاربين بحيث يمتزجان ثم لا بد من وصول
الهواء اليه الا ان الهواء جرم خفيف صاعد بالطبع فلا يغوص بالطبع
في عمق الارض والطين فدبر الحكيم الرحيم لهذا تدبيرا وهو انه حرك الهواء
حتى صار ريحا ثم ان الريح يتموج بقية الهواء فاذا تموجت عرض لبعضها
في اثناء ذلك التموج ان يغوص في عمق الارض واليه الاشارة بقوله
وارسلنا الرياح لواقح وانما القاحها في بقاع الازدواج بين الارض
والماء والهواء ثم ان ذلك لا يفيد المقصود الا مع حرارة لطيفة سماوية
فعند ذلك لا بد من حرارة الربيع في الانبات من حرارة الصيف في الانضاج
فقد عرفت ان المقصود لا يحصل الا عند اجتماع تاثيرات العناصر الاربعة
السفلية وتاثيرات الشعاعات الفلكية ثم عند اجتماع هذه الاسباب
العلوية والسفلية لا يحصل المقصود الا بقدرته ولا يكون المطلوب
الا بنفاذ مشيته وذلك لان من الارض الواحدة والماء الواحد والهواء
الواحد وتاثير الشمس والقمر في الكل على السوية يخرج انواع النبات
مختلفة في الطبع والطعم واللون والرايحة فدل ذلك على ان العناصر
والافلاك اسباب ظاهرة والمؤثر في الحقيقة هو القدرة الازلية
والمشية السرمدية الوجه الثالث ان النهار عبارة عن مدة ظهور
نور الشمس والليل عبارة عن مدة اختفاء نور الشمس بسبب ظل الارض
ومنافع الليل والنهار كثيرة على ما سنذكرها واذا كان السبب القريب

الألوكة
www.alukah.net

لحدوث الليل والنهار هو وجود السماء والارض ولهذا السبب
فانه تعالى اينما ذكر احوال الليل والنهار نفى لاكثر يكون ذلك مسبوقا
بذكر السماء والارض تنبيها على ان سبب الليل والنهار وهو الارض
والسماء ثم العجب ان السماء والارض كالمتقابلين والمتضادين ثم
انهما صارا متعاونين على تحصيل اسباب مصالح هذا العالم والتضاد
يوجبان الفساد فلما صار هذا الضدان موجبين لحصول اسباب
الصلاح علم ان ذلك بتدبير مدبر وتقدير مقدر حكيم عليم سبحانه
عما يقول الظالمون علوا كبيرا وهذا اخر الكلام في الدلايل الماخوذة
من السماء والارض الباب الثاني في وجوه الدلايل الماخوذة
من الشمس والقمر والنجوم وفيه فصول الفصل الاول في تقرير دليل
الخليل عليه السلام قوله لا احب الافلين قال تعالى حكاية عنه واذ
قال ابرهيم لابيه آزر الآية اعلم ان قبل الخوض في التفسير لا بد من
مقدمات المقدمة الاولى انه سبحانه كثيرا ما يحتج على مشركي العرب
باحوال ابرهيم وذلك لانه كان نبيا يعترف بفضله جميع الطوايف
والملل فالمشركون كانوا معترفين بفضله مقرين بانهم من اولاده
فاليهود والنصارى والمسلمون كلهم معظمون له معترفون بجلال
قدره فلاجرم ذكر الله تعالى حكاية حاله في معرض الاحتجاج على المشركين
واعلم ان هذا المنصب لعظيم وهو اعتراف اكثر الخلق بفضله وعلو
مرتبه لم يتفق لاحد كما اتفق للخليل عليه السلام والسبب فيه
ان بين العبد وبين الرب معاهدة كما قال واوفوا بعهدي اوف
بعهدكم وابرهيم عليه السلام اوفى بعهد العبودية والله تعالى

شهد بذلك على سبيل الاجمال تارة وعلى سبيل التفصيل اخرى اما
الاجمال ففي آيتين احديهما قوله واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن
وهذا شهادة من الله تعالى انه اوفى بعهد العبودية والثانية قوله تعالى
اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين واما التفصيل فهو انه
ناظر في اثبات التوحيد وابطال القول الشركاء والانداد مع ابيه
وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وناظر
ايضا في هذه المسئلة مع قومه وهو قوله تعالى فلما جن عليه الليل
راى كوكبا الآية وناظر مع ملك زمانه ايضا قال ربي الذي يحيي ويميت
ثم ناظر ايضا مع قومه بالفعل وهو قوله تعالى فجعلهم جذاذا الا
كبيرا لهم ثم ان القوم قالوا حرقوه وانصروا الهتكم ان كنتم فاعلين
يروى انه عليه السلام لما وضع في المنجنيق ضجت السماء والارض
وكل المخلوقات الا الثقلين قالوا ربنا ليس في الارض احد يعبدك
ويوحدك غير ابرهيم ثم انه يحرق بالنار لاجلك ايذن لنا في نصرته
فاوحى الله سبحانه الى الارض والجبال والبحار ان استعان بكم فاغيثوه
وان استنصركم فانصروه وان دعاني فانا وليه وناصره وكنت
وليا فلما اراد والقاءه في النار قال يا احد يا صمد بك استعين
وعليه اتوكل حسبي الله لا اله الا هو ونعم الوكيل فجاء ملك المطر وعرض
نفسه عليه فلم يلتفت وجاء خازن الريح وقال ان اذنت امرت الريح
ان تفرق النار في شرق الارض وغربها فلم يلتفت فرمي في المنجنيق
فقبل ان يصل الى النار قال جبرئيل عليه السلام الآن جاء وقت فرض
نفسه عليه وقال هل من حاجة فقال اما اليك فلا قال جبرئيل فلا ارضي

شبكة الألوكة www.alukah.net

حاجتك الى الله قال عليه السلام حسبي من سوالي علمه بحالي فان قيل
الستم رويتم انهم لما اراد والقاه في النار دعا الله واستعاذ به ثم
ذكر ثم انه في هذه الحالة لم يذكر شيئا فما الفرق بين الحالتين قلنا الانسان
قبل الوقوع في البلاء لا يكون طمعه منقطعا عن النفس فيشتد عليه
البلاء فعند ذلك قد يشتغل بالدعاء اما عند الوقوع في البلاء ينقطع
طمعه عن النفس والاحجاب عن الرب الا الاشتغال بالنفس فبادراك
ذلك الحجاب تجلى في قلبه نور جلال الله تعالى فحينئذ يستنكف ان يرجع
الى الله في خلاص النفس وفي بعض الروايات انه لما قال جبرئيل عليه السلام
هل لك استعين بالرب قال لما ذا قال على النفس قال الخليل النفس معيوبة
لاخطرلها فلا اسال من علام الغيوب نجات للنفس المعيوب فقال
جبرئيل استعن على الروح قال الروح عارية والعارية مودات فقال
جبرئيل استعن على النار قال من اوقد النار قال العدو قال ومن قضى
قال الجبيب قال الخليل فالجبيب راض بحكم الجبيب فلما انقطع نظر الخليل
عن الوسايط والاسباب فالحق سبحانه ايضا رفع الوسايط
والاسباب فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم ثم انه
عليه السلام بعد هذه الواقعة يذبح ولده فقال اني اري في المنام
اني اذبحك فعند ذلك صار ابرهيم من العشاق لانه سلم نفسه
للعرفان ولسانه للبرهان ويده للنيران وولده للقربان وماله
للضيفان فكمل عهد عبوديته ثم انه سال بعد ذلك ربه فقال
واجعل لي لسان صدق في الاخرين فوجب في كرم الحق ان يحقق
مطلوبه في هذا السوال فلاجرم اجاب دعاه وقبل نداه وجعله

مقبول لجميع الفرق والطوايف الى آخر القيامة ولما كان طوايف العرب
معترفين بفضله لاجرم جعل الله مناظرته مع قومه حجة على مشركي
العرب المقدمة الثانية اعلم انه ليس في العالم احد ثبت لله شريكا
يساويه في الوجوب والقدرة والعلم والحكمة لكن الثنوية يثبتون
اثنين احدهما حكيم يفعل الخير والثاني سفيه يفعل الشر اما الاشتغال
بعبادة غير الله ففي الذاهبين اليه كثرة فمنهم عبدة الكواكب وهم فريقان
منهم من يقول انه تعالى خلق هذه الكواكب وفوض تدبير العالم السفلي
اليها فهذه الكواكب مدبرات لهذا العالم قالوا فيجب علينا ان نعبد
هذه الكواكب ثم ان هذه الكواكب مشتغلة بعبودية الله وطاعته
ومنهم قوم ينكرون الصانع سبحانه ويقولون هذه الافلاك والكواكب
اجسام واجبة الوجود لذواتها وممتنع عليها العدم وايضا فالمدبر
لهذا العالم وهو لا هم الدهرية الخالصة ومن بعد غير الله انصاف
الذين يعبدون المسيح ومنهم ايضا عبدة الاوثان والاصنام واعلم
ان ههنا بحثا مهما كما لا بد منه وهو انه لا يري دين اقدم من عبدة
الاوثان وذلك لان اقدم الانبياء الذين وصل الينا تاريخهم
هو نوح عليه السلام وهو انما جاء بالرد على عبدة الاصنام
على ما اخبر الله تعالى عنه في قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا
ولا يغوث ويعوق ونسرا فعلمنا ان دين عبدة الاصنام كان
موجودا قبل نوح وهو باق الى الآن بل اكثر سكان اطراف العالم
مستمرون عليه والمذهب الذي هذا شانه تمتنع ان يكون معلوم
البطلان بضرورة العقل لكن العلم بان هذا الحجر المعبود في هذه الساعة

ليس هو الذي خلقني وخلق السماء والارض علم ضروري فيستحيل
اتفاق كثيرين من العقلاء عليه فظهر انه ليس دين عبدة الاوثان
كون الصنم خالقا للسماء والارض والعلماء ذكروا فيها وجوها
الاول ان الناس راوا تغيرات هذا العالم واحوالها مربوطة بتغيرات
احوال الكواكب فان بحسب قرب الشمس وبعدها عن سمت الراس
تحدث الفصول الاربعة وبسبب حدوث الفصول الاربعة تحدث
الاحوال المختلفة في هذا العالم ثم ان الناس رصدوا احوال ساير
الكواكب فاعتقدوا ان ارتباط السعادات والنحوسات بكيفية
وقوعها في طوالع الناس فلما اعتقدوا ذلك غلب على ظنون اكثر
الخلق كون المقدر لاحوال هذا العالم ولحوادثه اتصالات هذه
الكواكب وتاثيرتها ولما اعتقدوا ذلك بالغوا في تعظيمها ثم منهم
من اعتقد انها واجبة الوجوب لذواتها ومنهم من اعتقد حدوثها
وكونها مخلوقة لاله الاكبر الا انهم قالوا انها مخلوقة للاله الاكبر
وخالقه لاحوال هذا العالم وهؤلاء هم الذين اعتقدوا انها وسايط
بين الاله الاكبر وبين اصحاب هذا العالم على كلا التقديرين فالقوم
اشتغلوا بعبادتها وتعظيمها والخضوع لها ثم انهم لما راوا ان الكواكب
قد يستتر عن الابصار في اكثر الاوقات اتخذوا لكل كوكب صنما من
الجواهر المنسوب اليه فاتخذوا صنم الشمس من الذهب فزينوه بالاحجار
المنسوبة الى الشمس وهو الياقوت والالماس واتخذوا صنم القمر
من الفضة وعلى هذا القياس ثم اقبلوا على عبادة هذه الاصنام
وغرضهم من هذه العبادة عبادة تلك الكواكب والتقرب اليها

وهذ

ومن الاصنام عندهم كالقبلة والمعبود عندهم هو تلك الكواكب
وعند هذا البحث يرجع حاصل دين عبدة الاوثان الى عبادة الكواكب
واما الانبياء عليهم السلام فلهم ههنا مقامان احدهما اقامة الدلالة
على ان هذه الكواكب لا تفعل شيئا والثاني ان بتقدير انها يفعل
شيئا لكن لا بد لكل الحدوث حاصلة فيها فلا بد فيها من ان تكون مخلوقة
لاله قديم ازلي والاشتغال بعبادة الاصل اولى من الاشتغال بعبادة
الفرع والعبد ومما يدل على صحة ما رويناه من عبدة الاوثان انه تعالى
لما حكى عن الخليل عليه السلام انه قال لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة
اني اريك وقومك في ضلال مبين فافتى بهذا الكلام ان عبادة
الاصنام جهل وضلال ثم لما اشتغل بذكر الدليل قام الدليل على ان
الكواكب والشمس والقمر لا يصلح شيء منها للالهية وهذا يدل على ان دين
عبدة الاوثان يرجع حاصله الى القول بالهية الكواكب والشمس والقمر
والا لم يكن بين قوله اتتخذ اصناما آلهة وبين قوله فلما جن عليه
الليل راى كوكبا تعلق ولا مناسبة واذا عرفت هذا ظهر انه لا طريق
الى ابطال القول بعبادة الاوثان الا بابطال كون الشمس والقمر
والكواكب الهة وهو الذي حكى الله تعالى عن ابرهيم عليه السلام
في هذه الاية الوجه الثاني في شرح حقيقة مذهب من قال من اهل
الصين والهند كانوا يقولون بالله وملائكته الا انهم كانوا يعتقدون
انه تعالى جسم وذو صورة حسنة كاحسن ما يكون من الصور وكذا
ايضا للملائكة صور حسنة الا انهم كلهم قد احتجبوا عنا فلاجرم
اتخذوا صورا وتماثيل انيقة المنظر حسنة الرونق على الصور التي

كانوا يعتقدونها من صور الآله والملايكة ثم يعتكفون على
عبادتها قاصدين بذلك التقرب الى الله سبحانه والى ملايكته
فان صح ما ذكره ابو معشر فالسبب في عبادة الاوثان اعتقاد الجسمية
في الله سبحانه الوجه الثالث ان اصحاب الاحكام من المنجمين كانوا
يعينون اوقاتا في السنين المطالبة نحو الالف والالفين ويزعمون
ان من اتخذ طلسما في ذلك الوقت على وجه خاص فانه ينتفع به في احوال
مخصوصة نحو السعادة والخصب ودفع الآفات وكانوا اتخذوا ذلك
الطلسم عظموه لاعتقادهم انهم ينتفعون به فلما بالغوا في ذلك
التعظيم صار ذلك كالعبادة ولما طالت الازمنة فالجهال لنسوا مبدء
الامر واشتغلوا بعبادتها ومما يدل على صحة هذا التاويل قوله تعالى
في حكاية ابرهيم عليه السلام في آخر هذه الآية وكيف اخاف ما اشركتم
الآية وذلك لانه عليه السلام لما طعن في الهية تلك الاصنام وحسن
عبادتها خوفوه بوصول البلاء اليه من تلك الاصنام وقال تعالى ايضا
حكاية عن قوم هود ان يقول الا اعتريك بعض الهتنا بسوء والوجه الرابع
كلما مات منهم رجل كبير فاعتقادهم بحيث يعتقدون فيه انه مجاب
الدعوة مقبول الشهادة اتخذوا صنما على صورته يعبدونه على اعتقاد
ان ذلك الانسان يصير شفيعا لهم عند الله يوم القيامة على ما حكى الله
عنهم هذه المقالة في قوله هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقوله ايضا
حكاية عنهم ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى الوجه الخامس لعل
القوم اتخذوا هذه الاصنام محاريب لصلواتهم وطاعاتهم يسجدون
اليها لا لها كما انا نسجد الى القبلة لا للقبلة ولما دامت هذه الحالة

ظن الحمقى من القوم انها هي المعبود الوجه السادس لعل القوم كانوا
من المجسمة او من الحلولية فاعتقدوا جواز حلول الله في بعض هذه الاجسام
على هذا التاويل فهذه هي الوجوه التي يمكن حمل مذهب عبدة الاوثان
عليها واذا عرفت هاتين المقدمتين فلنرجع الى تفسير الآية اما قوله
تعالى واذ قال ابرهيم لابيه آزر ففيه المسئلتان المسئلة الاولى
في آزر فقولان الاول انه والد ابرهيم عليه السلام ولهم في ذلك
دلايل الحجة الاولى ظاهر لفظ القران في هذه الآية يدل على ذلك
ثم ان ظاهر هذه الآية متاكد بايات اخر منها قوله تعالى في سورة
مريم اذ قال لابيه يا ابت لم تعبد الآية وقال ايضا وما كان استغفار
ابرهيم لابيه الآية وكل هذه الآية يدل على ان آباء ابرهيم كانوا كفارا
عابدا لوثن الحجة الثانية ان العرب سمعوا هذه الآية وكانوا احرص
الناس على تكذيب الرسول واعظم الناس رغبة في براءة شجرة النسب
عن كل عيب فلو كان آزر لم يكن والد ابرهيم لتسارعوا الى تكذيبه
ولاتخذوا ذلك غنيمة عظيمة في الطعن فيه الحجة الثالثة ان الله
تعالى ذكر قصة ابرهيم مع ابيه في آيات كثيرة ولم يذكر اسم العم في
القران فيتعذر حمل لفظ الاب في هذه الآية على العم والقول الثاني
ان آزر لم يكن والد ابرهيم بل كان عمه واحتجوا بالحجة الاولى ان اباء
الانبياء ما كانوا كفارا ويدل عليه وجوه منها قوله تعالى الذي
يريك حين تقوم وتقلبك في الساجدين قيل كان معناه انه ينتقل
روحه من ساجد الى ساجد وبهذا التفسير فالآية دالة على ان
جميع آباء محمد عليه السلام كانوا مسلمين وحينئذ يجب القطع

شبكة الألوكة www.alukah.net

بان والد ابرهيم عليه السلام ماكان من الكافرين اقصى ما في الباب
ان نحمل قوله وتقلبك في الساجدين على وجه اخر احدها انه لما
نسخ فرض قيام الليل طاف الرسول عليه السلام تلك الليلة على البيوت
لنظر ماذا يصنعون لشدة حرصه على ما يظهر منهم من الطاعات
فوجدها كبيوت الزنابير لكثرة ما يسمع من دندنتهم بذكر الله فالمراد
من قوله تعالى وتقلبك في الساجدين طوفه صلوات الله عليه
على الساجدين في تلك الليلة ومنها ان المراد وربك حين يقوم
للصلوة بالناس جماعة وتقلبك في الساجدين كائنا فيما بينهم
بقيامه وركوعه وسجوده لانه كان امامهم ومنها انه لا يخفى
على الله حالك كلما قمت وتقلبت مع الساجدين في الاشتغال
بامور الدنيا ومنها المراد تقلب بصر فيمن يصلي خلفه في قوله اتموا
الركوع والسجود فاني اريكم من خلفي فهذه الوجوه الاربعة وان كانت
الاية محتملة لها الا ان الوجه الذي ذكرنا الان ايضا محتمل واذا
الروايات وردت بالكل ولا منافاة بين هذه الوجوه فوجب حمل الاية
على الكل ومتى صح ذلك ثبت ان والد ابرهيم ماكان من عبدة الاوثان
ومما يدل على ان اباء محمد عليه السلام ماكان من المشركين قوله صلى الله عليه
ما ازال انقل من اصلاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات وقال تعالى
انما المشركون نجس فوجب ان لا يكون احد من اجداده مشركا
صلى الله عليه وسلم للحجة الثانية على ان آزر لم يكن والد ابرهيم
ان هذه الاية دالة على ان ابرهيم عليه السلام شافه آزر بالغلظ
ومشافهة الاب بالغلظة لا يجوز فدل على ان آزر ماكان والد ابرهيم

انما

انما قلنا ان ابرهيم شافه آزر بالغلظة لوجهين الاول انه قرئ
واذ قال ابرهيم لابيه آزر بضم آزر وهذا يكون محمولا على النداء
ومخاطبة الاب وناداه بالاسم من اعظم انواع الجفاء والثاني
انه قال لا ازال اراك وقومك في ضلال مبين وهذا من اعظم
انواع الايذاء فثبت انه شافه آزر بالغلظة وانما قلنا ان مشافهة
الاب بالغلظة لا يجوز لوجوه الاول قوله وبالوالدين احسانا
وهذا عام في الكافر والمسلم وقال ولا يقل لهما اف ولا تنهرهما
وهذا ايضا عام والثاني انه تعالى لما بعث موسى عليه السلام
الى فرعون امره بالرفق معه فقال فقولا له قولا لينا والسبب في
ذلك ان بصير هذا رعاية بحق تربيته فههنا الوالد بالرفق اولى منه
الثالث ان الدعوة مع الرفق اكثر تاثيرا في القلب واما الغليظ
فانه ينفر المستمع عن القبول ولهذا قال لمحمد عليه السلام وجادلهم
بالتي هي احسن فكيف يليق بابرهيم هذه الخشونة مع ابيه في وقت
الدعوة والرابع انه تعالى حكى عن ابرهيم الرفق الشديد مع هذا
المسمى بالاب وهو قوله يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الاية
ثم ذلك الانسان غلظ معه في القول وهو قوله لئن لم تنته لارجمنك
فان ابرهيم ما ترك معه الرفق بل قال سلام عليك سأستغفر لك
ربي واذا كانت عادة ابرهيم في الرفق والقول الحسن هذا فكيف
يليق ان يظهر الخشونة والغلظ مع ابيه فثبت بهذه الحجة ان آزر
ماكان والد ابرهيم الحجة الثالثة ان آزر ماكان والد ابرهيم
انه جاء في كتب التاريخ ان اسم والد ابرهيم كان تارخ واما آزر فهو

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عم ابرهيم ثم ان القائلين بهذا القول اجابوا عن دلائل اصحاب القول
الاول فقالوا القرآن وان دل على تسمية آزر بالاب الا ان هذا لا
يدل على القطع بكونه والده لان لفظ الاب قد يطلق على
العم قال تعالى حكاية عن اولاد يعقوب نعبد الهك واله آبائك ابرهيم
واسمعيل فسمى اسمعيل ابا ليعقوب مع ان اسمعيل كان عما ليعقوب
وقال صلى الله عليه وسلم ردوا على ابي يعني العباس وايضا يحتمل
ان آزر كان زاب ام ابرهيم وقد يقال له الاب قال الله تعالى ومن
ذريته داود وسليمان الى قوله وعيسى فجعل عيسى من ذرية ابرهيم
مع ان ابرهيم كان جده من قبل الام وبهذا ظهر الجواب عن الحجة الثانية
وذلك لان تسمية العم بالاب مشهور في اللغة العربية فلهذا
السبب ما كذبوه في هذه الآية هذا تمام القول في نصرة هذا القول
واعلم ان القول الاول اولى وذلك لان ظاهر لفظ الاب يدل على الوالد
اما التمسك بقوله وتقلبك في الساجدين فهو محمول على سائر الوجوه
لاحتمال على ان روحه كانت ينتقل من ساجد الى ساجد محافظة على
ظاهر الآية التي تمسكتم بها وهو قوله لابيه آزر واما الحجة الثانية
فجوابها انكم تمسكتم بعمومات دالة على انه لا يجوز اظهار خشونة
مع الاب فنقول ان قلنا بما ذكرتم سلمت تلك العمومات عن هذا
التخصيص الا انه وجب حمل لفظ الاب على المجاز وان اجرينا لفظ الاب
على حقيقته لزمنا القول بادخال التخصيص في تلك العمومات لكنا
بينا في اصول الفقه انه مهما وقع التعارض بين المجاز وبين التخصيص
كان لزام التخصيص اولى فكان الترجيح لجانبنا واذا عرفت هذه المسئلة

فنقول

فقول الذين قالوا ان آزر ما كان والد ابرهيم لهم قولان منهم من قال
انه كان عم ابرهيم وقال سعيد بن المسيب ومجاهد آزر اسم للصنم وعلى
هذا الوجه ففي الآية اقوال الاول ان ذلك الرجل انما سمي بهذا الاسم
لانه جعل نفسه مختصا بعبادته ومن بالغ في محبه محبوب فقد جعل
اسم المحبوب اسما للمحب قال تعالى يوم ندعوا كل اناس بامامهم والثاني
ان يكون المراد عابدا الى آزر فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه
المسئلة الثانية قرئ آزر بالنصب وهو عطف بيان لابيه وبالضم
على النداء وسالني بعضهم فقال قرئ زبهاتين القراءتين واما قوله
واذ قال موسى لاخيه هرون اخلفني فقد قرئ بالنصب لا غير فما الفرق
قلت القراءة بالضمة محمولة على النداء والنداء بالاسم استخفاف بالمنادى
والاستخفاف بالمنادى لا يليق في قصة ابرهيم لانه كان كافرا مصرا
على كفره فحسن ان يخاطب بالغلظة زجرا له عن ذلك القبيح واما قصة
موسى فقد كان عليه السلام يستخلف هرون على قومه فما كان الاستخفاف
لا يليق بهذا الموضع فلاجرم ما كانت القراءة بالضم جايزة اما قوله تعالى
اتتخذ اصناما آلهة فالمعنى ظاهر وفيه مسائل المسئلة الاولى
اختلف الناس في تفسير لفظ الاله والاصح انه هو المعبود وهذه
الآية تدل على ان هذا القول لانهم ما اثبتوا للاصنام الا وصف
المعبودية وبهذا السبب قال ابرهيم اتتخذ اصناما آلهة
يدل هذا على ان تفسير لفظ الاله هو المعبود المسئلة الثانية
هذه الآية تدل على ان وجوب معرفة الله والاشتغال بشكر معلوم
بالعقل وذلك لان ابرهيم عليه السلام حكم عليهم بالضلال ولولا ان

الألوكة
www.alukah.net

العقلي لما صح ذلك وهذا الاستدلال ضعيف المسئلة الثالثة
كلام ابرهيم مشتمل في هذه الآية على الحجة العقلية على فساد مذهبهم
من وجهين الاول ان قوله تعالى اتتخذ اصناما آلهة يدل على انهم
كانوا يقولون بكثرة الآلهة باطل على ما دل عليه قوله تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدتا والثاني انه لو كان لها قدرة على الخير
والشر لكان الضم الواحد كافيا فلما لم يكن الواحد كافيا دل على انها
وان كثرت فلا منفعة فيها البته واما قوله تعالى اني اراك وقومك
في ضلال مبين فالمعنى ظاهر واما قوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت
السموات والارض وليكون من الموقنين ففيه مسايل المسئلة الاولى
الكاف في كذلك للتشبيه وذا للاشارة الى غايب جرى ذكره والذي
جرى ذكره ههنا فيما قبل هو انه عليه السلام استقبح عبادة الاصنام
بقوله اني اراك وقومك في ضلال مبين فالمعنى ومثل ما اريناه من
قبح عبادة الاصنام نريه ملكوت السموات والارض وههنا دقيقة
عقلية وهي ان نور جلال الله سبحانه ظاهر لايح غير منقطع ولا زايل
البته والارواح البشرية لا تصير محرومة عن ذلك الانوار الا لاجل
الحجاب وذلك الحجاب ليس الا الاشتغال بغير الله تعالى فاذا كان الامر
كذلك فبقدر ما يزول هذا الحجاب يحصل ذلك التجلي فقول ابرهيم
عليه السلام اتتخذ اصناما آلهة اشارة الى الاشتغال بغير الله
فان كل ما سوى الله صنم ثم انه عليه السلام استقبح ذلك بقوله
اني اراك وقومك في ضلال مبين فلما زال ذلك الحجاب بالكلية لا جرم
تجلى له ملكوت الله بالتمام وقوله وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات

والارض معناه بقدر زوال تلك الظلمات حصلت هذه الانوار
فظهر ان قوله وكذلك منشأ لهذه الفايدة الشريفة الروحانية فان
قيل هذه الاراة قد حصلت فيما تقدم من الزمان وكان الاولى ان يقال
وكذلك اريناه ابرهيم ملكوت السموات فلم عدل عن هذه اللفظة الى
قوله وكذلك نرى قلنا الجواب عنه من وجوه الاول ان تقدير الاية
وكذلك كما نرى ابرهيم ملكوت السماء والارض فيكون هذا على سبيل
الحكاية على الماضي والمعنى انه تعالى لما حكى عنه انه شافه اباه بالكلام
الخشن تعصبا للدين الحق فكانه قيل وكيف بلغ ابرهيم هذا المبلغ العظيم
في قوة الدين فاجيب بانا كما نريه ملكوت السموات والارض من وقت
طفوليته لاجل ان يصير من الموقنين زمان بلوغه والوجه الثاني
من الجواب وهو اعلى واشرف مما تقدم وهو ان نقول انه ليس المقصود
من اراة ابرهيم عليه السلام ملكوت السموات والارض وهو مجرد
ان يريه ابرهيم هذا الملكوت بل المقصود ان يريها فيتوسل برويتها
الى معرفة جلال الله وقدسه وعلوه وعظمته ومعلوم ان مخلوقات
الله سبحانه وان كانت متناهية في الذات والصفات الا انها في جهات
دلالتها على الذات والصفات غير متناهية فان اهل الاصول قالوا الجوهر
الفرد يدل على قدرة الله وحكمته من جهات دلالاتها على الذات
والصفات غير متناهية وذلك لان الجوهر الفرد يمكن وقوعه
في كل واحد من الاحياز التي لا نهاية لها بدلا عن الاخر ثم كل واحد
من هذه الاحوال التقديرية دال على كمال قدرة الله وحكمته لان
كلها احوال جايزة والجايز يحتاج الى المرجح واذا كان الجوهر الفرد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والجزء الذي لا يتجزى كذلك فكيف القول بكل ملكوت الله فثبت
ان دلالة ملكوت الله على نعوت جلاله وسمات عظمته وعزته
غير متناهية وحصول العلوم التي لا نهاية لها دفعة واحدة
في العقل البشري على التفصيل محال فاذا الطريق الى تحصيل تلك
المعارف الايان يحصل بعضها عقيب البعض لا الى نهاية ولا الى حد
وهذا يتعلق بالمستقبل لا بالماضي فلهذا السبب والله اعلم لم يقل
وكذلك اريناه ملكوت السموات والارض بل قال وكذلك نرى وهذا
هو المراد من قول المحققين السفر الى الله له نهاية اما السفر في الله
فانه لا نهاية له المسئلة الثانية الملكوت هو الملك والتاء للمبالغة
كالرغبوت من الرغبة والرهبوت من الرهبة واعلم ان في هذه الآية
قولان احدهما ان الله تعالى اراه الملكوت بالعين قالوا انه تعالى
شق له السموات حتى راى الى العرش والكرسي وحيث ينتهي الى فوقية
العالم المخلوق وشق له الارض الى حيث ينتهي تحتية العالم فراى ما في
السموات من العجايب والبدايع وراى ما في بطن الارض من العجايب
والقول الثاني ان هذه الاراة كانت بعين البصيرة والعقل لا بعين البصر
واحتج القايلون على صحة هذا القول بوجوه الحجة الاولى ان ملكوت
السموات عبارة عن ملك السموات والملك عبارة عن القدرة وقدرة
الله لا يرى وانما يعرف بالعقل وهذا لازم الا ان يقال المراد بملكوت
السموات والارض نفس السموات والارض الا انه يصير على هذا التقدير
لفظ الملكوت عديم الفايدة وانه لا يجوز الحجة الثانية انه تعالى
ذكر هذه الآية في قول الآية على سبيل الاجمال وهو قوله وكذلك نرى

ابرهيم ثم فسرها بعد ذلك بقوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا
فجرى ذكر هذا الاستدلال كالشرح والتفسير لتلك الاراة فوجب
القول بان تلك الاراة عبارة عن هذا الاستدلال الحجة الثالثة
انه قال في اخر الآية وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه والرؤية
بالعين لا يصير حجة على قومه لانهم كانوا غايبين عنها فكانوا يكذبون
ابرهيم فيها بل ما كان محل العلم لتصديق في تلك الدعوة بالآية على صدق
دعواه وانما كانت الحجة عليهم استدلالا بالنجوم من الطريق الذي
نطق به القران فان تلك الدلالة ثابتة في حقهم كما كانت ثابتة في حقه
الحجة الرابعة ان اراة جميع العالم دفعة واحدة يفيد العلم الضروري
بان العالم لها قادرا على كل الممكنات ومثل هذه الحالة لا يصلح الانسان
عندها استحقاق المدح والتعظيم الا ترى ان الكفار في الاخرة يعرفون
الله تعالى بالضرورة وليس لهم في تلك المعرفة مدح ولا ثواب فاما
الاستدلال بالمخلوق على الصانع القادر الحكيم فذلك الذي يفيد المدح
والتعظيم الحجة الخامسة انه تعالى كما قال في حق ابرهيم وكذلك نرى
ابرهيم ملكوت السموات والارض قال في حق هذه الامة سنريهم
ايتنا في الافاق وفي انفسهم ولما كانت هذه الاراة بالقلب لا بالبصر
فاراة بالبصر كانت خالصة للكفار فكذا في حق ابرهيم عليه السلام
يجب ان يكون الامر كذلك الحجة السادسة انه عليه السلام لما تمم
الاستدلال بالنجم والقمر قال بعده اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض فحكم على السموات والارضين بكونها مخلوقة لاجل الدليل الذي
ذكره في النجم والشمس وذلك الدليل لو لم يكن عاما في كل السموات والارض

لكان الحكم العام بناء على الدليل الخاص خطاء فثبت ان ذلك الدليل
كان عاما وكان ذكر الشمس والقمر والنجم كالمثال لآرآة الملكوت فوجب ان
يكون المراد من آرآة الملكوت تعريف كيفية دلالة تغيرها على حدوثها
على الافتقار الى المدبر المؤثر فيكون هذه الآرآة بالقلب لا بالعين
الحجة السابعة ان اليقين عبارة عن العلم المستفاد بالتامل اذا كان
مسبوقا بالشك وقوله وليكون من الموقنين كالعلم بذلك الآرآة فيصير
تقدير الآية نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض لاجل ان يصير
من الموقنين ولما كان اليقين هو العلم المستفاد من النظر في الدليل وجب
ان يكون تلك الآرآة عبارة عن الاستدلال الحجة الثامنة ان جميع
مخلوقات الله سبحانه دالة على وجود الصانع وقدرته باعتبار واحد
وهو انها محدثة ممكنة وكل محدث ممكن فهو محتاج الى الصانع فاذا
عرف الانسان هذا الوجه فقد كفاه ذلك في الاستدلال على وجود
الصانع وكانه بمعرفة هاتين المقدمتين قد طالع جميع الملكوت
بعين عقله وسمع شهادتها بالاحتياج والافتقار بسمع عقله
وهذه الرؤية رؤية باقية غير زايلة البتة ثم انها غير شاغلة عن الله
بل شاغلة للقلب والروح بالله وحده اما رؤية العين فالانسان لا
يمكنه ان يرى بالعين اشياء كثيرة دفعة واحدة على سبيل الكمال الا
ترى انك من نظر الى صفحة مكتوبة فانه لا يرى من تلك الصفحة رؤية تامة
كاملة الا حرفا واحدا فان صرف نظره الى حرف اخر وشغل بصره به
صار محروما عن ادراك الحرف الاول وعن بضاعه فثبت ان رؤية
الاشياء الكثيرة دفعة واحدة غير ممكنة وبتقدير ان يمكن ذلك الان

هذه الرؤية غير باقية وبتقدير ان يكون باقية لكنها شاغلة عن الله
الا ترى انه تعالى مدح محمدا عليه السلام في تركها فقال ما زاغ البصر
وما طغى فدلت هذه الدلايل على ان حمل هذه الآرآة على رؤية القلب
اولى فان قيل فرؤية القلب بهذا التفسير حاصلة لجميع الموحدين فاي
فضيلة تحصل لابرهيم عليه السلام بسببها قلت الموحدين وجميع
المستدلين يشتركون في معرفة حدوث العالم والاستدلال به على الصانع
فاما الاستغراق في هذا الاستدلال والتامل في كيفية دلالة كل واحد
من الممكنات والمحدثات في علم الاجسام والارواح وذرات الارضين
والسموات ثم يرى هذه الحالة في كل حين واوان وعصر وزمان على ما
هو المراد من قوله نرى ابرهيم بدلا من قوله اريناه ابرهيم فهذه الحالة
لا تحصل الا لاعظم الانبياء كابرهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام
المسئلة الثالثة اختلفوا في الواو في قوله وليكون من الموقنين
وذكروا وجوها الاول ان الواو زايدة تقدير الاية نرى ابرهيم
ملكوت السموات والارض ليكون من الموقنين الثاني التقدير
نرى ابرهيم ملكوت السموات ليستدل بها وليكون من الموقنين
الثالث ان يكون هذا كلاما مستانفا بيان علة الاراة والتقدير
ليكون من الموقنين برؤية ذلك الرابع ان الآرآة قد تحصل وتصير
سببا لمزيد الضلال كما في حق فرعون قال تعالى ولقد اريناه ايانا
كلها فكذب وابى وقد تصير سببا لمزيد الهداية واليقين فلما احتمل
هذين الاحتمالين قال في حق ابرهيم انا اريناه هذه الايات لنريها
فيكون من الموقنين لا من الجاحدين المسئلة الرابعة اليقين عبارة

عن علم يحصل بعد زوال الشبهة بسبب التامل ولهذا المعنى لا يوصف
علم الله تعالى باليقين لان علمه غير مسبوق بالشبهة وغير مستفاد
من التفكر واعلم ان الانسان في اول ما يستدل فانه لا ينفك
عن شبهة وشك من بعض الوجوه فاذا كثرت الدلايل وتوافقت
صارت سببا لحصول اليقين وذلك لوجوه الاول انه يحصل لكل
واحد من تلك الدلايل نوع تاثير وتقوية فلا تزال تتزايد القوة حتى
ينتهي الى الجزم الثاني ان كثرة الافعال سبب لحصول الملكات فكثرة
الاستدلال بالدلايل المختلفة على المدلول الواحد جار مجرى تكرار
الدرس الواحد وكما ان كثرة التكرار يفيد الحفظ المتاكد الذي لا يزول
عن القلب فكذا ههنا الثالث ان القلب عند الاستدلال الاول كان
مظلما جدا فاذا حصل فيه الاعتقاد المستفاد بالدليل الاول
امتزج نور ذلك الاستدلال بظلمة القلب فحصل فيه حال شبيهة
بالحالة الممتزجة من النور والظلمة واذا حصل الاستدلال الثاني امتزج
نوره بالحالة الاولى فيصير الشروق اتم وكما ان الشمس اذا قويت نورها من
المشرق ظهر نورها في اول الامر وهو الصحيح فكذلك الاستدلال الاول
يكون كالصحيح الاول وكما ان نور الشمس لا يزال يتزايد بسبب تزايد قربها
من سمت الراس فاذا وصلت الى قرب الراس حصل النور التام فكذا العبد
كلما كان تدبره في مرايب مخلوقات الله اكثر كان شروق نور المعرفة والتوحيد
اجلى الا ان الفرق بين شمس المعرفة وشمس العالم ان لارتقاء شمس العالم
وتصاعدها حدا معينا ومقطع معين اما شمس المعرفة والتوحيد
فلا نهاية لتصاعدها ولا غاية لتزايدها فقوله وكذلك نري ابراهيم

ملكوت

ملكوت السموات والارض اشارة الى مراتب الدلايل والبينات وقوله
وليكون من الموقنين اشارة الى درجات انوار التجلي وشروق شمس المعرفة
والتوحيد اما قوله فلما جن عليه الليل راى كوكبا فاعلم ان الفاء في قوله
فلما جن عطف على قوله قال ابرهيم واعلم ان اكثر المفسرين ذكروا ان ملك
ذلك الزمان كان قد راى رويا عبرها المعبرون بانه يولد غلام بناحيته
في ملكه فامر ذلك الملك بذبح كل غلام يولد فخبات ام ابرهيم به وما
اظهر حبلها للناس فلما جاءها الطلق ذهبت الى كهف في جبل ووضعت ابرهيم
وسدت الباب بحجر فجاء جبريل عليه السلام ابرهيم ووضع اصبعه في فيه
فمصه فخرج منه رزقه وكان ينعهد جبريل عليه السلام وكانت الام
تاتيه احيانا وترضعه وبقي على هذه الصفة حتى كبر وعقل وعرف ان له
ربا فسال الام فقال لها من ربي قالت انا قال ومن ربك قالت الاب
قال ومن رب الاب فقالت ملك البلد فعرف ابرهيم حيلها بهما فنظر
من باب ذلك الغار ليرى شيئا يستدل به على الرب فراى النجم الذي كان
اضوء النجوم في السماء فقال هذا ربي الى اخر القصة ثم القايلون بهذا
القول اختلفوا فمنهم من قال ان هذا كان بعد البلوغ وجريان القلم عليه
ومنهم من قال ان هذا كان قبل البلوغ واتفق اكثر المحققين على فساد هذا
القول واحتجوا عليه بحجج الاول ان القول بربوبية النجم كفر بالاجماع
والكفر غير جايز على الانبياء الحجة الثانية ان ابرهيم كان قد عرف
قبل هذه الواقعة ربه بالدليل والدليل على ذلك انه تعالى اخبر عنه قال
قبل هذه الواقعة لابيه ازرا اني اراك وقومك في ضلال مبين الحجة
الثالثة انه تعالى حكى عنه انه دعا اباه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالرفق حيث قال يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الاية وحكى في
هذا الموضع انه دعا اباه الى التوحيد وترك عبادة الاصنام بالكلام
الخشن واللفظ الموحش ومن المعلوم ان من دعا غيره الى الله فانه
يقدم الرفق على العنف واللين على الغلظ ولا يخوض في التعنيف والتغليظ
الا بعد المدة المديدة واليأس التام فدل هذا على ان هذه الواقعة انما
وقعت بعد ان دعا اباه الى التوحيد مرارا واطوارا ولا شك انه انما
اشتغل بدعوة ابيه بعد فراغه عن مهم نفسه فثبت ان هذه الواقعة
انما وقعت بعد ما عرف الله تعالى الحجة الرابعة ان هذه الواقعة
انما وقعت بعد ان اراه الله ملكوت السموات والارض حتى راى
من فوق العرش والكرسي وما تحتهما الى ما تحت الثرى ومن كان منصبه
في الدين كذلك وعناية الله تعالى به الى هذا الحد فكيف يليق به ان
يقرر ربوبية الكواكب الحجة الخامسة ان دلايل الحدوث ظاهرة في
الافلاك والكواكب من خمسة عشر وجها شرحناها في كيفية دلالة خلق
السموات على الصانع القديم ومع هذه الوجوه الظاهرة فكيف يليق
باقل العقلاء نصيبا من العقل والفهم ان يقول بربوبية الكواكب
فضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء الحجة السادسة انه قال
لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضالين وقوله لاكونن عبارة
عن المستقبل وهذا يقتضي انه غير ضال في الحال والجاهل بالله لا شك
انه ضال الحجة السابعة انه تعالى قال في وصف ابرهيم عليه السلام اذ جاء
ربه بقلب سليم واقل مراتب القلب السليم ان يكون سليما عن الكفر وقال
ايضا اذ جاء ربه بقلب منيب الحجة الثامنة انه مدحه فقال ولقد

اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اى اتيناه رشده من قبل
اى من اول زمان الكفر وكنا به عالمين اى بصفوته وطهارته كنا عالمين
ونظيره قوله تعالى الله اعلم حيث يجعل رسالته الحجة التاسعة
قال وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين
اى وليكون بسبب تلك الاراة من الموقنين ثم قال بعد فلما جن
والفاء يقتضي التراخي فدلت الفاء في قوله فلما جن على ان هذه
الواقعة انما وقعت بعد ان صار ابرهيم من الموقنين العارفين بربه
الحجة العاشرة ان هذه الواقعة والقصة انما حصلت بسبب
مناظرة ابرهيم مع قومه والدليل عليه انه تعالى لما ذكر هذه القصة
قال وتلك حجتنا اتيناها ابرهيم على قومه ولم يقل على نفسه
فعلم ان هذه المباحثة انما جرت مع قومه لاجل ان يرشدهم الى
الايمان والتوحيد لا لاجل ان ابرهيم كان يطلب الدين والمعرفة
لنفسه الحجة الحادية عشر ان القوم يقولون ان ابرهيم انما اشتغل
بالنظر في الكواكب والقمر والشمس حال ما كان في الغار وهذا باطل
لانه لو كان الامر كذلك فكيف يقول يا قوم اني بريء مما تشركون مع انه
ما كان في الغار لا قوم ولا صنم الحجة الثانية عشر قال تعالى وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله وكيف يحاجونه وهم بعد ما راوه وهو
ما راهم وهذا يدل على انه عليه السلام انما اشتغل بالنظر في النجم
والقمر والشمس بعد ان خالط قومه وراهم يعبدون الاصنام
ودعوه الى عبادتها فذكر قوله لا احب الافلين ردا عليهم وتنبيها
على فساد قولهم الحجة الثالثة عشر انه تعالى حكى عنه انه قال للقوم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وكيف اخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله وهذا يدل
على ان القوم كانوا يخوفونه بالاصنام كما حكى عن قوم هود انهم قالوا
له ان نقول الا اعتريك بعض الهتنا بسوء ومعلوم ان هذا الكلام
لا يليق بالعاقل قبل مخالطة القوم للحجة الرابعة عشر ان تلك الليلة
كانت مسبوقة بالنهار ولا شك ان الشمس كانت طالعة ثم غربت
مكان ينبغي ان يستدل بغروبها على انها لا تصلح للالهية واذا
بطلت صلاحية الشمس للالهية فبطل اذن تلك في النجم والقمر بطريق
الاولى هذا اذا قلنا بان هذه الواقعة كان المقصود منها تحصيل
المعرفة لنفسه اما اذا قلنا المقصود منها الزام القوم والخامهم
فهذا السؤال غير وارد لانه انما اتفق مكالمته مع القوم حال طلوع
ذلك النجم ثم امتدت المناظرة الى ان طلع القمر وطلع الشمس وعلى
هذا التقدير فالسؤال غير وارد فثبت بهذه الدلائل الظاهرة انه
لا يجوز ان يقال ان ابرهيم قال على سبيل الجزم هذا ربي ولما بطل هذا
بقي ههنا احتمالان الاول ان يقال هذا الكلام قاله ابرهيم بعد البلوغ
ولكن ليس الغرض منه اثبات ربوبية الكواكب بل الغرض منه احد امور
الاول ان ابرهيم لم يقل هذا ربي على سبيل الاخبار بل الغرض انه
يناظر عبدة الكواكب وكان مذهبهم ان الكواكب ربتهم والهتهم فذكر
ابرهيم عليه السلام ذلك القول الذي قالوه بلفظهم وعبارتهم حتى
يرجع اليه فيبطله كما ان الواحد منا اذا ناظر من يقول بقدم الجسم
فيقول الجسم قديم فان كان كذلك فلم نراه ونشاهده مركبا متغيرا
فهو انما قال الجسم قديم اعادة الكلام الخصم حتى يلزم عليه المحال

فكذا

فكذا ههنا قال هذا ربي حكاية لكلامهم ثم اعقبه بما يدل على فساده
وهو قوله لا احب الافلين وهذا الوجه هو المعتمد في الجواب والدليل
عليه انه تعالى في اخر هذه الآية على هذه المناظرة بقوله وتلك حجتنا
اتيناها ابرهيم على قومه الوجه الثاني قوله هذا ربي معناه هذا
ربي على زعمكم واعتقادكم ونظيره ان يقول احد على سبيل الاستهزاء
للمجسم ان الهه جسم محدود اي في زعمه واعتقاده كما قال تعالى
وانظر الى الهك الذي ظلت عليه عاكفا وقال ويومر مناديهم فيقول
اين شركائي وكان عليه السلام يقول يا اله الالهة وتاويله ان الله
اله الالهة في زعمهم الوجه الثالث المراد منه الاستفهام على سبيل
الانكار الا انه اسقط حرف الاستفهام استغناء عنه لدلائل
القرائن من الحال عليه كانه قال اهذا ربي وهذا استفهام توبيخ وتضليع
الوجه الرابع في الآية اختصار والتقدير يقولون هذا ربي ونظيره
قوله واذ يرفع ابرهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا والتقدير
ويقولون ربنا الوجه الخامس ان يكون ذلك على سبيل الاستهزاء
كما يقال للذليل سار قوما هذا سيدكم على سبيل الهزء الوجه السادس
انه عليه السلام اراد ان يبطل قولهم بربوبية الكواكب لانه عليه السلام
كان قد عرف من تقليدهم لاسلافهم وسوء طباعهم عن قبول الدلائل
انه لو صرح بالدعوة الى الله لم يقبلوه ولم يلتفتوا اليه فمال الى طريق
استدراجهم الى استماع الحجة بواسطة الفلك صادرا في الحقيقة
عن الله بخلاف الواحد منا فانه لا تاثير له في الفلك فلم يكن الاحياء
والامامة الصادران بواسطة الفلك صادرين عن البشر فان قيل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا السؤال والجواب اللذين ذكرتم كيف يفهم من الاية باظهار ضرب
من المساعدة لهم في الظاهر مع طمانينه قلبه بالايمان حتى يتمكن
بعد ذلك من ابطالها ذكروا وانما استحل ذكر هذه الكلمة لانه لم يكن له
طريق الى الدعوة غيره وكان ذلك بمنزلة المكره على كلمة الكفر فان عند
الاكراه يجوز اجراء كلمة الكفر على اللسان قال الله تعالى الا من اكره
وقلبه مطمئن بالايمان فاذا جاز كلمة الكفر لمصلحة بقاء شخص واحد
فجاز بجوز اظهار كلمة الكفر لتخليص عالم من الناس عن الكفر والعقوبة
الابدية كان اولى وايضا المكره على ترك الصلوة لو صلى حتى قتل استحق
الاجر العظيم ثم اذا جاء وقت القتال مع الكفار وعلم بانه لو اشتغل بالصلوة
انهزم عسكر الاسلام فههنا يجب عليه ترك الصلوة ويجب الاشتغال
بالقتال حتى لو صلى وترك القتال اثم ولو ترك الصلوة وقاتل استحق الاجر
بل نقول ان من كان في الصلوة فراى طفلا او اعمى اشرف على غرق او حرق
وجب عليه قطع الصلوة لانقاذ ذلك الطفل او الاعمى عن ذلك البلاء
فكذا ههنا ان ابرهيم عليه السلام تكلم بهذه الكلمة ليظهر من نفسه
موافقة القوم حتى اذا ورد عليهم الدليل المبطل لقولهم كان قبولهم
لذلك الدليل اتم وانتفاعهم بسماعه اكمل ومما يؤكد هذا الوجه انه حكى عنه
مثل هذا الطريق في موضع آخر وهو قوله فنظر نظرة في النجوم فقال
اني سقيم فتولوا عنه مدبرين وذلك لانهم كانوا يستدلون بعلم
النجوم على معرفة الحوادث المستقبلة فوافقهم ابرهيم عليه السلام
على التمسك بالنجوم على هذه القاعدة في الظاهر مع انه كان بريا عنه
في الباطن ومقصوده ان يتوسل به الى كسر الاصنام فاذا جاز ان تكون موافقة

في الظاهر على التمسك بعلم النجوم لغرض كسر الاصنام فلم لا يجوز اظهار
كلمة الكفر باللسان لغرض ابطاله بالدليل القاطع وايضا المتكلمون
قالوا لا يقبح من الله تعالى اظهار خوارق العادات على يد من يدعي الالهية
لان صورة هذا المدعي وشكله مكذب لدعواه فلا يحصل التلبيس بسبب
ظهور تلك الخوارق على يد ولكن لا يجوز اظهارها على يد من يدعي النبوة
لانه يفضي الى التلبيس فكذا ههنا قوله هذا ربي كلام لا يفضي الى الاضلال
لان دليل فساده جلي وفي اظهار هذه الكلمة منفعة عظيمة وهي
استدراجهم لقبول الدليل الوجه السابع في الجواب ان القوم لما ادعوا
الى عبادة النجوم فكانوا في تلك المناظرة اذا طلع النجم الدري فقال ابرهيم
عليه السلام هذا ربي هذا هو الرب الذي تدعونني اليه ثم سكن زمانا
حتى افل فقال لا احب الآفلين اما الاحتمال الثاني وهو ان يقال ان ابرهيم
عليه السلام انما ذكر هذا الدليل قبل البلوغ فتقديره ان الله خص ابرهيم
بالعقل الكامل والقريحة الوقادة فخطر بباله قبل بلوغه اثبات الصانع
فتفكر فراى النجم فقال هذا ربي فلما شاهد افوله قال لا يجوز ان يكون
ربا وكذا القمر والشمس ثم بلغه الله تعالى في اثناء هذا الفكر والاستدلال
حد التكليف فقال في الحال اني بريء مما تشركون فهذا احتمال ولا بأس به
وان كان الاحتمال الاول اولى بالقبول لما ذكرنا من الدلايل الكثيرة على ان
هذه المناظرة انما جرت لابرهيم عليه السلام وقت اشتغاله بدعوة القوم
الى التوحيد اما قوله تعالى حكاية عن ابرهيم عليه السلام لا احب الآفلين
وفيه سؤالات السؤال الاول كيف يدل الافول على انه لا يصلح للربوبية
اقصى ما في الباب ان يقال الافول عبارة عن الحركة وكل ما يصح عليه الحركة

فانه لابد وان يكون اما متحركا واما ساكنا وكل ما كان متحركا او ساكنا
فهو محدث فكل فلك محدث لانا نقول كونه محدثا لا يمنع من كونه ربا
لابراهيم وذلك لان القوم ما كانوا ينكرون وجود الله تعالى بل لعلهم
كانوا يقولون انه تعالى خلق الشمس والقمر ثم انه تعالى فوض تدبير هذا
العالم اليها فالبشر عبيد الكواكب ومخلوقاتها والكواكب محدثة ومخلوقة
للاله سبحانه واذا كان كذلك لم يلزم من قوله الكواكب صحة قوله لا
احب الآفلين ولا يصح ايضا لاجل قوله الكواكب صحة قوله اني وجهت
وجهي للذي فطر السموات والارض وايضا لا يصح قوله وما انا من
المشركين والجواب من وجوه الاول ان قوله هذه الاجسام يدل
على حدوثها وكل حدوثها يدل على انها مخلوقة لموجود قديم ازلي قادر
مختار ويجب ان يكون قادريته ذلك القادر ازلية والا لافتقر
حدوث قادريته الى قادر آخر ولزم التسلسل واذا كانت قادريته
ازلية وجب ان تكون متعلقة بجميع الممكنات واذا كان كذلك امتنع
وقوع شئ من الممكنات لا بقدرته اذ لو وقع شئ من الممكنات لا بقدرته
بل بقدرة غيره لكان ذلك الغير سببا لعجزه عن ايجاده الشئ الذي كان
مقدورا له وذلك محال لانا قدر من غيره والاضعف لا يمكنه تعجيز
الاقدر واذا ثبت ان حدوث الاجسام يدل بهذه الوسايط على ان
جميع المحدثات يوجد بقدرته واذا كان كذلك كان المحدث والموجد
للناس والحيوان والنبات والمعادن هو الاله القديم المختار جل جلاله
فحينئذ يكون الكواكب معزولة عن ربوبية البشر وثبت عند ذلك
ان قوله الكواكب يدل دلالة على صحة قوله لا احب الآفلين وعلى صحة

قوله

قوله اني برئ مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض
واعلم ان هذا الوجه لا يتمشى الا على مذهب اهل السنة والجماعة في
مسئلة خلق الافعال الوجه الثاني في الجواب ان قوله الكواكب يدل
على حدوثها وحدوثها يدل على افتقارها في وجودها الى الفاعل المختار
ومن كان قادرا على خلق هذه الافلاك والكواكب عن غير شئ من الوسايط
اولى بالربوبية واليه الاشارة بقوله تعالى لخلق السموات والارض
اكبر من خلق الناس وبقوله أوليس الذي خلق السموات والارض بقادر
على ان يخلق مثلهم بلى وهو الخلاق العليم فثبت بهذا الطريق كونه قادرا
على خلق البشر وكونه قادرا على تدبير هذا العالم السفلي بدون واسطة
الاجرام الفلكية اما كون الافلاك والانجم قادرة على الخلق والايجاد
وعالمة بمصالح اهل العالم ومفاسدها فذلك غير معلوم لان كل شئ
يسنده المنجم الى الكوكب والفلك لعقل لا يتبعه ويوجب اسناده الى
آله الفلك واذا كان كذلك تحكم العقل بطرح المجهول والاخذ بالمعلوم
فيسند العقل تدبير هذا العالم السفلي الى آله الافلاك والانجم فلهذا السبب
قال عليه السلام اني برئ مما تشركون الوجه الثالث ان الاول كما دل على
حدوث الافلاك والانجم دل حدوثها على افتقارها الى الاله القديم
القدير الذي يكون علمه في غاية الكمال وحكمته في نهاية الجلال واذا كان
كذلك كان الاشتغال بطاعته وخدمته اولى من الاشتغال بخدمة
الافلاك والانجم لان تقدير ان يكون مدبر هذا العالم السفلي
هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعته واجبا وتقدير ان يكون هذا
العالم والافلاك والانجم مخلوقة ومقدورة للاله الاعظم كان

الألوكة
www.alukah.net

الاشتغال بطاعة الاله الاعظم اعراضا عن الضعيف وتمسكا
بالقوى الاقوى وهذا حسن في المعقول اما لو كان المدبر لهذا العالم
هو الاله الاكبر كان الاشتغال بطاعة الافلاك والانجم اعراضا عن
القوى وتمسكا بالضعيف وهذا قبيح في العقول فعلمنا ان على جميع
التقديرات صح قول ابرهيم عليه السلام لا احب الآفلين وصح ايضا
قوله اني بريء مما تشركون السؤال الثاني الافول انما يدل على
الحدوث من حيث انه حركة وعلى هذا التقدير يكون الطلوع ايضا
دليل الحدوث فلم ترك ابرهيم الاستدلال على حدوثها بالطلوع
وعول ذلك على الافول الجواب لاشك ان الطلوع والغروب
يشتركان في الدلالة على الحدوث الا ان الدليل الذي تمسك به الانبياء
عليهم السلام في معرض الدعوة لابد وان يكون ظاهرا جليا بحيث
يشترك فيه الغبي والذكي والعاقل والغافل ودلالة الحركة على
الحدوث وان كانت دلالة يقينية الا انها دقيقة لا يعرفها الا
الاذكياء من الخلق اما دلالة الافول فانها دلالة ظاهرة يعرفها كل احد
فان الكل يزول سلطانه وقت الافول فكانت دلالة الافول على هذا
المقصود اتم وايضا قال بعض المحققين الهوى في حضرة الامكان افول
واحسن الكلام ما يحصل فيه خصة الخواص وحصة العوام فالخواص
يفهمون من الافول الامكان فكل ممكن محتاج والمحتاج لا يكون منقطعا
للحاجة فلابد من الانتهاء الى ما يكون منزها عن الامكان حتى ينقطع
الحاجات بسبب وجوده على ما قال وان الى ربك المنتهى واما الاوساط
فانهم يفهمون من الافول الحركة فكل متحرك محدث وكل محدث فهو محتاج

الى القديم القادر فلا يكون الآفل الها بل الاله هو الذي احتاج اليه
ذلك الآفل واما العوام فانهم يفهمون من الافول الغروب وهم
يشاهدون ان كل كوكب يقرب من الافول والغارب يزول نوره
ويبطل ضوءه وسلطانه ويصير كالمعزول ومن كان كذلك لم يصلح
للالهية فهذه الكلمة الواحدة اعني قوله لا احب الآفلين كلمة مشتملة
على نصيب المقربين واصحاب اليمين واصحاب الشمال فكانت اكمل
الدلايل وافضل البراهين السؤال الثالث لاشك ان تلك الليلة
كانت مسبوقة بنهار وكانت الشمس فلت في ذلك النهار والسابق
بعد ان كانت طالعة فاذا كان الافول دليلا على انه لا يصلح للالهية
ثم اذا خرجت الشمس عن صلاحية الالهية مع كبرها وجلال ضوئها
فبان يخرج النجم والقمر عن صلاحية الالهية كان ذلك اولى لا يقال
انه عليه السلام انما يرتبي في ذلك الكهف وهو اول ما نظر من ذلك
الكهف الى الخارج كان ليلا فراى الكواكب في تلك الساعة ثم بعد
راى القمر ثم بعده راى الشمس لانا نقول انه من البعيد ان يترقى
شخص عاقل في غار من اول طفوليته الى زمان بلوغه حد العقل
والتكليف مع انه ما نظر من ذلك الغار في تلك المدة الطويلة وما
كان يفرق بين النهار وبين الليل وما كان يدخل نور الشمس في ذلك
الغار من ثقب هذا محال في العرف الجواب ان هذا الاشكال لازم
على من يقول انه عليه السلام انما شرع في هذه الواقعة لطلب معرفة
الله لنفسه اما على قول من يقول انه عليه السلام كان انما استدل
بهذه الوجوه حال اشتغاله بالدعوة الى التوحيد ومنع القوم عن عبادة

الألوكة
www.alukah.net

الكواكب فالسؤال زايل لانه من المحتمل انه اتفق انه كان عليه السلام
جالسا مع اولئك الاقوام ليلة من الليالي ثم انه زجرهم عن عبادة
الكواكب وبين لهم ان ذلك ضلال وجهل فبينا هم في ذلك الكلام
اذ وقع بصرهم على كوكب مضيء فوقعوا في تلك المناظرة ثم لما افل ذلك
الكوكب طلع القمر فاعاد عليهم ذلك الكلام ويقول فيه الى ان طلعت
الشمس فاعاد ابرهيم ذلك الكلام فهذا جملة ما يتعلق بتقرير دلالة
ابرهيم عليه السلام اما قوله تعالى فلما راى القمر بازغا الى قوله اني
بريء مما تشركون فلا اشكال فيه البته الا في موضع واحد وهو
ان لقائل ان يقول الاية مشعرة بان في الليلة الواحدة طلع الكوكب
ثم افل وبعده طلع القمر ثم افل وهذا غير ممكن في الليلة الواحدة
والجواب فيه قولان الاول ان الكوكب كان في الربع الغربي من الفلك
فافل ثم طلع بعد القمر ووصل الى نصف السماء واتحدد الى الربع الغربي
من الفلك فمتى توجهه الى الافول الافول وهذه الاحوال يمكن حصولها
في الليلة الواحدة والثاني ان طلوع الكوكب وافوله كان في ليل وطلوع
القمر وافوله كان في ليلة اخرى واعلم ان القوم كانوا على مذهب
المفوضية ومعنى هذا المذهب انهم كانوا يقولون البشر عبيد الكواكب
والكواكب عبيد الله سبحانه والدليل عليه ان ابرهيم قال يا قوم اني
بريء مما تشركون وكونهم مشركين يدل على انهم كانوا مقرين باثبات
الاله وانما كانوا مشركون لانهم اثبتوا للشمس والقمر والنجوم نصيبا
في العبودية وتدبير العالم فلما ابطل ابرهيم عليه السلام هذا
المذهب تبرأ منه ثم اقبل على التوحيد المحض فقال اني وجهت وجهي

للذي فطر السموات والارض الاية وكان قوله اني بريء مما تشركون
عبارة عن كلمة لا اله وقوله اني وجهت وجهي للذي فطر السموات
والارض عبارة عن كلمة الا الله فصار معنى كلمة لا اله الا الله
مكشوفا في هذا المقام وهذا اخر الكلام في هذه الاية الفصل
الثاني في شرح مناظرة ابرهيم مع ملك زمانه وهي قوله تعالى
الم تر الى الذي حاج ابرهيم في ربه الاية اما قوله الم تر فهي كلمة توقف
بها المخاطب على امر تعجب منه ولفظه لفظ الاستفهام ونظيره قوله
اما ترى الى فلان كيف يصنع معناه هل رايت كفلان في صنعة كذا اما
قوله الى الذي حاج ابرهيم في ربه قال نمرود بن كنعان وهو اول من
تجبر وادعى الربوبية والمحاجة المغالبة يقال حاجته فحججته اي
غالبته فغلبته والضمير في قوله في ربه يحتمل ان يرجع الى ابرهيم
وان يرجع الى الطاغي والاول هو الاظهر بدليل قوله تعالى وحاجه
قومه قال اتحاجوني في الله والمعنى حاجه في ربه اما قوله ان اتاه الله
الملك ففيه قولان احدهما ان الهاء في اتاه عايدة الى ابرهيم والمعنى
ان الله تعالى اتى ابرهيم الملك واحتجوا على هذا القول بوجوه الحجة
الاولى فقد اتينا ال ابرهيم الكتاب والحكمة واتيناهم
ملكا عظيما اي سلطانا بالنبوة والقيام بدين الله تعالى الحجة
الثانية انه لا يجوز ان يوتي الله الملك الكفار ومن يدعي الربوبية
لنفسه الحجة الثالثة ان عود الضمير الى اقرب المذكورين واجب واقرب
المذكورين هو ابرهيم فهذا الضمير فوجب ان يكون هذا الضمير
عايدا اليه والقول الثاني وهو قول جمهور المفسرين ان الضمير

الشبكة الألوكة www.alukah.net

عايدا الى ذلك الانسان الذى حاج ابرهيم واحتجوا عليه بوجوه
الحجة الاولى ان قوله اتاه الله الملك يحتمل ثلث تاويلات وكل واحد
منها انما يصح اذا قلنا الضمير عايد الى الملك لا الى ابرهيم فاحد تلك
التاويلات ان يكون المعنى حاج ابرهيم فى ربه لاجل ان اتاه الله الملك
على ابناء الملك بطره واورثه الكبر والعتو فحاج لذلك ومعلوم ان
هذا انما يليق بالملك العاتى والتاويل الثانى ان يكون المعنى انه جعل
محاجته فى ربه منكرا على انا اتاه ربه الملك كما يقال عاداني فلان لاني
احسنت اليه بدليل انه عكس ما يجب عليه الموالات لاجل الاحسان
ونظيره قوله ويجعلون رزقكم انكم تكذبون وهذا التاويل ايضا
لا يليق الا بالكافر والتاويل الثالث انه حاج وقت ان اتيه الله الملك
وهذا غير لايق بالنبى المعصوم فانه يجب عليه اظهار المحاجة قبل
حصول الملك وبعده اما الملك العاتى فانه لا يليق به اظهار هذا
العتو الشديد الا بعد ان يحصل له الملك العظيم فثبت انه لا يستقيم
لقوله ان اتاه الله الملك معنى وتاويل الا اذا حملناه على الملك العاتى
الحجة الثانية ان المقصود من هذه الاية بيان كمال حال ابرهيم فى اظهار
الدعوة الى الدين الحق ومتى كان الكافر سلطانا مهيبا حال ما كان
ابرهيم غير ملك كان هذا المعنى اتم مما اذا كان ابرهيم ملكا وما كان
الكافر كذلك فوجب المصير الى ما ذكرناه الحجة الثالثة ما ذكره ابو بكر
الاصم وهو ان ابرهيم عليه السلام لو كان ملكا لما قدر هذا الكافر على
ان يقتل احد الرجلين ويستبقى الاخر بل كان ابرهيم عليه السلام لمنعه
منه اشد المنع وهذا الاستدلال ضعيف لان من المحتمل ان يقال ان ابرهيم

كان ملكا وسلطانا فى الدين والتمكن من اظهار المعجزات وذلك
الكافر كان قادرا على الظلم فلهذا السبب مكنه قتل احد الرجلين
وايضا فيجوز ان يقول انما قتل احد الرجلين قودا وكان الاختيار
اليه واستبقى الاخر اما لانه لا قتل عليه او بذل الدية واستبقاه
وقوله انا احيى واميت خبر ووعد ولا دليل فى القران على انه
فعله ثم القايلون بهذا القول اجابوا عن دلايل الغايبين بالقول
الاول اما الحجة الاولى التمسك بقوله فقد اتينا آل ابرهيم الكتاب
والحكمة واتيناهم ملكا عظيما فجوابه ان هذه الاية دالة على حصول
الملك لال ابرهيم وليس فيها دلالة على حصول الملك لابرهيم اما الحجة
الثانية وهو قوله لا يليق بحكمة الله ان يوتى الكفار الملك فجوابه
ان المراد من الملك التمكن والقدرة والبسطة فى الدنيا والحس يدل
على ان الله تعالى قد يعطى الكافر هذا المعنى وايضا فلم لا يجوز ان يقال
انه تعالى اعطاه الله الملك حال ما كان مؤمنا ثم انه بعد ذلك كفر بالله
واما الحجة الثالثة وهى قوله عود الضمير الى اقرب المذكورين واجب
فجوابه ان هذا معارض بما ذكرنا ان الروايات الكثيرة وردت بان
الملك هو الذى حاج ابرهيم والله اعلم واما قوله ربى الذى يحيى
ويميت ففيه مسايل المسئلة الاولى الظاهر ان هذا الكلام جواب
عن سوال سابق غير مذكور وذلك لان من المعلوم ان الانبياء
عليهم السلام انما بعثوا للدعوة والظاهر انه اذا ادعى الرسالة
فان المدعو قد لا يطالبه باثبات ان للعالم الها الا ترى ان موسى
قال انا رسول رب العالمين قال فرعون وما رب العالمين فاحتج

موسى عليه السلام على اثبات الصانع بقوله ربّ السموات والارض
فكذا ههنا الظاهر ان ابرهيم ادعى الرسالة فقال نمرود من ربك
قال ابرهيم ربّي الذي يحيي ويميت الا ان هذه المقدمة جرم وقد
دلت الواقعة دلت عليها ويحتمل ان يكون ابرهيم قد ذهب اليه
ودعاه اولا الى التوحيد من غير ذكر البتة المسئلة الثانية اعلم
ان دليل ابرهيم عليه السلام كان في غاية الصحة وذلك لانه
لا سبيل الى معرفة الله الا بواسطة افعاله التي لا يشاركه فيها احد
من القادرين من الاحياء والاماتة كذلك لان الخلق عاجزون عنها
والعلم بذلك بعد الاختيار ضروري فلا بدّ من موثر اخر هو غير هؤلاء
القادرين الذين نراهم ونشاهدهم حتى يكون موثرا في الاحياء والاماتة
وذلك الموثر اما ان يكون موجبا بالذات او مختارا والاول باطل لانه
يلزم من دوامه وعدم تغيّره دوام الاثر وكان يجب ان لا يتبدّل
الموت بالحيوة ولا بالعكس ذلك محال وايضا فانا نرى للحيوانات
اعضاء مختلفة الشكل والصفة والطبيعة والخاصية وتاثير
الموجب بالذات لا يكون كذلك فعلمنا انه لا بدّ في الاحياء والاماتة
من موجد قادر مختار موثر بالقدرة والاختيار وذلك هو الله سبحانه
وهذا دليل متقن في غاية القوة وذكر الله تعالى في مواضع من كتابه
كقوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وسنفرد
ان شاء الله تعالى لتقرير فصلا مفردا فان قيل انه تعالى قدّم الموت
على الحيوة في ايات منها قوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا
فاحياكم وقال الذي خلق الموت والحيوة وقال ابرهيم عليه السلام

في الثناء على الله سبحانه والذي يميتني ثم يحيين فلم قدّم في هذه الاية
ذكر الحيوة على الموت قلنا لانه اذا كان المقصود من ذكر الدليل
هو الدعوة الى الله وجب ان يكون الدليل اظهر واوضح ولا شك ان
عجايب الخلقة حال الحيوة اكثر واطلاع الانسان عليها اتم فلا جرم
وجب تقديم الحيوة ههنا في الذكر واما في تلك الايات فالمقصود
فيها بيان تعديد الاحوال الماضية فلا جرم وجب فيها تقديم الموت
على الحيوة اما قوله تعالى انا احيي واميت فاعلم ان المشهور في كتب
التفسير ان ابرهيم عليه السلام لما احتج بهذه الحجة دعا ذلك الكافر
شخصين وقتل احدهما واستبقى الاخر وقال ايضا انا احيي واميت
هذا هو المنقول في الكتب وهو عندي في غاية البعد ويدلّ عليه
وجوه الحجة الاولى ان الظاهر من حال ابرهيم انه شرح حقيقة الاحياء
والاماتة على الوجه الملخص فان ايراد الكلام المجمل المبهم عند من كون
غرضه هو التفهيم والتعليم والزجر عن الباطل والدعوة الى الحق
لا يليق باقل الناس عقلا وعلما وفضلا عن اعقل العقلاء واعلم العلماء
ومتى لخص الانسان حقيقة الاحياء والاماتة امتنع ان يشتبه
على السائل مع هذه الاحياء والاماتة التي اوردها للكافر في معرض
المعارضة وبعد في الجمع العظيم ان يكونوا في الحماقة بحيث لا يعرفون
هذا القدر من الفرق الحجة الثانية ان من بلغ في الجهالة والحماقة
الى هذا الحد فاي فضيلة يحصل للانسان بسبب الزامه وافحامه
لكنه تعالى جعل افحامه سببا للفضيلة العظيمة حيث قال فبهت الذي
كفروا واعلم ان القايلين بهذا القول قالوا ان الكافر لما اورد هذا

السؤال عدل ابرهيم عن ذلك الدليل الى دليل اخر فقال ان الله يأتي
بالشمس من المشرق فات بها من المغرب فبهت الذي كفر وهذا ايضا
في غاية البعد ويدل عليه وجوه الحجة الاولى انا لانتقال من الدليل
الاول الى الدليل الثاني يوهم العجز والجهل وذلك يقتضي ضرورته
حقيرا في الاعين وصيرورته بحيث لا يلتفت الى قوله ولا يبالي بكلامه
والانبياء عليهم السلام يجب عليهم ان يصونوا انفسهم عن هذه
حتى لا يخل بما هو المقصود من تبليغهم ورسالتهم ويفضي الى ان لا
يلتفت القوم اليهم وان لا يهتموا لهم وزنا فثبت انه لا يجوز عليهم
الانتقال من دليل الى دليل الحجة الثانية ان هذا السؤال كان في غاية
الركاكة والجواب عنه حاصل بادنى تنبيه فانه كان القوم قد بلغوا
في الحماقة والجهالة الى حيث لا ينتفعون بذكر الفرق بين هاتين الصورتين
لم ينتفعوا ايضا بذكر هذا الدليل الثاني البتة وان كانوا بحيث يدركون
الفرق بين الصورتين كان التنبيه على الفرق اولى من الانتقال الى
الدليل الثاني الحجة الثالثة ان ذلك السؤال وان كان في غاية الركاكة
الا انه لما وقع في اسماع الحاضرين فالسكوت عن الجواب يفضي الى بقاء
تلك الشبهة في القلوب وذلك غير جايز لان ازالة الشبهة على من
يقدر على ازالتها فرض معين فكيف يجوز الاخلال فيه وليس لاحد
ان يقول انه عليه السلام انما ترك ذلك الجواب لانه كان خايفا عن
ذلك الملك لانا نقول العالم يمنع الخوف من الملك عن ذكر الدليل الثاني فبان
لا يمنع من ذكر الفرق الذي هو اوضح واجلى كان اولى الحجة الرابعة
انما يحسن الانتقال من دليل الى دليل اخر لو كان الدليل الثاني اوضح واقوى

وههنا ليس الامر كذلك لان جنس الحيوة لا قدرة للخلق عليه واما جنس
تحريك الاجسام فللخالق قدرة عليه ولا يبعد في العقل وجود ملك
عظيم الخلقة اعظم من السموات وانه هو الذي يحرك السموات والدليل
على ان هذا الاحتمال قايم قوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ
ثمانية والعرش اعظم من السموات بكثير فاذا لم يبعد ان يكون الملك
حاملا للعرش فاي بعد في ان يكون محركا للسموات والشمس والقمر
فثبت انا لا احياء لا يصح الامر من الله تعالى اما تحريك السموات فانه يصح
من غير الله واذا كان كذلك كان دلالة الاحياء والامانة على وجود
الله تعالى اقوى واظهر من دلالة طلوع الشمس على وجود الله واذا ثبت
هذا فنقول انه لا يليق بالمعصوم ان يترك التمسك بالدليل القوى
ويلزم العجز والانقطاع ويتمسك بعد بدليل ركيك ضعيف لا يقبل
التشبيه ويكون الداعي له الى كل ذلك سؤال ركيك في غاية السقوط
فان مثل هذا العمل لا يليق بالمبتدين الحجة الخامسة ان دلالة الاحياء
والامانة على وجود الصانع الحكيم اقوى من دلالة طلوع الشمس على
وجود الصانع من وجه اخر وذلك لانا نشاهد في ذات الانسان
وصفاته من التبدلات واختلاف الحالات وتعاقب الصفات وكل
ذلك ظاهر الدلالة على وجود الصانع المختار اما الشمس فلا يرى في
ذاتها ولا في صفاتها ولا لمجاري حركاتها شيئا من التبدلات بل القايلون
ان المؤثر في وجود العالم علة بالايجاب لا فاعل بالاختيار يعظم
شبههم في هذه الصورة فانهم يقولون نرى احوال الشمس في الطلوع
والغروب باقية على نهج واحد وطريقة واحدة وذلك يوهم ان حركة

الشمس والقمر والكواكب بالطبع لا يتحرك القادر المختار فثبت
ان دلالة الاحياء والاماتة على وجود القادر المختار اقوى من
دلالة طلوع الشمس وغروبها عليه فكان الانتقال من الاول
الى الثاني انتقالا من الاقوى الى الاضعف وهذا لا يليق باحد من
الاذكياء فضلا عن اكمل العقلاء الحجة السادسة ان نمرود لما
بلغ في الحماقة والوقاحة الى حيث عارض الاحياء والاماتة بذلك
السؤال الركيك فكيف يؤمن منه عند استدلال ابرهيم عليه السلام
بطلوع الشمس من المشرق حصل بفعلي وان كان لك اله قادر مختار
فعجل له حتى يطلعها من المغرب وعند هذا التزام المحققون من
المفسرين بانه لو اورد هذا السؤال لكان يجب في حكمة الله تعالى
ان يطلع الشمس من المغرب ومعلوم ان اظهار افساد ذلك السؤال
الركيك اهون من التزام اطلاع الشمس من المغرب بكثير وايضا فعند
طلوع الشمس من مغربها يصير الاستدلال بطلوع الشمس من مشرقها
ضايعا وحينئذ يصير دليله الثاني ضايعا كما ضاع دليله الاول
ومعلوم ان التزام هذه الظلمات لاجل ذلك السؤال الركيك غير لايق
بالعقلاء الحجة السابعة ان الفاء في قوله فان الله يأتي بالشمس من
من المشرق يدل على ان هذا الكلام متعلق بالكلام الاول وعلى قول
هؤلاء المفسرين هذا دليل منقطع عن الكلام الاول غير متعلق به فلا
يبقى للفاء فايدة اصلا فظهر بهذه الوجوه امتناع تفسير كلام الله تعالى
بهذا الوجه الذي ذكروه ضعيف والمختار عندي في تفسير هذه الآية
ان نقول ان ابرهيم عليه السلام لما احتج على وجود الصانع بالاحياء

والاماتة

والاماتة قال المنكر ادعى الاحياء والاماتة من الله ابتداء من
غير واسطة الاسباب الارضية والسماوية او تدعي صدور الاحياء
والاماتة من الله تعالى بواسطة الاسباب الارضية والسماوية
اما الاول فلا سبيل اليه واما الثاني فلا يدل على المقصود ان
الواحد منا يقدر على الاحياء والاماتة بواسطة الاسباب
الارضية والسماوية فان الجماع قد يفضي الى الولد الحي بواسطة
الاسباب الارضية والسماوية وتناول السم قد يفضي الى الموت
فلما ذكر نمرود هذا السؤال اجاب ابرهيم عليه السلام بان قال
ان الاحياء والاماتة حصلا من الله تعالى بواسطة الاتصالات
الفلكية الا انه لابد للاتصالات الفلكية والحركات الكوكبية
من فاعل ومدبر فاذا كان المدبر لتلك الحركات الكوكبية والاتصالات
الفلكية هو الله تعالى كان الاحياء والاماتة الحاصلان بواسطة
تلك الحركات الفلكية ايضا يكون من الله تعالى واما الاحياء والاماتة
الصادران عن البشر بواسطة الاسباب الفلكية فليست كذلك لانه
لا قدرة للبشر على الحركات الفلكية فظهر الفرق والحاصل ان الاحياء
والاماتة وان حصلا بواسطة الاسباب الفلكية الا ان مدبر
الفلك هو الله تعالى فكان الاحياء والاماتة الصادران عن الله
بخلاف الواحد منا فانه لا تاثير له في الفلك فلم يكن الاحياء والاماتة
الصادران بواسطة الفلك صادرين عن البشر فان قيل هذا السؤال
والجواب اللذان ذكرتم كيف نفهم من الاية واي مناسبة بينهما
وبين ما هو المذكور في الاية قلنا ان مدار القرآن على الايجاز لا يخل

الألوكة
www.alukah.net

الاطناب فقول ابرهيم ربي الذي يحيي ويميت محمول على الاحياء
والاماتة المعتادين وهما في ظاهر الامر موقوفان على الاسباب
الطبيعية السفلية والاتصالات الفلكية العلوية فقال نمرود
انا احيي واميت مثل هذين الاحياء والاماتة اللذين اشرت اليهما
وهما الاحياء والاماتة الحاصلان بواسطة الاسباب الفلكية
فقال ابرهيم فان الله ياتي بالشمس من المشرق اي هب ان هذه
الاحياء والاماتة الحاصلين بواسطة الاسباب الفلكية انما
حصل بواسطة الشمس الا ان محرك الشمس هو الله تعالى وانت
انت فلا قدرة لك على تحريك الشمس بدليل انك لا يمكنك تحريكها
من المغرب فظهران المذكور في الاية تنبيه على ما ذكرناه الا انه تعالى
انما ذكره على سبيل الايجاز والرمز على ما هو عادة القران واعلم انا
لما فسرنا الاية بهذا الوجه زالت تلك المطاعن بأسرها وذلك لان
هذا السؤال كلام لا يليق بالعقلاء فان كل من تمسك بالاحياء والاماتة
فلا بد وان يورد الطبيعي والمنجم عليه هذا السؤال ولا جواب عنه الا
الجواب المذكور في الاية ولا يكون فيه انتقالا الى دليل اخر عن الدليل
الاول الى الدليل الثاني ويكون الكلام الثاني متعلقا بالكلام الاول
فيبقى الفاء في قوله تعالى فان الله ياتي بالشمس من المشرق دلالة في
تعلق الكلام الثاني بالاول ونظير هذا التقدير في قوله تعالى في
سورة النحل هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر
الى قوله ان في ذلك لاية لقوم يتفكرون ومقطع الاية الثانية
بقوله يعقلون ومقطع الاية الثالثة بقوله افلا تذكرون

فجعل الله تعالى مقطع الآية الاولى من هذه الايات الثلثة بقوله
تتفكرون ومقطع الاية الثانية بقوله تذكرون وفي ترتيب
هذه المقاطع اسرار عجيبة وذلك لانه تعالى استدل في الاية الاولى
على وجود الصانع المختار بحدوث الانواع المختلفة من النبات في
الارض الواحدة والماء الواحد الا ان هذا الدليل في هذا المقام
غير تام وذلك لان لقائل ان يقول حدوث الانواع المختلفة من النبات
انما كان لتاثير الكواكب والشمس والقمر ولما كان مثل هذا السؤال
مما يذكر على هذا الدليل قبل الجواب عن هذا السؤال غير تام فكان
محال التدبر والتفكر باقيا فلهذا السبب جعل مقطع هذه الاية
بقوله تتفكرون ثم انه تعالى اجاب عن هذا السؤال من وجهين
الاول قوله وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر ان في ذلك
لايات لقوم يعقلون وشرح هذا الجواب ان يقال هب ان حدوث
انواع مختلفة من النبات انما كان لتاثيرات الكواكب واختلاف
الفصول الا ان حركات الكواكب لا بد لها من موثر ولا يتسلسل بل لا بد
من الاعتراف بشيء هو مسبب الاسباب ومدبر الكل فيكون حدوث
النبات في الحقيقة واقعا بتدبير ذلك المدبر الاول والموثر الاول
وعند هذا يتم الاستدلال ولا يبقى للفكر مجال فلا جرم جعل مقطع
هذه الاية قوله تعقلون يعني ان كنت كامل العقل فاعترف بوجود
الاله القادر المختار في هذا المقام فان الدليل قد تم ولم يبق
بعد للفكر والنظر مجال وهذا التقرير هو بعينه التقرير المذكور
في قصة ابرهيم فان المنكر لما احال الاحياء والاماتة على الاسباب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الفلكية من حيث انه شبه ذلك الاحياء والاماتة بالاحياء والاماتة
الصادرين منا فعند هذا قال ابرهيم عليه السلام فان الله يأتي
بالشمس من المشرق اى لابد لتلك الاسباب الفلكية من مدبر وهو
الله تعالى فلاجرم انقطع ذلك الكافر وسكت حتى قال تعالى في صفته
فبهت الذي كفر فالحاصل ان المراد من قوله فبهت الذي كفر هو المراد
من قوله ان في ذلك لايات لقوم يعقلون الى الوجه الثاني من الجواب
عن ذلك السؤال قوله وما ذرأ لكم في الارض مختلفا الوانه الى قوله
لقوم يذكرون وتقرير هذا الجواب هو ان الارض والماء والهواء
والشمس والقمر لكل واحد طبيعة واحدة وتاثير واحد ونسبه هذه
هذه الاشياء باسرها الى كل واحد نسبه الغصن من اجزاء الشجرة الواحدة
بل الكل واحد من اجزاء الورقة الواحدة على غاية صغرها ونهاية دقتها
نسبة واحدة فكان ينبغي ان يكون الاثر حاصلا على السوية فلما رأينا
في الشجرة الواحدة اختلافات كثيرة في اجزائها بل شاهدنا في الورقة الواحدة
اختلافا في لون وجهيها علمنا ان هذه الآثار غير مستندة الى الطبايع
والنجوم وانما جعل مقطع هذه الاية بقوله افلا يذكرون لانه
قد تقرر في بداية العقول ان الموجب لابد وان يكون تاثيره بالسوية
ولاجل هذا قالت الفلاسفة المقتضي لشكل الجسم هو الطبيعة وتاثير
الطبيعة الواحدة لابد وان يكون متشابها فلاجرم قالوا يجب
ان يكون شكل الجسم البسيط هو الكرة ثم انك تشاهد الاختلاف
العظيم في خلقة الحيوان والنبات اما النبات فانك ترى الارض قد تنز
حارا يابسا ولحمه حار رطب وحامضة باردا يابسا وبذره يابس فهذا

شيء واحد حصلت فيه الطبايع المختلفة ويرى الرمان فيه ذلك
القشر الغليظ والشحم القابض العفص ثم ترى الحب فيه ذلك الماء اللطيف
العذب وفيه ذلك النوى الغليظ البارد واليابس القابض بل تجد الورقة
اللطيفة من الورد احد وجهيها في غاية الصفرة والوجه الاخر في غاية
الحمرة ثم ترى وسط تلك الورقة اللطيفة عرقا ممتدا من اصلها الى
طرفها ثم سترى العروق الصغيرة منشعبة من ذلك العرق المتوسط
ثم منشعب من كل واحد من تلك الشعب شعب اخرى دقيقة وهكذا
الى ان تصير الشعبة ادق من الشعرة بمرات فاذا شاهدت هذه
الاختلافات الكثيرة في التركيب واللون والخاصية وكان قد
تقرر في عقلك ان الموجب بالذات يكون تاثيره متشابها فيكون
يجوز من عقلك ان تقول ان تولد هذه الانواع المختلفة انما كان
بسبب تاثيرات الانجم والافلاك فهذا برهان قاطع على انه لا يمكن
اسناد الحوادث الارضية الى الافلاك والانجم ولاجل هذا السر
جعل مقطع هذه الاية قوله افلا يذكرون يعني لا تذكرون ما كان
متقررا في عقولكم ان تاثيرات الموجب بالذات لا يكون مختلفا ثم انك
شاهدت بحسك هذه الاختلافات الكثيرة فتامل انت المسكين في هذه
الاسرار لتعلم ان القرآن بحر عميق لا ساحل له وان الطبيعي عز غني جاهل
وليس المؤثر والمقدر والمدبر الا الله سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون
علوا كبيرا واعلم انا لما شرحنا هذين النوعين من المناظرات لابرهيم
عليه السلام لتعلقها بالنجوم والشمس والقمر فلنذكر سائر مناظراته
في التوحيد وان لم يكن لها تعلق بالنجوم والشمس والقمر الفصل الثالث

في شرح مناظرة ابرهيم مع ابيه في التوحيد قال تعالى في سورة
مريم واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان صديقا نبيا اذ قال لابيه
يا ابت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا اعلم ان الغرض
من هذه السورة من اولها الى آخرها بيان التوحيد والنبوة والمعاد
والمنكرون للتوحيد هم الذين اثبتوا معبودا سوى الله تعالى وهم
فريقان منهم من اثبت معبودا غير الله حيا عاقلا وهم
النصارى ومنهم من اثبت معبودا غير الله جمادا وهم عبدة الاوثان
والفريقان وان اشتركا في ضلال الا ان ضلال الفريق الثاني
اعظم فلما بين الله تعالى في هذه السورة ضلال الفريق الاول
وهم النصارى تكلم بعده في شرح الفريق الثاني وهم عبدة الاوثان
فقال تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم والواو في قوله واذكر
عطف على قوله ذكر رحمة ربك عبده زكريا كانه لما انتهت قصة
زكريا وعيسى عليهما السلام قال يا محمد قد ذكرت لهم حال زكريا
فاذكر حال ابرهيم وانما شرع في قصة ابرهيم عليه السلام لوجوه
الاول ان ابرهيم كان بالعرب وهم كانوا مقرين بعلو شانه
وطهارة دينه على ما قال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وقال ومن يرغب
عن ملة ابرهيم الا من سفه نفسه فكانه تعالى قال للعرب ان كنتم
مقتدين لابائكم على ما هو قولكم انا وجدنا اباءنا على امة
فاعلموا ان اجل ابائكم قدرا واعظمهم منزلة وشرفا وفخرا
هو ابرهيم فكونوا مقتدين له في ترك عبادة الاوثان وان
كنتم من المستدلين فتاملوا في هذه الدلايل التي ذكرها ابرهيم

لتعرفوا

لتعرفوا فساد عبادة الاوثان وبالجملة فاتبعوا ملة ابرهيم
اما تقليدا او استدلالا والثاني ان كثيرا من الكفار في زمن الرسول
عليه السلام كانوا يقولون كيف نترك دين اباءنا واجدادنا فذكر
الله تعالى قصة ابرهيم وبين انه ترك دين ابيه ازر وابطل قوله بالدليل
فرجح متابعة الدليل على متابعة الاب ليعرف الكفار ان ترجيح
جانب الاب على جانب الدليل رد على الاب الاشرف الاكبر الذي هو ابرهيم
والثالث ان كثيرا من الكفار كانوا يتمسكون بالتقليد وينكرون
الاستدلال على ما قالوا انا وجدنا اباءنا لها عابدين فحكى الله تعالى
عن ابرهيم التمسك بطريق الاستدلال تبينها لهؤلاء الجهال على
سقوط هذه الطريقة ثم انه تعالى قال في صفة ابرهيم عليه السلام
انه كان صديقا نبيا وفي الصديق قولان احدهما انه مبالغة في كونه
صادقا وهو الذي يكون عادته الصدق لان هذا البناء يبنى للمبالغة
يقال رجل خمير وسكير للموانع بهذه الافعال والثاني ان يكون
معناه كثير الصدق والتصديق بالحق حتى يصير مشهورا به والاول اولى
وذلك لان المصدق والشيء ربما يوصف بكونه صديقا اذا كان صادقا
في ذلك التصديق فيعود الامر الى الاول فان قيل الدليل على القول الثاني
قوله تعالى والذين امنوا بالله ورسله اولئك هم الصديقون
والشهداء قلنا انما سماهم صديقين لكونهم صادقين في ذلك
التصديق واعلم ان النبي يجب ان يكون صادقا في كل ما اخبر لان الله
صدقه ومصدق الله صادق والا لزم الكذب في خبر الله تعالى وهو
محال فيلزم من هذا كون الرسول صادقا في كل ما يخبر عنه لان الرسل

شهد الله على الناس على ما قال فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد
وجئنا بك على هؤلاء شهيدا والشهيد انما يقبل قوله اذا لم يكن كاذبا
فان قيل فما قولكم في ابرهيم عليه السلام حيث كذب ثلث كذبات
وهو قوله بل فعله كبيرهم وقوله اني سقيم وقوله هذه اختي قلنا
معاذ الله ان يكذب ابرهيم وسنجيب عن هذا الكلام في باب عصمة
الانبياء عليهم السلام فثبت ان كل نبي يجب ان يكون صديقا ظاهر
انه لا يجب ان يكون كل صديق نبيا فلهذا السبب وصفه اولا بكونه
صديقا ثم بعد وصفه بكونه نبيا واما النبي فسيجئ في باب النبوة
تفسيره وقوله تعالى كان صديقا قيل انه صادق وقيل انه وجد
صديقا نبيا اي كان من اول وجوده الى انتهائه موصوفا بالصدق
والديانة وهذا يؤكد ما ذكرنا ان قوله هذا ربي كان في مقام
المناظرة ابطالا لهذا القول عليهم وما كان في معرض الاجبار اما قوله
يا ابت فالتاء عوض عن ياء الاضافة لا يقال يا ابتي لما لا يجمع بين العوض
والمعوض عنه وقد يقال يا ابتا ليكون الالف بدلا من الياء ثم اعلم
انه تعالى حكى ان ابرهيم عليه السلام كلم ابيه باربعة انواع
من الكلام النوع الاول قوله لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك
شيئا وصف الاوثان بصفات ثلثة كل واحد منها قادح في المعبودية
وبيانه من وجوه الاول ان العبادة غاية التعظيم فلا يليق الا لمن له
غاية الانعام وهو الذي يكون قادرا على خلق اصول النعم وفروعها
كما قررنا في تفسير قوله كيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم
الثاني ان بديهة العقل حاكمة بانه لا يجوز الاشتغال بشكر من لا

نعمة له عليك فاذا لم يجب الاشتغال بشكره فلان لا يجب الاشتغال
بطاعته اولى الثالث انها اذا لم يسمع ولم يبصر ولم يميز بين من
يطيعها وبين من يعصيها ومن كان كذلك فاتي فايدة في عبادتها
وهذا يدل على ان الاله يجب ان يكون عالما بكل المعلومات من الكليات
والجزويات حتى يكون العبد آمنا من وقوع الغلط في الثواب والعقاب
الرابع ان الدعاء مخ العبادة فالوثن اذا لم يسمع دعاء الداعي فاي منفعة
في عبادته وان كان لا يبصر يقرب من يتقرب اليه فاي فايدة تحصل من
ذلك التقرب الخامس ان السامع المبصر اضاء الداعي افضل ممن كان
عاريا من هذه الصفات والانسان موصوف بهذه الصفات الصنم
عار عنها فيكون الانسان اشرف وافضل من الصنم واقدام الاشرف
الاعظم على عبودية الاخس الاذل لا يليق بالعقلاء السادس انها اذا
كانت لا تضر ولا تنفع لا يحصل اليها رغبة ولا منها رهبة فاي فايدة
في عبادتها السابع لا يقدر على حفظ نفسها عن اضعف الحيوانات
كما قال تعالى ان الذين يدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له
الاية بل لا يقدر على صيانة نفسها عن الكسر والاذلال وان الله تعالى
اخبر عن ابرهيم انه كسرها وجعلها جذاذا فاذا كانت لا تحفظ نفسها
للكسر والاذلال فاي رجاء للغير فيها والثامن انه تعالى نزه نفسه
عن الشرك في اول سورة النحل فقال تعالى عما يشركون ثم احتج عليه
بوجوه اولها خلقه السموات فقال خلق السموات والارض بالحق
تعالى عما يشركون والثاني خلقه الانسان فقال خلق الانسان
من نطفة فاذا هو خصيم مبين والثالث خلقه الحيوانات فقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والانعام خلقها لكم فيها دفء الاية والرابع خلقه النبات فقال هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر الآية والخامس خلقه البحر فقال وهو الذي سخر البحر والسادس خلقه الارض فقال والقى في الارض رواسي ان تميد بكم ثم ختم ذكر هذه الدلايل باعادة المقصود وهي نفي الشركاء والانداد فقال أفمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وكل ذلك اشارة الى ان التسوية بين النافع والضار وبين ما لا ينفع ولا يضر في العبادة سفه والسابع ان ابرهيم عاب الاصنام من بنيته اوجه من جهاتها لا تسمع ولا تبصر ولا يقدر فكانه قال العبادة لا يليق الا لربي والهي فانه يسمع بدليل قوله اجيب دعوة الداعي ويبصر بدليل قوله اسمع واري ويقضي الحوايج بدليل قوله أمن يجيب المضطر اذا دعاه والثامن قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال في لقمان عقيب هذه الاية قال الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون فقوله الحمد لله معناه الشكر لله على اعترافهم بذلك وقوله بل اكثرهم لا يعلمون معناه انكم لما اقررتم بان المدبر هو الله فكيف تشتغلون بعبادة غير الله فان الاقدام على هذا العمل مع الاقرار بذلك القول لا يليق بمنزلة من له عقل وفهم ومعرفة فان قيل الستم قد ذكرتم ان عبدة الاوثان معبودهم هو الكواكب في الحقيقة فكيف تتوجه هذه الدلايل عليهم الجواب انا بينا في تفسير قوله تعالى لا احب الآفلين ان على كل التقديرات ان الاعراض عن مدبر الافلاك والانجم بعبادة الافلاك والانجم وبعباده اصنامها وتماثيلها غاية الجهل

فلما

فلما دلت الدلايل على افتقار الافلاك والانجم الى الاله الخالق المدبر وثبت ان خالق الافلاك والانجم لابد وان يكون قادرا على خلق الناس لان القادر على الاقوى قادر على الاضعف كما قال الخالق السموات والارض اكبر من خلق الناس وقال اوليس الذي خلق السموت والارض بقادر على ان يخلق مثلهم فاذا كان الامر كذلك كانت الاشتغال بخدمة رب الافلاك والانجم اولى من الاشتغال بخدمة الافلاك والانجم وقد سبق تقرير هذا المعنى على الاستقصاء النوع الثاني من كلام ابرهيم عليه السلام مع ابيه قوله يا ابت اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا سويا واعلم ان هذه الاية اشارة الى ان روح النبي صلى الله عليه وسلم متميز عن سائر الارواح بمزيد الكمال والجلال وتقريره وهو ان العالم عالمان عالم المحسوس وعالم المعقول والمعقول لا يكون معقولا حتى يثبت له مثال في المحسوس والا لكان متخيلا موهوما والمحسوس لا يكون محسوسا حتى يثبت له مثال في المعقول والا لكان سرابا معدوما واذا عرفت هذا فنقول عالم الروحانيات عالم عظيم لا يعلم عددهم واصنافهم وانواعهم واجناسهم الا الله كما قال تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو ولا بد من مدبر مطاع نافذ الامر والقضية في جميع الروحانيات وهو اكمل الروحانيات هي العرش والكرسي والافلاك والكواكب ولا بد من ان يكون ذلك المدبر من جنسهم ولا بد ان يكون كاملا بالفعل لان الاخراج من القوة الى الفعل لا يحصل الا ممن كان مبدءا عن القوة خارجا الى الفعل من كل الوجوه واما العالم الجسماني

فهكذا يجب ان يكون فيه مدبر كامل من جميع الوجوه ويكون نافذ الامر
والقضية في جميع الجسمانيات ويكون تدبيره اخراج ما بالقوة الى
الفعل في اشياء جنسه فمدبر العالم الروحاني هو الروح الاعظم ومدبر
العالم الجسماني هو الرسول الاعظم ثم يكون بين الروح والرسول
مناسبة علوية وملاقات عقلية ويكون الروح الاعظم مصدرا
ويكون الروح الاعظم مظهرا فالروح مبداء والرسول نهاية
واول الفكر اخر العمل واذا عرفت ان الرسول مدبر للجسمانيات
باخراج ما فيها من الكمالات من القوة الى الفعل عرفت المراد من قول
ابرهيم اني قد جاءني من العلم ما لم ياتك فاتبعني اهدك صراطا
سويا وههنا اسرار عظيمة وقد نبهنا على مشرعها النوع الثالث
من كلام ابرهيم مع ابيه قوله يا ابت لا تعبد الشيطان ان الشيطان
كان للرحمن عصيا والمعنى لا تطعه لانه عاص في الله فنفره بهذا
الوصف عن القبول منه لانه اعظم الخصال المنفرة واعلم ان ابرهيم
عليه السلام كان عظيم الدرجة في الاخلاص في طاعة الله فلا جرم
لم يذكر من جنايات الشيطان الا كونه عصيا في الله ولم يذكر البته
كونه عدوا لآدم عليه السلام كان النظر في عظم حاله في معصية الله
تعالى غير فكره واطبق على ذهنه وهذا كما ان عيسى عليه السلام
اول ما تكلم ذكر بما يدل على نبوته وتنزيه الله سبحانه ولم يذكر على ما
يدل على براءة امه كان اشتغاله بتنزيه الله تعالى شغله عن الالتفات الى
حال الام وايضا فان معصية الله تعالى لا تصدر الا عن ضعيف الراى
ومن كان كذلك حقيقا بان لا يلتفت اليه فان قيل ان هذا القول يتوقف

اثباته على امور احدها اثبات الصانع والثاني اثبات الشيطان
والثالث اثبات ان الشيطان عاص لله والرابع انه لما كان عاصيا
في الله لم يخرج طاعته في شيء من الاشياء والخامس ان الاعتقاد الذي
كان يعتقده والد ابرهيم مستفاد من طاعة الشيطان ومن شان
الدلالة التي يوردها الانسان على خصمه كونها مركبة من مقدمات
مسلمة معلومة ولعل والد ابرهيم كان نازعا في كل هذه المقدمات
فكيف استحسن من ابرهيم ذكر هذا الكلام قلنا الحجة المعول عليها
في ابطال مذهب ابيه هي التي ذكرها اولا من قوله لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا فاما هذا الكلام يجري مجرى التخويف
والتحذير الذي يحمله على النظر والتامل في تلك الدلالة النوع الرابع
قوله يا ابت اني اخاف ان يمسك عذاب من الرحمن وفي قوله اخاف
قولان احدهما قال الفراء معناه اعلم والاكثرون على انه محمول
على الظاهر وحمل هذا اللفظ على العلم انما يجب لو كان ابرهيم عالما
بان اباه سيموت على الكفر وذلك لم يثبت فوجب اجراءه على ظاهره
فانه قال يجوز في ابيه بان يؤمن فيصير من اهل الثواب ويجوز فيه
بان يموت على الكفر فيكون من اهل العقاب ومن كان بهذه الصفة
يكون خائفا لا قاطعا واعلم ان من نظر الى وصول ضرر الى غيره فانه
لا يستحي خائفا الا اذا كان خائفا بحيث يلزمه من ذلك الضرر تالم
قلبه كما يقال انا خائف على ولدي انما قوله فيكون للشيطان
ولما فذكروا في الولي وجوها الاول انه اذا استوجب عذاب الله
كان مع الشيطان في النار والولاية سبب للعصمة فاطلق اسم السبب

الألوكة
www.alukah.net

على المسبب مجازا وانما لم يجز حمله على الولاية الحقيقية لقوله تعالى
الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين وقال ثم يوم القيامة
يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا وحكى عن الشيطان انه
يقول لهم انى كفرت بما اشركتمونى من قبل والثانى يحمل العذاب
على الخذلان تقديره انى اخاف ان يمسك خذلانا لله فتصير موالیا
للشيطان فتبرا الله منك كما قال ولم يتخذ الشيطان وليا من دون الله
فقد خسر خسرانا مبينا والثالث وليا اى تاليا للشيطان يليه كما يتلو
المطر الذى يأتى تاليا وليا فان قيل قوله اخاف ان يمسك عذاب من
الرحمن الاية يقتضى ان يكون ولاية الشيطان اسوء حالا من العذاب
فما معنى ذلك الجواب ان رضوان الله اعظم واشرف من الثواب كما قال
ورضوان الله اكبر فوجب ان يكون ولاية الشيطان التى هى فى مقابلة
رضوان الله اكبر من العذاب واعظم فهذا هو الاشارة الى تفسير
هذه الكلمات الاربعة التى ذكرها ابرهيم عليه السلام لابيه واعلم
انه صلى الله عليه وسلم رتب هذا الكلام فى غاية الحسن لانه نبه
على ما يدل على المنع من عبادة الاوثان ثم امره باتباعه فى النظر
والاستدلال وترك التقليد ثم نبه على ان طاعة الشيطان غير جايزة
فى المعقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الاشتغال بما لا ينبغى ثم
انا اوردنا هذا الكلام الحسن اللطيف مقرونا باللطف والرفق فان قوله
فى مقدمة كل كلام يا ابت دليله على شدة الحب والرغبة فى صونه
عن العقاب وارشاده الى الصواب وختم الكلام بقوله انى اخاف
وذلك يدل على شدة تعلق قلبه بمصالحه وانما فصل ذلك لوجوه الاول

قضا حق الابوة كما قال وبالوالدين احسانا والارشاد الى الدين
الحق من اعظم انواع الاحسان فاذا انضاف اليه رعاية الادب
والرفق كان ذلك نورا على نور والثانى ان الهادى الى الحق لابد
وان يكون رفيقا لطيفا يورد الكلام لا على سبيل العنف لان الايراد
على سبيل العنف يصير مانعا من الاستماع والقبول والثالث ما روى
ابو هريرة قال قال عليه السلام اوحى الله الى ابرهيم يا ابرهيم انك خليلى
حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل الابرار فان كلمتى قد سبقت
لمن حسن خلقه انى اظله تحت عرشى واسكنه حضيرة القدس وادنيه
من جوارى واما قوله اراغب انت عن آلهتى يا ابرهيم اعلم ان ابرهيم
لما دعا اباه الى التوحيد وذكر الدليل على فساد اعتقاده عدة لاوثان
وارد ف ذلك الدليل بالوعظ البليغ واورد كل ذلك مقرونا باللطف
والرفق قابله ابوه بجواب يضاد ذلك فقابل حجته بالتقليد فانه
لم يذكر فى مقابلة حجته الا قوله اراغب انت عن آلهتى فاخبر عن الدعا
آلهتها جهلا وتقليدا وقابل وعظه بالتفاهة حيث هدده بالضرب
والشتم وقابل رفقه فى قوله يا ابت بالعنف حيث لم يقل يا بنى بل
قال يا ابرهيم وانما حكى الله تعالى ذلك لمحمد عليه السلام ليحف
على قلبه ما كان يصل اليه من اذى المشركين فيعلم ان الجهال منكاتوا
على هذه السيرة المذمومة واعلم ان قوله اراغب انت عن آلهتى
ان كان المراد منه الاستفهام فهو خذلان لانه قد عرف منه بما
تكرر فيه من وعظ وتنبيه ووعد ووعيد انه راغب عن ذلك
فما فايدة هذا القول وان كان ذلك على سبيل التعجب فاى التعجب

شبكة الألوكة www.alukah.net

في الاعراض عن جهل لا يضر ولا ينفع انما التعجب كله من الاقدام على
عبادتها اما قوله لئن لم تنته لارجمنك وفي الرجم قولان الاول
انه الرجم باللسان وهو الشتم والذم ومنه قوله والذين يرمون
المحصنات اي بالشتم ومنه الرجيم اي المرمي باللعن قال مجاهد الرجم
في القرآن كله بمعنى الشتم والقول الثاني الرجم باليد وعلى هذا التفسير
ففيه وجوه الاول لارجمنك باظهار امرك للناس ليرجموك فيقتلوك
والثاني لارجمنك بالحجارة لتتباعد مني والثالث قال الموبخ
لافتلنك بلغة قريش والرابع قال ابو مسلم لارجمنك المراد منه
الرجم بالحجارة الا انه قد يقال ذلك في معنى الطرد والابعاد على
سبيل الاتساع والدليل عليه انه اراد الطرد وقوله تعالى واهجرني
مليا اما قوله واهجرني ففيه بحثان الاول عطف واهجرني
على معطوف عليه محذوف يدل عليه لارجمنك والتقدير لارجمنك
فاحذرني واهجرني والبحث الثاني في قوله واهجرني قولان
احدهما المراد واهجرني في القول والثاني واهجرني بالمفارقة
من الدار والبلد وهو كهجرة الرسول والمؤمنين اي تباعد عني حتى
لا اراك وهذا الثاني اقرب الى الظاهر اما قوله مليا ففيه قولان
الاول مدة بعيدة ماخوذ من قولهم اتى على فلان ملاوة من الدهر اي
زمان بعيد والثاني مليا بالذهاب عني قبل ان اضربك فلا تقدر
ان تذهب من قوله فلان ملي بكذا اذا كان مطيعا له قادرا عليه
ثم ان ابرهيم لما سمع من ابيه هذا الجواب اجابه بامرين احدهما
انه وعده التباعد منه وذلك لان اباه لما امره بالتباعد اظهر الانقياد

وبقوله سلام عليك لا ابتغي الجاهلين وقالوا اذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما وهذا دليل على جواز مباركة المبطل اذا ظهر منه اللجاج
وعلى انه يحسن مقابلة الاساءة بالاحسان ويجوز ايضا ان يكون قد
دعاله بالسلامة استمالة لاتراه وعد الاستغفار ثم انه لما
وقع بقوله سلام عليك ضم اليه ما دل على انه وان بعد منه الآن
شفقته باقية عليه وهو قوله ساستغفر لك ربي واحتج من طعن
في عصمة الانبياء عليهم السلام بهذه الآية ونقرر ان ابرهيم
استغفر لابيه وابوه كان كافرا والاستغفار للكافر غير جايز فثبت
بمجموع هذه المقدمات ان ابرهيم فعل ما لا يجوز انما قلنا انه استغفر
لابيه لقوله سلام عليك ساستغفر لك ربي وقوله ايضا واغفر
لابي انه كان من الضالين واما ان اباه كان كافرا فذلك بنص القرآن
واما ان الاستغفار للكافر غير جايز فيدل عليه وجهان الاول
قوله ما كان للنبي والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين والثاني
قوله تعالى في سورة الممتحنة قد كانت لكم اسوة حسنة في ابرهيم
الى قوله الا قول ابرهيم لابيه لاستغفرن لك فامر بالتاسي بابرهيم
الا في هذا الفعل فدل على ان هذا الفعل معصية الجواب قوله الاستغفار
غير جايز قلنا الكلام عليه من وجوه الاول ان القطع على ان الله
يعذب الكافر لا يعلم الا بالسمع فلعل ابرهيم عليه السلام لم يجد
في شرعه ما يدل على القطع بعذاب الكافر فلاجرم استغفر لابيه
والثاني ان الاستغفار قد يجيء بمعنى الاستبطاء قال تعالى قل
للذين امنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله والمعنى ساسال ربي

ان لا يحمل عذاب كفرك في الدنيا والثالث انه عليه السلام انما
استغفر لابيه لانه كان يرجو منه الايمان فلما ايس من ذلك ترك
الاستغفار ولعل في شرعه جواز الاستغفار للكافر الذي يرجى منه
الايمان والدليل على وقوع هذا الاحتمال قوله تعالى ما كان للنبي
والذين امنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولي قربى
من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وقال تعالى بعد ذلك وما
كان استغفار ابرهيم لابيه الا عن موعدة وعدها اياه الآية تدل
هذه الاية على انه انما وعده بالاستغفار بشرط ان يومن فلما لم يومن
فقد الشرط فلا جرم لم يوجد المشروط فان قيل فاذا كانت القصة
كذلك فلم منعنا من التاسي به في ذلك الجواب لان التاسي به في ذلك
لا يدل على ان ذلك معصية فان كثيرا من الاشياء من خواص رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلا يجوز لنا التاسي به مع ان ذلك مباحا
للرسول والرابع لعل هذا الاستغفار كان من باب ترك الافضل
وحسنات الابرار سيئات المقربين اما قوله انه كان بي حفيا
اي لطيفا رفيقا يقال احفى فلان في المسئلة اذا الطف فيه
وبالغ في الرفق والمراد انه سبحانه لكثرة الطافه بي وانعامه علي
وعدني الاجابة فاذا استغفرت لك حصل المراد كانه حصل بذلك
على يقين انه ان تاب غفر الله له ذلك الوجه الثاني من الجواب قوله
واعتزلكم وما تدعون من دون الله والاعتزال عن الشئ هو التباعد عنه
والمعنى انه لا اقاربكم في المكان ولا اقاربكم في طريقتكم ايضا
وابعد عنكم واشتغل بعبادة ربي الذي ينفع ويضر فانكم بعبادة

الاصنام

الاصنام سالكون طريقة الهلاك فواجب علي مجانبتكم ومعنى قوله
عسى الا اكون بدعاء ربي شقيا اي ارجو الا اكون كذلك وانما ذكر
هذا الكلام على سبيل التواضع كقوله والذي اطمع ان يغفر لي
خطيئتي يوم الدين وقوله شقيا مع ما فيه من التواضع فيه تعريض
شقاوتهم في دعاء آلهتهم على ما قرره اولا في قوله لم تعبد ما لا يسمع
ولا يبصر ولا يغني عنك شيئا وقوله تعالى فلما اعتزلهم الى قوله
عليا واعلم ان احدا لا يحرص على طاعة الله فان ابرهيم لما اعتزلهم
في دينهم وبلدهم واختار عنهم الهجرة الى ربه ما ضره ذلك في الدين
ولا في الدنيا بل نفعه فعوضه الله تعالى اولادا انبياء ولا منصب في
الدين اعظم من ان يجعله الله رسولا الى خلقه ويوجب عليهم
طاعته والانقياد له مع ما يحصل فيه من عظيم المنزلة في الآخرة
فصار جعله اياهم انبياء من اعظم النعم في الدنيا والآخرة ثم بين
انه تعالى مع ذلك وهب لهم من رحمته اي وهب لهم مع النبوة
اشياء اخر وابهم في ذكرها ويدخل فيه المال والجاه والاتباع
والنسل الطاهر والذرية الطيبة ثم قال وجعلنا لهم لسان صدق
عليا ولسان الصدق الثناء الحسن فعبر باللسان عما يحصل باللسان
فاستجاب الله دعوته في قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين
فصيره قدوة حتى ادعى كل طايفة من اهل الاديان انهم على ملته
ودينه وقال تعالى ملة ابيكم ابرهيم وقال ثم اوحينا اليك ان اتبع
ملة ابرهيم حنيفا قال بعض العلماء ان الخليل اعتزل عن الخلق على
ما قال واعتزلكم وما تدعون من دون الله فلا جرم بارك الله في الاخر

فقال ووهبنا له اسحق ويعقوب وتبرأ من ابيه في الله على ما
قال فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه لاجرم سماه الله ابا للمؤمنين
فقال ملة ابيكم ابرهيم وتل ولده للجبين ليذبحه في الله على ما قال
فلما اسلما وتله للجبين لاجرم فداه الله كما قال وفديناه بذبح
عظيم واسلم نفسه لله فقال اسلمت لرب العالمين فجعل الله بردا
عليه فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابرهيم واشفق على هذه
الامة فقال ربنا وابعث فيهم رسولا منهم لاجرم اشركه الله في
الصلوات فانهم يقولون في اخر التشهد كما صليت على ابرهيم
وآل ابرهيم وكان وفيا في اداء طاعات ربه كما قال وابرهيم الذي وفى
لاجرم جعل الله موطئ قدميه مباركا فقال واتخذوا من مقام ابرهيم
مصلى وعادى كل الخلق في الله قال فانهم عدو لي الا رب العالمين لاجرم
اتخذه الله خليلا فقال واتخذ الله ابرهيم خليلا ليعلم صحة ما ذكرنا
انه لا يخسر على الله احدا **الفصل الرابع** في شرح مناظرة ابرهيم
عليه السلام مع قومه بكسر الاصنام قال تعالى في سورة الانبياء ولقد
اتينا ابرهيم رشده من قبل وكنا به عالمين اعلم انه قبل الشروع في هذه
الواقعة مدح ابرهيم بقوله ولقد اتينا ابرهيم رشده من قبل وفيه
مسايل المسئلة الاولى في الرشد قولان الاول انه النبوة واحتج من ذهب
الى هذا القول بقوله وكنا به عالمين قالوا لانه تعالى انما يخص بالنبوة
من يعلم من حاله انه في المستقبل يقوم بحقوقها ويحترز عن كل ما لا
يليق بها ويجتنب عما تنفر قومه من قبول كلامها ويتاكد هذا بقوله
واذ ابتلى ابرهيم ربه بكلمات فاتمهن قال اني جاعلك للناس اماما

والقول

والثاني ان الرشد هو الاهتداء لوجوه هو الصلاح في الدين والدنيا
قال تعالى فان انستم منهم رشدا وقال ليس منكم رجل رشيد وقالوا انك
لانت الحليم الرشيد ومرادهم لانت السفيه الضال ذكروه على سبيل الاستهزاء
وقال وما امر فرعون برشيد وفيه قول ثالث وهو ان يدخل النبوة
والاهتداء الى كل المصالح تحت الرشد اذ لا يجوز ان يبعث الله نبيا الا وقد
عرف ذاته وصفاته وافعاله ودله ايضا على مصالح نفسه ومصالح
قومه وكل ذلك من الرشد واعلم ان لفظ الرشد جاء في القرآن على خمسة
اوجه احدها الحق قال تعالى في سورة البقرة قد تبين الرشد من الغي
والثاني الاسلام قال في سورة الاعراف وان يروا سبيل الرشد
لا يتخذوه سبيلا والثالث الهداية قال تعالى في سورة البقرة
لعلهم يرشدون وقال في سورة الكهف ومن يضلل فلن تجد له وليا
مرشدا وقال ايضا في هذه السورة على ان تعلمني مما علمت رشدا
وقال في سورة الحجرات اولئك هم الراشدون والرابع معرفة المصالح
في امور الدنيا قال تعالى في سورة النساء فان انستم منهم رشدا فادفعوا
اليهم اموالهم والخامس فعل الصواب على سبيل الاطلاق قال تعالى
في سورة الجن فمن اسلم فاولئك تحروا رشدا ويقرب منه قوله في سورة
الكهف وهيئ لنا من امرنا رشدا فالوجوه الثلثة الاولة مختصة
بالدين والوجه الرابع مختص بالدنيا والوجه الخامس يعم الكل
ولنشمل ما يتعلق بالدين وما يتعلق بالدنيا المسئلة الثانية احتج
اصحابنا على ان الايمان يحصل بخلق الله سبحانه بهذه الاية وذلك
لانا بينا ان لفظ الرشد يتناول الاهتداء الى كل مصالح الدين والدنيا

الألوكة
www.alukah.net

واعظم وجوه الاهتداء الى مصالح الدين هو معرفة الله فكانت
معرفة الله تعالى اعظم وجوه الرشد وقال تعالى ولقد اتينا
ابرهيم رشده فدل هذا على ان ايمان ابرهيم انما حصل بتخليق الله
وايجاده اجاب الكعبي عن هذه الحجة فان مثل هذا الكلام انما
يقال فيمن عرض عليه ما ينفعه فاذا قبله يقال ان فلانا اوتي
الرشد وهذا كما ان اعطى المال لولدين فقبله احدهما وثمره ورده الآخر
اخذ ثم ضيعه فيقال فلان اغنى الله فيمن ثمر المال ولا يقال هذا
فيمن ضيع المال والجواب هذا كلام مشوش ونحن قد منا ان لفظ
الرشد يتناول الايمان والله تعالى نص على انه اتاه رشده فكان
هذا صريحا في ان الله تعالى اتاه ايمانه واعطاه معرفته واما قولكم
من قبل ففيه وجوه الاول قال ابن عباس وابن جرير الطبري آتينا
ابرهيم نبوته واهتداه من قبل موسى والثاني اتينا ابرهيم رشده
في صغره قبل بلوغه حين كان في الغار وهذا قول من حمل الرشد
على الاهتداء الى وجوه المصالح والا لزمه ان يحكم بنبوته قبل
البلوغ والثالث قال ابن عباس في رواية الضحاك المراد حين
كان في صلب ادم حين اخذ الله ميثاق النبيين والرابع كلام
خطر ببالي وهو اشارة الى العناية الازلية والى ان السعيد
من سعد في بطن امه والى قوله عليه السلام جف القلم بما هو كائن
الى يوم القيامة يعني انه جرى القضاء الازلي والحكم السرمدي
بجعله من السعداء الابرار الا انه شيء حدث اليوم وذلك لان من
مذهب اهل السنة ان من قضى تعالى سعادته في هذا اليوم فحصلت

هذه السعادة في هذا اليوم من نتايج ذلك القضاء الازلي فيصير
اشتغاله بالايمان موجبا على الله تعالى ان يقضي له بالسعادة
وهذا في غاية البعد لان العقل يقتضي ان يكون صفة الخالق متصرفة
في صفة المخلوق ولا يجوز ان يكون صفة المخلوق وفعله متصرفة
في صفة الخالق ولهذا قال ابو بكر الواسطي لا اعبد ربا يرضيه طاعتي
ويغضبه معصيتي والمراد لا ينبغي ان تجعل طاعة العبد ومعصيته
موثرين في رضا الرب وغضبه ولكن رضاه اوقع العبد في الطاعة
وغضبه بوقعه في المعصية حتى يكون الخالق متصرفا في المخلوق لا ان
يكون المخلوق متصرفا في الخالق اما قوله وكنا به عالمين والمراد منه
ما هو المراد من قوله الله اعلم حيث يجعل رسالاته والمعنى انه سبحانه
علم اختصاص روحه القدسية باحوال عجيبة واسرار بديعة
وهي استعدادية في معرفة الله ومواظبته على طاعة الله واقباله
على الدعوة الى الله وبالجملة فكانت روحه في الارواح كالشمس التي
تنور الظلمات وتزيل الضلالات والجهالات ونظير هذا الكلام
قولك في رجل كبير انا عالم بفلان فان هذا الكلام في الدلالة على تعظيمه
ادل مما اذا شرحت جلال كماله اما قوله اذ قال لابيه وقومه قال
صاحب الكشاف اذا ما يتعلق بقوله اتينا او برشده او بمحذوف
اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت ثم لما هذه التماثيل التي انتم
لها عاكفون فالتمثال اسم للشيء المصنوع مشبها بخلق من خلق الله
واصله من مثلت الشيء اذا شبهته به وذلك الممثل يسمى التمثال واعلم
ان القوم كانوا يتخذون لكل كوكب تمثالا مخصوصا على ما هو المشهور من مذهب

شبكة الألوكة www.alukah.net

اصحاب الطلسمات فجعل ابرهيم هذا القول منه ابتداء كلامه لينظر
فيما عساهم يوردونه من شبهة حتى يبطله عليهم قال صاحب الكشاف
لم يبق للعاكفين مفعول بل اجراه مجرى ما لا يتعدى كقولك فاعلين
العكوف لها او واقفون لها فان قيل لم لم يقل عليها عاكفون كقوله
يعكفون على اصنام لهم قلنا لو قصد التعدية لعداه بصلته التي
هي على اما قوله تعالى وجدنا اباءنا لها عابدين فاعلم ان القوم
لم يذكروا في الجواب الا طريقة التقليد الذي يوجب مزيدا لانكار
عليهم لانهم اذا كانوا على خطاء من امرهم لما يعصمهم من هذه
الخطاء ان اباهم ايضا سلكوا هذا الطريق واعلم ان عادة الكفار
في اكثر الامر التعويل على طريقة التقليد نظيره قوله تعالى واذا قيل
لهم تعالوا الى ما انزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه
اباءنا الآية وقال في سورة يوسف وكاين من اية في السموات
والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الآية
وقال في لقمن واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله الى قوله والى الله عاقبة
الامور وقال في الزخرف بل قالوا انا وجدنا اباءنا على امة الى قوله
عاقبة المكذبين وقال في ص اجعل الآلهة الها واحدا الى قوله ان
هذا الا اختلاق وقال ان كاد ليضلنا عن الهتنا لولا ان صبرنا عليها
واعلم ان الشعير يوكل وينم فلا ترى في الدنيا انسانا الا وهو
ينم التقليد ثم اذا مشت عن احواله تراه عرفا في التقليد من قرنه
الى قدمه والخروج عن طريقة التقليد والتعويل على الدليل نعمة
عظيمة من الله تعالى يخص بها من يشاء من عباده فلنبحث عن الاسباب

الموجبة لتسليط التقليد على اكثر الخلق فنقول ههنا وجوه الاول
يروى عن الخليل بن احمد البصري انه قال الناس على اربعة اقسام
رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدري
ولا يدري انه يدري فذلك نايم فاستيقظوه ورجل لا يدري
ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فارشدوه ورجل لا يدري
ولا يدري انه لا يدري فذلك شيطان فاجتنبوه وقال بعضهم لرجل
اذا سئل فقال لا ادري فذلك في المدح اعظم من قوله ادري
فاعترض بعضهم عليه فقال انما يعظم منصب الرجل بادري لا بلا
ادري فقال المجيب نعم لكن قوله لا ادري من ثمرة يدري لانه يدري انه
لا يدري الوجه الثاني لا ينبغي ان تسام عن المسائل الاصولية الدلائل
العقلية وذلك لان هذه العلوم والمباحث نتايج العقل فمن ذكرها
فقد ذكر العقل ومن ذكر العقل فلينظر الى المجنون فانه انما قيد بالسلاسل
لانه طرحه العقل وهو في الحقيقة فيه معذور فمن رضي بالتقليد
وطرح العقل بالاختيار اولى ان يقيد بالسلاسل كما قال تعالى في
سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه الوجه الثالث آدم
عليه السلام كان في الجنة فمن ترك النظر في مسئلة واحدة من مسائل
الفروع اخرج عن الجنة فمن ترك النظر في مسئلة واحدة من مسائل
الاصول كيف يدخل الجنة الوجه الرابع ان الرسالة اقل مرتبة من
الربوبية ثم ان الرسول عليه السلام لما لقي الصديق وقال انا رسول الله
اليك فقال الصديق ما الحجة قال ذلك الستر الذي كرته مع اهلك
في بيتك قال ستر لم يطلع عليه احد الا الله فلولا ان الله اخبرنا عرفته

شبكة الألوكة www.alukah.net

اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا كانت الرسالة
دون الالهية ثم انها لا يثبت بالتقليد من لسان احد الخلق فكيف
تحصل معرفة الربوبية من لسان الآباء والاسلاف بل لها هنا دقيقة
فاقول اقوى من كل ذلك فاقول هو ان الله تعالى قال لموسى لفرعون انا الله
فقال هذا الذي ادعوي فاين الدليل فجعل الله دليله عليه ان جعله
بحيث يسمع ذلك الكلام بجميع اعضائه حتى يدخله فحينئذ علم المقصود
فلما لم يكف كلام الحق سبحانه في معرفة الحق فكيف يكفي كلام الخلق في
معرفة الحق الوجه الخامس انصف من نفسك فان الله تعالى لا يطلب منك
الا الانصاف قال الاصوليون رجل اعتقد ان الله منزه عن الجسمية
والمكان تقليدا وبقي على ذلك لستين سنة فهو من اهل النار ولو ان
حين قرب اجله فقال الهي بت عن ذلك التقليد والآن لا اعلم انك
على العرش ام لا واجوز كلا الامرين وشرع في النظر والتفكر حتى عرف
الحق ثم انه لم يجد مهلة النظر حتى مات في تلك الساعة قالوا انه من اهل
الجنة فهذا اعتقاده الجازم بالتقليد هو كان من اهل النار وان كان
ذلك الاعتقاد حقا وعند التردد كان من اهل الجنة وما ذاك الا لانه
انصف حتى عرف بالتجويز الوجه السادس روي ان عليا رضي الله عنه
رجع عن بعض الغزوات فكانت خصته من الغنيمة ما ملاء به ذيله فاتاه
سائل فجعل يختار اخف الطوارح فعلم ان ذلك من وسوسة ابليس
فاخذ الكل ودفعه الى السائل اذ هو اكبر من الجهاد الذي رجع عنه ودخل
على النبي عليه السلام مستبشرا فقال له عليه السلام ما فعلت فقال
رجعت عن الجهاد وقضى عليه القضة فقال ظننت ابرات صاحب شهة

عن شبهته والنكتة ان هذا يدل على انه من تعلم وعلم ثم اشتغل بالتعليم
كان هذا خيرا ممن صار غنيا واعطى وبذل المال حتى اغنى لان فائدة
اعطاء المال في الدنيا وفائدة اعطاء العلم في الآخرة ابدا لا يباد
وهو الذاهرين الوجه السابع واحد اراد حذمة ملك فقال الملك
اذهب فتعلم حتى يصلح لحذمتي فلما شرع في التعليم وذاق لذة العلم
بعث الملك اليه وقال امسك عن التعلم فقد صرت اهلا لحذمتي
فقال كنت اهلا لحذمتك حين لم ترني اهلا لحذمتك فحين رايتني
اهلا لحذمتك رايت نفسي اهلا لحذمة الله وذلك لاني كنت اظن
ان الباب بابك لجهلي فلما تعلمت علمت ان الباب باب الرب واعلم ان
القوم لما قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين اجابهم ابرهيم عليه السلام
فقال لقد كنتم انتم وآباؤكم في ضلال مبين يعني ان الباطل لا يصير
حقا بكثرة المتمسكين به فعند ذلك استبعدوا منه هذا الكلام
لشدة الفهم بذلك التقليد فقالوا اجئتنا بالحق ام انت من
اللاعبين واعلم ان القوم لما اوهموا انه انما يقول ذلك على سبيل
المزاح اظهر ابرهيم في ذلك الوقت ما يعلمون براءته مجدا في اظهار
ما قاله وذلك بالقول اولا ثم بالفعل ثانيا اما الطريقة القولية
فهي قوله تعالى قال بل ربكم رب السموات والارض الذي فطرهن
وانا على ذلكم من الشاهدين اما وجه دلالة السموات والارض
على اثبات الصانع القديم الحكيم فقد تقدم شرحه والمعنى ان
الخالق الذي خلق السموات والارض لمنافع العباد هو الذي يحسن ان
يعبد لان من يقدر على ذلك فهو الذي يرجى نفعه ويخاف ضره

ورجع حاصل هذه الطريقة الى الطريقين المتقدمتين احديهما
كون السموات والارض مخلوقة محدثة كما قال لا احب الآفلين
والثانى قبح عبادة الاصنام كما قال لم تعبد ما لا تسمع ولا يبصر
ولا يغنى عنك شيئا فهذه الطريقة مشتملة على دينك الطريقين قال
صاحب الكشاف الضمير فى فطرهن للسموات والارض والتماثيل اما
قوله وانا على ذلكم من الشاهدين ففيه وجهان الاول انه المبالغة
فى التاكيد والتحقيق كقول الرجل اذا بالغ فى مدح انسان او ذمه
اشهد انه كريم او لئيم والثانى انى قادر على اثبات ما ادعيته بالحجة
وانى لست مثلكم فى ادعاء ما لا اقدر على اثباته بالحجة وذلكم انكم
ما زدتم على اثبات مذهبكم الاعلى قولكم انا وجدنا اباءنا على امة
وانا وجدنا اباءنا لها عابدين واما الطريقة الفعلية فهى قوله
وتالله لاكيدن اصنامكم بعد ان تولوا مدبرين واعلم ان القوم
نهاية جهالتهم لما ينتفعوا بالدلايل القولية عدل ابرهيم الى الفعل
وفى كيفية الفضة وجهان الاول قال السدى كانوا اذا رجعوا
من عيدهم دخلوا على الاصنام فيسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم
فلما كان هذا الوقت قالوا لابرهيم لو خرجت معنا فخرج معهم فلما
كان ببعض الطريق القى نفسه وقال انى سقيم اشتكى رجلى فلما مضوا
وبقى الضعفاء من الناس نادى وقال تالله لاكيدن اصنامكم واختم
هذا القايل بقوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم والثانى
قال الكلبى كان ابرهيم عليه السلام من اهل بيت ينظرون فى النجوم
وكانوا اذا خرجوا الى عيدهم لم يتركوا الا مريضا فلما هم ابرهيم

بالذى

بالذى هم به من كسر الاصنام نظر قبل يوم العيد الى السماء وقال لاصحابه
انى اشتكى غدا فذلك قوله فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم
واصبح من الغد مفصودا راسه فخرج القوم لعيدهم ولم يتخلف احد
غيره فقال تالله لاكيدن اصنامكم فسمعه رجل منهم هذا القول
فحفظه عليه ثم ان ذلك الرجل اخبر عنه وانتشر ذلك الخبر فى جماعة
فذلك قوله تعالى قالوا سمعنا فتى يذكرهم واعلم ان كلا الوجهين ممكن
وتمام القصة ان ابرهيم لما دخل بيت الاصنام وهو بيت فيه سبعون
صنما مصطفه وصنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى
عينيه جوهرتان قضتان بالليل فكسر الكل فاس فى يده حتى لم
يبق الا الكبير ثم علق الفاس فى عنقه اما قوله فجعلهم جذاذا
الا كبيرا فاعلم انا بحذوا القطع وفيه سؤالان الاول لم قال فجعلهم
وهذا الجمع لا يليق الا بالعقلاء الجواب من حيث اعتقدوا فيها انها
كالناس وفى انها معظمة ومقربا اليها ولعله كان فيهم من يزعم انها
تضر وتنفع السؤال الثانى ما معنى قوله الا كبيرا لهم قلنا يحتمل الكبير
فى الخلقة والتعظيم وفى الامرين جميعا واما قوله لعلهم اليه يرجعون
فيحتمل رجوعهم الى ابرهيم ويحتمل رجوعهم الى الكبير اما الاول
فتقريره من وجهين الاول ان يكون لعلهم يرجعون الى الدين الحق
والاقرار بالتوحيد ويعدلون عن الباطل وعبادة الاوثان والثانى
انه غلب فى ظنه انهم لا يرجعون الا اليه لما ظهر فيهم انه هو الذى
ينكر دينهم وليس لهتهم اما الثانى وهو ان الضمير يرجع الى الكبير
ففيه وجهان الاول لعلهم يرجعون اليه كما يرجع الى العالم الكبير

في حل المشكلات فيقولون لذلك الكبير كيف كسر هؤلاء وبقيت انت
صحيحا وكيف علق الفاس في رقبتك وهذا قول الكلبي وهو بناء على
شدة حماقة القوم فلعلهم كانوا يعتقدون فيها انها يجيب والثاني
انه عليه السلام انما قال ذلك مع علمه انهم لا يرجعون اليه في
حل المشكلات اما قوله تعالى من فعل هذا بالهتنا اى من فعل الكسر
والحطم الشديد فانه معدود في الظلم اما بجراءته على الالهة الحقيقة
بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا فواطا في كسرها وتماديا في
الاستهانة بها اما قوله قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابرهيم
والمعنى انهم كانوا من قبل قد عرفوا منه وسمعوا ما يقوله في الاصنام
فغلب على ظنهم انه الفاعل ولو لم يكن الا قوله ما هذه التماثيل لكفى
واعلم انه لا بد ههنا من الكلام في الفتوة يقال ان ابرهيم عليه السلام
وصف بالفتوة لانه استعمل الفتوة في كل الاشياء اعطى البدن للنيران
والقلب للرحمن والمال للضفان والولد للقربان وحكى ان جبرئيل
عليه السلام جاء فوقف في وسط غنمه وكان له غنم كثير حتى قيل
انه كان عدد كلابه اثنى عشر الف كلب كل كلب مطوق بطوق وقلادة
من ذهب فقال جبرئيل عليه السلام سبوح قدوس رب الملائكة
والروح فنظر ابرهيم يمنة ويسرة فلم ير احدا فقال يا ايها العبد
الذى ذكر الله لك ثلث غنمي فاذكره ثانيا فقال مرة اخرى فاعطاه
الثلث الثالث فذكر رابعا فوهب منه الكلاب باطواقها فذكر خامسا
فوهب منه العبد الذين كانوا يحفظون الاغنام فذكر سادسا
فقال ما بقي لي ملك فاستعبدني فاوحى الله تعالى الى جبرئيل كم تعذب

خليلي فاظهر عند ذلك جبرئيل نفسه وقال حقا ان يكون الله خليلا
وهذه الاغنام والعبيد كلها مردودة عليك انا جبرئيل لا احتاج
الى شئ منها فقال يا جبرئيل هذا شئ اخرجته عن ملكي فلا اعيده
الى ملكي وقد وقفته على فقراء المسلمين ياكل كل من مر عليه وقال
بعض الحكماء راس الفتوة قوله لا اله الا الله الا ترى الى فتية اصحاب
الكهف قال انهم فتية امنوا بربهم فلما كان ابرهيم دعا العالمين
الى الله كان باسم الفتوة اولى قيل انه اجتمع ابو حفص الحداد مع
الجنيد في بغداذ فساله عن الفتوة فقال ابو حفص اذكروا
انتم فانكم اصحاب اللسان والعبارات فقال الجنيد الفتوة
اسقاط الروية وترك التشبيه بالفتيان فقال ابو حفص ما احسن
ما قلت لكن الفتوة عندي اداء الانصاف وترك المطالبة بالانصاف
فقال الجنيد قوموا يا اصحابنا فقد زاد ابو حفص على آدم و
ذريته وسال ابو حفص واحدا من العيارين بنيسابور عن الفتوة
فقال يا ابا حفص تسال عن فتوتنا ام عن فتوتكم فقال ابو حفص
احب عن الفعلين فقال اما فتوتنا معشر الشطار فكل ما تقول
بالسنتنا وفيناه واما فتوتكم معشر العارفين فما يقولونه
بالسر مع الله تمنون به فقال ابو حفص لو سالت عنه لما كنت اهتدي
اليه وقال الفضيل بن عياض سيد الفتيان يوسف الصديق
وذلك لانه تحمل المحن العظيم من اخوته ثم لما قدر عليهم ما قابلهم
البته بل قال تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل الفتوة ان لا
توخر ولا تدخر ولا تعتذر وقيل ان لا تخاصم في الآخرة احدا ولا

تخاصمك احد وقيل بذل المجهود والرضا بالموجود وترك طلب
المفقود وحفظ الحدود والسكون الى الموعود والقيام بخدمة
المعبود واعلم انه تعالى سمى في القران بالفتى خمسة اشخاص سمى
ابرهيم عليه السلام بالفتى في هذه الآية وسمى يوسف بر في قوله
تراود فتاها وخزنة يوسف وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم ويوشع
واذ قال موسى لفتاه واصحاب الكهف اذاوى الفتية الى الكهف وانما
سمى يوسف بالفتى لانه كان حافظ عهد عزيز مصر وهو قوله تعالى
قال معاذ الله انه ربي احسن مثواي وسمى خزنة يوسف فتيانا لان
الخازن يكون امينا حافظ للمال وسمى يوشع فتى لانه كان حافظا
لاسرار موسى قال رايتا اذ اوينا الى الصخرة وسمى اصحاب الكهف
فتيانا لانهم كانوا يبغضون اعداء الله هؤلاء قومنا اتخذوا
من دونه الهة ويجتون الله فقالوا لن ندعوا من دونه الها وقالوا
ربنا رب السموات والارض وروى في الاخبار ان واحدا جاء
الى النبي صلى الله عليه وسلم وسئاله حاجته فقال عليه السلام
لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه احسن اليه فذهب علي رضي الله عنه
وجاء السائل ومعه خمسة دراهم ودينار ورغيف تام ونصف
رغيف فساله الرسول عليه السلام عن كيفية الواقعة فقال ان
هذا السائل لما سال وقع في قلبي ان اعطيت دينارا ثم قلت كيفية
نصف رغيف ثم طردت الوسوسة عن قلبي وجيت بكل هذه الاشياء
فقال النبي عليه السلام لا فتى الا علي ولا سيف الا ذو الفقار واعلم
انه قتل الفتوة على اقسام احدها الفتوة باليد روى ان عليا رض

حارب كافرا فقال الكافر اعطني سيفك فدفع علي سيفه اليه
فقال له ذلك الكافر مجنون انت لما دفعت الى سلاحك وانا خصمك
واطلب قتلك فقال رضي الله عنه سالت ويقبح بالفتى ان يرد السؤال
فان استعملت الفتوة معك فان انت قتلتني كان ترك الفتوة منك
وثانيها الفتوة بالعين وكماله لمحمد عليه السلام كما قال ما زاغ البصر
وما طغى ويروى ان رجلا من الفقراء تزوج بامراة فظهر بالمراة
قبل الدخول بها الحدري فقال الرجل ظهر في عيني نوع ضعف وظلمة
ثم قال عميت فرقت اليه المراة ثم ماتت بعد عشرين سنة ففتح
الرجل عينيه وقيل له في ذلك فقال ما اعميت ولكن تعاميت
حذارا ان تحزن المراة فيقل له سبقت الفتيان وثالثها الفتوة بالمال
يحكى ان واحدا من الحاج نام في مسجد المدينة فتوهم ان هميانه
سرق فخرج فراى جعفر الصادق عليه السلام فتعلق به وقال
اخذت همياني فقال كم كان فقال الف دينار فادخله داره واعطاه
الف دينار فرجع الرجل الى داره فراى هميانه في بيته فاستحيى
فخرج الى الصادق معتذرا ورد عليه الدنانير فاني ان يقبلها
وقال شيء اخرجته من يدي لا استرده فقال الرجل من هذا فقالوا
جعفر الصادق ويحكى عن الشبلي انه قال خطر ببالي اني بخيل لئيم
فقلت اجرب نفسي فنويت ان كل ما آخذ في اليوم اهبه لاي شخص
اراه اولا ثم جاء في الحال خادم من دار الخليفة ووضع عندي صرة
فيها خمسون دينارا فاخذتها وخرجت من الدار فرايت حجاما
يحلق راس اعمى فدفعت الصرة الى الاعمى فقال الاعمى فعلها

الى الحجام فقلت انها ذهب فقال الحجام احلق راس هذا الاعمى
الفقير لله تعالى ولا اخذ الذهب والحاصل ان ذلك الذهب
ما قبله الاعمى ولا الحجام ورايعها الفتوة بالنفس كما يقال ان واحدا
من الشطار ذهب اليه واحد من غلمان الملك مخفيا وطلبه السلطان منه
فانكر فضربه الف سوط وما سلمه فاتفق انه احتلم تلك الليلة
وكان البرد شديدا فلما اصبح اغتسل بالماء البارد فقيل له خاطرت
بروحك فقال استحييت من الله ان اصبر على ضرب الف سوط لاجل
مخلوق ولا اصبر على مقاساة الماء البارد لاجل امر الله وخامسها
الفتوة بالهمة كما قيل لبعض الزهاد انوا ان الله اعطاك الدنيا بكليتها
ماذا تفعل بها قال اجعلها كلها لقمة واضعها في فم مجوسي حتى يصل
العدو الى العدو ويبقى الحبيب للحبيب وقال بعضهم انه تعالى سمى تلك
فرق رجالا احدها الذين لا يمنعهم الدنيا عن خدمة المولى رجال
لا يلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله والثاني رجال يتطهرون عن
النجاسات رجال يجتون ان يتطهروا الثالث رجال يجتون ان يصدقوا
في مقام العبودية رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ثم يقول بالفارسية
جوانمردان بود كه اين سه خصلت ورا عادت شود دارا از مشغول
بودن بغير خدا دور دارد جامه دلرا از لوث دنيا دور دارد
سر خود را بزينت بندگي آراسته دارد قيل سال شقيق البلخي
جعفر بن محمد الصادق عم عن الفتوة فقال ما تقول انت فقال
شقيق ان اعطينا شكرنا وان منعنا صبرنا فقال جعفر عليه السلام
الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل فقال شقيق يا ابن رسول الله

ما الفتوة فقال ان اعطينا اثرنا وان منعنا شكرنا قوله تعالى قالوا
فاتوا به على اعين الناس لعلهم يشهدون فيه وجهان احدهما
انهم كرهوا ان ياخذوه بغير بينة فاراد وا ان يجيئوا به على اعين
الناس لعلهم يشهدون عليه بما قاله فيكون ذلك حجة عليه
والثاني لعلهم يشهدون فيبصرون ما يصنع به فيكون ذلك
زاجرا لهم عن الاقدام على مثل فعله قوله تعالى قالوا انت فعلت
هذا واعلم ان في الكلام حذفا وهو فاتوا به فقالوا له انت فعلت
طلبوا منه الاعتراف بذلك ليقدموا على ايذائه فظهر منه ما انقلب
الامر عليهم حتى تمنوا الخلاص منه قال بل فعله كبيرهم وغرضه منه
اظهار جهلهم في عبادة الاوثان فان قيل قوله تعالى بل فعله كبيرهم
كذب الجواب للناس فيه قولان الاول انه ليس بكذب وهو قول جمهور
المحققين ووكدوا في الاعتذار عنه وجوها الاول ان قصد ابرهيم
عليه السلام ما كان ان ينسب الفعل الى الصنم وانما قصد تقرير
نفيه واثباته لها على اسلوب تعريض وهذا كما لو قال لك صاحبك
وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت مشهور بحسن الخط انت كتبت
هذا وصاحبك ممن لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة
فقلت بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقرير له لا استهزاء
لا نفيه عنك ولا اثباته للاد مي والمحرمش لان اثباتك له والامر
دايربينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر والثاني ان
ابرهيم عليه السلام غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة
مرتبة وكان غيظه من كبيرها اشد لان التعظيم له كان اكثر فاسند

الفعل اليه لانه هو السبب في اقدامه على كسرها والفعل كما يسند
الى مباشرها فقد يسند ايضا الى الحاصل والثالث ان يكون ذلك
حكاية لما لم يلزم على مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعل
كبيرهم فان من يحق ان يعبد ويدعى الها يقدر على هذا وعلى اشد منه
والرابع انه كناية من غير مذكور اى فعله من فعله وكبيرهم ابتدا الكلام
الخامس عن الكسائي انه كان يقف عند قوله فعله ثم يبتدي فيقول
كبيرهم فسلوهم والمعنى بل فعله كبيرهم وعلى نفسه لان الانسان
اكبر من كل صنم والسادس ان يكون في الكلام تقديم وتاخير كانه
قال بل فعله كبيرهم هذا ان كانوا ينطقون فيكون اضافة الفعل
الى كبيرهم مشروطا بكونهم ناطقين فلما لم يكونوا ناطقين امتنع
كونهم فاعلين السابع قرا محمد بن استميدع فعله كبيرهم بعينه
فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم والقول الثاني وهو قول طائفة
من اهل الحكايات ان ذلك كذب واحتجوا بوجوه بما روي عن النبي
عليه السلام انه قال لم يكذب ابرهيم الا ثلث كذبات كلها في ذات الله
قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله اشارة هي اخرى في
الخبر ان اهل الموقف سالوا ابرهيم الشفاعة فقال اني كذبت ثلث
كذبات وهذا القول باطل اما الخبر الذي رووه فلان يضاف الكذب
الى رواته اولى من ان يضاف الى الانبياء والدليل القاطع عليه
ان تجويز الكذب على الانبياء لمصلحة وباذن الله تعالى فليجز
هذا الاحتمال في كلما اخبروا به وعنه وذلك يبطل الوثوق بالشرايع
ثم ان ذلك الخبر لو صح فهو محمول على المعاريض على ما قال عليه السلام

ان في المعاريض لمندوحة عن الكذب واما قوله اني سقيم
فلعله كان به سقم او يكون ذلك محمولا على انه سيصير كذلك كقوله
تعالى انك ميت وانهم ميتون اما قوله فرجعوا الى انفسهم فقالوا
انكم انتم الظالمون ففيه وجوه الاول ان ابرهيم لما بينهم على
طريقتهم تنبهوا فعلموا ان عبادة الاصنام باطلة وانهم على
جهل وغرور الثاني قال مقاتل فرجعوا الى انفسهم فلاموها وقالوا
انتم الظالمون حيث تزعمون ان ابرهيم كسرها مع ان الفاس في رقبة
الصنم الكبير والثالث انتم الظالمون لانفسكم حيث سالتموه عن هذا
السؤال حتى انه اخذ يستهزء في الجواب اما قوله تعالى ثم نكسوا على
رؤوسهم لقد علمت ما هؤلاء ينطقون قال صاحب الكشاف فنكسته
قلبته فجعلت سفله اعلاه وفي المعنى وجوه الاول انهم لما تفكروا
علموا انهم هم الجاهلون والظالمون ثم انتكسوا وانقلبوا عن تلك
الحجة فاخذوا في المجادلة بالباطل وتقديره ان هذه الاصنام
مع انها غير ناطقة فهي آلهة معبودة الثاني انقلبوا على رؤوسهم
حقيقة لفرط اقدامهم على الجهالة والانكسار من كلام ابرهيم عليه
والثالث قال ابن جرير ثم نكسوا على رؤوسهم معناه انهم احتجوا
على ابرهيم بما كان في الحقيقة حجة عليهم فقالوا لقد علمت ما
هؤلاء ينطقون فاقروا بهذا الكلام للحيرة التي دخلتهم والحقهم
والمعنى نكست حجتهم واقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم اما قوله
افتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم اف لكم ولما
تعبدون من دون الله فالمعنى ظاهر وهو الكلام الذي ذكر ابرهيم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقد سبق شرحه ثم يحتمل انه قال لهم وقد عرفوا صحة قوله ويحتمل
انه قال لهم ذلك وقد ظهرت الحجة وان لم يعقلوا وهذا هو الاقوى
لقوله افتعبدون من دون الله ولقوله افلا تعقلون قوله تعالى
قالوا حرقوه وانصروا الهتكم واعلم انه ليس في القرآن من قايل هذا
القول والمشهور انه نمرود بن كنعان بن سنحار بن نمرود بن لوش
بن سام بن نوح وقيل الذي قال احرقوه رجل اسمه هبر بن فخشف
الله به الارض ثم تجلجل فيها الى يوم القيامة واما كيفية القصة
فقال المقاتلون لما جزموا القول باحراقه حبسوه في بيت وبنوا له بنيانا
وذلك قوله ابنوا له بنيانا فالقوه في الجحيم ثم جمعوا له الحطب
الكثير حتى لو ان امرأة مرضت قالت ان عافاني الله لاجمعن حطبا
لابراهيم ثم نقلوا له الحطب على الدواب اربعين يوما فلما اشتعلت
النار واشتدت وصارت بحيث لو مر الطير في الهواء في اقصاه
لاحترق ثم اخذوا ابراهيم ورفعوه على راس البنيان وقيدوه
واتخذوا منجنيقا ووضعوه فيه مقيدا مغلولا فصاحت السماء
والارض ومن فيها من الملائكة الى الثقلين صيحة واحدة يا ربنا
ليس في ارضك احد يعبدك غير ابراهيم وانه يحرق فيك فاذن لنا
في نصرته فقال سبحانه ان استعان بكم فاعينوه وان لم يستغث
الا بي فانا وليه فلما اراد واالقاءه في النار اتاه خازن الرياح فقال
ان شئت طيرت بالنار في الهواء وجاء ملك السحاب فقال
لاحاجة لي اليكم فلما وضع في المنجنيق ورمي به قال لا اله الا انت
سبحانك رب العالمين لك الملك ولك الحمد لا شريك لك فجاء جبرئيل

وقال

وقال يا ابراهيم هل من حاجة قال اما اليك فلا قال فسل ربك قال
حسبي من سؤالي علمه بحالي فقال يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم
قال ابن عباس لو لم يتبع بردها بسلام لمات ابراهيم من بردها ولم
بق يومئذ نار في الدنيا الا طفئت واحدثت الملائكة بعضهم
ابراهيم واقعدوه في الارض فاذا عين ماء عذب وورد احمر ولم تحرق
النار منه الا وثاقه وبعث الله ملك الظل اليه فقعد الى جنبه
يونسه واتاه جبرئيل عليه السلام بقميص من حرير الجنة وقال ابراهيم
ان ربك يقول اما علمت ان النار لا تضر احبائي ويقال انه عليه السلام
بقي في تلك النار اربعين يوما واكثر ثم ان نمرود نظر من صرح له
واشرف على ابراهيم فراه جالسا في روضة وراى الملك قاعدا
الى جنبه فنادى نمرود وقال يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها
قال نعم قال فاخرج فقام يمشي حتى خرج منها فلما خرج منها قال له
نمرود من الرجل الذي كان معك قال ذلك ملك الظل ارسله ربي
ليونسني منها فقال اني متقرب الى ربك بالقرابين لما رايت من قدرته
فيما صنع بك واني اذبح له اربعة آلاف غنم وبقرة فقال ابراهيم
لا يقبل الله منك ذلك ما دمت على دينك فقال يا ابراهيم لا استطيع
ترك ملكي ولكني اذبحها ثم ذبحها له ثم كف عن ابراهيم ثم ههنا
لطايف اللطيفة الاولى حصل هناك ناران نار الدنيا ونار حب
المولى فظنوا ان نار الدنيا تحرقه لكن نار محبة المولى قوي فهذه
النار ابطلت نار نمرود هكذا تكون يوم القيامة فان جميع الخلق
يدخلون جهنم كما قال وان منكم الا واردها فتجتمع هناك نار جهنم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونار حب المولى ثم ان نار المحبة سبطل نار جهنم وتدفعها كما قال
تعالى ثم ننجي الذين اتقوا الاية الثانية ان ابرهيم عليه السلام
قال في الظاهر للشمس والقمر هذا ربي فالقاه تعالى في النار ثم
لما كان ذلك القول صورة بلا معنى لاجرم صيره الله تعالى هذه النار
صورة بلا معنى وذلك تنبيه على ان كل من قال هذا القول فانه
لا يخلص عن النار الثالثة الملائكة قالت ونحن نسبح بحمدك
ونقدس لك فصاروا معجبين بتسبيحهم فالقى الله تعالى خليله
في النار حتى يسبح الخليل من وسط النار ويقول حسبي الله ونعم الوكيل
فقال الحق سبحانه انتم يسبحون في وسط الرحمة والراحة وهو يسبح
في وسط النار ليظهر حكمة قوله اني اعلم ما لا تعلمون والرابعة
ان ابرهيم عليه السلام ابدا كان يخاف النار ويقول ابدا اوه من النار
ولهذا قال تعالى ان ابرهيم لاواه فقيض الله تعالى نمرود وقال اجمع
نارا عظيمة والق بابرهيم فيها حتى اجعل النار بردا وسلاما على ابرهيم
لكي يعلم ابرهيم ان الخوف ليس من النار بل من خالق النار الخامسة
من كنت معه برحمتي جعلت النار له ماء كما في حق ابرهيم ومن كنت حربا
عليه جعلت الماء له نارا كقوم فرعون اغرقوا فادخلوا نارا السادسة
ابرهيم عليه السلام لما ناظر في الملكوت قال لا احب الافلين ثم ناظر
مع الملك فقال فان الله ياتي بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
ثم ناظر مع ابيه فقال لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر الاية ثم ناظر مع القوم
فقال رب السموات ثم ناظر معهم بالمعاملة فكسر الاصنام وجعلها
جذاذا ثم لما القي في النار قال حسبي الله فلما قال له جبريل هل لك

من حاجة قال اما اليك فلا فلما قال سل ربك قال حسبي من سؤالي
علمه بحالي فلما انتهى الى هذا الحد كانه خرج من طبع البشر بالكلية وصار
ملكا مقربا فلما جرد قال الله تعالى انا ابرهيما نسلخ من طبيعته
فيا نارا نتا يضا انسلخي من طبيعتك كوني بردا وسلاما على ابرهيم
واحدا بواحد الستابعة لما القي ابرهيم في النار ظن الخلايق كلهم
ان النار تحرقه وظن ملك المطر والسحاب والرياح ذلك فعرضوا
انفسهم عليه فلم يلتفت ابرهيم اليه وكان قلبه مشغولا برحمة ربه
فقال الله تعالى علي في الاشياء غير علمكم وانتم تنظرون الى ظاهر النار
فترون منها الاحراق والابقاد وانا اعلم ظاهرها وباطنها والان
قد انكشف لكم انكم لا تعلمون باطن ابرهيم لانه لا يلتفت الى احد
منكم وقت الحاجة وساكشف لكم انكم لا تعرفون باطن النار يا نار كوني
بردا وسلاما على ابرهيم حتى تعلموا ايها الملايكة انه لا عبرة بظاهر
الاشياء وان حقايقها لا يعرفها احد غيري فحينئذ يظهر لكم صدق
قولي اني اعلم ما لا تعلمون فكذلك كنتم رايتم من ظواهر بني آدم الشهوة
والفساد والقتل وكنتم ارى من بواطنهم العلم والحكمة والعبودية
الثامنة كان الحق سبحانه قادرا على ان يمنع نمرود من ذلك العمل
من اول الامر لكنه تعالى اراد ان يظهر للملايكة انقطاع ابرهيم
الى الله واعراضه عن كل الوسايط والاسباب وذلك لان ابرهيم
عليه السلام ادعى هذه البراة بقوله فانهم عدو لي الا رب العالمين
وفي قوله لا احب الافلين وفي قوله وجهت وجهي للذي فطر
السموات والارض وفي قوله وما انا من المشركين وفي قوله محياي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومما تي لله رب العالمين وفي قوله اسلمت لرب العالمين وكل
هذه الاحوال تدل على انه بلغ في مقام الرضا بقضاء الله الى الغاية
القصوى وكان الحق عالما بصدقه في هذه الدعاوى فلم يمنع نمرود
عن عمله ليظهر للملائكة صدق ابرهيم في هذه الدعاوي ويتبين للخلق
انه غني عما سوى الله ولم يقله حيوة ولا قوة الا بالله والتوجه
الى حضرته الناسعة قال بعضهم نار الدنيا احقر من ان يخاطبه
الله ولكنه خطاب مع نار المحبة ونار المعرفة فقال كوني بردا
وسلاما على ابرهيم والغرض ان لا يفني ابرهيم بالكلية في باب
المعرفة والمحبة العاشرة بقي ها هنا سؤالات الاول انا ابرهيم
عليه السلام لم يخف من النار وموسى خاف من العصى حين صارت
حية قال الله تعالى فاوجس في نفسه خيفة موسى والجواب
ان انقلاب العصى حية بفعل الخالق ونار نمرود بفعل المخلوق والرسول
المعصوم يخاف الله ولا يخاف غير الله والسؤال الثاني لم لم يحصل
لمحمد عليه السلام مثل هذه الواقعة الجواب بل وقعت قال تعالى
الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم
ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله و
وفضل كما انقلب الخليل بنعمة من الله واعلم ان هذه الكلمة اعني
حسبنا الله ونعم الوكيل تفيد النجاة من الهموم والغموم عن عبد الله
بن طلحة الخزاعي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من قالها
عند همّ او غم عشر مرات حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت
وهو رب العرش العظيم اذهب الله همه ومن سلم عشرا فكانما

اعتق

اعتق رقبة وكان لفتح الموصلي اربعماية درهم عند صديق تجر فبه فارسل
الى الصديق اذا حمل الى المال فقال وهل ظهرت مني خيانة قال لا
ولكن احملها الى فحملها اليه فتصدق بها على المساكين ثم جلس فريدا
وحيدا فقال لا احب ان يكون اعتمادي على شيء غير الله حسبي الله ونعم
الوكيل ولما قرب وفات ابي يزيد قال لاصحابه اتى علي ثمانون سنة اشتهي
ان اقول مرة حسبي الله ولما قدر عليه فقالوا لو كنا نظن انك لا تتم
ساعة الا ولسانك رطب من ذكر الله فقال لم اقل ذلك لاني لو قلت
حسبي الله ثم ملت الى الدنيا والاخرة يقول الله تعالى كذبت يا بايزيد
لو كنت انا حسبك لما اشتغلت بغيري قوله تعالى قلنا يا نار كوني بردا
وسلاما على ابرهيم وفيه مسائل المسئلة الاولى قال ابو مسلم الاصفهاني
في تفسير هذه الاية المراد انه سبحانه جعل النار بردا وسلاما لان خطاب
الجماد لا يجوز لان هناك كلام كقوله كن فيكون اي يكونه لا ان هناك
امرا وكلام والاكثرون على انه حصل هذا القول ثم هؤلاء لهم قولان
احدهما وهو قول السدي ان القائل هو جبريل والثاني وهو قول
الاكثرين ان القائل هو الله وهو اللايق بالظاهر المسئلة الثانية
ذكروا في كيفية تلك النار وجوها الاول انه تعالى ازال عنها ما كان
فيها من الحر والاحراق ولا بقي فيها من الاضاءة والاشراق والله على كل
شيء قدير والثاني انه سبحانه خلق في جسم ابرهيم كيفية مانعة
من وصول اذى النار اليه كما يفعل بجزء النار في جهنم يوم القيامة
والثالث انه سبحانه خلق بينه وبين النار حاجبا لا يمنع من وصول اذى النار
اليه قال المحققون الاول اولى لان ظاهر قوله يا نار كوني بردا وسلاما

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان نفس النار صارت باردة حتى سلم ابرهيم من تاثيرها الا ان
النار بقيت كما كانت واعلم ان كثيرا من جهال الاطباء والطبعيين
ينكرون هذه الحالة ويقولون من المستحيل زوال صفة الاحراق
عن جرم النار وهذا قول باطل ويدل عليه وجوه الاول ان الاجسام
متماثلة وكما ان جسم الماء يقبل البرد والرطوبة فكذا جسم النار
يقبلهما وكما ان جسم النار موصوف بالحر واليبس فكذا جسم الماء
قابل لهما واذا كان الامر كذلك ثبت انه يمكن انقلاب الماء نارا
والنار ماء، فيثبت ان هذا في نفسه ممكن الوجود ويثبت ان للعالم
صانعا قادرا على جميع الممكنات فوجب القطع بكونه سبحانه قادرا
على تبريد النار الثاني انا نشاهد ان شعلة النار اذا صعدت
انطفت ولا معنى لذلك الا انطفاء الا ان الجرم اللطيف الهوائي حين
كان موصوفا بالاحراق والاشراق كما نشاهدها فاذا تصاعد
زال عنها صفة الاحراق والاشراق فصار هواء واذا كان كذلك
علمنا ان الجرم الموصوف بالاشراق والاحراق لا يبعد في العقل
زوال هاتين الصفتين عنه فثبت ان انقلاب جرم النار الى البرد
امر جايز ممكن الوجود الثالث انا اذا شددنا منفذ الكير والمحنا
بالنفخ فانه يشتغل النار فيه وما ذاك الا ان الهواء المحتقن داخل
الكير يتسخن بسبب اصلاح النفخ فيه واذا قويت التسخين اشتعل نارا
فعلمنا ان الهواء يمكن ان ينقلب نارا واذا امكن انقلاب الهواء نارا
امكن ايضا انقلاب النار هواء بارد الرابع ان اهل الطبايع يقولون
الحيوان والنبات انما يتولد من امتزاج الطبايع الاربعة واذا كان كذلك

لزمهم

لزمهم الاعتراف بان جرم النار موجود في ابدان النبات والحيوان
وما ذاك الا لان جرم النار انكسرت حرارته وحصلت فيها حرارة
معتدلة لايقة بابدان الحيوان والنبات واذا كان الامر كذلك
ثبت ان انقلاب النار بردا وما امر ممكن الوقوع فيه الخامس ان عند
الاطباء القوة الجاذبة والقوة الهاضمة انما تقوى على افعالهما بمشاركة
الحرارة الغريزية فزعموا ان الحرارة الغريزية عبارة عن الجوهر الناري
الذي صار جزأ من بدن الحيوان ومن المعلوم ان هذه الحرارة الغريزية
غير محرقة فعلمنا ان على قولهم النار يقبل الانكسار في الحر الى الحجة السادسة
انا نشاهد ان الغامة تبلغ الحدبة المحماة وان السمندر يعيش
في النار ولا يحترق بها البتة واذا كان هذا ممكنا في الحيوانات
الخسيسة فاي عاقل يستبعد ذلك من قدرة الله في حق الرسول
المعصوم الحجة السابعة انا نرى النار مستولية على احراق جميع
الاحجار الاحجرا واحدا وهو سلطان الاحجار كلها وهو الياقوت
وجسدا واحدا وهو سلطان كل الاجساد وهو الذهب والشبب
فانه لا ولاية للنار على هذا الحجر وهذا الجسد وان هذا الحجر
والجسد من الاشياء المنسوبة الى الشمس فاذا حصل في الاجساد والاحجار
جسد وحجر لا ولاية للنار عليهما بسبب انتسابهما الى الشمس فكيف
يستبعد ان يحصل في النوع البشري شخص لا يكون للنار عليه ولاية
بسبب مزيد اختصاص له بحضرة خالق الشمس والقمر وبالجملة فكل من
حصر اسرار قدرة الله وحكمته على مقدار ما القه وشاهده كان
عن المعقول خارجا وفي البته والحاما قوله وسلاما على ابرهيم

فالمعنى ان البرد اذا افرط اهلك كما ان الحر كذلك بل لابد في الكل
من الاعتدال ثم الى تحصيل الاعتدال في الكيفيات طرق احدها
ان يقدر الله بردها وحرها بالمقدار الذي لا يوذي ولا يفسد
والهوا ان يجعل بعض اجزاء النار بردا وبعضها يتركها بحرارتها فحينئذ
يسلم من ذلك البرد الشديد بل ينتفع به ثم ههنا سوالات السوال
الاول هل صارت تلك النيران في ذلك الوقت بهذه الصفة الجواب
المذكور في القران اسم الماهيات فلزم حصول هذا البرد في الماهية
ويلزم منه عمومه في كل افراد الماهية وقيل بل اختص هذا الخطاب
بتلك النار والمعجز على التقدير اعظم لان اختصاص تلك النار المضية
بهذه الحال يدل على ان المقصود رعاية حال ابرهيم عليه السلام السوال
الثاني هل يجوز ما روي انه تعالى لو لم يقل وسلاما لهلك ابرهيم
من البرد الجواب هذا بعيد لان برد النار لم يحصل منها وانما حصل
من جهة الله تعالى فهو القادر على الحر والبرد السوال الثالث هل يجوز
ان يقال انه كان في النار انعم عيشا منه في سايراحواله الجواب
لا مانع من ذلك لما فيه من مزيد النعمة عليه ويجوز ايضا ان يقال
انما صار انعم عيشا هناك لعظم حاله ناله من السرور بخلاصه
من النار ولعظم سرور نجيبه اعدا الله وبظهور دلايل دين الله واما
قوله وارادوا به كيدا فجعلناهم الاخسرين والمعنى ارادوا ان
يغلبوه فصاروا مغلوبين غلبوه بالجدال فلقنه الله الحجة المسكتة
ثم عدلوا الى القوة فخلصه الله من عذابهم فقوله ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وفي الاخبار ان هذه الواقعة

كانت

كانت في حدود بابل فنجاه الله من تلك البقعة الى الارض المباركة
واختلفوا فيما قيل مكة لقوله تعالى ان اول بيت وضع
للناس للذي ببكة مباركا وقيل انها ارض الشام لقوله تعالى
الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله والسبب في بركتها ان اكثر
الانبياء عليهم السلام بعثوا منه واشرف شرايعهم واثارهم
الدينيه منه واما في الدنيا فلانه تعالى بارك فيها بكثرة الماء
والشجر والثمر والخصب قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب
الى قوله عابدين اعلم انه تعالى بعد ان ذكر انعامه على ابرهيم
وعلى لوط عليهما السلام بان نجاهما الى الارض المباركة اتبعه
بذكر سايرالنعم التي خص ابرهيم عليه السلام بها النعمة الاولى وهو
قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة والنافلة العطية الخاصة
وكذلك النفل سمي الرجل الكثير العطاء نوفلا والمفسرون ههنا
قولان القول الاول قال ابن عباس وابي بن كعب ان ابرهيم عليه السلام
لما سال الله ولدا وهو قوله رب هب لي من الصالحين فاجاب الله
دعاءه ووهب له اسحق واعطاه يعقوب من غير دعاية فكان ذلك
نافلة كالشيء المتطوع به من الاجنبيين فكانه قيل ووهبنا له اسحق
اجابة لدعايه ووهبنا له يعقوب نافلة على ما لم يسال كالصلوة
النافلة التي هي زيادة على الفرض وعلى هذا القول يكون النافلة هو
يعقوب عليه السلام خاصة والقول الثاني ان النافلة ههنا مصدر
من وهبنا وهو مصدر من غير لفظ الفعل ولا فرق بين ذلك وبين
قوله وهبنا له هبة اووهبنا هما له عطية وفضلا من غير ان يكون خبرا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مستحقا وهذا الوجه اقرب لانه تعالى جمع بينهما ثم قوله
نافلة ولما صلح ان يكون وصفا لهما فهو اولى والنعمة الثانية قوله
تعالى وكلا جعلنا صالحين اى وكلا من ابرهيم واسحق ويعقوب
انبياء مرسلين وقال آخرون عاملين بطاعة الله مجتنبين محارمه
وهذا الوجه اقرب لان لفظ الصلاح يتناول الكل ولانه تعالى
قال بعد هذه الآية وأوحينا اليهم فعل الخيرات ولو حملنا الصلاح
على النبوة لزم التكرار واحتج اصحابنا بهذه الاية على ان افعال
العباد مخلوقة لله تعالى لان قوله وجعلناهم يدل على ان ذلك
الصلاح من جهته وقبله تعالى اجاب الجبائى بانه لو كان كذلك
لما مدحهم على كونهم صالحين وعلى كونهم ائمة وعلى كونهم عابدين
ولما اثنى عليهم بسبب هذه الخصال علمنا انها افعالهم واذا ثبت
هذا فلا بد من التاويل وهو من وجهين الاول ان يكون المراد انه
سبحانه اعطاهم من لطفه وتوفيقه ما صلحوا لاجله والثانى
المراد انه تعالى سماهم بذلك كما يقال فى زيد انه فسق فلانا نضاله
وكفره اذا وصفه بذلك وكان مصدقا عند الناس وكما يقال
فى الحاكم انه زكى فلانا وعدله اذا حكم بذلك واعلم ان هذه الوجوه
مختلفة اما اعتمادهم على المدح والذم فسيجىء الجواب عنه ان
شاء الله واما الحمل على اللطف فباطل لان فضل الالطاف عام
فى المكلفين فلا بد فى هذا التخصيص من مزيد فائدة وايضا فلان
قوله لاجعلنه صالحا كقولك جعلته متحركا فحمله على تحصيل شىء
سوى الصلاح ترك للظاهر واما الحمل على التسمية فهو مجاز اقضى

مانى الباب انه قد يضاف اليه عند الضرورة فى بعض المواضع وههنا
لا ضرورة فيها وايضا انه تعالى لما اخبر عنه كان وقوعه واجبا والا
لزم انقلاب خبره الصدق كذبا وانقلاب علمه جهلا وذلك
محال والمفضى الى المحال محال والنعمة الثالثة قوله تعالى وجعلناهم
ائمة يهدون بامرنا وفيه قولان احدهما جعلناهم ائمة يدعون
الناس الى دين الله والطاعة بامرنا الثانى قول ابى مسلم ان هذه
الامامة هى النبوة واحتج اصحابنا بهذه الاية بامرين احدهما فى مسئلة
خلق الافعال على ما تقدم تقريره والثانى ان الدعوة الى الحق والمنع
عن الباطل لا يجوز الا بامر الله لانه لو لم يكن الامر معتبرا لما كان فى قوله
بامرنا فايدة والنعمة الرابعة قوله تعالى واوحينا اليهم
فعل الخيرات وهذا يدل على انه سبحانه خصهم بشرف النبوة
وذلك من اعظم النعم على الاب ثم انه سبحانه لما بين اصناف نعمه
عليهم بين عند ذلك اشتغالهم بعبوديته فقال وكانوا لنا عابدين
كانه سبحانه لما وفى بعهد ربوبيته فى الاحسان والانعام عليهم
فهم ايضا وفوا بعهد العبودية وهو الاشتغال بالطاعة والعبودية

الفصل الخامس فى مناظرة اخرى لابرهيم عليه السلام
فى تقرير التوحيد قال الله تعالى فى سورة الشعراء واتل عليهم نبأ
ابرهيم اذ قال لابيه وقومه الى قوله عاكفين اعلم انه تعالى ذكر
فى اول هذه السورة شدة حزن محمد عليه السلام بسبب كفر قومه
وهو قوله لعلك باخع نفسك الا ان يكونوا مؤمنين ثم انه تعالى
ذكر قصة موسى ليعرف محمدا عليه السلام ان مثل تلك المحنة كانت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حاصلة لموسى بهذا السبب ثم ذكر عقيبها قصة ابرهيم عليه السلام
ليعرف محمدا عليه السلام ان ابرهيم بهذا السبب كان اشد
حزنا من حزنه لان من عظم المحنة على ابرهيم ان يرى اباه وقومه
كلهم في النار وهو لا يمكن من انقاذهم من النار فقال لهم ما تعبدون
وكان عليه السلام يعلم انهم عبدة الاوثان ولكنه سالهم ليريهم
ان ما يعبدونه ليس له ممن استحق العبادة في شيء كما تقول للتاجر
ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم يقول الرقيق جمال وليس بمال
ثم انهم اجابوا ابرهيم بقولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين
والعكوف الاقامة على الشيء وانما قالوا نظل لانهم كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل واعلم انهم كان يكفيهم في الجواب ان يقولوا نعبد
اصناما ولكنهم ضموا اليه زيادة على الجواب وهي قولهم فنظل لها
عاكفين وانما ذكروا هذه الزيادة اظهارا للابتهاج والافتخار
بعبادة الاصنام فقال ابرهيم منبها على فساد مذهبهم هل
يسمعونكم اذ تدعون او ينفعونكم او يضرون وهذا هو الحجة
التي ذكرها في سورة مريم وشرحناها بالاستقصاء فعند هذا
قال القوم بل وجدنا اباءنا كذلك يفعلون فاجاب ابرهيم افرايتم
ما كنتم تعبدون انتم واباؤكم الاقدمون فكل هذا قد تقدم تفسيره
في الفصل السابق ثم قال فانهم عدو لي الا رب العالمين واعلم انه
عليه السلام ما ذكر الاعداء الا بهذه الكلمة الواحدة ثم مدح الحق
بالفاظ كثيرة وفيه تنبيه على ان الاشتغال بعيب الاعداء اشتغال
بالاعداء وهو مانع من الله وكان تقليلها اولى وانما الاستقصاء

يجب ان يكون بالثناء على الله تعالى وفيه اسئلة السؤال الاول
كيف يكون الصنم عدوا وهو جماد والجواب من وجوه الاول
قال تعالى في سورة مريم في صفة الاصنام كلا سيكفرون
بعبادتهم قيل في تفسيره ان الله يحيي ما عبدوه من الاصنام حتى
يقع منهم التوبيخ لهم والبراءة منهم وعلى هذا الوجه ستصير
هذه الاوثان اعداء لهؤلاء الكفار في الاخرة فاطلق ابرهيم عليه السلام
لفظ العداوة عليهم على هذا التاويل الوجه الثاني ان الكفار
لما عبدوها وعظموها ورجعوا اليها في طلب المنافع ودفع المضار
نزلت منزلة الاحياء العقلاء في اعتقاد الكفار ثم انها صارت
اسبابا لانقطاع الانسان عن السعادة ووصوله الى الشقاوة
فلما جرت هذه الاصنام مجرى الاحياء وجرت مجرى الدافع للمنفعة
والجالب للمضرة لاجرم جرت مجرى الاعداء والثالث ان المراد من
قوله فانهم عدو لي الا رب العالمين العابدون دون الاصنام
التي هي المعبودة السؤال الثاني لم قال فانهم عدو لي والجواب
انه عليه السلام صور المسئلة في نفسه على معنى اني فكرت في امري
فرايت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها واراهم انها نصيحة
نصح بها نفسه فاذا تعرفوا وتفكروا قالوا ان ابرهيم ما نصحنا
الا بما نصح به نفسه فيكون ذلك ادعا الى القبول السؤال الثالث
لو لم يقل فانهم اعداء لي والجواب لفظ العدو والصديق يقع
على الواحد وعلى الجماعة قال تعالى وهم لكم عدو ثم قال ابرهيم
الذي خلقني فهو يهدين واعلم انه تعالى لما حكى عنه انه استثنى

رب العالمين حكى عنه بما وصفه به بما يستحق العبادة لاجله
وهى خمسة انواع من الصفات الصفة الاولى قوله الذى خلقنى
فهو يهدين واعلم انه سبحانه اثنى على ذاته بهذين الوصفين
فقال سبح اسم ربك الاعلى الذى خلق فسوى والذى قدر فهدى
واعلم انا نفرض مثالا واحدا ونحقق فيه معنى الخلق والهداية
فنقول الانسان مخلوق من قالب هو من عالم الخلق ومن قلب هو من
عالم الامر وتركيب البدن الذى هو من عالم الخلق يقدم على ايجاد
الروح الذى هو من عالم الامر على ما قال فاذا سويته ونفخت فيه
من روحى والتسوية اشارة الى تركيب المزاج وتعديل الاشباح
ونفخ الروح اشارة الى اللطيفة الربانية الروحانية النورانية
وتمام هذا التقرير سيجىء فى تفسير قوله ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين وبالجملة فالخلق اشارة الى تعديل البدن والهداية
اشارة الى ايداع القوى المدركة والمحركة فيه فثبت ان قوله الذى خلقنى
فهو يهدين كلمة حاوية لجميع المنافع فى الدين والدنيا ثم فيه
دقيقة وهو انه قال خلقنى فذكره بلفظ الماضى وقال فهو يهدين فذكره
بلفظ المستقبل والسبب فيه ان خلق الذات لا يتجدد ساعة فساعة
بل ما حصل بقى الى الابد المعلوم واما الهداية فهى امر يتكرر كل حين وآوان
سواء كانت الهداية فى الدنيا او فى الدين فبين سبحانه انه هو الذى خلقه
فى الماضى وانه هو الذى يهديه فى المستقبل فى كل حين وآوان الى وجوه
المصالح بضروب الهدايات الصفة الثانية قوله والذى هو يطعمنى
ويسقين وقد دخل فيه كل ما يتصل بمنافع الرزق وذلك لانه سبحانه

اذا خلق الطعام ومكنه منه فلو لم يمكن منه ما تمكن معه من اكله
والاغتذاء به بخواص الشهوة والقوة والتمييز لم تكمل هذه المنفعة
فذكر الطعام والشراب ونبه على ما عداهما وقال بعضهم يطعمنى
طعام المعرفة ويسقينى شراب المحبة وقيل يطعمنى طعام المناجاة
ويسقينى شراب الوصول الى الدرجات وههنا بحث وهو انه روى
الامام محمد بن على الترمذى رحمه الله فى كتاب نوادر الاصول عن
عقبة بن عامر انه عليه السلام قال لا تكرهوا مرضاكم على الطعام
فان الله يطعمهم ويسقيهم واعلم ان المرض سبب لانقطاع عشق
القلب عن البدن لتواتر الالام والاوجاع عليه وكلما كان ذلك
العشق اقل كان حب الدنيا اقل ومرض القلب ليس الا حب الدنيا
فعلى هذا كلما كان مرض البدن اتم كان عود القلب الى الصحة
اتم وكلما ازداد القلب طهارة من دون الذنوب وسقم حب الدنيا
كان شبع القلب باغذية المعرفة وريه بشراب المحبة اتم ومما يدل
على ما قلنا ان اقل الناس اكلا الانبياء ثم الاولياء وكلما كان العبد
اكثر حظا من النفس كان اكثر اكلا روى عن عامر بن عبد القيس انه
داوم شهرا لا ياكل شيئا وقال ابرهيم التيمى لقد اتى على شهر وما
اكلت طعاما ولا شربت الا احتسب اكرهه على نفسى عليها وما انا بصايم
واتى لاقضى حوائجى وقال عليه السلام الكافر ياكل فى سبعة امعاء
والمومن ياكل فى معا واحد فالمومن انه يشبعه فمعنى قوله ان الله
يطعمهم ويسقيهم انه يطهر قلوبهم من الذنوب فاذا طهرهم
من عليهم بعد ذلك باليقين فاشبعهم وارواهم واذا قوى القلب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والمحب ابتهج بمعرفة ربه وصار فرحانا بخدمة ربه والاشتغال
في طاعة ربه ومجالسة الملائكة المقربين صار الجسد بحيث لا
يحتاج الى الغذاء الا ترى ان الانسان اذا ناله فرح شديد صار
بحيث ينسى الحاجة الى الطعام هذا كله كلام الشيخ محمد بن علي
الحكيم الترمذي ثم قال رحمه الله والقلوب مع الله شان لا يعرفه
الا اهل القلوب الصفة الثالثة قوله واذا مرضت فهو يشفين
قال الجنيد اذا مرضت بوحشة الخلق شفاني بانس الحق وقال الشبلي
اذا مرضت من هم الاشتياق شفاني بلذة التلاق وفيه سؤالات
وهو انه لم قال مرضت دون امرضني الجواب من وجوه الاول
المرض انما يحصل باستيلاء بعض الاخلاط على بعض وذلك الاستيلاء
انما يحصل بسبب ما بينهما من التنافر الطبيعي واما الصحة فانما
يحصل عند بقاء الاخلاط على اعتدالها وذلك انما يكون بسبب
قاهر يقهرها على الاجتماع وعودها على الصحة انما يكون ايضا بسبب
قاهر يقهرها والنزاع فاذا حدوث المرض انما كان بسبب طبايع الاخلاط
وحدوث الصحة انما كان بسبب ان الله تعالى قهرها على الاجتماع
والاعتدال الثاني وهو ان الشفاء من اعظم نعم الله على الانسان
والمرض ليس كذلك ومن عادة الله ان كل ما كان منفعة ولذة فانه
نضيفه الى نفسه وكل ما كان المما فانه لا نضيفه الى نفسه الا ترى
انه قال كتب ربكم على نفسه الرحمة وقال كتب في قلوبهم الايمان
ولما آل الامر الى المشقة فما اضافها الى نفسه وقال كتب عليكم
القصاص كتب عليكم الصيام فلما كانت عادة الله جارية برعاية

هذه الدقيقة لاجرم ان ابراهيم عليه السلام اعتبر هذا المعنى
فاضاف المرض الى نفسه والشفاء الى الله وبقوله والذي يميتني
ثم يحيين فاعلم ان الموت سبب لخلاص الروح عن زحمة البدن
والاتصال بحضرة الله ورحمته فكيف يعد ذلك من المكاره ولهذا
قال عليه السلام من بشر في بخروج الضفر فقد بشرته بدخول الجنة
والسبب فيه انه عليه السلام كان عالما بان وفاته يقع في شهر
ربيع الاول فكان شديد الاشتياق اليه واما المرض فانه لا يخلص
الروح فيه عن البدن بل يبقى في الزحمة والثالث ان غرض الخليل
عليه السلام في هذا المقام اظهار لسان الشكر لا اظهار لسان
الشكوى واضافة المرض الى الله سبحانه بكناية فاضاف المرض الى نفسه
والشفاء الى الله ليكون ابلغ في الشكر الصفة الرابعة قوله تعالى
والذي يميتني ثم يحيين وقد شرحنا في تفسير قوله الذي خلق الموت
والحيوة وفي تفسير قوله كيف تكفرون بالله الصفة الخامسة
قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي وهو اشارة الى ما هو مطلوب
كل عاقل من الخلاص عن العذاب والفوز بالنجاة واعلم ان ابراهيم
عليه السلام جمع في هذه الالفاظ جميع نعم الله تعالى من اول الخلق
الى اخر الابد في الدار الاخرة وههنا سؤالات السؤال الاول
لم قال اطمع والطمع عبارة عن الرجا وانه عليه السلام كان قاطعا
بذلك والجواب من وجوه ثلثة الاول قلنا ان هذا الكلام لا
يستقيم على مذهبنا حيث قلنا انه لا يجب لاحد على الله شيء الثاني
لعله عليه السلام قال هذا الكلام قبل النبوة الثالث غرضه مواقفة

شبكة الألوكة www.alukah.net

كلام الله تعالى في قوله ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فلما علقه
الله تعالى بالمشيئة وافقه الخليل عليه السلام فعلقه بالطمع
وهذا من غاية حسن الادب السؤال الثاني لم اسند الخطيئة
الى نفسه مع ان الانبياء منزهون عن الخطايا والجواب لعله
ذكر هذا الكلام قبل النبوة او هو محمول على ترك الاولى السؤال
الثالث لم علق مغفرة الخطيئة بيوم الدين وهو تعالى انما يغفر
في الدنيا والجواب اثر الغفران انما يظهر يوم الدين السؤال
الرابع ما فايدة لي في قوله ان يغفر لي خطيئتي والجواب من وجوه
الاول ان الجود افادة ما ينبغي لا لغرض وهذا هو صفة الحق
فقط اما كل ما سواه فله فيه غرض فان الاب اذا عفى عن ولده
والسيد اذا عفى عن عبده فذلك انما يكون لطلب الثواب او للخوف
عن العقاب او لطلب المدح والثناء ولوقوع الرقة الجنسية عن
القلب واذا كان كذلك لم يكن المقصود عن العفو رعاية جانب
المعفو عنه بل رعاية جانب النفس اما لتحصيل ما ينبغي او لدفع
ما لا ينبغي اما الحق سبحانه فانه كامل لذاته فيمتنع ان تحصل له صفة
كمال لم يكن او يزول عنه صفة نقصان كان واذا كان كذلك لم يكن
عفوه الا لرعاية جانب المعفو عنه فقوله والذي اطمع ان يغفر لي
يعني هو الذي اذا غفر كان غفرانه لي ولاجلي لا لاجل امر عاد اليه
البتة الثاني كان يقول التي خلقتني لا لي ولا لاجلي لانك حين
خلقتني ما كنت موجودا واذا لم اكن موجودا استحال ان يحصل شيء
لاجلي ثم مع هذا فانت قد خلقتني اما لو عفوت كان ذلك العفو

لاجلي فلما خلقتني اولا مع اني ما كنت محتاجا الى ذلك الخلق فلان
تغفر لي لاجلي مع اني في نهاية الاحتياج الى العفو كان ليق
بفضلك ورحمتك الثالث ان ابرهيم عليه السلام كان لشدة
استغراقه في بحار المعرفة شديد الفرار عن الالتفات الى الوسايط
ولذلك لما قال له جبريل الك حاجة فاجاب وقال اما اليك
فلا فهاهنا قال اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين اي له يدين
ان يغفر لي خطيئتي بمجرد اني عبد ومحتاج اليه وخاضع بين
يدي رحمته لا ان يغفرها لي بواسطة شفاعة الشافع واعلم
ان الاحوال ثلثة اما الماضي والحاضر والمستقبل وقد ذكر
الخليل انعم الله عليه في هذه الاحوال الثلثة اما في الماضي فهو قوله
الذي خلقني فهو يهدين واما في الحاضر فهو قوله والذي هو يطعمني
ويسقين واذا مرضت فهو يشفين واما في المستقبل فهو اما في
الدنيا واما في الاخرة اما في الدنيا فهو قوله والذي يميتني ثم يحيين
واما في الاخرة فهو قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي يوم الدين فما
احسن هذا الترتيب قوله تعالى رب هب لي حكما الآية دعا وتقديم
الثناء على الدعاء واجب نقلا وعقلا اما النقل فكما في هذه الآية
وايضا روى النبي عن رب العزة انه قال من شغله ذكري عن مسالتي
اعطيته افضل ما اعطي السايلين واما العقل فهو ان الداعي اذا قدم
الثناء على الله استنار روحه بنور معرفة الله واتصل قلبه بعالم
الالهية وسرادقات الصمدية ومقامات الفردانية وارتفعت
الحجب وتلالات انوار الالهية في القلب فيصير القلب كالقمر اذا وقع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في مقابلة الشمس فيكمل نوره واذا كمل نوره قوى تاثيره فاذا اتبعه
بالدعاء صارت تلك القوة الحاصلة بسبب الذكر والثناء معينا
على تحصيل المطلوب فلهذا المعنى يجب تقديم الثناء على الدعاء
كما فعله الخليل عليه السلام في هذا المقام فان قيل لم يقتصر
ابرهيم على الثناء فان الدعاء اشتغال بطلب الحصة لنفسه وهو مانع
من الاستغراق لاسيما ويروى عنه انه قال حسبي من سؤالي علمه بحالي
والجواب انه في هذا المقام كان مشغولا بدعوة الخلق الى الحق بدليل
انه قال ههنا فانهم عدو لي الا رب العالمين فلاجرم ذكر الثناء اولا
ثم الدعاء ثانيا لاجل تعليم الخلق اما لما خلا بنفسه اقتصر على الثناء
وهو قوله حسبي من سؤالي علمه بحالي واعلم ان ابرهيم عليه السلام
طلب من الله تعالى انواعا من المطالب المطلوب الاول قوله رب
هب لي حكما والحقني بالصالحين فاجابه الله تعالى حيث قال وانه
في الاخرة لمن الصالحين واعلم ان النفس الانسانية لها قوتان
قوة نظرية عاقلة وقوة عملية فاعلة فالقوة النظرية عبارة عن القوة
التي باعتبارها تقبل الجلايا القدسية عن عالم الغيب والقوة العملية
عبارة عن القوة التي باعتبارها يقوى على تدبير هذا البدن وذلك
لان كمال الانسان في ان يعرف الحق لذاته والخير لاجل العمل به
فقوله هب لي حكما اشارة الى سعادة القوة النظرية وقوله
والحقني بالصالحين اشارة الى سعادة القوة العملية وانما قدم
سعادة القوة النظرية على سعادة القوة العملية لان القوة
النظرية مقدمة على القوة العملية بالشرف وبالذات والدليل

عليه

عليه الوجوه التي ذكرناها في الفصل الاول من هذا الكتاب في بيان
ان علم الاصول اشرف من علم الفروع وانما فسرنا معرفة الاشياء
بالحكم وذلك لانه لا يعرف الانسان حقايق الاشياء الا اذا استحضر
في ذهنه صور الماهيات ثم نسب بعضها الى بعض بالنفي والاثبات
فتلك النسبة الخارجية كانت النسبة الذهنية ممتنعة التغير
فكانت مستحكمة قوية فمثل هذا الادراك يسمى حكمة وحكما وهو
المراد من قوله عليه السلام ارنا الاشياء كما هي واما الصلاح
فهو كون القوة العملية متوسطة بين رذيلتي الافراط والتفريط
وذلك لان الافراط في احد الجانبين تفريط في الآخر وبالعكس
فالصلاح لا يحصل الا بالاعتدال ولما كان الاعتدال الحقيقي
شيئا واحدا لا يقبل القسمة البتة والافكار البشرية في هذا
العالم قاصرة عن ادراك الحد على سبيل الحقيقة لاجرم لا ينفك البشر
البتة عن الخروج عن ذلك الحد وان قل الا ان خروج المقربين عنه يكون
في القلة بحيث لا يحس به وخروج العصاة عنه يكون متفاحشا
جدا فقد ظهر من هذا احتياج كل احد الى ان يستعين بتوفيق الله
في تحصيل هذا الصلاح سواء كان نبيا او وليا فظهر بهذا احتياج
ابرهيم الى ان يقول والحقني بالصالحين المطلوب الثاني في هذا الدعاء
قوله واجعل لي لسان صدق في الاخرين واعلم ان مراتب السعادات
ثلثة النفسانية والبدنية والخارجية فالنفسانية قسمان
كمال القوة النظرية وكمال القوة العملية وهو المراد بقوله هب لي
حكما والحقني بالصالحين واما البدنية فقسمان وهو الصحة

والجمال واما الخارجية فقسمان المال والجاه فالمال اشد جسمانية
لانه ملك الاعيان والجاه اشد روحانية لانه ملك الارواح
وان ابرهيم عليه السلام طلب السعادات النفسانية بقسميها
ولم يلتفت الى السعادات البدنية بقسميها لعلمه بانها غير باقية
واما السعادات الخارجية فطلب قسما واحدا منها وهو الجاه
والثناء الحسن وهو المراد بقوله واجعل لي لسان صدق في
الآخرين وقد اعطاه الله تعالى وهو قوله وتركنا عليه في الآخرين
فان قيل واى غاية له في ان يمدح ويثنى عليه والجواب
من وجهين الاول ان الارواح البشرية قد بينا انها مؤثرة
في الجملة الا ان بعضها قد يكون ضعيفا فيعجز عن التاثير فاذا
اجتمع منها طايفة فربما قوى مجموعها على ما عجزت الآحاد عنه
وهذا المعنى مشاهد في المؤثرات الجسمانية واذا ثبت هذا
فالانسان الواحد اذا كان بحيث عليه الجمع العظيم ويمدحونه
فربما صار انصراف هممهم اليه عند الاجتماع سببا لفيضان
زيادة كمال عليه من عالم القدس الثاني وهو ان ارواح عوام الخلق
ربما كانوا مستعدين لقبول الانوار من عالم القدس فاذا اتصلت
هذه الارواح بالارواح القوية التي تكون للانبياء وتجلت الانوار
الالهية في تلك الانوار القوية النبوية انعكس اثر من تلك الانوار
الى هذه الانوار الضعيفة المتعلقة بها بسبب شدة المحبة
فيحصل لهذه الارواح الضعيفة نوع من السعادة بسبب تلك
العلاقة فعلى الوجه الاول من الجواب جعلنا الثناء والمدح سببا

لحصول مزيد سعادة الممدوح وعلى الوجه الثاني جعلنا
ذلك الثناء والمدح سببا لحصول مزيد سعادة المادح والوجه
الثالث وهو كلام اهل الظاهر ان من صار ممدوحا فيما بين الناس
بسبب ما كان له من الفضايل فانه يصير ذلك المدح داعيا للمادح
الى اكتساب مثل تلك الفضايل الثاني والثاني لقوله واجعل لي
لسان صدق في الآخرين انه سال ربه ان يجعل من ذريته
في آخر الزمان من يكون داعيا الى الله وذلك هو محمد عليه السلام
فالمراد من قوله واجعل لي لسان صدق في الآخرين بعثه محمد
عليه السلام والتاويل الثالث قال بعضهم المراد اتفاق اهل
الاديان على حبه فاعطاه الله ذلك لانك لا ترى اهل دين الا
ويحبون ابرهيم المطلوب الثالث قوله واجعلني من ورثة جنة
النعيم واعلم انه لما فرغ من طلب مراتب السعادات في الدنيا طلب
بعده سعادة الآخرة وهي جنة النعيم وشبهها بما يورث ويتذكر
السبب في انه لم يتمنى الجنة ميراثا المطلوب الرابع قوله واغفر لابي
انه كان من الضالين والكلام فيه فيتقدم في الفصل الثالث
في تفسير قوله سلام عليك سأستغفر لك ربي المطلوب الخامس
قوله ولا تخزني يوم يبعثون وفيه سؤالات السؤال الاول انه لما قال
واجعلني من ورثة جنة النعيم امتنع الخزي لانه متى حصلت الجنة
فقد زال الخزي فكيف قال بعده ولا تخزني يوم يبعثون وايضا
قال تعالى ان الخزي اليوم فكيف قال بعده ولا تخزني يوم يبعثون
وايضا قال تعالى ان الخزي اليوم والسوء على الكافرين فما كان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

نصيب الكفار فقط فكيف يخاف منه الرسول المعصوم قلنا
كما ان حسنات الابرار سيئات المقربين فكذلك درجات الابرار
دركات المقربين وحراكل احد ما يليق به السؤال الثاني قوله
يعتون ضمير عزا ى شئ الجواب انه ضمير العباد لانه معلوم وان
لم يكن مذكورا او ضمير الضالين واعلم ان في الآية وجوها لكن
الاول قيل معنى الآية لا تطالبني يوم القيامة بصدق الخلة
فلا تقل يا ابرهيم ادعيت اني خليل الله فهات صدق الدعوى
النكتة الثانية ان ابرهيم لما خاف من هذا المقام فلا تخاف انها
المذنبان تطالب يوم القيامة بحق الايمان والتوحيد اولى كما
قال الله تعالى ليسئل الصادقين عن صدقهم الثاني الخليل عليه السلام
قال ولا تخزني يوم يبعثون لم يظهر جوابه في نص القرآن ثم انه
اعطى الامان لامة محمد عليه السلام فقال يوم لا يخزى الله
النبي والذين امنوا معه اما قوله الا من اتى الله بقلب سليم فاعلم
ان الله تعالى اكرمه بهذا الوصف حيث قال وان من شيعته لابرهيم
اذ جاء ربه بقلب سليم وفي تفسير القلب السليم وجوه الاول
المراد منه سلامة القلب عن الجهل والاخلاق الذميمة كما ان سلامة
البدن عبارة عن حصول ما ينبغي من المزاج والتركيب ومرضه
عبارة عن زوال تلك الامور الثاني ان السليم هو اللديغ من
خشية الله الثالث السليم هو الذي سلم واسلم وسلم وسالم
واستسلم وهذه الاحوال كانت حاصلة لابرهيم عليه السلام
كما قال اذ قال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين وقال الشبلي

القلب السليم كقلب الخليل كان يسير قلبه من جانب التحت الى الوفاء
ومن جانب الفوق الى الرضا ومن اليمين الى العطا ومن اليسار الى ترك
الهوى ومن القدام الى اللقاء ومن الخلف الى البقاء الفصل
السادس في تفسير استدلال نوح عليه السلام قال سبحانه حكاية
عن نوح فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا الآية قال مقاتل ان قوم نوح لما كذبوه زمانا طويلا حبس الله
عنهم المطر واعقم ارحام نسايهم اربعين سنة فرجعوا فيه الى نوح
فقال نوح استغفروا ربكم عن الشرك يفتح عليكم ابواب النعمة
واعلم ان الاشتغال بالايمان وسايرالطاعات سبب لانفتاح
ابواب الخيرات ويدل عليه وجوه الاول ان الكفر سبب لخراب
العالم قال في صفة الكفار تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق
الارض وتخر الجبال هدا ان دعوا للرحمن ولدا فلما كان الكفر
سببا لخراب العالم وجب ان يكون الايمان سببا لعمارة العالم
الثاني الايات الدالة على هذا المعنى منها قوله تعالى ولو ان اهل
القرى امنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض
وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل الآية وقال وان لو
استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا الآية وقال
وامر اهلك بالصلوة واصطبر عليها الآية وقال ومن يتق الله
يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب الثالث انه تعالى
ما خلق الجن والانس الا ليعبدوه فاذا اشتغلوا بتحصيل المقصود
حصل ما يحتاجون اليه في الدنيا على سبيل التبعية الرابع انه قال

وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون بين انك مخلوق لاجل
عبادته ثم قال خلق لكم ما في الارض جميعا فبين ان جميع ما في الارض
مخلوق لك ثم قال تعالى واوفوا بعهدي اوف بعهدكم فلما
وفيت بعهد العبودية وهو المراد بقوله وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فلابد وان تفي الرب بعهد الربوبية وهو المراد
بقوله خلق لكم ما في الارض جميعا الخامس روي ان عمر خرج يستسقي
فما زاد على الاستغفار فقيل له وما رايناك استسقيت فقال
لقد استسقيت بمجاديح السماء والمجدح ثلثة كوكب مخصوصة
ونوءها يكون عزيزا شبهه عمر الاستغفار بالانواء الصادقة
التي لا تخطى السادس ان قوله يرسل السماء عليكم مدرارا
يحتمل ان يكون المراد منه انزال الغيث والمطر على ما هو ظاهر
اللفظ ويحتمل ان يكون المراد فتح ابواب السماء بامطار التوفيق
والهداية والارشاد ويجب حمل اللفظ عليهما جميعا اما الاول
فروى عن بكر بن عبد الله ان اكثر الناس ذنوبا اقلهم استغفارا
واكثرهم استغفارا اقلهم ذنوبا وتحقيقه من جهة العقل ان
الاستغفار اذا قوي على الدفع بعد الثبوت فلان يقوى على المنع
والمنع كان اولى واما الثاني فما روي ان الحسين رضي الله عنه
جاءه رجل وشكى اليه الجدب فقال استغفر الله وشكا اليه
اخر الفقر واخر من قلة النسل واخر من ربع ارضه فامر الكل
بالاستغفار فقال له بعض القوم اياك رجال ليشكون اليك
انواعا فامرت الكل بالاستغفار فقال علي رضي الله عنه هذه الآية

فقلت

فقلت استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا
ويمددكم باموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا فان
قيل لم قال انه كان غفارا ولم يقل الآن غفار قلنا المراد منه انه
كان غفارا في حق كل من استغفر كانه تعالى قال لا تظنوا ان غفاريته
انما حدثت الان بل هو ابدا اهله فكما ان حرفتكم هذا الذنب
والمعصية فكذا عادته هو الغفارية واما قوله يرسل السماء
عليكم مدرارا اعلم ان الخلق مجبولون على محبة الخيرات العاجلة
ولذلك قال تعالى واخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب لاجرم
اعلمهم الله تعالى ان ايمانهم بالله يجمع مع الحظ الوافر في الآخرة
الخصب والغنى والمنى في الدنيا والاشياء التي وعدهم من منافع
الدنيا في هذه الدنيا خمسة اولها يرسل السماء عليكم مدرارا
وفي السماء وجوه الاول ان المطر ينزل من السماء الى السحاب ومن
السحاب الى الارض والثاني ان المراد من السماء هو السحاب والثالث
ان المراد من السماء هو المطر من قولهم اذا نزل السماء بارض قوم رعيناها
وان كانوا غضابا والمدرار الكثير الدر والمفعال مما يستوي فيه
الذكر والمؤنث كقولهم رجل معطار ومتفال وامرة معطار
ومتفال والنعمة الثانية قوله ويمددكم باموال وبنين وهذا
لا يختص بنوع واحد من المال بل يعم الكل والنعمة الثالثة قوله
ولا شك ان كثرة الاولاد الذكور سبب لبقاء الذكر واشتداد
الظهر والنعمة الرابعة قوله ويجعل لكم جنات اي بساتين
والنعمة الخامسة قوله ويجعل لكم انهارا فبدأ بذكر هذه النعم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بانزال الماء من السماء وختمها باخراج الماء من الارض والسبب
فيه انا بينا ان تولد النعم في هذا العالم انما يكون بنزول الماء
من السماء الى الارض واعلم ان الله تعالى لما امرهم بالاستغفار وعد
على الاستغفار هذه المنافع واكد ذلك وترغب فيه فقال ما لكم
لا ترجون لله وقارا وفيه وجوه الاول ان يكون التقدير
ما لكم لا تاملون من الله وقارا وتعظيما بفعله في حقكم كان القوم
لما قيل لهم انكم متى استغفرتم الله اعطاكم الله هذه النعم الكثيرة
فالقوم استبعدوا ذلك قالوا وكيف يعطينا هذه النعم العظيمة
بمجرد الاستغفار فاجيبوا بقوله ما لكم لا ترجون لله وقارا
اي ما لكم لا ترجون من الله ان يفعل في حقكم هذا التوقير العظيم
مع انه فعل في حقكم ما هو اجل واعظم منه وهو انه خلقكم اطوارا
الوجه الثاني ان القوم كانوا يبالغون في الاستخفاف بنوح عليه السلام
فامرهم الله بتوقيره وترك الاستخفاف به فقيل لهم انكم ان
وقرتم نوحا كان ذلك لاجل الله فما لكم لا ترجون لله وقارا
ما تونون به لاجل الله ولاجل امره وطاعته فان كل ما ياتي به الانسان
لاجل الله فانه لابد وان يرجو منه خيرا الوجه الثالث وهو ان يكون
المراد من الوقار الحلم وترك التعرض بتعذيبهم والمعنى ما لكم لا
تاملون ان يترك الله معاملتكم بالعذاب بحلمه ولطفه وما لكم
لتؤمنوا وقوله لله لبيان من اثبت له الوقار والوجه الرابع
ان الوقار هو الثبات من وقر اذا ثبت واستقر فكانه قال ما لكم
وعند هذا تم الكلام ثم قال على سبيل الاستفهام بمعنى الانكار

لا ترجون لله وقارا اي لا ترجون لله ثباتا وبقاء فانكم لو رجوتم
ثباته وبقاءه لحفظتموه ولما اقدمتم على الاستخفاف برسله واوامره
والمراد من قوله ترجون اي يعتقدون لان الراجي للشيء معتقد له
ثم انه سبحانه لما امرهم في هذه الآية بتعظيم الله استدل على التوحيد
بوجوه من الدلايل الحجة الاولى حجة ماخوذة من الانفس وهي قوله
وقد خلقكم اطوارا وفيه وجهان الاول قال الليث الطور الحالة
يعني حالا بعد حال فانه كان ترابا اولا ثم نطفة ثم علقة ثم مضغة
والثاني قال ابن الانباري الطور الحال والمعنى خلقكم اصنافا
مختلفين لا يشبه بعضكم بعضا كما قال واختلاف السنتكم والوانكم
واعلم انه سبحانه خلق البشر بحيث لا يشبه بعضهم بعضا في الصورة
والحكمة فيه انه حصلت المشابهة لحصل الاشتباه فما كان يتميز زوج
هذه المراة عمن لم يكن زوجا لها ولا عبد هذا عن عبد غيره وحينئذ
لم يتميز الحلال من الحرام والمستحق عن غير المستحق وذلك يفضي الى زوال
المصالح وحصول المفاسد فلهذا السبب اقتضت الحكمة الالهية
تخصيص كل واحد بصورته المخصوصة ثم انه من اعظم الدلايل على القادر
المختار لان الاب والام واحد وتاثير الطبايع والنجوم والافلاك
واحد ثم مع هذا التشابه والتساوي يكون كل واحد منهم مختصا
بصورته المخصوصة المعينة فهذا لا يكون الا بتاثير القادر المختار
وروي ان واحدا استعظم امر الشطرنج عند عمر رضي الله عنه وقال
انه رقعة مختصرة ثم انه يقع فيه انواع من اللعب غير متناهية فقال
عمر رقعة الوجه اصغر من رقعة الشطرنج ولكل عضو من اعضاء الوجه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

موضع معين من الوجه لا يتغير عنه فان العين لها موضع معين
وكذلك الانف والفم ثم مع هذا يقع فيه من الاختلاف ما لا نهاية له
فانك لا ترى انسانين في المشرق والمغرب تماثل صورتاهما من كل
الوجوه وهذا يدل على كمال قدرة الله وعلمه وحكمته الحجة الثانية
على التوحيد حجة ماخوذة من الافاق وهي قوله سبحانه الم تروا
كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل
الشمس سراجا واعلم انه تعالى تارة يبدأ بدليل الانفس وبعدها
بدليل الافاق كما في هذه الاية وذلك لما ذكرنا ان نفس الانسان اقرب
الاشياء اليه فلاجرم بدأ بالاقرب لانا الاقرب اعرف وتارة
يبدأ بدلايل الآفاق ثم بدلايل الانفس اما الان دلايل الافاق
اشهر واعظم ولانها اشرف واعلم ان ههنا في الحقيقة دلايل
ثلثة اولها السموات السبع الطباق وقد تقدم في الباب المتقدم
كيفية دلالتها على الصانع المختار وثانيها كون القمر نورا وثالثها
كون الشمس سراجا وانه سبحانه وصف الشمس والقمر بانواع من
الصفات الصفة الاولى ذكر كون الشمس سراجا والقمر نورا
في آيات احدها في هذه الآيات وقال في يونس هو الذي جعل الشمس
ضياء والقمر نورا وقال في الفرقان تبارك الذي جعل في السماء
بروجا الاية واعلم انا لاستقراء يدل على ان احوال هذا العالم
مختلفة بحسب اختلاف انوار الشمس والقمر فلبين ذلك في الشمس
اولا ثم في القمر ثانيا اما تاثيرات انوار الشمس في هذا العالم فمن وجوه
الاول التاثيرات الحاصلة بحسب اليوم والليلة وذلك لانا نرى

جميع الحيوانات في الليل كالميتة فاذا طلع نور الصبح ظهر في
اجساد الحيوانات نور الحيوة فكان طلوع الشمس نفخ في ابدان
الحيوانات قوة الحيوة وكلما كان طلوع ذلك النور اكثر كان ظهور
قوة الحيوة في ابدان الحيوانات اكمل ثم لما طلع قرص الشمس بالتمام
ترى الناس وسايرالحيوانات يبتدرون بالحركة والقوة والاشتداد
وما دامت الشمس صاعدة الى وسط سمائها كانت حركاتهم في
القوة والزيادة فاذا مالت الشمس عن وسط السماء اخذت
حركاتهم في الضعف ولا يزال يتزايد ذلك الضعف الى زمان غيبوبة
الشمس وكلما ازدادت غيبوبة نور الشمس ازداد الضعف
والفتور والنقصان في الابدان الحيوانية وفي القوى المدركة
والمحركة ورجعت الحيوانات الى بيوتها وحجرتها ثم يقع على الارض
كالميتة المعدومة فاذا طلعت الشمس عليهم في اليوم الثاني رجعوا
الى الحالة الاولى من الحيوة وقوة الحركة الوجه الثاني في تاثيرات
الشمس بحسب حركاتها اليومية وبيانه انها لو كانت واقفة في
موضع واحد لاشتدت السخونة في ذلك الموضع واشتد البرد في
سايرالمواضع لكنها تطلع في اول النهار من المشرق فيقع على بحاذيها
جزء من جانب المغرب ثم لا يزال يدور ويغشى جهة بعد جهة حتى
ينتهي الى طرف المغرب فتشرق حينئذ على الجوانب الشرقية وحينئذ
لا يبقى موضع مكشوف في الشرق والغرب الا وناخذ حظا من
شعاع الشمس الوجه الثالث في تاثيرات الشمس بحسب الفصول
الاربعة وبيانه انه لو لم يكن للشمس حركة في الميل لكان تاثيرها

مخصوصا بمدار واحد ولكان سائر المدارات تخلوا عن المنافع
الحاصلة منها وكان يبقى كل واحد من المدارات الجنوبية والشمالية
على كيفية واحدة فان كانت حارة افنت الرطوبات واحالتها
كلها الى النارية ولم يتكون المتولدات فيكون الموضع المحاذي
لممر الشمس على كيفية الاحتراق والبعيد عنه جدا على كيفية البرد
الشديد والمتوسط ما بينهما على كيفية متوسطة فيكون في
موضع صيف دايم يوجب الاحتراق وفي موضع شتاء دايم
يوجب الجمود والتحجر وفي موضع ربيع دايما وخريف دايم ولا
يتم فيه النضج اما اذا حصل الشمس مبل تارة الى الشمال وتارة
الى الجنوب حصل في كل نصف من نصفي الارض هذه الفصول الاربعة
التي هي معينة على النشو والنما، وحصول مصالح الحيوانات والنبات
الوجه الرابع في تاثيرات حركة الشمس من حيث انها منم الدورة في سنة
واحدة وذلك لانا لو قدرنا ان الشمس تحرك حركة بطيئة لكان هذا
الميل قليل النفع وكان التاثير شديدا الافراط فكان يعرض قريبا
مما لو لم يكن له ميل ولو كانت حركاتها اسرع من هذه لما كملت المنافع
وما تمت فاما اذا كانت هذه الحركة لا في غاية السرعة ولا في غاية
البطو حصلت المنافع المذكورة الوجه الخامس في تاثيرات
الشمس بحسب قربها من سمت الراس وبعدها عنه اعلم ان كل
موضع تكون الشمس بعيدة جدا عن سمت رؤس اهله اشتد البرد
فيه وهو مثل الموضعين اللذين تحت القطبين فانه لا يتكون
هناك حيوان ولا نبت فيه نبات من شدة البرد ويكون هناك

ستة اشهر نهارا وستة اشهر ليلا وتكون هناك رياح عاصفة
جدا والثلج متواليه ويدل عليه البحر الارمنيتين فانها اقرب الى مدار
الشمس من الموضع المذكور بكثير مع انه تشتد فيه الرياح العواصف
وتشتد ظلمة حتى لا يمكن ركوبه لشدة برده وظلمته ويستدل
عليه ايضا بحر الشام فاذا حصلت الشمس في اوايل العقرب الى ان
تحصل في اوايل الحوت بقي هذه الاشهر الاربعة لا يستطيع الناس
ركوب هذا البحر الوجه السادس في تاثيرات الشمس في احوال
الحيوانات بحسب قربها من سمت الراس وبعدها عنه اعلم ان
الاستقراء يدل على ان سبب الظاهر في اختلاف الناس في اجسامهم
والوانهم واخلاقهم وطبايعهم وسيرهم اختلاف احوال الشمس
في الحركة وذلك لان الناس ثلثة اقسام احدها الذين يسكنون
خط الاستواء الى محاذاة ممر راس السرطان وهم يسمون بالاسم
العام السودان لان الشمس تمر على سمت رؤسهم في السنة اما
مرة او مرتين فيحرقهم ويسود ابدانهم وشعورهم والذين مساكنهم
في غاية القرب من خط الاستواء فهم الزنج والحبشه والشمس بقوة
تاثيرها في مساكنهم تحرق شعورهم ويسودها ويجعلها جعدة
كيفه ويجعل وجوههم قحلة وجبهتهم عظيمة واخلاقهم وحشيه
واما الذين مساكنهم في غاية القرب الى محاذاة راس السرطان فالسواد
فيهم اقل وطبايعهم اعدل واخلاقهم احسن واجسادهم اقصف
كاهل الهند واليمن وبعض المغاربة وكل العرب والقسم الثاني الذين
مساكنهم على ممر راس السرطان الى قريب من محاذاة بنات نعش الكبرى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهم يسمون باسم العام البيضان فهؤلاء لاجل ان الشمس لا تسامت
رؤسهم وايضا لا يبعد عن مسامته رؤسهم بعدا كثيرا لم يعرض
لهم شدة الحر والبرد فلاجرم صارت الوانهم متوسطة ومقادير
اجسامهم معتدله واخلاقهم حسنة كاهل الصين والترك وخراسان
والعراق وفارس والشام ثم هؤلاء كل من كان اميل الى ناحية
الجنوب كان اتم فى الذكاء والفهم لقربه من منطقه البروج وممر
الكواكب المتحيرة ومن كان منهم ميل الى ناحية المشرق فهو اقوى نفسا
واشد ذكاء لان المشرق يمين الفلك ولان الكواكب منه تطلع
والانوار من جانبه تظهر واليمين لا شك انه اقوى ومن كان الى
ناحية المغرب فهم اليين نفسا واشد نسيانا واكثر كتما للامور
والقسم الثالث محاذية لنبات النعش وهم الصقالبة والروس
فانه لكثرة بعدهم عن ممر البروج وحرارة الشمس صار البرد عليهم
اغلب والرطوبة الفضليه اكثر لانه ليس هناك من الحرارة ما يشفها
فلذلك صارت الوانهم بيضاء وشعورهم سبطة شقرا وابدانهم
عظيمة رخصة وطباعهم مايلة الى البرودة واعلم ان كل واحد
من هذين الطرفين وهم الاقليم الاول والسابع يقل العمارات
فيه وينقطع بعضه عن بعض لغلبة الكيفيتين الفاعلتين ثم
لا يزال يزداد العمارة فى الاقليم الثانى والسادس والثالث
والخامس ويقل الخراب فيها واما الاقليم الرابع فانه متواصل
العمارات قليل الخراب وذلك لفضل الوسط على الاطراف باعتدال
المزاج الوجه السابع فى تاثيرات الشمس بحسب قربها وبعدها

من الارض اعلم ان المواضع التى يسامتها حضيض الشمس تسمى البرارى
الجنوبية وهى محرقة نارية لا يكون فيها حيوان البتة واما البلاد
المقاربة لتلك المواضع فسكانها كلهم سود الالوان على التفصيل
الذى ذكرناه واما المواضع التى يسامتها اوج الشمس فهى فى جانب
الشمال وهى غير محرقة بل معتدلة واعلم ان التفاوت الحاصل
بسبب قرب الشمس من الارض فى الحضيض وبعدها عنه فى الاوج
ليس بكثير بل قليل ثم ان بسبب ذلك التفاوت القليل صار الجنوب
محرقا فعلمنا بهذا ان الشمس لو صارت الى فلك الثوابت لاشتدت
الطبايع من شدة البرد ولو انها انحدرت الى فلك القمر لاحترق
هذا العالم بالكلية فلهذه الحكمة جعل البارى جل ثناؤه الشمس
وسط الكواكب السبعة لتكون محركها المعتدلة وقربها المعتدلة
وتبقى الطبايع والمطبوعات فى هذا العالم على حد الاعتدال فاما
اهل الاقليم الاول فلاجل قربهم من حضيض الشمس كانت سخونة هوائهم
شديدة فلاجرم هم اكثر سوادا لان تاثير الشمس فيهم اكثر واهل
الاقليم الثانى سمر الالوان واما الاقليم الثالث والرابع فاعدل
الاقاليم مزاجا بسبب اعتدال الهواء وايضا فغاية ارتفاع الشمس
انما يكون عند كونها فى بعد بعدها عن الارض فلاجرم صار اهل
هذا الاقليم معدن لاشخاص فاضلة والصور الجميلة واما الاقليم
الخامس فسخونة الهواء هناك اقل من الاعتدال بقدر يسير فلاجرم
صار فى حيز البرد والثلوج وصارت طبايع اهلها اقل نضجا من
طبايع اهل الاقليم الرابع الا ان بعدهم عن الاعتدال قليل فاهل

الاقليم السادس والسابع فاهلها تحول بتول وغلبة البرد والرطوبة
عليهم اشتد بياض الوانهم وزرقة عيونهم وعظم وجوههم واستدارة
فتدبر ظهر ان صور الناس واشكالهم انما اختلفت بحسب اختلاف
احوال الشمس فهذه اشارة قليلة الى كيفية تاثيرات الشمس واما القمر
فتاثيرها من وجوه الاول انا نرى ابدان الحيوانات في وقت زيادة
ضوء القمر يكون اقوى واسخن بعد نقصانه يكون اضعف وابرد
ويكون الاخلاط التي في بدن الانسان ما دام القمر زايدا في
ضوئه فانها تكون ازيد ويكون ظاهر البدن اكثر رطوبة وحسنا
فاذا نقص ضوء القمر تناقصت هذه الاحوال الثاني ان التجارب
الطبية دلت على ان احوال البحرانات مربوطة بزيادة ضوء القمر
ونقصانه الثالث انه يكثر البيان للحيوانات في النصف الاول
من الشهر ويتناقص في النصف الثاني والرابع انا الانسان اذا
نام في ضوء القمر حدث في بدنه نوع من الاسترخاء والكسل ويهيج
عليه الزكام والصداع واذا وضعت لحوم الحيوانات مكشوفة تحت
ضوء القمر تغيرت طعومها وروايحها ولاصحاب التجارب اعتبارات
كثيرة من هذا الباب وكفينا هذا القدر في بيان منفعة كون الشمس
ضياء والقمر نورا فان قال قايل ظاهر كلامكم في هذا الفصل مشعر
بان المؤثر في احوال هذا العالم هو الشمس والقمر وكلامكم في الفصل
المقدم صريح في ان المؤثر هو قدرة الله تعالى فكيف الجمع بين
القولين والجواب ليس انا نقول الخبز مشبع والماء مروو انكنا
نعتقد ان خالق الشبع والري هو الله سبحانه فكذا ههنا نقول

ليس انه تعالى هو الذي خلق الموت والحيوة وقال والذي يميتني
ثم يحيين وقال الله يتوفى الانفس حين موتها ثم قال قل يتوفيكم
ملك الموت وكلكم ثم قال حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا
فحصول الموت والحيوة والوفات منسوب الى الله تعالى بالتخليق
والايجاد ومنسوب الى ملك الموت بالامر بقبض الارواح ومنسوب
الى اتباع ملك الموت لاجل انهم يباشرون اعمالا اجرى الله تعالى
عادته بخلق الموت عقيبها فكذا ههنا الله تعالى اجرى عادته
بخلق الحوادث المختلفة بحسب قرب الشمس وبعدها فتلك
الحوادث منسوبة الى قدرة الله تعالى بالتخليق والايجاد ومنسوبة
الى الشمس على سبيل اجراء العادة الصفة الثانية من صفات
الشمس والقمر كونها مسخرة قال تعالى في سورة الاعراف
ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض الى قوله مسخرات
بامره الاية وقال في الرعد الله الذي رفع السموات بغير عمد
ترونها ثم استوى على العرش الاية وقال في لقمان الم تر ان الله
يولج الليل في النهار الاية وقال في الزمر خلق السموات والارض
يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل الاية واعلم ان هذا
التسخير من وجوه الاول انه مع غاية ثقلها بقيت في جو السماء
وذلك لا يكون الا بتسخير الله سبحانه وحفظها في جو الهواء
والثاني انها متحركة بالاستدارة على نهج واحد لا يقع في تلك
الحركات اختلاف بالبطوء والسرعة ولا بالرجوع والاستقامة
ولا بالارتفاع والانخفاض بل كل واحد منها سير مقدر ونهج

مقدر وجهة مقدرة وذلك لا يكون الا بتسخير مسخر وتقدير
مقدر تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا واعلم ان العقول
قاصرة عن معرفة منافع ما لكل واحد من الكواكب من القرب والبعد
والحركة والجهة ولكن العقل لما دل على بعض المنافع والحكم وجب
ان يقاس الباقي عليه فنقطع باذن الله تعالى في كل واحد منها
حكما مختصة واسرارا مطوية لا تصل اليها عقول الخلق ولا
ينتهي الى ميادينها اوهام الملائكة المقربين فضلا عن افهام البشر
ويكون الغاية القصوى لنا ان نعترف بجلاله خالقها وكمال
حلمه مدبرها كما قال ربنا ما خلقت هذا باطلا الآية الصفة
الثالثة كون القمر آية الليل وكون الشمس آية النهار كما قال في
سورة بني اسرائيل وجعلنا الليل والنهار آيتين الى قوله عدد
السنين والحساب وقال في يس والشمس تجري لمستقر لها الى
قوله وكل في فلك يسبحون فهذه الايات دالة على ان سيرها
وحركاتها محكمة بالغة وعلى ان هذه الحركات ينتهي بالآخرة
الى الانقطاع والسكون فغاية كل متحرك سكون ونهاية كل
متكون ان لا يكون وهذا الذي حكم بان الشمس والقمر لا يدرك
منها واحد صاحبه انما يكون الان فاما عند انتهائهما الى
الانقطاع فهنالك يجتمعان كما قال في سورة القيامة وجمع الشمس
والقمر يقول الانسان يومئذ اين المفر فتامل الان في ضوء
هذه الكواكب ثم اعرف زوال الضوء عنها في القيامة كما قال تعالى
اذا الشمس كورت واذا النجوم انكدرت وتامل الآن في حركاتها

العجيبة ثم اعرف انتهاء حركاتها الى سكون كما قال يجري الى اجل مسمى
فهذا جملة الكلام في صفة الشمس والقمر الحجة الثالثة قوله تعالى
والله انبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا
واعلم انه تعالى رجع ههنا الى دلائل الانفس وهو كالتفسير
لقوله خلقكم اطوارا فانه تعالى بين انه خلقهم من الارض ثم يردهم
اليها ثم يخرجهم منها مرة اخرى واعلم ان كيفية خلقه الانسان
من التراب سيأتي شرحها في باب خلقه الانسان ان شاء الله
تعالى واعلم ان في قوله انبتكم من الارض نباتا تخيين الاول
المعنى انبتكم اي انبت لاولكم من الارض لانه تعالى انما خلق
البشر من النطفة والنطفة متولدة من الاغذية والاغذية
متولدة من النبات والنبات من الارض البحث الثاني كان ينبغي
ان يقال انبتكم من الارض انباتا لكنه لم يقل ذلك بل انبتكم نباتا
والمعنى انبتكم من الارض فنبتم نباتا وفيه دقيقة لطيفة وذلك
لانه تعالى انما ذكر هذا ليستدل به على اثبات الصانع والاثبات
صفة الله وتخليقه وصفاته غير محسوسة ولا يمكن الاستدلال
بها على وجود الصانع اما النبات فهي مشاهدة محسوسة فيمكن
الاستدلال بها على وجود الصانع فكان العدول من لفظ الانبات
الى لفظ النبات بهذه الدقيقة اللطيفة الحجة الرابعة قوله والله
جعل لكم الارض بساطا لتسلكوا منها سبلا فجاجا وقد تقدم
شرح صفات الارض فلا نعيده **الفصل السابع**
في شرح مناظرة موسى عليه السلام مع فرعون في اثبات الصانع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المختار اعلم انا قبل الخوض في شرح تلك المناظرة يقدم مقدمات
لابد منها المقدمة الاولى ان كتب القصص ناطقة بان فرعون
كان يدعي كونه خالقا للسموات والارض والنبات والحيوان
حتى ذكروا ان ابليس جاء الى دار فرعون وهو في المستراح فقرع
الباب فقال من انت فقال ابليس وهل يخفى على رب الخلق ما وراء
الباب فلما دخل عليه ابليس قال فرعون من اشرنا قال ابليس انت
قال لم قال لاني اطوف الشرق والغرب وكان منتهى امري في آدم
اني قلت انا خير منه واما انت فمع نقصك وتصورك بقولك
انا ربكم الاعلى فكيف اكون شرا منك ثم خاف ابليس ان يرجع فرعون
عن طريقته بسبب هذه المناظرة فقال وهل تعرف شرا منا
فقال لا قال الذي يستعمل عمل الاخرة في كسب الدنيا وامثال
هذه الحكايات في كتب التذكير كثيرة واعلم انه بعد عندي ان يقال
انه كان يدعي انه خالق السموات والارض والجبال والبحار والمعادن
والنبات والحيوان ويدل عليه وجهان الحجة الاولى ان فرعون
وقومه اما ان يقال انهم كانوا عقلاء او مجانين فان كانوا عقلاء
امتنع منه ادعاء كونه خالقا للسموات والارضين لان العلم
بفساد ذلك ضروري وما كان كذلك امتنع وقوع الخلاف فيه
بين العقلاء واما ان قلنا انهم كانوا مجانين فهذا باطل لوجوه
احدها لو كان الامر كذلك لما كان يليق بحكمة الله تعالى ارسال
الرسول اليهم ولا انزال الكتب عليهم وكيف وقال عليه السلام
رفع القلم عن ثلث عن الصبي حتى يبلغ وعن المجنون حتى يفيق وعن

وعن النايم حتى يستيقظ والثاني وهو ان مناظرات فرعون
مع موسى يدل على انه كان في غاية الخبث والمكر والدهاء وهذا
لا يليق بالمجانين والثالث ان ضبط تلك الممالك وتسخير تلك
الاقوام الكثيرين لا يتاتى من المجنون الحجة الثانية ان ملك فرعون
ما جاوز القبط ولم يبلغ الشام والدليل عليه انه لما هرب موسى
منه الى مدين قال له شعيب لا تخف نجوت من القوم الظالمين
ويقال انه ما كان بين مصر وبين مدين الا ثمانية ايام ومع هذا
القصور في ملك الدنيا كيف يجد العاقل من نفسه ان يدعي كونه
خالقا للسموات والارض فثبت بما ذكرنا فساد هذا الكلام
فان احتج القايلون بذلك القول بانه تعالى حكى عنه انه قال انا ربكم
الاعلى وحكى عنه في سورة القصص انه قال ما علمت لكم من اله غيري
فادعى الربوبية في الاية الاولى والالهية في الاية الثانية وذلك
يدل على ما قلناه والجواب انا بينا بالدلايل القاطعة ان مثل
هذا الانسان اذا كان عاقلا فانه لا يجوز ان يدعي كونه خالقا
للسموات والارضين فلابد من تاويل لفظ الرب ولفظ الاله فنقول
الرجل لعله كان دهريا يظهر القول بانكار الصانع وكان يقول
الافلاك والكواكب واجبة الوجوب لذواتها وهي المؤثرة في
حوادث هذا العالم واذا كان كذلك فلا امر ولا نهي ولا ثواب
ولا عقاب ولا رسول ولا تكليف ثم انه يجب على ملك البلدان
ان يقوم بتحصيل مصالح الرعية ويجب على الرعية ان ينقادوا لاوامر
ذلك الملك فاذا كان الملك هو الذي يقوم بمصالحهم وبهتم بتدبيرهم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وترتيبهم وبعثي بشأنهم وترتيبهم وكان ربا ومربيا لهم واذا كان
هو مربيا لهم ومنعما عليهم وجب عليهم ان يكونوا منقادين لاوامره
وتكاليفه معترفين بعبوديته وعباداته واذا كانوا كذلك كان
هو معبودا لهم والآله هو المعبود فكان مراده من ادعاء الربوبية
والالهية هذا المعنى ويحتمل ايضا ان يقال انه كان من الصابئة وهم
الذين يقولون البشر عبيد الكواكب والكواكب عبيد الآله الاكبر
للعالم فلا جرم يجب على البشر عبادة الكواكب ويجب على الكواكب
عبادة الله والقايلون بهذا القول يسمون بالمفوضة واصحاب
الوسايط وهذا القول اقرب والدليل عليه قوله تعالى حكاية
عن قوم فرعون وتذرك والهتك فاثبتوا له آلهة وهي اما الكواكب
واما الاصنام وعلى هذا التقدير فقوله انا ربكم الاعلى بمعنى قوله
انتم عبيدي وتحت امري وانا عبد الشمس والقمر وهما عبيد الآله
الاكبر وقوله ما علمت لكم من اله غيري معناه ان الهي والهكم هو
الشمس والقمر واله الشمس والقمر هو الاله الاكبر فيرجع حاصل الكلام
الى ان فرعون لعنه الله كان اما من الدهرية واما من الصابئة
فاما ان يقال انه كان يدعي كونه خالقا للسموات والارض فهذا غير
لايق باحد من العقلاء المقدمة الثانية انه تعالى حكى عنه في
القصص ما علمت لكم من اله غيري فاوقد لي يا هامان على الطين
وقال في حم يا هامان ابن لي صرحا الاية واعلم ان كثيرا من اهل الاثر
روى انه لعنه الله لما امر ببناء هذا الصرح جمع هامان العملة حتى
اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء وامر باتخاذ الجص

وطبخ

وطبخ الاجر ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوا ذلك الصرح حتى
بلغ مبلغا لم يبلغه بنيان احد من الخلق فبعث الله جبريل عند غروب
الشمس فضربه بجناحه فقطعه ثلث قطع قطعة وقعت على عسكر
فرعون فقتلت الف الف رجل وقطعة في البحر وقطعة بقيت
منهدمة ولم يبق احد من عماله الا وقد هلك ويروى في هذه القصة
ان فرعون ارتقى على ذلك الصرح ورمى بنشابة الى السماء فاراد الله
ان يفتنهم فرد النشابة اليهم ملطوخة بالدم فقال فرعون عند
ذلك قتلت اله موسى فعند ذلك بعث الله جبريل حتى حرب ذلك
القصر وفرعوا على هذه الحكاية وجوها كثيرة من الكلمات واعلم
ان مثل هذا العمل لا يليق بالعقلاء ويدل عليه وجوه الاول ان فرعون
وقومه لما كانوا من العقلاء لاشك انهم كانوا يعلمون ان في اعلى
جبل يكون من اعلاه الى اسفله فرسخا او فرسخان ثم ان كل واحد من
السماء من اعلى ذلك الجبل ومن اسفله على قدر واحد من غير تفاوت
البتة ومن المعلوم ان وضع بناء يكون مقدارا رتفاعه في السماء
فرسخين كالمتعذر وبتقدير ان يحصل ذلك فانه لا يتفاوت قدر
السماء في الحس بسبب الصعود على اعلاه ومتى كان كذلك فالعاقل
العارف بهذا الامر كيف يليق به ان يبني الصرح حتى يصعد منه
والحجة الثانية ان الذي يقال انه رمى بنشابته الى السماء فرجع
ملطخا فقال قتلت اله موسى ايضا من السخف الذي لا يليق بالعقلاء
فكيف يليق بالعاقل ايصال السهم الى السماء وبتقدير ان يفعل
ذلك فكيف يمكنه ان يقتل آله موسى بهذا القدر من العمل

فلعل اله موسى كان مستترا بحجاب داخل السماء لا سبيل اليه
للتهم تعالى عن هذه الاوهام الفاسدة علوا كبيرا اما هذه الكلمات
فليست من احاديث العقلاء في شئ وانما هو من تخاريب اوباش الطغام
الذين غرضهم تشويش قلوب الاغبياء من المستمعين وكلام الله
منزه عنه وعن امثاله ويصير امثال هذه الترهات مشرعا قويا
لمن اراد الطعن في القرآن بل الصواب عندنا في تفسير هذه الآية
ان هذا الكلام من تتمة قوله ما علمت لكم من اله غيري وذلك
لان الرجل كان دهريا فقال لموسى عليه السلام هذا الاله الذي تدعي
وجوده غير مشاهد ولا محسوس ولا دليل ايضا على وجوده فانه
فانه يكفي لحدوث الحوادث الارضية حركات الاجرام الفلكية
واذا كان غير معلوم بالضرورة ولا بالدليل ايضا فكيف يمكن اثباته
فهذا هو مراده من قوله ما علمت لكم من اله غيري ثم قال عند هذا
الكلام على سبيل السخرية يا هامان ابن لي صرحا الاية ومثل
هذا الكلام لا يقال على سبيل التحقيق بل على سبيل الاستبعاد
وبيان انه لا سبيل اليه ونظيره قوله لمحمد عليه السلام فان
استطعت ان تبتغي نفقا في الارض وسلما في السماء فتاتيهم بآية
وليس المقصود بيان انه يجب ان يفعل ذلك حتى ياتيهم بآية بل الغرض
بيان انه لا سبيل الى ذلك فكذا في هذه الآية فهذا ما عندي
في تفسيرها والله اعلم بمراده المقدمة الثانية ان فرعون
وان كان من المنكرين لوجود الصانع باللسان لكن من الناس
من قال انه كان عارفا بقلبه بربه الا انه كان يظهر الانكار تكبرا

ويجترا وعنادا واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى قوله تعالى
حكاية عن موسى انه قال لفرعون لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب
السموات والارض فمن نصب لنا من علمت كان هذا خطابا من موسى
مع فرعون وهذا يدل على ان فرعون كان عارفا بربه الحجة الثانية
قوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وهذا
صريح في المطلوب الحجة الثالثة قوله في القصص في صفة
فرعون وقومه وظنوا انهم الينا لا يرجعون وهذا يوهم
انهم كانوا مقرين بالمبدء منكرين للمعاد الحجة الرابعة انه لما قال
فرعون وما رب العالمين قال موسى رب السموات والارض
فقال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون يعني انا اطلب
منه الماهية وهو يذكر ما يدل على الصفة الخارجة عن الماهية
فان الخالقية صفة خارجة عن الماهية وهذا يدل على ان فرعون
ما نازع في وجود الصانع بل كان يطلب منه الماهية الحجة الخامسة
قال فمن ربكما يا موسى فاجابه موسى بقوله ربنا الذي اعطى كل شئ
خلقه ثم هدى وقال اهل اللغة كلمة الذي تقتضي وصف المعارف
بمعلومة وهذا يدل على انه تقدم عند فرعون ان الخلق والهداية
لا بد لهما من قادر فاعل مختار الحجة السادسة قوله في الاعراف
ولما وقع عليهم الرجز الى قوله بني اسرائيل الاية فالقوم لما قالوا لموسى
ادع لنا ربك بكشف عنا الرجز دل على انهم كانوا معترفين بوجود
الاله سبحانه الحجة السابعة انا قد دللنا على ان فرعون كان
عاقلا والا لما حسن بعثه الرسول اليه وتوجه التكليف اليه

الشبكة الألوكة www.alukah.net

ولما كان من العقلاء شهد تغير احواله في نفسه وبدنه وفي بايه
واجداده بافتقاره الى صانع حكيم مدبر ولهذا قال تعالى ولئن
سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فهذا ما قيل في هذا
الباب وبالجملة كان كافرا عظيما لكفر سواء كان كفره بسبب الجهل
او بسبب العناد ولما فرغنا من هذه المقدمة فلنرجع الى المقصود
ونقول ان سؤال فرعون عن موسى في بيان اثبات الصانع كان
على وجهين احدهما انه سال عن الصانع بكلمة من والثاني انه سال
عنه بكلمة ما اما السؤال بكلمة من فهو قوله في طه قال فمن ربكما
يا موسى واما السؤال بكلمة ما فهو قوله تعالى في سورة الشعراء
حكاية عنه وما رب العالمين وقبل الخوض في التفسير لابد من بيان
الفرق بين السؤالين فنقول المطلوب من سؤال من التعيين الحاصل بسبب
الصفات العرضية يقال من هذا الرجل فنقول في جوابه انه فقيه
عزمي وما يجري مجرى هذه الصفات واما المطلوب بسؤال ما
فهو التعين الحاصل بسبب الماهية ومقدمات الحقيقة تقول
ما هذا الشيء فيكون جوابه انه جسم او جوهر او غير ذلك واذا عرفت
هذا فنقول علمنا بصفات الله من علمه وقدرته وارادته مقدم
على علمنا بحقيقة ذاته المخصوصة وكنه ماهيته وذلك لان
العلم بكنه الحقيقة اما ان لا يحصل البتة للبشر وان امكن حصوله
للبشر الا ان هذه المرتبة تكون متاخرة عن العلم بقدرته وعلمه
بل كنه حقيقته المخصوصة متقدم بالرتبة على صفاته لان الذات
موصوفة والموصوف متقدم بالمرتبة على الصفة الا ان المحكي عنه

في

في القرآن هو كيفية التوسل بالدلايل الى معرفة الله تعالى واذا كان
كذلك كان السؤال بمن متقدما على السؤال بما فلا جرم دعا الله هذا
الترتيب فذكر السؤال بمن في سورة طه وذكر السؤال بما في سورة
الشعراء وهذا سر عجيب ولنذكر البحث عن هذين الموضعين الموضع
الاول قوله في طه قال فمن ربكما يا موسى وفيه سؤالات الاول
لم قال فمن ربكما ولم يقل فمن الهكما الجواب لانه اثبت نفسه ربا
لموسى وهو قوله انا قد اوحي الينا ان العذاب على من كذب وتولى
فذكر ذلك التعجيز كانه قال
انا ربك فلم تدعي ربا اخر وهذا الكلام لا يشبه كلام نمرود وذلك
لان ابراهيم لما قال ربي الذي يحيي ويميت قال نمرود انا احيي واميت
ولم يكن الاحياء الذي ذكره شبيها بالاحياء الذي تمسك به ابراهيم
عليه السلام الا في اللفظ فكذا ههنا لما ادعى موسى عليه السلام
ربوبية الله عز وجل ذكر فرعون كونه ربا لموسى وما كان بين الربوبية
التي ذكرها موسى وبين الربوبية التي ذكرها فرعون مشابهة الا
في اللفظ السؤال الثاني ان فرعون طول المناظرة في سؤال ما ولم
يطول في سؤال من فما الفرق الجواب الفرق ما ذكرنا ان المطلوب في
سؤال من معرفة الصفات وهذا مقام واضح ليس فيه شيء من
المشابهات كما قال تعالى ولئن سالتهم من خلق السموات والارض
ليقولن الله فلا جرم ترك فرعون فيه التطويل اما المطلوب بسؤال ما
فهو كنه الماهية وذلك مقام صعب فلهذا السبب طول فيه المناظرة
السؤال الثالث ان فرعون قال بعد هذا الكلام فما بال القرون
الاولى واي تعلق لهذا الكلام بما قبله ثم ان موسى اجاب عنه بقوله

عليها عند ربي في كتاب الاية ثم عاد مرة اخرى الى ذكر الدلايل الدالة
على اثبات الصانع وهو قوله الذي جعل لكم الارض مهدا الاية فكيف
وقع ذلك الكلام الاجنبي في البين الجواب انا قد بينا ان الدلايل
الدالة على اثبات الصانع وقدرته وعلمه وحكمته في غاية القوة
والظهور ولا يمكن القاء شيء من الشكوك والشبهات فيه فلما طالبه
فرعون بسؤال لم كان جواب موسى في غاية الظهور وعجز فرعون
عن القاء الشكوك والشبهات فيه فاراد ان يصرفه عن ذلك الكلام
ويشغله بكلام اجنبي عنه كيلا يظهر قوة كلامه فساله عن تواريخ
المتقدمين فعرف موسى عليه السلام ان غرضه تشويش ذلك
الكلام عليه فلم يلتفت اليه بل دفعه بقوله قال علمها عند ربي
في كتاب الاية يعني لا فايدة لنا في هذا السؤال والجواب ثم رجع
الى تقرير كلامه الاول فقال الذي جعل لكم الارض مهدا فتامل
همنا في سعي المبطلين في اخفاء الحق وانظر الى قوة قلب المحققين
وعدم التفاتهم الى لغوهم وجهلهم ومن تصفح علم ان كل اية
من هذا الكتاب الكريم معجز ظاهر فضلا عن كل هذا الكتاب السؤال
الرابع ما وجه دلالة قوله ربنا الذي اعطى كل شيء خلقه ثم هدى
على وجود الصانع والجواب اعلم ان هذا هو الدليل الذي حكاه الله
تعالى عن ابرهيم في قوله الذي خلقني فهو يهدين وهو الذي ذكره
الله تعالى لمحمد عليه السلام في سبح اسم ربك الاعلى الذي خلق فسوى
والذي قدر فهدى وتقرير هذا الدليل على سبيل التفصيل ان الخلق
عبارة عن تركيب القوالب والابدان والهداية عبارة عن ابداع القوى

المدركة

المدركة والمحركة في تلك الابدان وخلق جوهر الابدان متقدم
على ابداع القوى فيها ولذلك قال تعالى فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فالتسوية للقالب ونفخ الروح عبارة عن ابداع القوى
فيه وقال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم قوله
خلقا اخر فظهر ان الخلق يتقدم على الهداية فلهذا المعنى قدم الله
الخلق في الذكر على الهداية ثم اعلم انا نشرع في شرح عجايب
حكمة الله تعالى في الخلق والهداية شروع في بحر لا ساحل له ومن
اراد تصنيفا مشتملا على جميع تلك الوجوه فذلك التصنيف هو بجميع
عالم الاجسام والارواح اما عالم الاجسام فخذ من على سطح العرش
الى اسفل سطح الثرى وغض بفكرك في كل ذرة من ذراتها فانك تجد
تلك الذرة في دلالته على كمال قدرة الله وحكمته بحرا لا ساحل له
فمن الذي يمكنه ان يعرف كيفية تخليقه لبدن البعوضة وتركيب
اعضايها وتاليف بعاضها وتاليف العظام والعروق والاعصاب
ونفخ الروح فيها وابداع الحواس الخمسة والذهن والتميز فيها واذا
عجز عقلك عن معرفة البعوضة فاين انت من معرفة حكمة الخالق
والهداية في اجزاء السموات والارضين وقال تعالى لخلق السموات
والارض اكبر من خلق الناس ثم اذا عرفت ضعف عقلك في عالم
الاجسام فانتقل منه الى عالم الارواح واعلم ان عالم الاجسام
في عالم الارواح كالقطرة في البحر فكيف يمكنك تفاصيل عالم
الارواح مع انك عاجز عن معرفة روحك حيث قال وما اوتيتم
من العلم الا قليلا فعند هذا تشاهد عجزك وقصورك عن معرفة

الألوكة
www.alukah.net

اقل الاشياء وعن الاحاطة باقل شاهد من شواهد جلال الله
ودلايل قدسه وعزته وهذا آخر مقام الصديقين كما قال ولو
ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر
ما نفدت كلمات الله وان اردت امثلة هذا المعنى فتامل في الابواب
المتقدمة المشتملة على عجايب خلق السموات والارضين والحيوان
والنبات اما الموضع الثاني وهو السؤال بما على ما ذكره الله تعالى
في سورة الشعراء وفيه اسرار واعلم ان هذا البحث لا يمكن الا
بتقديم مقدمة عقلية وهي انه اذا كانت حقيقة من الحقايق
مجهولة فتعريفها اما ان يكون بنفسها او بما يكون داخلا فيها
ومقوما لها او بما يكون خارجا عنها ولاحقا بها او بما يتركب
عن القسمين اعني الامور الداخلة والخارجة اما تعريفها بنفسها
فمحال لان المعرف معلوم قبل المعرف فتعريف الشيء بنفسه
يقتضي تقدم الشيء على نفسه وهو محال واما تعريف تلك الحقيقة
بالامور الداخلة في قوام الماهية فهذا في حق واجب الوجود محال
لوجهين الاول ان هذا انما يتاتى في الحقيقة التي تكون مركبة
من اجزاء وذلك في حق واجب الوجود محال لان كل مركب فهو محتاج
الى كل واحد من اجزايه وكل واحد من اجزايه غيره فكل مركب فهو مفتقر
الى غيره وكل مفتقر الى غيره فهو ممكن لذاته فما ليس بممكن لذاته فهو
غير مركب من الاجزاء واذا لم يكن مركبا من الاجزاء فانه يمتنع
تعريفه باجزايه والثاني ان بتقدير ان يكون واجب الوجود
مركبا من الاجزاء الا ان اجزاء ماهيته غير معلومة فيمتنع تعريفه

باجزايه

باجزايه ولما ثبت فساد هذين القسمين ثبت انه لا يمكن تعريف
واجب الوجود الا بلوازمه واثاره ثم ان تلك اللوازم والآثار
قد يكون خفية وقد يكون جلية ولا يجوز تعريف الحقايق
باللوازم الخفية بل لا بد من تعريفها باللوازم الجلية واظهر الآثار
واجب الوجود ونتايج قدرته وحكمته هو هذا العالم المحسوس
وهو السموات والارض وما بينهما واذا عرفت هذه المقدمة
فنقول ان فرعون لما سأل بسؤال من في قوله فمن ربكما يا موسى
ووجد كلام موسى في غاية القوة عدل عن ذلك السؤال الى سؤال آخر
وهو المسؤل بما لان الجواب عن هذا السؤال في غاية الصعوبة
وبه يمكن القاء الشبهات فيه فقال وما رب العالمين قال رب
السموات والارض وما بينكما ان كنتم موقنين والمعنى انكم لما
سلمتم في الجواب عن السؤال الاول وهو السؤال بلفظه من وجوب
انتهاء هذه المحسوسات الى موجود واجب الوجود لذاته فثبت
ان واجب الوجود لذاته فرد مطلق منزه عن الكثرة في حقيقته
وماهيته وثبت ان الفرد المطلق المنزه عن الكثرة من جميع الوجوه
لا يمكن تعريف حقيقته الا بذكر لوازمه وآثاره الظاهرة الجلية
وثبت ان اظهر آثار واجب الوجود لذاته هذا العالم المحسوس
ثبت انه لا يمكن تعريف حقيقته وذاته المخصوصة الا بذكر انه
خالق لهذه السموات والارضين فقوله ان كنتم موقنين معناه
ان كنتم موقنين بحقيقة هذه المقدمات فاعلموا انه لا جواب
لسؤالكم الا هذا الذي ذكرت ولما ذكر موسى عليه السلام هذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

هذا الجواب الحق قال فرعون لمن حوله الا تستمعون اظهر التعجب
من كلام موسى يعني انا اطلب الجواب الدال على الماهية وهو يذكر
الجواب الدال على الصفة وهو جواب لسؤال بمن وانا اطلبه
جواب السؤال بما فاين احدهما عن الاخر وتمام الاشكال ان تعريف
الماهية بلوازمها لا يفيد الا بعد معرفة نفس تلك الماهية لانا
اذا قلنا في تعريف شيء انه الذي يلزمه اللازم الفلاني فهذا يتوجه
عليه سؤال وهو ان تلك الحقيقة هل هي معلومة ام لا فان
كانت معلومة فلا حاجة الى تعريفها بذكر هذا اللازم وان لم
تكن معلومة فكيف يعلم انها يلزمها هذا اللازم لان قولنا
يلزمها هذا اللازم تصديق والتصديق مسبوق بالتصور فلو
كان التصور مستفادا من هذا التصديق لزم الدور فثبت ان
قوله رب السموات والارض لا يصح جوابا عن قوله وما رب العالمين
فعند هذا اجاب موسى عليه السلام بقوله ربكم ورب آبائكم
الاولين فكانه عدل عن تعريف تلك الحقيقة بحالقية السماء
والارض الى تعريفها بكونه خالقا لنا ولآبائنا وذلك لانه لا يمتنع
ان يعتقد احد ان السموات والارض واجبة لذاتها فهي غنية
عن الخالق الموجد الا ان يظهر فساد هذا الاعتقاد بالبرهان ولكنه
لا يمكن ان يعتقد احد في نفسه وفي آبائه واجداده كونهم واجبة
الوجود لذاتها لان المشاهدة دلت على انهم وجدوا بعد العدم
وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك كان ممكنا محدثا فيظهر
جدا افتقاره الى المرجح والموجد فلهذا السبب عدل موسى عليه السلام

عن

عن الكلام الاول الى هذا الكلام فعند هذا قال فرعون ان رسولكم
الذي ارسل اليكم لمجنون والمعنى انه رسالته عن الماهية فاجاب
بذكر الصفة فلما انكرت عليه هذا الجواب ذكر جوابا مثل الجواب
الاول فان المذكور في الجوابين هو صفة الخالقية وذكر الصفة
لا يصلح جوابا عن سؤال الطالب للماهية فهذا مجنون بحيث
لا يفهم السؤال بعد التكرير عليه مرة بعد اخرى قال موسى رب
المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون فعدل الى طريق
آخر اوضح مما تقدم وذلك لان الجواب الاول اشارة الى دلايل
الآفاق والجواب الثاني اشارة الى دلايل الانفس وهذا الجواب
الثالث مركب من دلايل الآفاق والانفس معا لان قوله رب
المشرق والمغرب اشارة الى دلايل الآفاق وقوله وما بينهما
اشارة الى دلايل الانفس فاذا تاملت فيه علمت ان موسى عليه السلام
لم يترك في عالم المحسوسات شيئا يدل على الله الا وقد ذكره لان
دلالة عالم المحسوسات شيئا يدل على الله الا وقد ذكره لان
دلالة عالم المحسوسات على الله تعالى اما من الآفاق واما من الانفس
او منهما معا واعلم انا اردنا بالمشرق طلوع الشمس وظهور النهار
وبالمغرب غروب الشمس وظهور الليل والامر ظاهر في ان هذا
التدبير المحكم العجيب لا يحصل الا بتدبير مدبر قاهر حكيم سبحانه
وهذا بعينه طريقة ابرهيم عليه السلام مع نمرود فانه قال
ربي الذي يحيي ويميت وهو الذي قاله موسى عليه السلام
في قوله ربكم ورب آبائكم الاولين ثم لما طالب نمرود بتمام الدلالة

قال ابرهيم فان الله ياتى بالشمس من المشرق فات بها من المغرب
وهو عين قول موسى عليه السلام رب المشرق والمغرب وما بينهما
واعلم ان موسى انما قال ههنا ان كنتم تعقلون لانه لما ثبت بالبرهان
القاهر انه لا يمكن تعريف الحقيقة بنفسها ولا يمكن تعريف حقيقة
واجب الوجود باجزايه ولما ثبت انه فرد صمد منزه عن التركيب ولا
يمكن ايضا تعريفه بما يتركب عن الداخل والخارج لانه يقتضى كون
تلك الماهية مركبة ولما بطلت هذه الاقسام الثلثة لم يبق طريق الى
تعريف تلك الحقيقة الا بذكر لوازمها وآثارها الظاهرة فكانه عليه السلام
قال ان كنتم من العقلاء وممن يفهم الكلام ويميز بين الحق والباطل
فاعلموا انه لا سبيل الى تعريف حقيقة الا بهذا الطريق الذى ذكرت
وهذا اخر هذه المناظرة وهو فى غاية الشرف والجلالة واعلم ان من
فوايد هذه المناظرة انها تدل على انه تعالى ليس جسم ولا متحيز ولا
متشكل لانه لو كان كذلك لكان الجواب الكاشف عن الماهية ممكنا
فرعون حقا ولما كان القول بذلك باطلا علمنا انه منزه عن الجسمية
والجوهرية والحيز وبالله التوفيق ولما كان ختم هذه المناظرة على
التمسك بشروق الكواكب وغروبها فلنذكر ههنا كيفية هذه الدلالة

الفصل الثامن فى شرح كيفية دلالة الشروق والغروب
على وجود الصانع الحكيم اعلم انه ذكر كيفية الشروق والغروب
فى ايات احدها انه ذكر بلفظ الواحد فقال رب المشرق والمغرب
وثانيها انه ذكر بلفظ التثنية فقال رب المشرقين ورب المغربين
وثالثها ذكر بلفظ الجمع فقال رب المشارق والمغارب ومنها انه

تعالى عبر عن الشروق والغروب بعبارة اخرى فقال والليل اذا
عسعس والصبح اذا تنفس وقال فى سورة الفلق قل اعوذ برب
الفلق وهو اشارة الى زمان الطلوع ثم قال ومن شر غاسق اذا وقب
وهو اشارة الى زمان الغروب ومنها انه تعالى خص اول زمان الطلوع
بالذكر فقال فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا الاية وخص اخر زمان
الغروب بالذكر فقال والنجم اذا هوى قال ابرهيم عليه السلام
لا احب الآفلين وههنا مباحث البحث الاول وهو ان الطلوع
والغروب حالتان عجيبتان يدلان على الافتقار الى الخالق المدبر
الحكيم وذلك لانا اذا نظرنا الى الكوكب اول طلوعه من افق المشرق
فانه يطلع مستنيرا متلالا مثل النار ليس فى نوره كدورة ولا غيرة
ولا اظلمة واذا نظرنا اليه وهو فى افق المغرب نراه قد ذهب نوره
ورونقه حتى ان الشمس مع عظيم جرمها وكمال نورها اذا قربت
من الغروب فانه يذهب نورها ورونقها واذا اعتبرنا هذه الاحوال
علمنا ان اول طلوع الكوكب يشبه ولادة الجنين ولذلك ان اهل
النجوم جعلوا الدرجة الطالعة من الفلك دليل الجنوة قالوا كما ان
المولود ظهر فى هذا العالم بعد ان كان غير ظاهر كذلك ظهرت هذه الدرجة
فى تلك الساعة بعد ان كانت غير ظاهرة فلما حصلت المشابهة
بينهما من هذا الوجه حصلت تلك الدرجة دليلا على حيوته ثم ان
الكوكب بعد طلوعه يزداد كل لحظة تصاعدا وقوة ونورا واستعلاء
وكمالا ولا يزال كذلك الى ان يقرب من وسط السماء والى هذا الوقت
يشبه حاله حال الآدمى فى زمان النشو والنماء ثم اذا قربت الشمس

من وسط السماء فهنالك تبقى زمانا على حالة واحدة لا يشاهد
فيها اثرا لارتفاع ولا اثرا لانخفاض وهذه الحالة من الشمس
وسايرالكواكب يشبه حال الانسان في زمان الشباب ومدة
الوقوف وهي المدة التي لا يظهر فيها زيادة ولا نقصان ثم ان الشمس
والكواكب بعد ذلك يقع في الربع الغربي من الفلك ولا يزال اخذ
الانحطاط قليلا قليلا الا انه لا يظهر بسبب ذلك الانحطاط نقصان
في نورها وقوتها وحرارتها وهذه الحالة من الكواكب يشبه حال
الانسان في سن الكهولة وآخر هذا الوقت هو اول وقت العصر
ثم من بعد صلوة العصر يأخذ قوة الشمس في النقصان ظاهرا والانحطاط
البين فينتقص نوره ويقل ضوءه ويعظم امتداد ظله ولا يزال يتزايد
هذه النقصانات الى ان وصل الكوكب الى افق المغرب وهذه الحالة
من الشمس والكواكب يشبه حالة الانسان في سن الشيخوخة واما
غروبها في افق المغرب فلا يكون الا بعد ذهاب نورها واصفرار لونها
ونقصان قوتها وارتعاش ذاتها وسقوطها في النظر على وجه الارض
ثم انها تغرب فتصير كانها فنت بطلت وهذه الحالة يشبه حال الانسان
عند الموت فانه اولا يذهب نور وجهه ويبطل حسن صورته ويصفر
لونه ويضعف قواه ويأخذ الارتعاش والضعف ثم يسقط
على وجه الفراش بحيث لا يمكنه ان يرفع راسه ثم انه بعد ذلك
يموت فهذه الاحوال الاربعة للشمس والقمر وسايرالكواكب يشبه
الاحوال الاربعة لكل حيوان ونبات اعني سن النمو والوقوف
والكهولة والشيخوخة ثم حصول الموت بعد ذلك ثم ان الشمس

اذا غربت بقيت اثارها في افق المغرب وهو الشفق ثم بعد ذلك
يزول ذلك الشفق ولا يبقى في هذا العالم من اثار الشمس شيء البتة
وهذا يشبه ان الانسان اذا مات بقي بعد موته ذكره واثاره
اياما قليلة ثم انه يبطل ذلك الذكر وتلك الاثار ولا يبقى في الدنيا
منه اثر ولا خبر فهذه الاحوال الخمسة للشمس يشبه الاحوال
الخمسة للانسان فلهذا السبب اوجب الشارع الحكيم الصلوة
الخمسة في هذه الاوقات الخمسة فما احسن هذا الترتيب وما
اشد مطابقة الحكمة الشرعية النبوية للحكمة العرشية
الروحانية واعلم انك متى تاملت في جميع الاجرام العلوية والسفلية
والابداعية والعنصرية ظهر لكل عاقل انها عند الشروق
والتصاعد اخذت في الكمال بعد ان كانت ناقصة وعند الاخضرار
من وسط السماء الى نهاية الغروب اخذت في النقصان بعد ان كانت
كاملة وتوارد هذه النقصانات بعد الكمالات والكمالات بعد
النقصانات على سبيل الدوام والاستمرار تدل على انه ليست كمالاتها
لها بذاتها ولا نقصاناتها لها من نفسها بل هي تحت تسخير مسخر
وتدبير مدبر قاهر يتصرف فيها بقدرته ويجريها على حسب ارادته
ومشيته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين البحث الثاني
في الشروق والغروب وهو ان حال ما يأخذ ذلك الكوكب في الغروب
ترى كوكبا آخر في مقابلته من افق الشرق اخذا في الطلوع وترى
كوكبا آخر قد طلع وهو آخذ في الارتفاع والتصاعد وكوكبا آخر
قد بلغ وسط السماء وكوكبا آخر قد بلغ في الربع الغربي وقرب من الغروب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واذا اعتبرت هذه الاحوال تريها مشابهة لاحوال الخلق في
هذا العالم فانسان يموت يولد وثالث في تلك الساعة يكون
طفلا ورابع شاب وخامس كهل وسادس شيخ وكما ان كواكب
السماء مختلفة الاحوال فبعضها سعد وبعضها نحس وبعضها
قوى النور وبعضها ضعيف النور وبعضها قريب من وسط الفلك
وبعضها واقع في طرف الفلك وبعضها في الشرف وبعضها في الوبال
والهبوط والخلو عن الخطوط فكذلك ترى اشخاص هذا العالم بعضهم
في السعادة وبعضهم في النحوسة وبعضهم في الغنى وبعضهم في الفقر
وكذا القول في الدولة والعلو والذلة والسقوط وكما ان مدبر
العالم العلوي دبر نظام تلك الكواكب مع اختلافها في الطلوع
والغروب والنورانية والضعف من غير ان يختل شيء من احوالها
دبر احوال اشخاص العالم السفلي مع اختلافهم في السعادة والشقاوة
والغنى والفقر وعند هذا يلوح لكل شخص من اسرار قوله كل يوم هو
في شان وقوله لا يشغله شان عن شان وقوله يدبر الامر من السماء
الى الارض ثم يعرج اليه الآية وتمام الكلام في هذه المباحث العميقة
ما اليه الاشارة بقوله ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل والنهار يطلبه حثيثا
والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره اشارة الى ما ذكرنا من كيفية
التسخير والتدبير وقوله الا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين
فيه سر عجيب وحكمة عالية وهي انك لما شاهدت في اجزاء السموات
والارض والكواكب آثار التسخير والتدبير يقع في قلبك ان تعرف

وجه الحكمة في كل واحد منها على سبيل التفصيل فحينئذ يقال لك
قف في درجتك ولا تتعد طورك ولا يليق عقلك في بحر الاسرار
ولا يتكلف نفسك صعود جبل لا نهاية له ولا تطمع في الوصول
الى ما فوق فهمك ووهمك وعقلك وروحك فانك لست من
رجال هذه الاسرار ولا في حد عقلك قوة الاطلاع على هذه
الانوار ولكن اعترف لنفسك بالعجز والذلة والقصور بخالق
هذه الموجودات على سبيل الاجمال بغاية الجلالة ونهاية الكبرياء
وقل لا اله الخلق والامر والحكمة والعزة والعلو والسلطان
والكبرياء تبارك الله رب العالمين ومدبر الاجساد والارواح
والعلويات والسفليات اجمعين ثم اذا تركت الخوض في ذلك
التفصيل واعترفت بهذا التعظيم على سبيل الاجمال فعند هذه
الحالة ارجع الى نفسك واعترف بحال عجزك وقصورك واشتغل
بالدعاء والتضرع فهنا غاية درجات الصديقين ونهاية خطرات
افكار العارفين وليس وراءها للعقول مطال ولا للافكار مجال
واليه الاشارة بقوله تعالى في اخر هذه الآية ادعوا ربكم تضرعا
وخفية فما اجل هذه التلويحات التي اشتمل عليها القرآن العظيم
وما اشرف هذه الرموز الحاصلة في مطاوي آيات الذكر الحكيم فوالله
الذي لا اله الا هو انه لا يخطر ببال هذا المسكين الكاتب لهذا الكتاب
ولا يدور في خياله طريق احسن ولا انفع ولا اجذب للارواح
البشرية والعقول الانسانية الى حضرة القدس الاحد الصمد
من هذه البيانات الالهية والاسرار العلوية ونظير هذه الآية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قوله في آخر آل عمران ان في خلق السموات والارض الى قوله فقنا
عذاب النار وقوله ويتفكرون في خلق السموات والارض اشارة
الى وقوع العقل في هذا البحر لا ساحل له وقوله ربنا ما خلقت
هذا باطلا اشارة الى منع العقل من طلب هذه التفاصيل فيجب ان
يقتصر على الثناء المجمل والتعظيم المجمل وقوله فقنا عذاب النار
اشارة الى الاشتغال بالدعاء والتضرع عقيب هذه الحالة البحث
الثالث في الاستدلال بكيفية الطلوع والغروب على وجود الخالق
المدبر اعلم ان التعبير عن المشرق والمغرب بلفظ الوحدان اشارة
الى مشرق الشمس ومغربها واما قوله رب المشرقين ورب المغربين
فالمراد طلوع الشمس والقمر وغروبهما واما قوله رب المشارق
والمغارب ففيه قولان الاول ان المراد منها طلوع الشمس والقمر
والنجوم والثاني المراد منها مطالع الشمس ومغاربها وذلك لان
الشمس من اول اليوم الذي يكون في النقطة الاولى من السرطان
وهو اليوم الاول من الصيف الى ان تحصل في النقطة الاولى من الجدي
وهو اليوم الاول من الشتاء ومجموعه ستة اشهر تطلع الشمس
كل يوم من مطلع آخر وذلك مائة وثمانون مطلعا ثم انها من اول
الشتاء الى اول الصيف وهو ايضا ستة اشهر ترجع فتطلع
من تلك المطالع باعيانها ولما كان للشمس مائة وثمانون مشرقا
ومائة وثمانون مغربا كان المراد من قوله رب المشارق و
المغارب واذا عرفت هذا فنقول الاستدلال باحوال المشارق
والمغارب على الخالق المدبر الحكيم في غاية الظهور وذلك لان

هذه

هذه الاجسام الفلكية والاجرام الكوكبية لا يمكن ان يكون
حركاتها لنفس طبايعها ويدل عليه وجوه الاول ان الاجسام
متساوية في الجسمية وتمام الماهية وحكم الاشياء المتساوية
في الذات وتمام الماهية التساوي في اللوازم والاحكام واذا كان
كذلك فكل ما صح على واحد منها صح على الباقي واذا كان كذلك كان
اختصاص كل فلك وكوكب بطبعه وحيزه وشكله وحركته لا بد
وان يكون لاجل القادر المختار الحجة الثانية ان الشيء الذي
يكون مهروبا عنه بحكم الطبيعة يمتنع ان يكون مطلوبا بمقتضى
نفس تلك الطبيعة وههنا الاجرام الفلكية متحركة بالاستدارة
وكل ما كان متحركا بالاستدارة فان كل نقطة نفرض كونها مهروبا
عنها فان الهرب عنها هو نفس طلبها ونفس التوجه اليها فثبت ان هذه
الحركات ليست بالطبيعة الحجة الثالثة لو كانت هذه الحركات
طبيعية لوجب ان يكون شروقها وغروبها على نهج واحد وطريقة
واحدة لان ما يكون من توابع الطبيعة وجب بقاؤها وعدم تغيرها
لكنا بينا ان الشمس تطلع كل يوم من مشرق آخر وتغرب في مغرب آخر فثبت
بهذه الدلايل ان حركات هذه الافلاك ليست لها من ذواتها وطبايعها
فلا بد وان يكون بتدبير مدبر وتقدير مقدر وقاهر يحركها على حسب
مشيته ومقتضى ارادته فتبارك الله رب العالمين فان قيل
لم لا يقال ان حركاتها بسبب انها احيا بختارة قلنا هب ان الامر
كذلك الا ان على هذا التقدير يكون كل واحد منها مخصوصا باختيار
خاص وارادة خاصة فيعود طلب العلة لذلك الاختصاص ولا ينقطع

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الطلبات ولا تزول الحاجات الا عند الانتهاء الى القضاء الالهى
والتقدير الازلى السرمدى تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا
ومن الايات الواردة فى هذا الجنس من الكلام قوله تعالى فلا اقسم
بالخنس الجوار الكنس الآية والخنس جمع خانس والخنوس الانقباض
والاستخفاء يقال خنس من بين القوم وفى الحديث الشيطان يوسوس
الى العبد فاذا ذكر الله خنس اى انقبض منه فلذلك يسمى الخناس والكنس
جمع كانس وكانسة يقال كنس اذا دخل الكناس وهو مقر الوحش يقال
كنست الظبا اذا دخلت كناسها وتكنست المرأة الكنيسة اذا دخلت
عودجها يشبه بالظباء اذا دخل الكناس واذا ثبت هذا فنقول
المعتبرون من المفسرين ذكروا فى الخنوس والكنوس وجهين الاول
ان ذلك اشارة الى رجوع الكواكب السبعة واستقامتها فرجوعها
هو الخنوس وكنوسها احتفاؤها تحت ضوء الشمس ولا شك ان هذه
حالة عجيبة وفيها اسرار عظيمة باهرة ولهذا المعنى اقسم الله بها والقول
الثانى ما روى عن على رضى الله عنه واختاره مقاتل وقتادة انها
هى جميع الكواكب وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر فى النهار
وكنوسها عبارة عن ظهورها للبصر فى الليل وعندى فيه وجه ثالث
وهو ان هذه الكواكب السبعة السيارة يختلف مطالعها ومغاربها
على ما قررناه وشرحناه ولا شك ان لها مطلعا واحدا ومغربا
واحدا وهما اقرب المشارق والمغارب الى سمت رؤسنا انها تأخذ
فى التباعد عن ذلك المطلع الى سائر المطالع حتى تصل الى غاية بعدها
عن سمت رؤسنا فخنوسها عبارة عن تباعدها عن هذا المطلع الذى

هو

هو اقرب المطالع الى سمت الراس وكنوسها عبارة عن عودها اليه
فعلى التفسير الاول يكون القسم واقعا بالخمسة المتحيرة وعلى
القول الذى ذكره امير المؤمنين رضى الله عنه يكون القسم واقعا
بجميع الكواكب سواء كانت من السيارات او من الثوابت واعلم
انه تعالى لما اقسم بهذا دل ذلك على اختصاص الكواكب باسرار عجيبة
واحوال شريفة لا تصل العقول البشرية اليها على ما حققنا الكلام
فيه فى تفسير قوله الذين يذكرون الله قياما وقعودا الى قوله
فقنا عذاب النار ومما يدل انه تعالى ابتدأ من اعمال الصديقين
بالذكر فقال الذين يذكرون الله قياما وقعودا ثم انهم يصلون
من الذكر الى الفكر واليه الاشارة بقوله ويتفكرون فى خلق
السموات والارض وههنا اشكال وهو انه تعالى قال فى الذكر
الذين يذكرون الله فجعل الذكر المعتبر اللائق بهذا المقام ذكر الله
لا ذكر غيره ثم جعل نهاية هذا الذكر الفكر فكان يجب ان يكون
هذا الفكر هو الفكر فى الله لكنه لم يقل ذلك بل جعل الفكر اللائق
بهذا المقام الفكر فى خلق السموات والارض وهذا اشتغال
بغير الله فكيف يعقل ان يجعل ذكر الله اولا ومبدأ والفكر فى غير
الله غاية وكمالا والجواب انا بينا فى مناظرة موسى مع فرعون
ان الفكر فى الله ممنوع ولانه لا يمكن التوصل الى جلال الله وعظمته
الا بالنظر فى مخلوقاته ومبدعاته وهذا متأكد بقوله تفكروا
فى الخلق ولا تفكروا فى الخالق ولما كان اشرف مخلوقاته المحسوسة
هو عالم السموات والارض كما قال لخلق السموات والارض اكبر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من خلق الناس لاجرم جعل الغاية القصوى كنه افكار المقربين
ونهاية العظمى لغاية انظارهم ان يتفكروا فى عجايب خلق السموات
والارض ثم انا بينا فيما قبل ان الخاطر اذا وقع فى هذا الموضع
كان الاولى ردعه عنها ومنعه عن الخوض فيها والاقتصار
على الثناء البهى والتعظيم كما فى قوله فى الاعراف والشمس والقمر
والنجوم مسخرات بامره ثم قال بعده الا له الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين وهذا هو الثناء ثم قال بعده ادعوا ربكم تضرعا
وخفية وهذا الدعاء وقال فى آل عمران ويتفكرون فى خلق
السموات والارض ثم قال بعده ربنا ما خلقت هذا باطلا
سبحانك فهذا هو الثناء ثم قال فقنا عذاب النار وهذا هو
الدعاء فهذه الدرة التى وجدناها فى قعر بحر القران وهى اشرف
المطالب واعظم الرغايب وما ذاك الا بتوفيقه وهدايته
وما هو الا من فضل ربى ليبلونى اشكر ام اكفر فيا رب الارباب
واله الالهة زدنا من فضلك واحسانك يا ارحم الراحمين امتا
قوله والليل اذا عسعس قال اهل اللغة عسعس من الاضداد
يقال عسعس الليل اذا اقبل وعسعس اذا ادبر ثم منهم من قال المراد
ههنا اقبل الليل لان على هذا التقدير يكون القسم واقعا باقبال
الليل وهو قوله والليل اذا عسعس وادبارها وهو قوله والصبح
اذا تنفس اى اشتد ضوءه وتكامل فقوله والليل اذا عسعس اشارة
الى اول طلوع الشمس وقوله والصبح اذا تنفس اشارة الى تكامل طلوع
الصبح ونظيره قوله والليل اذا ادبر والصبح اذا اسفر اما قوله

والصبح اذا تنفس اى اذا اسفر وهو كقوله والصبح اذا اسفر
ثم فى كيفية التشبيه قولان احدهما اذا اقبل الصبح اقبل باقباله
روح ونسيم فجعل ذلك تنفسا له على المجاز والثانى انه شبه
الليل المظلم بالمكروب المحزون الذى جلس بحيث لا تحرك واجتمع
الحزن فى قلبه فاذا تنفس وجد راحة فههنا لاطلع الصبح فكانه
تخلص من ذلك الحزن فعبر عنه بالتنفس واعلم ان فى طلوع
الشمس وغروبها احوالا عجيبة فالاول ان طلوع الشمس يشبه
بتكوين العالم وتخليقه فى اول وقت كن فيكون وغروبها يشبه
بتخريب العالم عند قيام القيامة وتقرير هذا التشبيه ان الظلمة
صفة عدمية فهى شديدة المناسبة للعدم الاصلى المستمر
من الازل الى وقت حدوث العالم وكما ان فى الليل تكون الظلمة
مستقرة فى جميع اقطار السموات واكناف الارض فكذلك كانت
ظلمة العدم مستقرة مستمرة من الازل الى الابد فما كان هناك
لوح ولا قلم ولا انوار ولا اظلم ولا سماء ولا ارض ولا طول ولا عرض
ولا ذوات ولا صفات بل كان الله ولم يكن معه شئ غيره وكما ان
فى آخر الليل ينفلق بحر الظلمات بخر النور ويكون ذلك النور محفوفا
بالظلمات التى لاحقتها فكذلك ظهر فى اخر ليل الازل نور من نور
ايجاد الله وتكوينه وهذه المخلوقات متناهية والممكنات
الباقية على العدم غير متناهية والمتناهى بالنسبة الى غير المتناهى
قليل من كثير فهذه الحالة شبيهة بظهور نور الصبح فى بحار ظلمات
الليل واذا عرفت هذا ظهر ان طلوع النور مسبوق بتراكم ظلمات العدم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وظهر ايضا ان الانوار الساطعة على الممكنات من الوجود اقل من الممكنات
الباقية في ظلمات العدم لاحرم قدم الله تعالى ذكر الظلمات على النور
وعبر عن الظلمات بلفظ الجمع وعن النور بلفظ المفرد فقال
الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور
فتامل في هذه الاسرار فهذا حال تشبيه طلوع الصبح بطلوع
صبح الايجاد والتكوين من مشرق احسان الله وفضله واحسانه
وعنايته البحث الثاني ان غروب الشمس في آخرانها رشديد النسبة
بامانة جميع الاحياء وقت قيام القيامة وبقاء الخلق جامدين ليس
لهم حس ولا حركة وسكونهم في الليل يشبه بقاء الخلق في ما بين
النفختين على العدم المحض ثم انتباه الخلق في وقت الصبح يشبه قيام
الخلق عند النشر والبعث وتقرير هذا الكلام هو ان النفخ في الصور
يحصل ثلث مرات اولها نفخة الفزع قال الله تعالى في سورة النمل
ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات الاية والثانية
نفخة الصعقة والثالثة نفخة الاحياء قال الله تعالى في الزمر
ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وهذه الاحوال الثلثة
بعينها موجودة في الشمس وذلك لان غروبها في المغرب يشبه نفخة
الفزع فان الشمس اذا غربت في مغربها استولى الخوف والفزع
على الحيوانات ويتوجه كل واحد منها الى ماواه ومسكنه ثم اذا
غرب الشفق بالكلية فذلك يشبه نفخة الصعق وهناك يسكن
كل حيوان وينام ويصير الكل خامدا فكانه صار ميتا او صار معدوما

الا من شاء الله من الحيوانات التي لا تنام وهذا الاستثناء المذكور
حاصل في الآية ههنا ايضا واما طلوع الصبح فذلك يشبه نفخة
البعث والاحياء وذلك لان الشمس اذا قربت من مشرقها فكانها
ينفخ روح النور في اموات عالم الظلمات وهكذا ايضا حال
النفخة الثالثة لاسرافيل عليه السلام فانه يصل من قوة تلك
النفخة اثر الحيوة الى جميع الاموات واعلم ان مشاهدة هذه الاحوال
الثلثة في الشمس من اقوى الدلايل على صحة هذه الاحوال الثلثة
في يوم البعث وزمان القيمة وذلك لان الارواح اعظم واقوى
من الاجسام فاذا لم يبعد ان يكون في عالم الاجسام من مخلوقات
الله تعالى ملك يكون له هذه التاثيرات الثلثة وعند هذه
الاعتبارات يظهر صدق اقاويل الانبياء فيما اخبروا عنه من
معرفة المبداء ومعرفة المعاد اما معرفة المبداء فهو ان عالم الاجسام
مع ملكها وهو الشمس وعالم الارواح مع ملكها وهو اسرافيل
كلهم مسخرون تحت سرادقات العزة وعتبات الالهية واما معرفة
المعاد فهو قياس عالم الارواح الى عالم الاجسام فكما ان كواكب السماء
مختلفة بالعظم والصغر والكمال والضعف وكان الشمس كالسلطان
لها باسرها وهي مع وجدتها مستولية على الكواكب كلها والكل
مقهورون تحت صولته محفون تحت شروق نوره كذلك يجب ان
يكون في عالم الارواح شئ يكون كالسلطان لجميع الارواح ويكون
الكل تحت رايته ومقهورين تحت جلالته واليه الاشارة بقوله
يوم يقوم الروح والملايكة صفا وهو المسمى بيمين رب العزة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في قوله والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات
بيمينه ثم قد شهدت الفطرة السليمة ان الارواح كالمبدإ
والاجسام كالمظهر فكل واحد من الارواح والاجسام مفتقر
بعضها الى البعض واحتياج بعضها الى البعض من اصدق الشواهد
واظهر الدلايل على افتقار الارواح والاجسام والانوار والظلمات
بسبب زوجيتها الى الفرد الاحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد واليه الاشارة بقوله سبحانه ومن كل شيء
خلقنا زوجين فثبت بما ذكرنا ان التامل في كيفية طلوع الشمس
وغروبها مفتاح عظيم لايضاح انوار عالم القدس وتجلي اضوا
سرادقات الجلال وبالله التوفيق **الفصل التاسع**
في كيفية الاستدلال باحوال اختلاف الليل والنهار على وجود
الصانع الحكيم سبحانه اعلم ان الايات الدالة على هذا النوع من البحث
نوعان احدهما الايات الدالة على تعظيم احوال الليل والنهار
والثاني الايات المشتملة على حكمة خلق الليل والنهار اما النوع
الاول فهي كثيرة في القران فاولها قوله تعالى في سورة البقرة
ان في خلق السموات والارض الى قوله لايات لقوم يعقلون
وقال في سورة آل عمران ان في خلق السموات الى قوله لايات
لاولي الالباب والمقصود من هذا الكلام في السورتين واحد
وقال في الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض
في ستة ايام الاية واعلم ان في نظم هذه الايات الثلثة اسرارا
عجيبة الاول انه تعالى ابتدا في هذه الايات الثلث بذكر السموات

والارض ثم ذكر عقيبها احوال الليل والنهار والسبب في هذا
الترتيب ان تخليق السطح المقعر من الفلك الاعظم ظهر المكان
وبتحريك السطح المحدب منه ظهر الزمان فالمكان اقرب الينا من
الزمان وقد علمت ان التعليم المفيد هو الذي يبتدا فيه من
الاظهر فالاظهر مترقيا الى الاخفى فالاخفى ولما كان المقصود
من هذه الايات ذكر الدلايل الدالة على جلال الله وقدسه لاجرم
وقع الابتداء فيها بذكر خلق السموات والارض فان ذلك مشعر
بالمكان ثم وقع الانتقال منها الى ذكر الليل والنهار فانه مشعر بالزمان
ونظيره قوله تعالى في سورة الانعام قل لمن ما في السموات والارض
قل لله فهذه اشارة الى ان المكان وكل ما في المكان ملكه وملكه
ثم قال وله ما سكن في الليل والنهار وهو اشارة الى ان الزمان
وكل ما في الزمان ملكه وملكه فالمكان والمكانيات والزمان
والزمانيات شاهدة معترفة دالة على كونه سبحانه منزها عن علايق
المكان ولواحق حوادث الزمان ومناسبات الحدوث والامكان
ومشابهات الافلاك والاركان ومن نظايره ايضا قوله في صفة
السماء رفع سمكها فسويها وهو اشارة الى المكان ثم قال واغطش
ليلها واخرج ضحيها وهو اشارة الى الزمان النوع الثاني من لطايف
هذه الاية انه تعالى جعل هذه الدلايل في سورة البقرة لايات
لقوم يعقلون وجعلها في آل عمران لايات لاولي الالباب
وفي سورة الاعراف انتقل من الغيبة الى الحضور وقال ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض والسبب في هذا الترتيب على ما خطر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالبال والله اعلم باسرار كلامه ان درجات المحققين ثلث
اولها الذين يستدلون باحوال السموات والارض على وجود الصانع
المختار واليه الاشارة فى سورة البقرة لايات لقوم يعقلون
والثانى الذين صاروا مكاشفين بكيفية دلالة كل واحد من اجزاء
الارضين والسموات على وجود الصانع وحكمته وعدله وعلمه
وذلك لانا بينا لكل واحد من اجزاء الارضين والسموات دلالة
لانهاية لها على كمال قدرة الله وحكمته فاذا صار الانسان مكاشفا
باحوال تلك الدلالات حتى يصير عقله غرقا فى بحار تلك الدلائل
فهذا الانسان قد ترقى شانه من ظاهر عالم العقل الى اوج عالم
الاسرار والالباب واليه الاشارة بقوله لايات لاولى
الالباب والثالث الانسان فى المقام الاول والثانى كان
مشغولا بمطالعة الدلايل وبعد اشتغال العقل بمطالعة
الدلايل يحصل الحرمان عن الاستغراق فى نور جلال الله فاذا
كملت درجة الانسان فى مقام الاستدلال نودى من بطنان
الصمدية وسرادقات الجلال والكبرياء اخلع نعليك فان كل
دليل فهو مركب من مقدمتين لامحالة لاتزيد ولا تنقص وهاتان
المقدمتان كالنعلين فى قدمى العقل بهما يتمكن العقل من التنقل
من الخلق الى الخالق ومن الممكن الى الواجب فاذا وصل الى بيداء
الصمدية وبساط جلال الالهية يومر بخلع هذين النعلين
فاذا قال العبد لم اخلعهما قيل لانك بالوادى المقدس طوى
فمن وصل الى الوحدة كيف يلتفت الى الكثرة ومن وجد المدلول

كيف بقى مشغولا بالدليل جون درآمد وصال را حاله
سرد شد كفت وكوى دلاله وحينيذ يرتقى من مقام الغيبة
الى الحضور والشهود فيصير مخاطبا من الحق بالحق فى الحق الى الحق
فيسمع من غير واسطة ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض
فى ستة ايام الآية وسمعت بعض المحققين ان اول الدرجات
ان يقول العبد ما رايت شيا الا ورايت الله بعده وفى وسط
السير يقول ما رايت شيئا الا ورايت الله معه وفى اخر الدرجات
يقول ما رايت شيئا الا ورايت الله قبله وذلك لانه فى المقام
الاول يستدل بغير الله على الله وفى المقام الثانى يستدل
بالله على الله وفى المقام الاخر يستدل بالله على غير الله وهذه
المراتب الثلثة مطابقة لهذه الايات الثلثة واعلم ان دلالة
الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم من وجوه الاول كون
الليل والنهار مختلفين كما فى هذه الايات وقال فى يونس ان
فى اختلاف الليل والنهار الى قوله لايات لقوم يتقون وقال
فى الحج ذلك بان الله يولج الليل فى النهار الى قوله سميع عليم وقال
فى الفرقان وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة الاية وقال فى الزمر
يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل قال المفسرون هذه
الاختلافات يحتمل وجهين الاول انا نقول من قولهم من خلفه يخلفه
اذا ذهب الاول وجاء الثانى فاختلاف الليل والنهار عبارة
عن تعاقبهما فى المجئ والذهاب ومنه يقال فلان يختلف الى فلان
اذا كان يذهب اليه ويجئ من عنده وكل شئ يجئ بعد شئ آخر فهو

خلفه وبهذا فسر قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة
الثاني المراد اختلاف الليل والنهار في الطول والقصر والزيادة والنقصان
وعندي فيه وجه ثالث وهو ان الليل والنهار كما يختلفان في الطول
والقصر في الازمنة فهما يختلفان ايضا في الامكنة فان الاصح
ان الارض كرة فاذا كان كذلك فهذه الساعة التي اشير اليها هي
ههنا وقت الصبح وفي موضع آخر وقت طلوع الشمس وفي موضع آخر
وقت الظهر وفي موضع اخر وقت المغرب وفي موضع آخر نصف الليل
وعلى هذا القياس جميع الاحوال المختلفة في الليل والنهار حاصلة في
هذه الساعة الواحدة بحسب كل واحد من بقاع الارض ولهذا اذا
اعتبرنا البلاد المختلفة في الطول اما البلاد المختلفة في العرض فكل
بلد يكون عرضه الشمالي اكثر كانت ايامه الصيفية اطول وليالية
الصيفية اقصر وايامه وليالية الشتوية بالضد فهذه هي الاحوال
المختلفة في الايام والليالي بحسب اختلاف طول البلدان وعرضها
وهذا ايضا هو المراد من تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل
الوجه الثاني من وجوه دلالة الليل والنهار على وجود الصانع الحكيم
قوله تعالى في القصص وهو الله لا اله الا هو له الحمد في الاولى والآخرة
وله الحكم واليه ترجعون اما كلمة هو فسبحي تفسيرها في باب
اسماء الله تعالى واما كلمة لا اله الا الله فقد تقدم شرحها
ثم انه تعالى رد ف ذلك بصفات ثلثة الصفة الاولى قوله
له الحمد في الاولى والآخرة وفيه ايجاب ثلثة احدها بيان
حقيقة الحمد والفرق بينه وبين المدح والشكر والثاني ان قوله

له الحمد دال على غيره لا يستحق الحمد والثالث ان اهل الآخرة
مشتغلون بالحمد كما في هذه الآية وكما في قوله وقالوا الحمد لله
الذي اذهب عنا الحزن واخر دعويهم ان الحمد لله رب العالمين
وتقرير الكلام في هذه المباحث سيجئ ان شاء الله تعالى في تفسير
سورة الفاتحة الصفة الثانية قوله وله الحكم والمعنى
انه لا حكم في الدنيا والآخرة الا له اما في الدنيا فلان حكم احد
سواه لا ينفذ على الغير الا بواسطة حكمه فلولا امر الله وحكمه
لما نفذ على العبد حكم سيده وعلى الزوجة حكم زوجها وعلى الولد
حكم والده وعلى الرعية حكم السلطان وعلى الامة حكم الرسول
ونظير قوله لله الامر من قبل ومن بعد وقوله الا له الحكم وهو
اسرع الحاسبين واذا تاملت كما ينبغي علمت ان الحق هو الحاكم
في الحقيقة واما في الآخرة فلاشك انه تعالى له الحكم والقضاء
كما قال يوم لا يملك نفس لنفس شيئا والامر يومئذ لله الصفة
الثالثة قوله واليه ترجعون يعني مرجع كل احد الى حكمه وقضائه
لا تصرف لاحد في ذلك اليوم من البرية كما قال لا تجزي نفس عن نفس
شيئا الاية واعلم انه تعالى لما بين انه هو المستحق للحمد اتبع هذا الكلام
ببعض ما يتبين انه يستحق المدح وهو ايجاد الليل والنهار فقال قل
ارايتم ان جعل الله عليكم الليل سرمدا الآية واعلم ان وجه الاستدلال
بهذا المعنى على الصانع الحكيم من وجوه الاول انه لابد من النهار
ليحصل فيه الضوء فيتيسر الحركة عند الابصار ولابد من الليل
ليحصل فيه الظلمة فيحصل السكون عند ذلك للاستتار وربما

شبكة الألوكة www.alukah.net

انه لابد من الحركة. فلان الانسان محتاج الى تحصيل المطعوم والملبوس
واعداد المساكن وسايرالمصالح وكل ذلك مما لا يتهيا الا عند السعي
والجد في التحصيل وذلك لا يتيسر الا في ضوء النهار واما انه لابد
من السكون فلان الانسان اذا سعى وتحرك كثيرا تعب عنى واحتاج
الى النوم والراحة ليزول ذلك الاعياء. والتعب والوجه الثاني
في كيفية الاستدلال ان يتقدير ان يسكن الله الشمس في موضع معين
من الفلك واوقف الفلك عن الحركة فحينئذ يدوم النهار في ذلك الجانب
من الارض وتعظم السخونة فيه ويدوم الليل في الجانب الاخرى من
الارض وبعظم البرد فيه وحينئذ يخرج كل احد من جوانب الارض
عن صلاحية العمارة وسكنى الحيوانات الوجه الثالث ان تقدير
تعاقب الليل والنهار فلو كان الليل اطول مما هو الان لبطلت
المنافع ايضا الا ترى ان تحت القطبين يكون نصف السنة نهارا
ونصفها ليلا الا ان هناك لا يصلح لتولد الحيوانات ولا لتولد النبات
فظهر ان المنافع لا يحصل الا بتعاقب الليل والنهار ومع التعاقب لابد
وان لا يكون الليل في غاية الطول وان لا يكون النهار في غاية الطول
ومتى حصل التعاقب من الليل والنهار وكان لكل واحد منهما مدة
معينة ومقدار معتدل حصلت المنافع وحصلت الامكنة والازمنة
لسكنى الحيوانات الوجه الرابع ان كل واحد من الليل والنهار يصير
بمجيء الاخر مغلوبا فلولا قهر قاهر وتدبير مدبر لامتنع ان يصير
الغالب مغلوبا والمغلوب غالبا وهذا يدل على ان لهما محدثا
وموجدا وفيه ايضا دلالة على البعث لان الليل يأتي على النهار

فتلفه

فتلفه حتى لا يبقى منه اثر ثم النهار يأتي على الليل فيتلفه حتى لا
يبقى من اثر الليل شيء ثم انهما يبقيان على هذا التعاقب ابدا فكما قدر
المدبر سبحانه على اعادة الذي ذهب ويطل دل ذلك على اعادة
ما اماته وافناه. وان لم يبق له الوجه الخامس قوله يولج الليل
في النهار ويولج النهار في الليل دليل على فساد قول الثنوية
ان فاعل الخير غير فاعل الشر لان الامر لو كان كما ذكروا لكان لا اله
الا اتى بالنور غير الاله الاتي بالظلمة فاذا غلب اله النور اله الظلمة
فالغالب لا يصير مغلوبا فوجبان لا يزول النهار ولا يحصل الليل
ولما لم يكن كذلك علمنا ان الليل والنهار والظلمة والنور بتدبير
مدبر واحد وتقدير مقدر واحد وهو الله سبحانه. بقي في الآية
سؤالات السؤال الاول ما معنى السرمد في اللغة الجواب السرمد
هو الدايم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه قولهم في الاشهر
الحرم ثلثة سرد وواحد فرد الثاني هلا قال بنهار يتصرفون فيه
كما قال بليل تسكنون فيه والجواب لان منافع الليل هو السكون والنوم
والراحة اما منافع النهار فكثيرة بطول تعديدها السؤال الثالث
لم قال في الليل افلا تسمعون وفي النهار افلا تبصرون الجواب
لان الليل عبارة عن الظلمة وهي غير مرتبة والنهار عبارة عن الضوء
وهو مروي فلهذا قال افلا تبصرون وقال الكلبي افلا تسمعون
معناه افلا تطيعون من يفعل ذلك وقوله افلا تبصرون
افلا تتفكرون ما انتم عليه من الخطا. والدلال النوع الثالث
من وجوه دلالة الليل والنهار على الصانع الحكيم في اخر هذه الآية

ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا
من فضله ولعلكم تشكرون واعلم ان تقرير هذا الوجه ان الليل
والنهار ضدان والضدان يكون كل واحد منهما مبطلا لذات الاخر
ومنفعته اما الليل والنهار فانه لا يحصل الانتفاع باحدهما
الا عند حصول الاخر فقلب طبيعة احد الضدين من المخالفة الى
المعاونة مما لا يقدر على ذلك احد الا الله وانما قلنا لا يحصل
المنفعة الا بتعاقبهما وذلك لانه لو دامت الظلمة دام النوم وتعذرت
الحركات فيهلك الحيوانات ولو دام الضوء دامت السخونة ولم يحصل
النوم واستولى الاعياء والتعب على الحيوانات فتموت الكل فظهر
ان الانتفاع باحدهما لا يمكن الا عند حصول تعاقبهما ومن المعلوم
ان قلب طبيعة الضدين من المعاونة الى المعاونة لا يقدر عليه
الا الله ثم انه تعالى بين في هذه الآية ازدواج الليل والنهار
لاغراض ثلثة لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضل الله في النهار و
لتشتغلوا بالشكر على هاتين المنفعتين النوع الرابع من وجوه
دلالة الليل والنهار على الصانع الحكيم قوله في سورة الفرقان
وهو الذي جعل لكم الليل لباسا والنوم سباتا وجعل النهار نشورا
وقال في سورة عم وجعلنا نومكم سباتا اما قوله وجعلنا نومكم
سباتا فقد طعن فيه بعض الملحدة لفهم الله فقال السبات هو النوم
فيصير التقدير وجعلنا نومكم نوما والجواب عنه ان السبت في
اصل اللغة هو القطع يقال سبت الرجل راسه يسبته اذا حلق راسه
وقال ابن الاعرابي في قوله سباتا يعني قطعا وعند هذا يحتمل وجوها

الوجه

الوجه الاول ان يكون المعنى وجعلنا نومكم نوما منقطعا
لا دايما فان النوم بمقدار الحاجة من انفع الاشياء اما دوامه
فهو من اضر الاشياء فلما كان انقطاعه نعمة عظيمة لاجرم ذكره
الله تعالى في معرض الانعام والثاني ان الانسان اذا تعب ثم نام
فذلك النوم يزيل عنه التعب فسميت تلك الازالة سبتا اي قطعا
وهذا هو المراد من قول ابن قتيبة وجعلنا نومكم سباتا اي راحة
وليس غرضه منه ان السبات اسم الراحة بل المقصود ان النوم يقطع
التعب ويزيله فحينئذ تحصل الراحة الثالث قال المبرد وجعلنا
نومكم سباتا اي جعلناه نوما خفيفا يمكنكم دفعه وقطعه
يقول العرب رجل مسبوت اذا كان النوم يغالبه وهو يغالب النوم
كانه قال وجعلنا نومكم نوما لطيفا يمكنكم دفعه وما جعلناه
غشا مستوليا عليكم فان ذلك من الامراض الشديدة اما قوله
وجعلنا الليل لباسا قال الفقال اصل اللباس هو الشئ الذي يلبسه
الانسان ويعطى به فيكون ذلك مغطيا له فلما كان الليل يغشى الناس
بظلمته فيغطيهم جعل الله لباسا لهم والمراد كون الليل ساترا لهم
واما وجه النعمة في ذلك فهو ان ظلمة الليل يستر الانسان عن العيون
اذا اراد هربا من العدو او اختفاء مما لا يحب الانسان اطلاع غيره
عليه قال المتنبي وكم نظلام الليل عندي من يد تخبر ان المانويه
تكذب وايضا فكما ان الانسان بسبب اللباس يزداد جماله ويتكامل
قوته ويندفع عنه اذى الحر والبرد فكذلك يندفع اذى التعب
الجسماني واذى الافكار الموحشة النفسانية ولهذا السبب

فان المريض اذا نام بالليل وجد خفه عظيمة واما قوله وجعلنا
النهار معاشا اعلم ان في المعاش وجهين الاول انه مصدر يقال
عاش يعيش عيشا ومعاشا ومعيشة وعيشة وعلى هذا التقدير
لا بد فيه من اضمار والمعنى وجعلنا النهار وقت معاش والثاني
ان تكون المعاش مفعلا وظرفا للتعيش وعلى هذا لا حاجة الى الاضمار
ومعنى كون النهار معاشا ان الخلق انما يمكنهم التقلب في حوائجهم
ومكاسبهم في النهار لا في الليل النوع الخامس من وجوه دلالة
الليل والنهار على وجود الصانع قوله تعالى في يس وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار فاذا هم مظلمون والشمس تجري لمستقر لها
ذلك تقدير العزيز العليم واعلم ان قوله تعالى وآية لهم الليل
نسلخ منه النهار اشارة الى الليل وقوله والشمس تجري لمستقر لها
اشارة الى النهار وفي قوله تجري لمستقر لها عدة اقوال اصحها
انها تجري ويجري لانتهاء امرها عند انقضاء الدنيا اي لا يزال
تجري حتى ينتهي الى الوقت الذي تقضي الدنيا فيه وفي ذلك الوقت
تقف وتستقر وتترك الحركة ولنذكر ههنا ان النهار افضل ام
الليل وفي ترجيح كل واحد من الطرفين وجوه اما الذين يفضلون
النور على الظلمة تمسكوا بوجوه يذكره في موضعه ان شاء الله تعالى

الفصل العاشر

في مباحث متفرعة في هذا الباب
النوع الاول في المباحث المتفرعة على كون القمر هلالا اعلم انه سبحانه
فرع على كون القمر هلالا ابحاث يتعلق بعلم الاصول والتوحيد
وابحاث يتعلق بعلم الفروع والتكليف اما ما يتعلق بعلم الاصول

فهو

فهو قوله في يس والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم
الى قوله يسبحون ونظير في سورة اذا السماء انشقت فلا اقسم
بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق اعلم ان الاتساق
في اصل اللغة الاجتماع يقال وسقته فاتسق كما يقال وصلته
فاتصل اي جمعته فاجتمع ويقال امور فلان منتسقة اي مجتمعة
على الصلاح كما يقال منتظمة قال ابن عباس اتسق اي استوى واجتمع
وتكامل وتم واستدار وذلك ليلة اربع عشرة واما ما يتعلق
بعلم الفروع فهو قوله في سورة البقرة يسئلونك عن الاهلة
قل هي مواقيت للناس والحج فتكلم في شرح هذين الاصلين اما
الاية الاولى فاعلم انه سبحانه جعل الزمان مقدرا من اربعة
اوجه السنة والشهر واليوم والساعة اما السنة فهي عبارة
عن الزمان الحاصل من حركة الشمس من نقطة معينة من الفلك
بحركتها الخاصة على خلاف حركة اليومية الى ان تعود الى تلك
النقطة بعينها والقوم اصطلحوا على جعل تلك النقطة هي نقطة
الاعتدال الربيعي وهي اول الحمل واما الشهر فهو عبارة عن حركة
القمر عن نقطة معينة من الفلك الخاص به الى ان يعود الى تلك النقطة
ولما كان اشهر احوال القمر وضعه مع الشمس واشهر اوضاعه
مع الشمس هو الهلال العربي مع ان القمر في هذا الوقت يشبه
الموجود بعد العدم والمولود الخارج من الظلم لا جرم جعلوا هذا
الوقت مبدأ الشهر واما اليوم بليلته فهو عبارة عن مفارقة
نقطة من دائرة معدل النهار نقطة من دائرة الافق او نقطة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من دايرة نصف النهار وعودها اليه فالزمان المقدر بهذا
المقدار عبارة عن اليوم بليلته ثم ان المنجمين اصطلحوا على
تعيين دايرة نصف النهار مبدا لليوم بليلته واما اكثر الامم
فانهم جعلوا مبادى الايام بليالها من مفارقة الشمس افق
المشرق وعودها اليه من الغداة وحجج من نصر مذهبهم بان
الشمس عند الطلوع كالموجود بعد العدم فجعلها اولا اولى
وعلى هذا القول فزمان الليل عبارة عن مدة كون الشمس تحت
الارض وزمان النهار عبارة عن مدة كون الشمس فوق الارض
وفي شريعة الاسلام يفتتحون النهار من وقت طلوع الفجر
في وجوب الصلوة والصوم وغيرهما من الاحكام وعند المنجمين
مدة الصوم في الشرع هي زمان النهار كله مع زيادة من زمان
الليل معلومه المقدار ومحدودة المبدا واما الساعة فهي
على قسمين مستوية ومعوجة فالمستوية جزء من اربعة وعشرين
جزأ من يوم وليلة والمعوجة جزء من اثني عشر جزوا من يوم وليلة
فهذا هو الكلام المختصر في تعريف السنة والشهر واليوم والساعة
واذا عرفت هذا فنقول اما السنة فهي عبارة عن دورة الشمس
تحدث بسببها الفصول الاربعة وذلك لان الشمس اذا حصلت
في الحمل فاذا تحركت من هذا الموضع الى جانب الشمال اخذ الهواء في
جانب الشمال شيئا من السخونة لقربها من مسامته الراس
وتتواتر الاسخان الى ان تصل الى اول السرطان وحينئذ
يشتد الحر ما دامت في السرطان والاسد لقربها من سمت الراس

ثم ينكسر قليلا الى ان تصل الى الميزان وحينئذ يطيب الهواء
ويعتدل ثم ياخذ الحر في النقصان والبرد في الزيادة ولا يزال
يزداد البرد الى ان تصل الشمس الى اول الجدي وحينئذ يشتد
البرد ما دامت في الجدي والدلو فالبرد يكون في غاية الشدة
الى ان ينتهي الى اول الحمل فحينئذ يعتدل الهواء وعادت الشمس
الى المبدا حركاتها وتمت السنة وحصلت الفصول الاربعة
التي هي الربيع والصيف والخريف والشتاء ومنافع الاربعة
مشهورة في الكتب واما الشهر فهو عبارة عن دورة القمر
في فلكه الخاص فزعموا ان نوره مستفاد من الشمس وابدا يكون
احد نصفيه مضيا بالتمام الا انه عند الاجتماع يكون نصفه
المضيء وهو نصف الفوقاني فلا جرم نحن لا نرى في تلك الحالة
من نوره شيئا وعند الاستقبال يكون نصفه المضيء مواجها لنا
فلا جرم نراه مستنيرا بالتمام وكلما كان القمر اقرب الى الشمس
كان المرئي من نصفه المضيء اقل وكلما كان ابعد كان المرئي من نصفه
المضيء اكثر ثم انه من وقت الاجتماع الى وقت الاستقبال يكون كل
ليلة ابعد من الشمس لا جرم نرى كل ليلة ضوءه اكثر ومن وقت الاستقبال
الى وقت الاجتماع يكون كل ليلة اقرب الى الشمس فلا جرم نرى كل ليلة
ضوءه اقل ولا يزال يقل حتى عاد كالعرجون القديم وهذا
ما قاله اصحاب النجوم واما الاصوليون فانهم يقولون القمر
جسم والشمس جسم والاجسام كلها متماثلة في الجسمية والاشياء
المتساوية في تمام الماهية يمتنع اختلافها في اللوازم فاذا حصل

الضوء في جرم الشمس والقمر امر جايز الوجود لا يمتنع وجوده
ولا يمتنع عدمه وما كان كذلك امتنع رجحان وجوده على عدمه
الا بترجيح الفاعل المختار وكل ما كان فعلا للفاعل المختار فات
ذلك الفاعل يكون قادرا على ايجاده وعلى اعدامه وعلى هذا
التقدير فلا حاجة الى اسناد هذه الاختلافات الحاصلة في
نور القمر الى قربه وبعده من الشمس بل الحق ان حصول النور في
جرم الشمس انما كان بسبب ايجاد القادر المختار واذا كان الامر
كذلك كان الامر له وكان قادرا على ازالة النور عن جرمه فحينئذ
تكون صيرورة الشمس مظلمة في ذاتها امر جايز وحينئذ ينفتح
باب عظيم في الدين وهو الايمان بصحة كل ما جاء في صفات
الافلاك والكواكب يوم القيامة نحو قوله اذا الشمس كورت
واذا النجوم انكدرت واذا السماء انشقت واذا السماء انفطرت
واذا عرفت هذا ظهرت دلالة اختلاف احوال القمر في الضوء
والنور على الفاعل المختار الحكيم سبحانه وتعالى وفي الآية سؤالان
السؤال الاول ما معنى قوله والقمر قدرناه منازل الجواب
معناه والقمر قدرنا مسيره منازل او له منازل على حذف الجار
او نا منازل على حذف المضاف السؤال الثاني ما العرجون الجواب
العرجون اصل العذق قال الزجاج هو فعلول من الانعراج وهو
الانعطاف واذا قدم دق وانحنى واصفر فشبه الهلال به لدقته
وانحنايه وتقوسه فهذا ما يتعلق بعلم الاصول من مباحث الهلال
اما ما يتعلق بعلم الفروع فهو ان لقائل ان يقول خالق العالم

ومدبره لم خصص جرم القمر بهذا الاختلاف فنقول العلماء
الاسلام في هذا المقام جوابان احدهما ان يقال فاعلية الله
لا يمكن تعليلها بغرض ومصلحة ويدل عليه وجوه الاول
ان من فعل فعلا لغرض فان قدر على تحصيل ذلك الغرض دون
تلك الواسطة كان فعل تلك الواسطة عبثا وان لم يقدر
فهو عاجز والثاني ان من فعل فعلا لغرض فان كان وجود ذلك
الغرض اولى لذلك الفاعل من لا وجوده كان ذلك الفاعل ناقصا
لذاته مستكملا بغيره وهو في حق الله محال وان لم يكن اولى
لم يكن غرضا والثالث انه لو كان فعله معللا بغرض فذلك
الغرض ان كان محدثا افتقر احداثه الى غرض آخر وان كان قديما
لزم من قدمه قدم الفعل وهو محال فالجرم قالوا كل شئ صنعه
ولا علة لصنعه ولا يجوز تعليل افعال الله واحكامه البتة
فلا يسأل عما يفعل وهم يسألون والجواب الثاني قول من
يقول لا بد في افعال الله واحكامه من رعاية المصالح لكن
القايلون بهذا القول سلموا ان العقول البشرية قاصرة في
اكثر الامر عن الوصول الى اسرار حكمة الله في ملكه وملكوته
الا ان الله تعالى اخبر عن الحكمة في اختلاف ضوء القمر في آيات منها
قوله في سورة البقرة يسئلونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس
والحج ومنها قوله في يونس هو الذي جعل الشمس ضياء الاية ومنها
قوله في بني اسرائيل وجعلنا الليل والنهار آيتين الاية وقال
في يس والقمر قدرناه منازل وشرح هذا المعنى ان نقول ان بتقدير

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الزمان بالشهور فيه منافع بعضها يتصل بالدين وبعضها يتصل
بالدنيا فاما ما يتصل بالدين فكثيرة منها الصوم قال الله تعالى
شهر رمضان الذى انزل فيه القران ومنها الحج قال الحج اشهر
معلومات ومنها عدة المتوفى عنها زوجها قال الله تعالى يتربصن
بانفسهن اربعة اشهر وعشرا ومنها مدة الحمل والرضاع قال
وحمله وفصاله ثلثون شهرا ومنها النذر التى يتعلق بالاوقات
ولفضايل الصوم فى ايام لاسبيل الى معرفتها الا بالاهلة واما
ما يتصل منها بالدنيا فهو كالمداينات والاجارات ومدة الحمل
والرضاع وغيرها فكل ذلك مما يسهل ضبطا اوقاتها الا عند
وقوع الاختلاف فى ضوء القمر وتحقيق الكلام فيه ان المصنف
الذى يراعى الترتيب يقسم كتابه الى انواع ثم كل نوع منه الى ابواب
ثم كل باب منه الى فصول حتى يكون الاطلاع على مضمون ذلك الكتاب
ايسر واسهل وجملة هذا العالم تصنيف الله تعالى وهو يراعى التسهيل
على المكلفين فقسم جملة الزمان على السنين ثم قسم كل سنة الى اثنى
عشر شهرا كما قال فى كتاب الله ثم قسم كل شهر الى الاسبوع ثم الى
الايام ثم قسم كل يوم الى الساعات ثم قسم كل ساعة الى الانفاس
ثم قسم كل نفس الى اللمحات كما قال انا اتيك به قبل ان يرتد
اليك طرفك ثم قسم كل لمحة الى الاجزاء التى لا تتجزى والايات
التى لا ينقسم ولما ظهر ان الاختلاف فى احوال القمر معونة
عظيمة فى تعيين الاوقات وتمهيدها للوجوه التى ذكرناها لاجرم
نبه على هذه النعمة بقوله قل هى مواقيت للناس والحج لان تعديد

جميع

جميع تلك المنافع يفضى الى الاطناب والاقتصار على البعض دون
البعض اهمال للبعض فلم يبق طريق الا التنبيه على الكل بطريق
الايجاز ومن منافع اختلاف ضوء القمر انه لولم يحصل هذا
الاختلاف لتاكدت شبهة الفلاسفة فى قولهم ان الاجرام
الفلكية لا يمكن تطرق التغير الى احوالها فهو سبحانه بحكمته
القاهرة ابقى الشمس على حالة واحدة واظهر الاختلاف فى احوال
القمر من وجهين احدهما المحو الذى فى وجهه فان بعض اجزائه
مخالف للبعض فى كيفية النور والثانى ان مقدار ضوئه يختلف
فى كل يوم ثم جعل هذين النوعين من الاختلاف دليلا على كون
هذه الاجرام قابلة للاختلاف والتغير حتى يدل ذلك على افتقار
الشمس والقمر والنجوم والافلاك والعناصر الى قادر حكيم سبحانه
النوع الثانى فى المباحث المتعلقة بالبروج قال تعالى فى سورة
الحجر ولقد جعلنا فى السماء بروجا الاية وقال فى الفرقان
تبارك الذى جعل فى السماء بروجا وقال والسماء ذات البروج
واعلم انه تعالى لما ذكر البروج ذكر المنازل ايضا فقال فى سورة
يونس وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب وقال فى يس
والقمر قدرناه منازل الاية والكلام فى المباحث المتعلقة
بالبروج والمنازل طويل الا انا نذكر هاهنا من ذلك طرفا قليلا
فنقول اما البروج ففيها مباحث الاول انا بينا ان مصالح هذا
العالم لا ينتظم الا بالفصول الاربعة المتعاقبة فالحق سبحانه
وتعالى قسم الفلك باربعة اقسام الربع الاول الذى متى كانت

الشمس فيه كان الزمان ربيعا والربع الثاني الذي متى حصل
الشمس فيه كان الزمان صيفا والربع الثالث الذي متى حصل الشمس فيه
كان الزمان خريفا والربع الرابع الذي متى حصل الشمس فيه كان
الزمان شتاء فقسم الفلك في هذه الارباع الاربعة لتحصل الفصول
الاربعة في الارض ثم انه سبحانه قسم كل فصل الى ثلثة اقسام
ابتداء ووسط وانتهاء والحكمة فيه ان الانتقال من احد الضدين
الى الاخر يوجب الامراض والاسقام الشديدة فلما كان الشتاء
باردا جعل اول الربيع ضعيفا في الحرارة حتى ينتقل الانسان
من البرد الشديد الى الحر الضعيف ولا تصير الطبيعة مقهورة ثم ان
ذلك الحر لا يزال يتزايد ويقوى حتى يبلغ الى كمال الحر اللايق بالربيع
حينئذ يقع الانتقال منه الى الحر الشديد الذي في الصيف
فلا تصير طبايع الامزجة والابدان مقهورة فاول الربيع ضعيف
الحرارة لانه مجاور الشتاء واخر الربيع قوي الحرارة لانه مجاور
الصيف وبهذا التدبير يحصل الانتقال من ضد الى ضد ولا يحصل
الامراض والاسقام بسبب ذلك فلهذا المعنى اقتضت الحكمة
الالهية ان يقسم كل ربع من ارباع الفلك ثلثة اقسام احدها
يكون مبداء لذلك الفصل والثاني يكون وسطا له والثالث
كمالا له فصار لاجل هذا الترتيب الفلك مقسوما باثني عشر
برجا ثم انه تعالى سير الشمس في هذه البروج كما قال ان عدة
الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله البحث الثاني
في عجايب البروج اعلم ان العوالم ثلثة العالم الاصغر وهو بدن

الانسان والعالم الاوسط وهو العالم السفلي والعالم الاكبر
وهو العالم العلوي وهو عالم السموات والكواكب اما العالم
الاوسط فخلق فيه اجزاءا اربعة الارض والماء والهواء والنار
وانقل الاجسام هو الارض فلاجرم جعل الارض تحت جميع العناصر
الاربعة والماء اقل ثقلا منه فجعل الماء محيطا بالارض ثم الهواء
اخف فجعل الهواء محيطا بالماء ثم النار اخف الاجسام العنصرية
فجعل النار محيطة بجميع العناصر الاربعة فهذا هو الترتيب المحكم
والوصف المتقن ثم انه سبحانه قلب هذا الترتيب في تخليق العالم الاصغر
فجعل الارض فوق الكل والنار تحت الكل والدليل عليه ان نار فوق
الانسان فوق جميع اعضايه وهو عظم والعظم باردا يابس طبعه
طبع الارض فجعل الارض فوق جميع الاعضاء ثم جعل الهواء تحت
الارض فان النفس هواء ومنفذ النفس هو الانف وهو تحت الفم ثم
ثم جعل الماء تحت الهواء لان معدن الماء هو الفم والفم تحت الانف
ثم جعل النار تحت الماء لان معدن النار والحرارة الغريزية هو
القلب والقلب تحت تلك الاعضاء وفي العالم الاوسط جعل
الارض تحت الكل والنار فوق الكل وفي العالم الاصغر قلب هذا
الترتيب فجعل الارض فوق الكل والنار تحت الكل ليظهر للعقلاء
ان السبب في حصول هذا الترتيب تخليق القادر المختار وتكوينه
لا تاثير الطبيعة والعلة والخاصية واما في العالم الاكبر فقد
رتب هذه الطبايع الاربع على خلاف ما وقع عليه ترتيبها في العالم
الاصغر وفي العالم الاوسط وذلك لان محل برج نار ثم يجاوره

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النور وهو ارضى ثم يجاور الجوزاء وهو هوائي ثم يجاور
السرطان وهو مائي فوقع الابتداء بالنارى والانتهاء
بالمائى واعلم ان الحكمة فى وقوع هذه الطبايع الاربعة
فى كل واحد من هذه العوالم الثلثة على ترتيب اخر مخالف لهذين
ليكون ذلك شاهدا بان الطبايع معزولة والخواص باطلة
ولا تاثير الا لقدرة الاحد الصمد الاله جل وعز البحث الثالث
ان ترتيب العناصر الاربعة فى العالم الاسفل وقع بحيث يكون
كل متجاورين منها فانهما متشاركان فى كيفية ويتباينان باخرى
مثلا الارض والماء يشتركان فى البرد ويختلفان فى الرطوبة
واليبوسة والهواء والنار يشتركان فى الحرارة ويختلفان
فى الرطوبة واليبوسة ثم قالوا والسبب فيه ان لا يتجاور
ضدان من كل الوجوه ثم ان هذه الدقيقة صارت متروكة فى
ترتيب الطبايع فى العالم الاكبر وذلك لان هناك قد تجاورت
البروج المتضادة الا ترى ان الحوت والحمل متضادان لان الحوت
بارد رطب والحمل حار يابس وهما متجاوران وكذلك الثور والجوزاء
متضادان لان الثور بارد يابس والجوزاء حار رطب وهما
متجاوران وكذلك السرطان والاسد وكذا السنبلة والميزان
وكذا العقرب والقوس وكذا الجدى والدلو وكل واحد من هذين
البرجين متضادان بكلتى الكيفيتين وهما متجاوران وهذا من اقوى
الدلايل على ان تجاور هذه البروج ليس لاجل مشاكلة طبايعها ومجانسة
ذواتها بل ذلك لايجاد الفاعل المختار والصانع الحكيم جل ثناؤه

وتقدست اسماؤه البحث الرابع ان الشمس فى غاية السخونة
ومذهبكم اذا حل برج حار يابس نارى والسرطان برج بارد رطب
مائى فلو كانت هذه التاثيرات حاصلة بسبب الطبيعة لكان
اذا حصلت الشمس فى الحمل فقد حصل كوكب حار جدا فى بروج حار
جدا فوجب ان يقوى السخونة جدا واذا حصلت الشمس فى السرطان
فقد حصل كوكب حار جدا فى بروج بارد جدا فوجب ان ينكسر
حره ويضعف لكن ليس الامر كذلك فانه حين تحصل الشمس فى الحمل
يكون الحر ضعيفا وحين تحصل فى السرطان يكون الحر قويا فعلمنا
ان قوة الحر ليس لتاثير الانجم والبروج بل بتدبير مقدر وتدبير
صانع حكيم فان قيل اذا حصلت الشمس فى السرطان فهاهنا
وان حصلت الشمس فى البرج البارد الرطب الا انها على بعد الراس
فلاجرم قوى الحر بهذا السبب قلنا هذا باطل بكونه فى الاسد
لان الشمس حال كونها فى الاسد تباعدت عن بعد الراس مع ان الحر
عند كون الشمس فى الاسد اشد واقوى فبهذه الاعتبارات دالة على
ان يغير احوال العالم بسبب تقدير الصانع المختار لا بسبب احوال
الانجم والافلاك البحث الخامس ان القوم لما سلموا ان هذه
البروج مختلفة فى الطبايع والماهيات فان واحدا منها يقتضى
السخونة واليبوسة والاخر يقتضى البرودة والرطوبة فلولا
اختلافها فى الماهية والالما اختلفت اثارها واذا كانت هذه
البروج مختلفة الطبايع والماهيات كان الفلك مركبا من اجسام
مختلفة الطبايع والحقيقة كما ان الانسان مركب من اعضاء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مختلفة واجزاء غير متساوية في الحقيقة والماهية وكل مركب
فانه ينتهي لا محالة الى الانحلال والاختلاف ومباينة كل واحد
من تلك الاجزاء المتنافرة المتباعدة عن صاحبه وهذا يقتضي
ان السموات تتشقق وتخرب ولا يبقى تركيبها وهو مطابق للقرآن
العظيم ونكتفي بهذا القدر من الكلام في البروج والمنازل
النوع الثالث في المباحث المتعلقة بالشفق قال تعالى فلا اقسم
بالشفق والليل وما وسق والقمر اذا اتسق اعلم ان تركيب
لفظ الشفق في اصل اللغة لرقة الشيء ومنه يقال شيء شفق
اذا كان رديا لضعفه ورقة وجوده واشفق عليه اذا رق قلبه
والشفقة رقة القلب ثم اتفق العلماء على انه اسم للاثر الباقي
من الشمس في الافق بعد غروبها ثم اختلفوا فذهب عامة العلماء
الى انه هو الحمرة وهو قول ابن عباس والكلبي ومقاتل ومن اهل
اللغة قول الليث والفراء والزجاج وعن ابي حنيفة في احدى
الروايتين انه البياض وروى اسد بن عمرو انه رجع عنه واحتج
الاولون على قولهم بوجوه الوجه الاول قال الفراء سمعت بعض
العرب يقول عليه ثوب مصبوغ كانه الشفق وكان ذلك الثوب
احمر فدل ذلك على ان الشفق هو الحمرة الوجه الثاني ان الامة
مجمعة على ان الشفق هو وقت العشاء الاخرة فوجب ان يكون
المعتبر هو الحمرة لا البياض لان البياض يمتد وقته ويطول
لبثه والحمرة لما كانت بقية ضوء الشمس عن الافق ذهبت الحمرة
الوجه الثالث ان اشتقاق الشفق لما كان من الرقة ولا شك

ولا شك ان ضوءه يأخذ في الرقة والضعف من عند غيبوبة الشمس
فيكون الحمرة شفقا اما من قال فهو البياض فقد احتج بوجوه
الحجة الاولى انا بينا ان اشتقاق هذه اللفظة يدل على الضعف
والبياض الباقي اثر ضعيف بقي من الشمس فوجب ان يكون مسمى
باسم الشفق الحجة الثانية صلوة الصبح وصلوة العشاء واقعتان
على الطرفين فلما كان وقت صلوة الصبح بطلوع البياض وجب
ان يكون صلوة العشاء بغروب البياض اما بغروب قوله والليل
وما وسق فقال اهل اللغة وسق اي جمع ومنه الوسق وهو
الطعام المجتمع الذي كال ويوزن ثم صار اسما للحمل واستوسقت
الابل اذا اجتمعت وانضمت قال القفال مجموع اقاويل المفسرين
على انهم فسروا قوله تعالى والليل وما وسق على جميع ما يجمعه
الليل من النجوم ورجوع الحيوان عن الانتشار وتحرك ما يتحرك فيه
من الهوام وهذا يحتمل ان يكون اشارة الى الاشياء كلها لاشتمال
الليل عليها فكانه قال اقسم بجميع المخلوقات كما قال فلا اقسم
بما تبصرون وما لا تبصرون وقال سعيد بن جبير قوله وما وسق
الاعمال التي عملت في الليل وقال القفال يحتمل ان يكون ذلك تهجد
العباد فقد مدح الله تعالى المستغفرين بالاسحار فجاز ايضا
ان يحلف بهم ولنا ما قلنا ان الليل جمع هذه الاشياء كلها لان
ظلمته كانت تخلل الجبال والبحار والشجر والحيوانات فلا جرم
صح ان يقال وسق الليل جميع هذه الاشياء واما قوله والقمر اذا
اتسق فاعلم ان اصل الكلمة من الاجتماع يقال وسقته فاتسق

شبكة الألوكة www.alukah.net

كما يقال وصلته فاتصل قال ابن عباس والقمر اذا اتسق اى استوى
واجتمع واستدار وتكامل وذلك ليلة الرابع عشر ثم قال
لتركبن طبقا عن طبق وفيه مسايل المسئلة الاولى قرئ لتركبن
على خطاب الانسان ولتركبن بضم التاء على خلاف الجنس لان
النداء فى قوله على خطاب الانسان يا ايها الانسان انك كادح
للجنس ولتركبن بكسر التاء على خطاب النفس وليركبن بالياء على
معنى ليركبن الانسان المسئلة الثانية الطبق ما طابق غيره
يقال ما هذا بطبق كذا اى لا يطابقه ومنه قيل للغطاء طبق
واطباق الثرى ما تطابق منه ثم قيل للحالة المطابقة لغيرها
طبق ومنه قوله تعالى طبقا عن طبق اى حالا بعد حال وكل
واحدة مطابقة لاختها ولنذكر وجوه المفسرين فنقول اما
القراءة برفع الباء وهى خطاب الجمع ويحتمل وجوها الاول
ان يكون معنى لتركبن ايها الانسان امورا واحوالا امرا بعد امر
وحالا بعد حال ومنزلا بعد منزل الى ان يستقر الامر على ما يقتضيه
على الانسان اوله من جنة او نار فحينئذ يحصل الدوام والخلود
اما فى الثواب او فى العقاب ويدخل فى هذه جملة احوال الناس
من حين يكون نطفة الى ان يصير شيخا ثم يموت فيكون فى القبر
ثم فى البرزخ ثم يحشر ثم ينتقل اما الى جنة او الى نار والثانى
ان يكون معنى الاية ان الناس يلقون يوم القيامة احوالا
وشدايد حالا بعد حال وشدة بعد شدة كانهم لما انكروا البعث
فاقسم الله ان البعث كائن والناس يلقون فيه الشدايد والاهوال

الى ان يفرغ من حسابهم فيصير كل احد الى ما اعد له من جنة او نار
وهو كقوله بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وقوله يوم
يكشف عن ساق وقوله يوما يجعل الولدان شيبا والثالث
ان يكون المعنى ان الناس ينتقل احوالهم فمن سعيد يشقى ومن شقى
يسعد وهو كقوله خافضة رافعة وهذا التاويل مناسب لما
قبل هذه الاية لانه تعالى لما ذكر حال من يرى كتابه وراء ظهره
انه كان فى اهله مسرورا انه ظن ان لن يحور اخبر الله تعالى
انه يحور ثم اقسم ان الناس يركبون فى الاخرة طبقا عن طبق
اى حالا بعد حال فى الدنيا الرابع ان يكون المعنى لتركبن شبيه
الاولين ممن كان قبلكم فى التكذيب بالنبوة والقيامة واما
القراءة بنصب الباء فى لتركبن فان فيها اقوال الاول ان يكون
ذلك بشارة للنبى عليه السلام بالنصرة والغلبة على المشركين
المكذبين بالبعث كانه قال اقسم يا محمد لتركبن حالا بعد حال
حتى نحتم لك بحميد العاقبة فلا يحزنك تكذيبهم وتماديهم
فى كفرهم ويتفرع على هذا القول احتمالان احدهما ان يكون
المعنى انه يركب حال ظفر وغلبة بعد حال خوف وشدة والاحتمال
الثانى ان يكون المعنى ان الله تعالى يبدله بالمشركين انصارا
مسلمين ويكون مجاز ذلك من قولهم طبقات الناس والقول الثانى
ان يكون ذلك بشارة لمحمد عليه السلام لصعوده الى السموات
ليشاهد ملكوتها ويشاهد حال الملايكة والمعنى لتركبن يا محمد
السموات طبقا عن طبق قال تعالى سبع سموات طباقا وقد فعل الله

ذلك ليلة الاسراء وهذا القول مروى عن ابن عباس وابن مسعود
القول الثالث لتركبن يا محمد درجة بعد درجة ورتبة بعد رتبة
في القرب من الله تعالى والقول الرابع في هذه القراءة ان هذه
الآية واردة في شرح احوال السموات والمعنى لتركبن السماء يوم
القيامة حالة بعد حالة وذلك لانها اولا تنشق كما قال
اذا السماء انشقت ثم تنفطر كما قال اذا السماء انفطرت ثم تصير
وردة كالدهان وكالمهل على ما ذكره الله هذه الاشياء في آيات
من القرآن وكانه تعالى لما ذكر في اول السورة انها تنشق قسم
في آخر السورة انها تنتقل من احوال الى احوال وهذا مروى عن ابن
مسعود النوع الرابع في المباحث المتعلقة بالاظلال قال تعالى
في سورة الرعد ولله يسجد من في السموات والارض طوعا
وكرها وظلالهم بالغدو والآصال وقال في النحل ولم يروا
الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله الآية وقال في الفرقان الم
تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس
عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا ولنشرع في تفسير
هذه الآية المذكورة في سورة الفرقان فنقول انه تعالى استدل
بحال الظل في زيادته ونقصانه وتغيره من حال الى حال على وجود
الصانع الحكيم اما قوله الم تر ففيه وجهان احدهما انه من رؤية
العين والثاني انه من رؤية القلب وهو العلم فان حملناه على رؤية
العين فالمعنى الم تر الى الظل كيف مدة ربك وان حملناه العلم وهو
اختيار الزجاج فالمعنى الم تعلم وهذا اولى وذلك لان الظل اذا جعلناه

من المبصرات فتأثير قدرة الله تعالى في تمديده غير مرئي بالاتفاق
ولكنه معلوم من حيث ان كل متغير ممكن وكل ممكن فله مؤثر فحمل
هذا اللفظ على رؤية القلب اولى من هذا الوجه المسئلة الثانية
المخاطب بهذا الخطاب وان كان هو الرسول بحسب ظاهر اللفظ
الا ان الخطاب عام في المعنى لان المقصود بالآية بيان انعام الله
تعالى بخلق الظل وجميع المكلفين يشتركون في انه يجب كونهم
منتبهين لهذه النعمة واستدلالا لاتهم بها على وجود الصانع الحكيم
سبحانه والكلام الملخص يرجع الى وجهين الاول الى الظل هو الامر
المتوسط بين الضوء الخالص والظلمة الخالصة وهو ما بين ظهور
الفجر الى طلوع الشمس وكذا الكيفيات الحاصلة داخل السقف بنيه
الجدران وهذه الحالة اطيب الاحوال لان الظلمة الحاصلة يكرهها
الطبع وينفر عنها المزاج واما الضوء الخالص وهو الكيفية
الفايضة من الشمس فهي لفوتها تبهر حس البصر ويفيد السخونة
القوية وهي موذية فاذا اطيب الاحوال هو الظل ولذلك وصف
الجنة به فقال وظل ممدود واذا ثبت هذا فنقول انه تعالى
بين ان هذا الظل من النعم العظيمة والمنافع الجليلة ثم ان الناظر في
الجسم الملون وقت الظل كانه لا يشاهد شيئا سوى الجسم وسوى
اللون ولا يعرف ان الظل امر ثالث به يكمل الانتفاع بمحسوسات
هذا العالم فاذا طلعت الشمس ووقع ضوءها على اجسام هذا العالم
زال ذلك الظل فلولا وقوع ضوء الشمس على الاجرام لما عرف ان
للظل وجودا وحقيقة لان الاشياء انما يعرف باضدادها

ولولا الظلمة لما عرف النور فكانه سبحانه لما اطلع الشمس على الارض
وزال الظل فحينئذ ظهر للعقول انا الظل كيفية زايدة على الجسم
واللون فلهذا قال سبحانه ثم جعلنا الشمس عليه دليلا اى خلقنا
الاظلال بما فيها من المنافع والخيرات ثم هدينا العقول الى معرفة
وجودها بان اطلعنا الشمس وكانت الشمس دليلا على وجود كيفية
الظل الذى هو منشاء المنافع الكثيرة ثم قبضناه اى ازلنا الظل
لا دفعة بل يسيرا يسيرا فانه كلما ازداد ارتفاع الشمس ازداد
نقصان الاظلال فى جانب المغرب ولما كانت الحركات المكانية
لا توجد دفعة بل يسيرا يسيرا فكذا ازوال الاظلال لا يكون
دفعة بل يسيرا يسيرا وايضا فقبض الاظلال لو حصلت دفعة
لاختلت المصالح ولكن قبضها يسيرا يسيرا يفيد رعاية مصالح
العالم والمراد بالقبض الازالة والاعدام وهذا احد التاويلين
التاويل الثانى انه سبحانه لما خلق الارض والسماء وما خلق
الشمس والقمر والكواكب وقع ظل السماء على الارض فحصلت
فى الارض ظلمة شديدة متكاثفة ثم انه خلق الشمس دليلا عليه
وذلك لان بحسب حركات الاضواء تتحرك الاظلال فانهما
متعاقبان متلازمان لا واسطة بينهما فبمقدار ما يزداد
احدهما ينتقص الاخر وكما ان المهتدي يهتدي بالهادى والدليل
ويلازمه فكذلك الاظلال كانها مهتدية بملازمة الاضواء
فهذا هو المراد من جعل الشمس دليلا عليها واما قوله تعالى
ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا فاما ان يكون المراد منه انها

الاظلال يسيرا يسيرا الى غاية نقصانها فسمى ازالة الاظلال
قبضا لها او يكون المراد من قبضها يسيرا يسيرا قبضها عند قيام
الساعة وذلك بقبض اسبابها وهى الاجرام التى يلقى الاظلال
وهو قوله يسيرا كقوله ذلك حشر علينا يسير فهذا هو التاويل
الملخص واذا عرفت هذا فنقول الاستدلال به على وجود الصانع
الحكيم سبحانه ظاهر وذلك لان حصول الظل امر نافع للاحياء
والعقلاء واما حصول الضوء الخالص والظلمة الخالصة فهو موجب
للمضار لا للمنافع وذلك لان تركيب الانسان تركيب ضعيف والحواس
الانسانية لا تطيق ادراك الكيفية القوية واعتبر ان النظر
الى النور القوى يعمى البصر وسماع الاصوات القوية يورث
الصمم وملامسة الحر القوى او البرد القوى يورث الموت
فلا بد من الاعتدال فى المدركات المحسوسات والظل كيفية
معتدلة كانها كيفية متولدة من امتزاج النور والظلمة فثبت
ان كيفية الظل من المنافع العظيمة واذا ثبت هذا فنقول هذه
الكيفية اما ان تكون من الواجبات والجايزات والاول باطل
والا لما تطرق المتغيرات اليه فاذا هو الجايزات فلا بد لوجوده
بعد العدم ولعدمه بعد الوجود من صانع قادر محسن رحيم
يقدر هذه الاظلال فى قوتها وضعفها بالمقدار المنافع وانتقالاتها
بالمقادير النافعة وما ذاك الا لانه سبحانه خصص الشمس والقمر
والنجوم كل واحد منها بمقدار خاص من الضوء وبمقدار خاص
من قوة الاضاءة وما ذاك الا من المحسن الرحيم الحكيم فهذا هو الكلام

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالاستدلال بوجود هذه الاظلال على الصانع الحكيم واعلم ان
اظلال انواعا من الخواص العجيبة الخاصية الاولى ان الاظلال في
انفسها متحركة الا ان الحس البتة لا يشاهد حركتها اما انها متحركة
فان العقل قاطع بكونها متحركة وذلك لان الحس شاهد انتقال
الظل من مكان الى مكان آخر ولولا حركته والا لما حصل هذا
الانتقال واما ان الحواس لا يشاهد حركاتها فالامر فيه ظاهر
النوع الخامس من المباحث المتعلقة بالنجوم اعلم انه تعالى ذكر
في القرآن انواعا من منافعها الاول كونها زينة السماء والثاني
كونها رجوما للشياطين والله تعالى ذكرهاتين المنفعتين معا
في آيتين احدهما قوله في الصافات انا زينا السماء الدنيا بزينة
الكواكب وحفظا من كل شيطان مارد وثانيهما قال في الملك
ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
وذكر تعالى في سورة الجن هذه المنفعة وهو كون هذه الكواكب
رجوما فقال حكاية عن الجن وانا لمسنا السماء فوجدناها ملئت
حرسا شديدا وشهبا فلنتكلم في شرح هاتين المنفعتين اما
المنفعة الاولى وهو كون هذه النجوم زينة للسماء الدنيا
ومصابيح فيها فاعلم ان هذا مشتمل على بحثين احدهما كونها زينة
ومصابيح والثاني انها في السماء الدنيا اما انها زينة فلا شك
فيه واما انه تعالى لم سماها بمصابيح في سورة الملك وذلك
لان المصابيح هي السرج والناس يزينون مساجدهم ودورهم
بالمصابيح فكانه قال ولقد زينا سقف الدار التي اجتمعتم فيها

بمصابيح

بمصابيح اى بمصابيح لا يساويها مصابيحكم في الاضاءة البحث
الثاني ان ظاهر هذه الاية يدل على ان هذه الكواكب مركوزة في
السماء الدنيا لكن اصحاب الهيئة والنجوم اتفقوا على ان هذه الثوابت
مركوزة في الفلك الثامن الذي هو فوق اكر السيارات واحتجوا عليه
بان بعض هذه الثوابت في الفلك الثامن فيجب ان يكون كلها هناك
وانما قلنا ان بعضها في الفلك الثامن وذلك لان الثوابت التي
يكون قريبة من المنطقة واقعة في ممر السيارات ان ينكسف بهذه
السيارات والمكسوف لابد وان يكون فوق الكاسف فهذه الثوابت
فوق اكر السيارات الكاسفات وانما قلنا انه لما كان بعض الثوابت
في الكرة الثامنة وجب ان يكون كلها في الكرة الثامنة لانها باسرها
متحركة بحركة واحدة بطيئة في كل مائة سنة درجة واحدة واعلم ان
هذه الحجة ضعيفة فانه لا يلزم من تشابه الثوابت كلها في الحركات
كونها باسرها مركوزة في كرة واحدة لانه لا يمتنع في العقل وجود
كرة تحت كرة القمر تكون مشابهة في البطء لكرة الثوابت وتكون
الكواكب التي لا ينكسف بهذه السيارات مركوزة في هذا الكرة
السفلية التي هي سماء الدنيا اذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين
بالصغر والكبر مع كونهما مشابهتين في الحركة الا ترى ان مماثلات
جميع السيارات سوى القمر متحركة بحركة بطيئة مشابهة لحركة
فلك الثوابت وعلى هذا التقدير لا يمتنع ان يكون اكثر هذه
المصابيح مركوزة في السماء الدنيا فان قيل هبان ما ذكرتم
يحتمل الا انكم سلمتم ان هذه الكواكب الثابتة الواقعة في ممر السيارات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

المنكسفة بها مركوزة في كرة فوق اكبر هذه السيارات السبعة
وحينئذ يعود الاشكال في تلك الكواكب والجواب من وجهين
الاول ان قوله ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح يقتضي ان
يكون السماء الدنيا مزينة بمصابيح وليس فيه دلالة على ان كل
الكواكب في هذه السماء وانما قوله في سورة والصافات انا زينا
السماء الدنيا بزينة الكواكب فصيغة الجمع ان كانت تفيد
الاستغراق الا ان اطلاق لفظ العموم لارادة الاكثر مجاز مشهور
في القران الوجه الثاني في الجواب ان قوله انا زينا السماء الدنيا
بزينة الكواكب لا يقتضي كون الكواكب موجودة فيها وذلك
لان السموات اذا كانت شفافة فالكواكب سواء كانت في السماء
الدنيا او كانت في سموات اخرى فوقها فهي لا بد وان يظهر في السماء
الدنيا ويلوح منها فعلى هذين التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة
بهذه المصابيح المنفعة الثانية للكواكب كونها رجوما للشياطين
يروى ان الجن كانوا يصعدون الى السموات ويستمعون الاخبار
ويرجعون الى الدنيا ويلقونها الى الخلق وكان يصير ذلك سببا
لتمكن الكهنة من الاخبار عن الغيوب فلما بعث الله محمدا عليه السلام
حرست السماء ورصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقا للسمع
رمي من هذه الكواكب بشهاب فاحرقته فهذا هو السبب في انقضاض
الشهب وهذا هو المراد من قوله وجعلناها رجوما للشياطين
ومن الناس من طعن فيه واحتج بوجوه الحجة الاولى ان انقضاض
الكواكب امر مذكور في كتب قدماء الفلاسفة قالوا ان الارض

اذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس فاذا بلغ كرة النار احترق
بها فتلك الشعلة هي الشهاب واذا كان الامر كذلك فكيف يمكن ان
يقال السبب فيه رمي الجن بالشعلة من النار الحجة الثانية ان
هؤلاء الجن كيف يعقل ان يشاهدوا واحدا والفا من جنسهم
كلما استرقوا السمع احترقوا ثم انهم مع ذلك يعودون الى مثل
صنعهم فان العاقل اذا راى الهلاك في ثنتي مرة واحدة والف الف مرة
امتنع ان يعود اليه من غير فايدة الحجة الثالثة انه روي في
الاخبار ان بحر كل واحد من السموات مسيرة خمسمائة عام
فهؤلاء الجن ان قدروا على خرق هذه السموات مع عظمها
فهذا باطل لانه تعالى نفى ان يكون فيها فطور قال هل ترى
من فطور وقال ما لها من فروج ووصفها بالشدة فقال سبعا
شدادا وان لم يقدر الجن على خرق اتصال السموات فكيف
يمكنهم ان يسمعوا اسرار الملئكة من هذا البعد العظيم ثم ان عقل
ان يسمعوا اسرار الملائكة من هذا البعد العظيم فلم لا يسمعوا
هذه الاسرار من الارض ايضا وحينئذ لا تبقى فايدة في تبعيدهم
من السماء الحجة الرابعة ان الملائكة انما اطلعوا على الاحوال
المستقبلة اما لانهم طالعوهم من اللوح المحفوظ لانهم يلقونها
من الوحي اليهم وعلى التقديرين فلم لم يسكنوا عن ذكرها حتى لا
يتمكن الشيطان من الوقوف عليها لا سيما وقد وصفهم الله
سبحانه بقوله لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون فاذا لم
ياذن الله لهم في ذلك الكلام لا يذكرونه واذا لم يذكروا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

عجز الشيطان عن الوقوف عليه الحجة الخامسة ان القرآن دال
على ان الشياطين مخلوقة من النار قال تعالى وخلق الجان من مارج
من نار والنار لا تحرق النار بل تقويها فكيف يعقل ان يقال
ان الشياطين يرجم عند استراق السمع بهذا الشهب الحجة السادسة
انا قلنا ان هذا القذف كان لاجل صون المعجزات عن شبهات الكهنة
فلم دام ذلك بعد وفات الرسول الحجة السابعة انه تعالى لما
قال زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
دل هذا على انه خلق الكواكب لهاتين المنفعتين فاذا كانت احدى
المنفعتين وهي التزين كانت موجودة قبل مبعث محمد عليه السلام
وجب ان يكون المنفعة الثانية ايضا كانت موجودة قبل مبعث
محمد عليه السلام الحجة الثامنة ان وصف هذا الانقضاض
جاء في شعر الجاهلية قال ابو ذؤيب بن حازم والعير يرهقها الغبار
وحمحمها نفض حلفاها انقضاض الكوكب وقال اوس بن حجر
وبعض كالدري منبعه نفع بنور محانه طينا وقال عون الحرع
يرد علينا العير مزدوان الله والنور كالدري تقضه الدم الحجة
التاسعة روى الزهري عن علي بن الحسين عن ابن عباس قال بينما
رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في نفر من الانصار اذ رمي
برجم فاستنار فقال عليه السلام ما كنتم تقولون في مثل هذا
في الجاهلية فقالوا كنا نقول يموت عظيم او يولد عظيم قالوا فثبت
بهذه الوجوه ان هذه الشهب لا يجوز ان يكون المعنى فيها ما ذكرتم
والجواب عن الشبهة الاولى انا لا ينكر ان هذه الشهب كانت موجودة

قبل

قبل مبعث النبي عليه السلام لمنافع اخرى الا ان ذلك لا ينافي
انها بعد المبعث قد حصلت بسبب آخر وهو دفع الجن وزجرهم
ويروى انه قيل للزهري اكان يرى في الجاهلية قال نعم قلا فرأيت
قوله تعالى وانا كنا نقعد منها مقاعد للسمع الآية قال غلظ وشدد
امرها حين بعث النبي عليه السلام والجواب عن الشبهة الثانية
انا اذا جاء القضى عمى البصر فاذا قضى الله على طايفة منها
الاحراق لطغيانها واختلالها اوقع في قلوبهم من الدواعي
المطمعة في درك المطلوب ما عندها يقدمون على العمل المفضي
الى الهلاك والبوار والجواب عن شبهة الثالثة ان البعدين كل
سماء مسيرة خمسمائة عام انا نحن كل فلك فلعله لا يكون عظيما
والجواب عن الشبهة الرابعة ما روى الزهري عن علي بن الحسين
رضي عن ابن عباس وذكر قصة الرمي بالنجم قال فقال عليه السلام
انها لا ترمى لموت احد ولا لحيوته ولكن ربنا تعالى اذا قضى الامر
في السماء سبحت حملة العرش ثم يسبح اهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح
الى السماء الدنيا ثم يستخبر اهل كل سماء ماذا قال ربكم فيخبرونهم
ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى ان ينتهي الخبر
الى السماء الدنيا فتخطف الجن فيرمون والجواب عن الشبهة
الخامسة ما بينا ان الشهب كانت موجودة لسائر المنافع انها
في زمان محمد عليه السلام شددت وغلظت لهذا الامر فعند
زوال بعض المقاصد لا يجب زوال الشهب وهذا هو الجواب
عن بقية الشبهات المنفعة الثالثة في تخليق الكواكب انه تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

جعلها علامات يهتدي بها في ظلمات البر والبحر قال تعالى
وعلامات وبالنجم هم يهتدون المنفعة الرابعة ان نستدل
بحركاتها التسخيرية على وجود الصانع الحكيم كما قال في سورة
الاعراف والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره فهذه هي المنافع
المذكورة في القران واهل التجارب ذكروا وجوها اخرى منها انه
يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء ولذلك فانه اذا تكاثف
السحاب في الليل عظمت ظلمة الليل وذلك بسبب ان السحاب
يحجب انوارها ولا يبعد دخال هذه المنفعة تحت قوله تعالى
وعلامات وبالنجم هم يهتدون فان ذلك القدر من الاضاءة
اذا حصلت ترتب عليه الاهتداء ومنها انه يحصل بسببها
تفاوت في احوال الفصول الاربعة وذلك لانها اجسام
عظيمة نورانية فاذا قارنت الشمس كوكبا ناريا مسخنا صار
الصيف اقوى حرا وهو مثل نار يضم الى نار اخرى فانه لاشك انه
يكون الاثر الحاصل من المجموع اقوى ومنها انه يستدل ببعض الكواكب
على معرفة القبلة ولاشك انها من المهمات واعلم انه سبحانه بين
ان في تخليق البعوضة حكما عظيمة فقال ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا ما بعوضة فما فوقها فاذا كانت خلقة البعوضة لا تنفك
عن حكمة قاهرة ودلائل باهرة فكيف يجوز انفكاك خلقة هذه
النجوم الشديدة والكواكب النورانية الدرية عن حكمة شريفة
واسرار قدسية لجميع اجزاء العالم بسمائه وكواكبه ورياحه
وبحاره وجباله ومعادنه ونباته وحيوانه واعضاء حيوانه

لا تخلو

لا تخلو ذرة من ذراته عن حكم كثيرة باهرة عرفناها او لم نعرفها
فسبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا **الباب الثالث**
في الاستدلال باحوال الانسان على وجود الصانع الحكيم وفيه
فصول **الفصل الاول** في الحكمة في خلق الانسان اعلم ان هذه
المناظرة شرحها الله تعالى في قوله واذ قال ربك للملائكة اني جاعل
في الارض خليفة الاية اعلم انه تعالى لم يذكر في هذه الاية وجه
الحكمة على التفصيل في خلق الانسان ولم يزد على قوله اني اعلم
ما لا تعلمون والعلماء في هذا المقام طريقان الطريق الاول
الطريقة الاجمالية التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية وتقريرها
انه تعالى قادر على جميع المقدورات منزه عن كل الحاجات عالم بكل
المعلومات واذا كان الامر كذلك كان لا محالة عالما بانه ما الذي
ينبغي فعله وما الذي ينبغي تركه وكان عالما لا محالة بكونه غنيا
عما لا ينبغي واذا كان كذلك امتنع اقدامه على فعل ما لا ينبغي و
اذا كان الامر كذلك ثبت ان كل ما يفعله الله تعالى صواب وحكمة
وانه منزه عن فعل العبث كما قال افحسبتم انما خلقناكم عبثا
ومنزه عن فعل اللعب كما قال وما خلقنا السماء والارض وما
بينهما لاعبين ومنزه عن فعل الباطل كما قال وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا بل كل ما فعله فهو انما يفعله بالحق
كما قال وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل
مسمى وله الملك والملك بالحق كما قال ثم ردوا الى الله مولاهم
الحق ومتى علمنا ان الامر كذلك علمنا ان له في تخليق البشر حكمة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالغة واسرار شريفة ولكنه تعالى ما كشف تفاصيلها للبشر كما قال
ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم فوجب الايمان
بتلك الحكمة على سبيل الاجمال وترك الخوض في تفاصيلها الفريقة
الثانية بيان حكمة خلق الانسان على التفصيل وفيه وجوه الاول
ان المخلوقات على اربعة اقسام احدها الذي له عقل ولا شهوة له
وهم الملائكة قال تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يؤمرون
وقال يخافون ربهم من فوقهم الاية والثاني الذي له شهوة ولا عقل
وهو كل الحيوانات ما سوى الانسان والثالث الذي له شهوة
وعقل وهو الانسان فان رجح شهوته على عقله التحق بالبهايم
بل كان اضل كما قال تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل وان رجح
عقله على شهوته التحق بالملائكة كما قال تعالى وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا والرابع الذي لا عقل له ولا شهوة وهو الجمادات
ثم انه سبحانه كان في عهد الاقدم والزمان الاسبق خلق الاقسام
الثلثة وبقي القسم الرابع وهو الذي يحصل فيه العقل والشهوة معا
فاقتضت قدرته التامة ومشيته الكاملة خلق هذا القسم الرابع
لئلا يبقى شيء من الاقسام الممكنة محروما عن وجود ايجاده ونعمة
ايداعه فعند هذا قال للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالت
الملائكة انك اذا جمعت بين الشهوة والغضب والعقل جاءت
المنازعة فتولد الفساد من الشهوة وتولد سفك الدماء من الغضب
فقال مدبر العالم المحيط علمه بجميع الكليات والجزئيات اني اعلم
ما لا تعلمون ويحتمل والله اعلم بمراده ان يقال انه يحصل من تخليقهم

وتكوينهم

وتكوينهم كمال حكمتي ورحمتي وقدرتي ويحصل منه ايضا كمال
حالهم ودرجتهم اما كمال قدرتي فلئلا يبقى هذا القسم محرومًا
عن انوار الجود واما كمال حكمتي فلانه وان كان الفساد والسفك
يحصلان كثيرا الا انه لا كثر عددهما وحصول العبودية والتذلل
فترك الخير الكثير لاجل الشر القليل شر كثير وهو غير لايق بحكمة الله
واما كمال حالهم ودرجاتهم فهو ان العمل بمقتضى العقل عند
عدم الشهوة ليس في غاية الكمال انما الكمال هو العمل بمقتضى العقل
مع قيام منازع الشهوة كما في حق البشر فيحتمل في ظننا ان المراد
بقوله تعالى اني اعلم ما لا تعلمون هذا المعنى والله اعلم باسرار
كلامه التقسيم الثاني للمخلوقات اعلم ان مخلوقات الله تعالى
بحسب التقسيم العقلي على ثلثة اقسام فاما ان تكون ارواحا
قدسية نورانية ربانية بلا اجساد واما ان يكون اجسادا
بلا ارواح واما ان يكون مركبة من الارواح والاجساد
القسم الاول فهم الملائكة ولهذا السر سماهم الله تعالى
في القرآن روحا قال تعالى في سورة البقرة في صفة عيسى
عليه السلام وايدناه بروح القدس وقال نزل به الروح
الامين على قلبك وقال في سورة مريم فارسلنا اليها روحنا
فتمثل لها بشرا سويا وقال في عم يوم يقوم الروح والملائكة
صفا سمى انوارهم في ارواح البشر روحا فقال في النحل تنزل
الملائكة بالروح من امره وقال وكذلك اوحينا اليك روحا
من امرنا واما القسم الثاني اعني ان يكون اجسادا بلا ارواح

فهي الحيوانات والنبات والمعادن فان قيل الحيوان له روح
فكيف ادخلته تحت القسم الذي لا روح له قلنا مرادنا من الروح
اللطيفة التي تقوى على ادراك المعقولات والمجردات وليس لسائر
الحيوانات هذا الروح ولما دخل في الوجود هذان القسمان بقي
القسم الثالث وهو الموجود الذي يحصل من الازدواج بين الارواح
العلوية النورانية الربانية اللطيفة والاجسام الظلمانية
الشهوانية الكثيفة فحصل من ذلك الازدواج الانسان فجسده
من عالم الخلق وروحه من عالم الامر فلا جرم قال الاله الخالق الامر
وحصل جسده بالتسوية وروحه بالنفخ قال فاذا سويته ونفخت
فيه من روحي وكان جسده من فطرة هذا العالم وروحه من فطرة
العالم الاعلى فقال في فطرة جسده ولقد خلقنا الانسان
من سلالة من طين الى تمام المراتب الستة ثم قال في فطرة روحه
في المرتبة السابعة ثم انشأناه خلقا آخر وذكر ان جسده
من هذا العالم فقال قل انما انا بشر مثلكم وان روحه متوجه
الى ذلك العالم وهو قوله يوحى الي وبين ان طاعة الجسد هو
الاشتغال بالعبادات وان طاعة الروح هو التوكل على رب
الارضين والسموات فقال في آخر هود فاعبده وتوكل عليه
واعلم ان دلائل كمال القدرة وجلال الحكمة في تخليق هذا النوع
اتم واكمل وبيانه من وجوه الحجة الاولى ان الروح علوي
والبدن سفلي والعلو والسفل ضدان والروح نوراني والبدن
ظلماني والنور والظلمة ضدان والروح لطيف والبدن كثيف

والطائفة

والطائفة والكثافة ضدان والروح سماوي والبدن ارضي
والسماء والارض ضدان والروح رحماني بدليل انه لا يرغب
الا في معرفة الله ولا يفرح الا بخدمة الله ولا يميل الا الى محبة
الله ولا يبتهج الا بمطالعة انوار جلال الله ولا يطمئن الا بذكر
الله ولا يستقر الا على عتبة قدس كبرياء الله واما البدن
فانه شهواني ظلماني شيطاني لانه لا يفتدي الا بدردي عالم
الجسمانيات ولا يعصي الله الا في عالم الجسمانيات ولا يفرح
ولا يقوى الجسم الا بالانغماس في الشهوانيات والظلمانيات
واذا كان الامر على هذه الجهة حصل بين الروح والجسد منافاة
عظيمة ومباينة تامة والجمع بينهما يدل على قدرة كاملة وحكمة
عالية الاله الخالق والامر تبارك الله رب العالمين الحجة الثانية
ان الشوق الى الله مقام شريف وفيه لذة عجيبة وهذا المقام
غير حاصل الا للبشر واعلم ان هذا الكلام لا يتخلص الا بتقديم حقيقة
الشوق فنقول ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك من وجه
ولم يدرك من وجه آخر اما الذي لم يدرك بوجه من الوجوه
اصلا فلا يشتاق اليه فان من لم ير شخصا ولم يسمع وصفه
لم يتصور ان يشتاق اليه وما ادرك بتمامه وكماله لا يشتاق اليه
لان الشوق طلب وطلب الحاضر محال ثم ان الشوق الى المحبوب
يقع على وجهين الاول اذا رآه ثم غاب عنه بقي في خياله اثر
تلك الصورة المحسوسة فاشتاق الروح الى ان ينقل ذلك الاثر
من عالم الخيال الى عالم الحس والوجه الثاني ان يرى وجه محبوبه

ولا يرى شعره ولا سائر جسده ومحاسنه فيشتاق الى ان
ينكشف له ما لم ير قط واذا عرفت هذا فنقول هذان البرهانان
غير متصورين في حق الملائكة اما الوجه الاول فلان ذلك
انما يمكن اذا ادرك ثم غاب ويمتنع في حق الملائكة ان يغيبوا
عن شيء عرفوه فكل ما عرفوه فذلك المعرفان حاضر لهم ابدا لا
يتبدل ذلك المعرفان بالغفلة ولا ذلك الحضور بالغيبة وهذا
هو المراد بقوله سبحانه يسبحون الليل والنهار لا يفترون
وقوله وما منا الا له مقام معلوم وبقوله عليه السلام
من الملائكة صافون لا يركعون وراكعون لا يسجدون
وبالجملة فاحوالهم باقية ومعارفهم دائمة وهم مصونون
عن تغيرات الاحوال وتبدلات المعارف فان حصل لهم شوق
فذلك يكون من القسم الثاني اما الانسان فان هذين القسمين
لا يمكن وقوعهما له بالنسبة الى معرفة الله تعالى بل هما لازمان
لكل العارفين ضرورة اما القسم الاول فلان الذي تجلى
للعارفين من الامور الالهية وان كان في غاية الوضوح و
الانجلاء الا انه يكون مشوبا بشوائب التخيلات فان الخيالات
لا يفترق في هذا العالم عن المحاكات والتمثيلات وهي مكدرات
للمعارف وانما تمام التجلي في الاخرة بحيث تزول الخيالات
وتبطل التمثيلات فهذا احد نوعي الشوق وهو استكمال
الوضوح فيما اتضح والقسم الثاني ان الامور الالهية لانهاية
لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها ويكون الحاضر

متناهيا والغائب غير متناه ولو ان العارف خلق في اول وقت
حدوث العالم ثم سار باسرع سير في درجات المعارف الالهية
بلا طار حول عرش الجلال اشد طيران الى آخر وقت يتخيله الخيال
ويستحضره العقل من اواخر اوقات اهل الجنة واهل النار
لكان الحاصل من طيرانه وسيره متناهيا ويكون ما لم يصل اليه
غير متناه واذا كان الامر كذلك فظهر ان القسم الاول من الشوق
يزول في الاخرة واما القسم الثاني من الشوق الى الله تعالى فانه البتة
لا يزول بل كلما كان السير اشد واكثر كان الشوق اتم واكمل واذا
عرفت هذه القاعدة فنقول كل من عرف شيئا على حالة واحدة فان كان
تلك الحالة موجبة للذة ثم بقيت فعند بقائها واستمرارها لا تبقى
لذيذا وكذا اذا كان مولما فعند استمراره لا تبقى مولما بل اللذة والالم
لا يحصلان الا عند الانتقال من احد الجانبين الى الجانب الاخر
ولنضرب لهذا مثالا من المحسوسات فاحوال الخلق بالنسبة
الى الاغذية الطيبة والاطعمة اللذيذة ثلثة الاول حال الملوك
المنعمين المتوسعين في اكل الاشياء اللذيذة الطيبة لا يلتذون
بها وذلك لانهم لما واظبوا على اكلها اعتادوها فلا جرم لا
يلتذون بها واما القسم الثاني الفقراء الذين لا ياكلون الا
الاطعمة الخشنة البشعة ولم يتفق لهم البتة تناول الاطعمة الطيبة
القسم الثالث الذين في اكثر الامر ياكلون الاطعمة الخشنة
البشعة وقد يتفق لهم في بعض الاحوال تناول الاطعمة الطيبة
اللذيذة فهؤلاء اذا وجدوا طعاما فيه ادنى طيب ولذة فانهم

يستلذونها في الغاية واذا عرفت هذا فنقول الملائكة
المقربون وان كانت درجاتهم في العرفان عالية الا ان تلك
الدرجات باقية مستمرة فهم كالملوك المتنعمين فانهم وان كانوا
مواظبين على الاغتذاء بانوار جلال الله والاستنشاق من روح
نسيم الله الا انه لم يتفق لهم فترة في هذه الحالة ولا انتقال
عن هذه الدرجة وما وقعوا في ظلمة المعصية وانكسار ظلمات
الذنوب واما الحيوانات فحالهم يشبه حال الفقراء المواظبين
على الفقر والضر والبوس والمسكنة والجوع والعرى ولم يتفق
لهم انتقال من هذه الحالة الى حالة طيبة فلاجرم لم يكن لهم الم
من الحالة التي هم فيها اما الانسان فتارة يقع في ظلمات عالم
الاجسام وتارة يتخلص منها الى انوار عالم القدس وسبحات
سرادقات الجلال فيتنقلون تارة من الشدة الى الرخا واخرى
من الرخا الى الشدة فاذا انتقلوا من الشدة الى الرخا ومن الابتلاء
الى النعماء عظم التذاذهم فلاجرم يحصل هناك من اللذات والسعادات
ما لا عين رات ولا اذن سمعت واذا كانت اسباب هذه الغيبة
بعد الحضور بعد الغيبة متعاقبة على الارواح البشرية في دار
الدنيا حصلت هناك الام ولذات متعاقبة واللذة اذا حصلت
بحيث يكون قبلها فقدان وبعدها توقع حرمان كان الالتذاذ
بها اشد واكمل فهذا النوع من السعادة والبهجة حاصلة
للانسان وغير حاصلة لا للملائكة ولا لسائر المخلوقات
فيمكن ان يكون المراد من قوله اني اعلم ما لا تعلمون هذه الحالة

واليه الاشارة بقوله وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا
فقوله وحملها الانسان اشارة الى تجلي انوار عالم القدس في روح
الانسان وقوله انه كان ظلوما جهولا اشارة الى ظلمات النفس
الجسمانية والموانع الشهوانية النفسانية الوجه الثالث ان تخليق
الملائكة ظهرت القدرة والحكمة وذلك لان كمال قوتهم يدل على
كمال قدرة خالقهم وكمال عصمتهم يدل على كمال حكمة خالقهم اما تخليق
البشر ظهر كمال الجود وكمال الرحمة اما كمال الجود فانه لا مناسبة بين
التراب وبين جلال رب الارباب ثم انه برحمته وكرمه جعله
مركز المحبة ومعدن المعرفة كما قال يحبهم ويحبونه واما كمال الرحمة
فانه مع كثرة معاصيه اظهر فيهم انواعا من العجايب فاودع
في قلبه نور عرفان جلاله واجرى على لسانه ذكر توحيده وجعل
عينيه محلا لابصاره لايلمه واذنه محلا لسماع كلامه فالملائكة
ظهرت بهم القدرة والحكمة والبشر ظهر بهم الجود والرحمة الوجه
الرابع ان الملائكة خلقوا من الانوار اما آثار التركيب في البشر اكثر
وذلك لانه تعالى خلقك من جوهرين الروح والبدن واظهر لك
من اثنين الاب والام وركبك من اثنين المنى والدم وجعل لك
مطيتين الليل والنهار وغذاك بغذاءين الطعام والشراب واعدلك
دارين الجنة والنار وكل هذا ليتحقق صدق قوله ومن كل شئ خلقنا
زوجين ومن كل زوجين اثنين الوجه الخامس ان العبد يعلم
ربه بالقدس والعظمة وصفات الجلال والاكرام مع انه ابعد
الاشياء مشابهة له ومشاكلة ثم انه لا يعلم روحه ونفسه

مع انه هو هو كما قال قل الروح من امر ربي الآية ليعلم العبد ان ذلك
كله بسبب مدد التوفيق والارشاد لا بسبب الجد والاجتهاد القسم
الثالث ان نقول الموجودات بحسب القسمة اربعة احدها موجود
لا اول لوجوده ولا آخر وهو الحق سبحانه والثاني موجود له اول
وآخر وهو الدنيا والثالث موجود له اول ولا آخر له وهو العبد
والآخرة واما القسم الرابع وهو الذي لا اول له ولا آخر فهو محال
لما ثبت في علم الاصول ان ما ثبت قدمه استحال عدمه واذا عرفت
هذا فنقول اما الدنيا فلك اول ولا اخر لك وكذلك الآخرة لها
اول ولا آخر لها فانظر انك كفوا الدنيا او كفوا الآخرة لا يخفى
عليك انك كفوا الآخرة فلما كان الامر كذلك فالحق سبحانه خلق
الملائكة للبقاء ابدا الآباد في الآخرة وخلقك ايضا للبقاء
ابدا الآباد في الآخرة لان اظهار القدرة والحكمة والرحمة
في خلقك للبقاء اتم من اظهارها بسبب خلق الملائكة وذلك
لانها ذوات نورانية مبرات عن الآفات والاسقام والاعلال
والامراض فلعله يخطر ببال احد ان بقاءها انما كان لكونها
نورانية صافية ثم انه تعالى اذا لهذا الحياة بان خلقك
من اكثف الاشياء واشدها ظلمة وهو التراب وجعلك محل
الاسقام والاعلال ومنزل الآفات والامراض ثم جعلك
في البقاء الابدي كفوا الملائكة المقربين ليظهر للخلق ان البقاء
لا يحصل الا بايقائه والوجود لا يحصل الا بايجاده وابداعه
واعلم انك قد عرفت ان الدنيا لها اول وآخر وهذا يقتضي

انها لا تبقى البتة وكما ان من صفتها انها لا تبقى البتة فكذلك من
صفتها ان الانسان كلما كان اشد قبضا للدنيا وامساكا لها
كان فوات الدنيا عنه اكثر والدليل عليه انه تعالى شبه الدنيا
بالماء فقال انما مثل الحيوة الدنيا كماء الاية والماء اذا عرفت منه
بقي في يدك فاما اذا قبضت يدك لا يبقى من الماء في يدك شيء
وكلما كان ذلك القبض اشد كان عدم بقاء الماء في الكف اكمل
فكذا الدنيا مهما اخذتها لا بالحرص فربما حصلت فاما اذا قبضت
عليها بمخالب حرصك فانت وخرجت عن يدك فان قيل فيري
ان البخيل الذي يمسك المال يكثر ماله والسخي الذي ينفق المال
نقد ماله واختل حاله قلنا هذا خطا لان الذي تظن انه بقي عليه
ماله ليس كذلك لانه يموت ويوخذ ذلك من غير حمد ولا اجر
ولا يبقى عليه الا الحساب والذي ينفقه في سبيل الله يبقى كل ذلك
في خزانة رحمة الله كما قال ما عندكم ينفد وما عند الله باق القسم
الرابع للمخلوقات انها على ثلثة اقسام اما كاملة لا يتطرق
النقصان اليها وهم اصحاب العالم العلوي اجسادهم السموات
وارواحهم الملائكة واما ناقصة لا يتطرق اليه الكمالات وهي
الحيوانات والنبات والمعادن وبقي من التقسيم قسم ثالث وهم
الذين تارة يكونون كاملين وتارة يصيرون ناقصين فاذا
صاروا في حد الكمال كانوا فوق العرش جالسين مع الملائكة المقربين
في حضرة رب العالمين معترفين على عتبة عزة الله مواظبين
على ذكر جلال الله متفكرين في معارج الاء الله متوكلين على خزائن

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مشتغلين بخدمة مستغرقين في محبة الله محترقين بنور عظمته الله
وتارة ينزلون الى حد النقصان ومقام الشهوة والغضب اما في
مقام الشهوة فتارة يكونون كخنزير اجيع ثم ارسل على النجاسات
وتارة كالذباب الذي مهما دب آب الى القاذورات واما في مقام
الغضب فتارة يكونون كالكلب العقور واخرى كالحمل الصؤول واما
كالنار المحرقة والسيول المغرقة فهو مع كونه شخصا واحدا يصدق عليه
انه ملك نوراني وشيطان ظلماني وخنزير حريص وحمار صبور و
كلب نابح وثعلب رواغ وفاسق خبيث وملك كريم ولا شك ان تركيب
شخص واحد يظهر هذه الآثار المتناقضة والاحوال المتباينة ادل
على كمال القدرة واعظم في اظهار آثار الحكمة فلهذا السبب
والله اعلم قال اني اعلم ما لا تعلمون واعلم ان الانسان الموصوف
بهذه الصفات بعثه الى هذه الدنيا ليكون مسافرا قال امير المؤمنين
رضي الله عنه الناس سفر والدنيا دار ممر لا دار مقر وبطن امه
مبدا سفره والآخرة مقصده وزمان حياته مقدار مسافته
وسنوه منازله وشهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه
خطاه يسار به سير السفينة براكبها فقد دعي الى دار السلام كما قال
تعالى لهم دار السلام عند ربهم وقال والله يدعوا الى دار السلام
فان دار السلام اشرف البقاع واعز المواضع قال تعالى لهم جنات
تجري من تحتها الانهار وقال وجنة عرضها كعرض السموات والارض
اعدت للمتقين لكن الطريق الى دار السلام مظلم جدا فهو برحمته
يهدي اليه وبفضله يرشد اليه واحسانه يدعوا اليه وبكرمه يسهل

المشي اليه وبجوده يعفو عن السيئات ويتجاوز عن الذنوب
فلهذا المعنى قال اني اعلم ما لا تعلمون فهذا تمام الكلام في حكمة
خلق الانسان **الفصل الثاني** في شرح فضيلة الانسان
قال الله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الاية اعلم ان هذه الاية
مشتملة على اربعة انواع من التشريفات النوع الاول قوله تعالى
ولقد كرمنا بني آدم وفيه مباحث البحث الاول اعلم انه سبحانه
بنى ثناء امرك في الاول والوسط والنهاية على الكرم واعرف
العدد بذلك ثم بين الحق نهاية كرامتك ثم شبهك في ذلك بالملائكة
المقربين اما انه بنى اول امرك على الكرم فهو قوله تعالى اقرا باسم
ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرا وربك الاكرم الذي
علم بالقلم فهذه الآية اول آية انزلها الله تعالى على محمد عليه السلام
وقوله اقرا باسم ربك اشارة الى اول وجودك فثبت ان اول
آية انزلها الله تعالى على محمد انما انزلها لبيان كرمه ووجوده في
اول احوال تخليقك وايجادك وفيه دقيقة وهي انه اول امرك
غير مبني على كونه كريما بل على كونه اكرم الموجودات لانه قال اقرا وربك
الاكرم ويتاكد هذا الكلام الذي ذكرناه بما يروى ان آدم عليه السلام
لما عطس فقالت الملائكة له قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال الله
يرحمك الله ولذلك خلقتك وانما انه بنى وسط امرك على الكرم
فهو قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم واما انه بنى خاتمة امرك
على الكرم فهو قول يوم القيامة عند عجزك وشدة خوفك وعدم
قدرتك على تمهيد الاعتذار يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم

ثم قال بعض المفسرين هذا تلقين الجواب والمقصود ان يقول
العبد يا رب غرني بك غاية كرمك واما انه بنى نهاية امرك
على الكرم فهو قوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم فلما كان اول
هذا الامر واوسطه واخره مبنيا على الكرم ظهر ان العبد لا يضع
في بحار كرمه ولا يخيب مع كثرة ذنبه واما انا اعترف العلماء
بذلك فلان اعدى الاعداء هو ابليس وقد اعترف بذلك بحيث
قال ارايتك هذا الذي كرمت علي الاية واما انه تعالى بين به
نهاية كرامتك فهو قوله ان اكرمكم عند الله اتقيكم واما انه
شبههم بالملائكة المقربين في هذه الصفة فلانه تعالى وصف
الملائكة بالكرم فقال في صفة جبريل انه لقول رسول كريم
وقال في صفة يوسف عليه السلام ما هذا بشرا ان هذا الا ملك
كريم وقال في صفة الملائكة الذين كانوا ضيف ابرهيم هل اتيك
حديث ضيف ابرهيم المكرمين وقال في صفة جميع الملائكة
بل عباد مكرمون وههنا دقيقة وهو انه تعالى قال في بيان
صفة الملائكة انهم مكرمون من غير تشديد وقال في حق البشر
ولقد كرمنا بني ادم ذكره مع التشديد والمقصود من هذا
التشديد بيان تكثير الكرامات في حق البشر وقال ابو يزيد البسطامي
انا نواع نعم الله تعالى في حق البشر غير متناهية الا ترى الى قوله
وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها هذا على سبيل الاجمال واما
على سبيل التفصيل فمن وجوه منها انه كل ساعة يمطر على المتوكلين
مطر الكفاية بدليل قوله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن كان من

فهو متوكل على الله بدليل قوله تعالى فقل حسبي الله لا اله الا
هو الاية وقال حكاية عن الصحابة انهم قالوا حسبنا الله ونعم
الوكيل ثم قال فانقلبوا بنعمة من الله وفضل ومنها انه تعالى
يمطر كل ساعة على المطيعين مطر المودة قال تعالى سيجعل لهم
الرحمن ودا ومنها انه تعالى يمطر على المجتهدين مطر الهداية قال
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ومنها انه يمطر على
المتذكرين مطر البصيرة قال ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف
من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون ومنها انه يمطر
على الشاكرين مطر الزيادة قال لئن شكرتم لازيدنكم والاستقصاء
في هذا الباب خارج عن وسع البشر وكل داخل تحت قوله ولقد
كرمنا بني ادم واعلم ان عطية الله تعالى لها اسماء كثيرة في
القران احديها الفضل قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك
فليفرحوا اي ينبغي ان يكون من حكم بفضل الله عليكم لا باعمالكم
وهذا هو مذهب اهل السنة والجماعة فانهم يقولون العبد
وان اطاع ربه باعظم الطاعات من اول خلق العالم الى قيام
الساعة فانه لا يدخل الجنة الا بلطفه ورحمته ولا يكون
العبد على ربه دين ولا حق ومما يدل على صحة هذا المعنى وجوه
الاول ان هذا العبد ان اطاع فربما وجد من صحة هذا من كان
ازكى منه واكثر صدقا وعلما منه مع انه وقع في الكفر واذا كان
كذلك وكل واحد من هذين العبدين اعني المطيع والعاصي والمؤمن
والكافر والمقر والمنكر يصح ان يصدر من كل واحد منهما كل واحد من

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من هذين العملين بدلا عن الثانى فهذا المطبع كما اختار الطاعة
مع انه كان يجوز منه ان يختار المعصية بدلا عن الطاعة فاما ان
يقال حصل هذا الرجحان من غير مرجح وهو يفضى الى نفى الصانع
او يتوقف على مرجح وذلك المرجح ان كان من العبد عاد الطلب
الاول ويفضى الى التسلسل وان كان من الله فحينئذ يكون صدور
تلك الطاعة من الله تعالى فى حقه نعمة واذا كان صدور الطاعة
من العبد عين نعمة الله تعالى على العبد فكيف يستحق العبد بنعمة الله
عليه فى الدنيا نعمة اخرى منه فى العقبى فهذا برهان اوضح من
ضوء الشمس على انه كل ما يحصل فانما يحصل بفضل الله ولهذا
قال تعالى قل بفضل الله وبرحمته الآية الحجة الثانية وهو ان
العبد الى ان يصير بحيث يقدر على ان ياتى بالطاعة ويحترز عن
المعصية فقد سبق من الله عليه نعمة عظيمة كما قال تعالى كيف
تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم الآية فهو الذى يخلقه بعد
ان كان معدوما محضا كما قال وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا
ثم خلقه من التراب كما قال منها خلقناكم الآية ثم رده فى اطوار
الخلقة وادوار الفطرة ثم نفخ فيه الروح وخلق فيه الحيوة كما قال
ثم انشاناه خلقا آخر ثم اعطاه القدرة كما قال الله الذى
خلقكم من ضعف الآية ثم اعطاه العقل والعلم كما قال والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا ثم اعطاه الصورة
الحسنة كما قال وصوركم فاحسن صوركم ثم اعطاه الله الاغذية
والارزاق كما قال الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم انه تعالى بعد

هذه

هذه النعمة العظيمة الدنيوية انعم عليه بالنعم العظيمة الدينية
وهو بعثه الرسل وانزال الكتب وازالة الجهل والختم والوقر والرين
والغشاوة والقساوة من قلبه واعطاه التوفيق والهداية والعصمة
ثم ان هذا العبد بعد هذه النعم العظيمة اتى بطاعات قليلة كما يليق
بقدرته القاصرة وعقله المختصر الا يحكم العقل بوقوع هذه
الطاعة اليسيرة قضاء لحق تلك النعم العظيمة المتقدمة واذا وقعت
هذه الطاعات قضاء لتلك النعم السابقة امتنع صيرورتها
موجبة لنعمة اخرى واذا كان الامر كذلك علمنا ان دخول الجنة
يكون بمحض فضله ورحمته الحجة الثالثة هب انه يمكن ان يصير
عمل العبد علة لاستحقاق الثواب على الله تعالى الا ان فرح العبد
بما يعطيه الله بفضله واحسانه بحيث يكون اعظم من فرحه
بما يجده من كسبه واجتهاده ومثاله ان من وجد من كسبه دينارا
ووجد من تشريف الملك المعظم خلعة نفيسة على سبيل الاعزاز
فان فرح كل عاقل بما حصل من تشريف الملك يكون اتم واكمل من ذلك
القليل الذى حصل بكسبه فاذا كان الامر كذلك فى السلطان
المجازى فى الملك المختصر فما ظنك بتشريف سلطان السلاطين
على سبيل الحقيقة فى اعطاء ملك لا يبدى فلهذا قال سبحانه
قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا الحجة الرابعة
انه تعالى جعل اشتغال العبد بالطاعة مبدا الخيرات وجعل
اعانة الله له على تلك الطاعات غاية السعادات الابدية
الا ترى انه قال اولا اياك نعبد ثم قال واياك نستعين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وقال اولا والذين جاهدوا فينا ثم قال لنهدينهم سبلنا وفي
هذه الدلايل كثرة ومقصودنا هنا من اقامة هذه الدلايل القاطعة
على صحة قوله تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا
الاسم الثاني من اسماء عطية الله المنه قال الله تعالى بل الله
يمن عليكم ان هديكم للايمان وقال لقد من الله على المؤمنين
الاية ومن الاسماء الواردة في الحديث الحنان المنان فان
قيل اليس انه تعالى نهى رسوله عن المنة فقال ولا تمنن تستكثر
ونهى الامة فقال لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وبين ان
المنة توجب الربا فقال كالذي ينفق ماله رياء الناس فاذا بينت
ان هذه الخصلة مذمومة فكيف ارتضاها لنفسه الجواب
انه تعالى اذا انعم على العبد ثم من عليه بتلك النعمة صار العبد
مشغولا بالمنة وصار غافلا عن النعمة والمنة صفة الحق والنعمة
من جنس الخلق والاشتغال بصفة الحق اولى من الاشتغال بالخلق
الاسم الثالث من اسماء عطية الله تعالى الاحسان قال تعالى
هل جزاء الاحسان الا الاحسان وقال يوسف عليه السلام
وقد احسن بي اذ اخرجني من السجن وقال موسى عليه السلام
لقارون واحسن كما احسن الله اليك الاسم الرابع اللطيف
قال تعالى الله لطيف بعباده ومن لطفه انه نور قلبك بالهدى
وجنبك عن الردى والهوى وجعلك من امة المصطفى ووعدك
ان يصونك عن العذاب تحت الثرى ويحشرك في رباب زمر المتقى
ويقيك من عذاب سقر ولظى ويدخلك جنة المأوى ويعطيك

الزيادة المذكورة في قوله للذين احسنوا الحسنى الاسم الخامس
الهبة قال الله تعالى يهب لمن يشاء اناثا ويهب لمن يشاء الذكور الاسم
السادس الفتح قال تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك
لها وقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق الاسم السابع
الاكرام والتكريم كما في قوله ولقد كرمنا بني ادم والتكريم جعل الشيء
كريما انما يكون بحصول صفات الكمال فيه وحصول تلك الصفات
لا يكون الا بايجاد الحق وتكوينه فظهر ان التكريم لا يحصل الا باكرامه
والحسنى لا يحصل الا من جوده واحسانه البحث الثالث في قوله ولقد
كرمنا بني ادم واعلم انه قد اختلف المفسرون في المراد بهذا التكريم
وذكروا فيه اقوالا كثيرة وطريق ضبط القول فيها ان نقول هذا
التكريم اما ان يكون المراد منه احوالا موجودة في جسد الانسان
او احوالا موجودة في روحه او مجموعهما اما الاحوال الجسدانية
فيمكن حمل هذا التكريم على امور النوع الاول ان يكون المراد ولقد
كرمنا بني ادم بالصور الحسنة من جملة نعم الله على العبد وجوه
الاول قوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم الحجة الثانية
قوله صبغة الله ومن احسن من الله صبغة واعلم ان الصبغ ما
يلون به الثياب يقال صبغ الثوب يصبغه بفتح الباء وكسرها
وضمها ثلث لغات وصبغا وصبغا بفتح الصاد وكسرها لغتان
والصبغة فعلة من الصبغ كالجلسة من الجلس وهي الحالة التي
يقع عليها الصبغ وذكروا في المراد بصبغة الله وجوها الاول
ان المراد به تركيبه وخلقته وصورته وعلى هذا القول فالاية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تدل على كمال حسن صورة الانسان من وجهين احدهما انه تعالى
لما اضاف هذه الصبغة الى نفسه دل ذلك على كمالها كما في قوله
بيت الله وناقة الله والثاني انه قال ومن احسن من الله صبغة وهذا
يدل على كمال هذه الصبغة والثالث ان المراد منه دين الله ثم ذكروا
فانه لم سمي دين الله بصبغة الله ذكروا فيه وجوها الاول ان
بعض النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية
ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قالوا
لابيه الان نصرانيا فقال تعالى اطلبوا صبغة الله وهي الدين
والاسلام لا صبغتهم فعلى هذا السبب في اطلاق لفظ الصبغة على
الدين طريق المشاكلة ونظيره قوله تعالى فمن اعتدى عليكم واعتدوا
عليه بمثل ما اعتدى عليكم وجزاء سيئة سيئة مثلها انما نحن
مستهزؤن الله يستهزئ بهم يخادعون الله وهو خادعهم ومكروا
ومكر الله فان تسخروا منا فانا نسخر منكم الثاني ان اليهود
تصبغ ابناءها تهودا والنصارى تصبغ ابناءها تنصرا بمعنى ليقوتهم
فيصبغونهم بذلك لما يشربون قلوبا ولادهم حب هذه الاديان
قال ابن الانباري يقال فلان يصبغ فلانا في الشر اي يدخله فيه
ويلزمه اياه كما جعل الصبغ لازما للثوب وانشد ثعلب دع الشر
وانزل بالنجاة تحذا اذا لم يصبغك في الشر صابغ والثالث انه سمى
الدين صبغة لان هيئة تطهر بالمشاهدة من اثر الطهارة والصلاة
وغيرها قال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود والرابع قال
القاضي عبد الجبار بن احمد الهمداني صبغة الله متعلق بقوله قولوا امنا

بالله

بالله الى قوله ونحن له مسلمون فوصف هذا الايمان الصادر منهم
بانه صبغة الله ليبين ان المباينة بين هذا الدين الذي اختاره
الله وبين الدين الذي اختاره المبطل ظاهرة جلية كما تظهر المباينة
بين الالوان والاصباغ لذوي الحس السليم الحجة الثالثة قوله تعالى
لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واعلم ان التقويم
تصيير الشيء على ما ينبغي ان يكون في التاليف والتعديل يقال
قومه تقويما فاستقام وتقوم ثم ذكروا في هذا التقويم
وجوها الاول منها ما نقل عن يحيى بن اكثم وجماعة انه حسن الصورة
يحكى ان ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها ان لم
تكوني احسن من القمر فانت طالق فافتى الكل بالحنث الا يحيى بن
اكثم فانه قال لا يقع الطلاق فقيل له لم خالفت شيوخك فقال الفتوى
بالعلم والدين وبهذا افتى من هو اعلم منا وهو الله سبحانه حيث
يقول لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم وكان بعض الصالحين
يقول الهنا اعطيتنا في الدنيا احسن الاشكال فاعطنا في الاخرة
احسن الفعال وهو العفو عن الذنوب والتجاوز عن العيوب
الحجة الرابعة ان كل شخص فله حكمان احدهما من قبل جسمه وهو
منظره والاخر من قبل نفسه وهو مخبره وكثيرا ما يتلازمان
ولذلك فزع اصحاب الفراسة في معرفة احوال النفس والاخلاق
الهيئة البدنية حتى قال بعض الحكماء قلما توجد صورة حسنة
تدبرها نفس خسيسة فنقش الخواتيم مقرون من الطين وطلاقة
الوجه عنوان ما في النفس وقال عليه السلام اطلبوا الحوائج

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من حسان الوجوه وقال عمر اذا بعثتم رسولا فاطلبوا حسن
الوجه حسن الاسم وحكى ان المامون استعرض جيشا فمر به
رجل قبيح فاستنطقه فراه لكن فامر باسقاطه وقال ان الروح
اذا وقع اثرها في الظاهر كان صباحة واذا وقع اثرها في الباطن
كان فصاحة وهذا الرجل لاظاهر له ولا باطن الحجة الخامسة
في ان كمال الجسم من الفضايل قوله تعالى وزاده بسطة في العلم
والجسم واعلم ان حسن الصورة وان كان امرا مرغوبا فيه الا ان
حسن السيرة افضل منه ويدل عليه وجوه الاول ان حسن
الصورة من مطالب الشهوة وحسن السيرة من مطالب الحكمة
ولا شك ان الحكمة افضل من الشهوة فكان حسن السيرة افضل
من حسن الصورة وحسن السيرة ثم انه بسبب حسن الصورة وقع
في انواع من البلاء منها ان اباه كان يحبه ازيد كما قال مخبرا
عن اخوته اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا فلاجرم
قصدوا قتله كما حكى الله عنهم فقالوا اقتلوا يوسفا الاية وثانيها
انه وقع بسبب الحسن في اسر الرق والشرى قال وشروه بثمن بخس
والثالث انه بسبب الحسن في مزاحمة مراودة المراة كما قال وراودته
التي هو في بيتها عن نفسه والرابع انه وقع في الهم قال ولقد
همت به وهم بها وخامسها وقع في الخوف عن زوج تلك المراة
قال والفيا سيدها لدى الباب وسادسها انهم جعلوه في
السجن بسبب هذه الواقعة وبقي هناك مدة طويلة قال تعالى
فلبث في السجن بضع سنين فهذه هي الافات الحاصلة بسبب حسن الصورة

واما الخيرات الحاصلة له بسبب حسن السيرة فوجوه احدها انه
لما كان عالما بعلم التعبير خاطبوه بخطاب التعظيم واستفتوا منه
تعبير تلك الرؤيا قال تعالى يوسف ايها الصديق افتنا في سبع
بقرات الاية وثانيها ان الملك لما وجد عنده هذا العلم طلبه
واخرجه من السجن قال تعالى وقال الملك ايتوني به استخلصه
لنفسي والثالث انه زالت التهمة عنه في ذلك الوقت ببركة العلم
قالت امراة العزيز الان حصحص الحق انا راودته عن نفسه الاية
والرابع ان الملك اصطفاه لنفسه عند ذلك واثنى عليه وقال
الملك ايتوني به استخلصه لنفسي وقال انك اليوم لدينا مكين
امين ولم يقل صبيح مليح الخامس ان يوسف توسل الى ذلك
الملك بحسن السيرة لا بحسن الصورة فقال تعالى حكاية عن يوسف
اجعلني على خزاين الارض اني حفيظ عليم فثبت بما قلنا انه وقع
في ستة انواع من البلاء بسبب حسن الصورة ووصل الى ستة انواع
من الخيرات بسبب حسن السيرة وذلك يدل على ان حسن السيرة افضل
من حسن الصورة الحجة الثالثة ان النسوة لما راين يوسف قلن
حاش لله ما هذا بشرا ان هذا الا ملك كريم شبهن يوسف بالملك
وذلك التشبيه كان في حسن السيرة لا في حسن الصورة لانه عليه السلام
دخل مطرقا راسه ولم ينظر الى واحدة منهن مع انه كان في اول
زمان الشباب واستيلاء الشهوة فلما شاهدت منه تلك السيرة
الحسنة صارت صورته في حب سيرته مضمحلة ذاهبة حتى ان
النسوة مع شدة شهوتهن لم يذكرن منه الصورة بل ذكرن منه السيرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة الحجة الرابعة
ان حسن الصورة من تفاخر النساء وحسن السيرة من تفاخر الرجال
الحجة الخامسة انه تعالى وان كان لا يطلق في حقه لفظ حسن
السيرة الا ان المعنى حاصل لان افعاله كلها حسنة من حيث انها
احسان وانعام واكرام ولطف وكرم وهو تعالى منزه عن الصورة
وهذا يدل على ان حسن السيرة افضل من حسن الصورة الحجة
السادسة ان حسن الصورة لا يبقى الا اياما قلايل اما حسن السيرة
فانه لا يزول اثره ولا يبطل نتيجته فدل هذا على ان حسن السيرة
افضل من حسن الصورة فهذا جملة الكلام في شرح قول من قال ان
المراد بقوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم حسن الصورة الوجه الثاني
ان المراد من هذا التكريم امتداد القامة وذلك لان الشيء كلما
كان اكثر ارتفاعا وامتدادا كان اعلى في جنسه فالاشجار كلما كان
اكثر ارتفاعا كانت اشرف ولهذا السبب يسمى كل ما جاوز آحاد
جنسه بصفات الشرف بانه العالي والفايق الوجه الثالث
المراد بهذا التكريم انه تعالى اكرم الانسان حيث مكنه من القيام
والقعود والاستلقاء والاضطجاع واعلم انه تعالى خلق الخلق
على اربعة اصناف في التركيب منها ما يشبه القايمين وهي الاشجار
والنبات ومنها ما يشبه الراكعين وهي البهايم ومنها ما يشبه
الساجدين وهي الحشرات التي دبت على بطونها ووجوهها
ومنها ما يشبه القاعدين وهي الجبال والتلال انه سبحانه
اقدر الانسان على جميع هذه الهيئات ومكنه من ان يذكر الله سبحانه

على جميع هذه الاحوال كما قال الذين يذكرون الله قياما وقعودا
وعلى جنوبهم ومن اتى بركعة واحدة فقد حصلت في تلك الركعة
الواحدة هذه الهيئات الاربعة وهي القيام والقعود والركوع
والسجود فحينئذ يحصل له ثواب هذه الاربعة الاصنام فاقرار
الله تعالى الانسان على جميع هذه الهيئات هو المراد بقوله لقد
كرمنا بني آدم الوجه الرابع في هذا التكريم انه تعالى خلق بني آدم
من جوهر التراب وللتراب انواع من الفضايل احدها الوصلة
وذلك لانه تعالى خلق ابليس من النار كما قال خلقتني من نار وخلقته
من طين والنار سبب القطيعة والتراب سبب الوصلة والثاني
ان التراب امانة قال تعالى في كل سنبلة ماية حبة وفيه لطيفة
وهو انه تعالى خلق كل من شيء فيه امانة فاجتهد حتى لا تبذل
الامانة بالخيانة ولاجل كون التراب امينا قبل آدم الامانة وهو
قوله انا عرضنا الامانة على السموات الاية والثالث ان التراب طاهر
وطهور قال تعالى صعيدا طيبا ثم قال الطيبات للطيبين والطيبون
للطيبات فلاجل هذا السر اصطفى الله تعالى آدم فقال ان الله
اصطفى آدم ثم اصطفا ابناه فقال ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا ثم ذكرهم فقال ولقد كرمنا بني آدم والرابع
التواضع والدليل عليه ان آدم عليه السلام لما اتى بالزلة قال
في الحال ربنا ظلمنا انفسنا ولما اتى ابليس بالمعصية قال له ربه ما
فعلت فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين فتكبر
على الله ورد امر الله تعالى لقضاء الله عليه والخامس الطهارة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

قال عليه السلام التراب طهور المسلم والماء ايضا طهور قال الله
وانزلنا من السماء ماء طهورا ثم عجن الماء بالتراب طاهر بطاهر
وطهور بطهور واعلم ان النار لا ينطفى الا باحد هذين الشيئين
التراب والماء فجعل هذا الطين سببا لانطفاء نار الوسوسة
فى الدنيا وانطفاء نار جهنم فى الاخرة الوجه الخامس فى تفسير
قوله ولقد كرمنا بنى آدم قال ابن عباس كرمناهم بالاكل بالاصابع
واما البهايم فانها تاكل بالفم واعلم ان وجه التكريم فى هذا
المعنى من وجوه الاول ان الراس محل العقل والفكر والذهن
والاكل غذاء الشهوة والبطن ولا يليق بالحكمة ان يسجد الراس
الذى هو معدن العقل والفكر لاجل الغذاء الذى هو نصيب النفس
بل جعلت اليد خادمة للراس حتى ان اليد ترفع اللقمة الى الراس
كما تخدم العبد سيده وفيه لطيفة وهى سبحانه اغناك عن ان
تخضع راسك وتسجد لطلب الطعام فلا تحتقر بجهلك سجدة المخلوق
لطلب الطعام الوجه الثانى فى شرح هذه النعمة ان البهيمة تاخذ
علفها بفمها ملوثة ملطخة اما الانسان فانه ينظف طعامه
باصابعه ويميز جيده من ردية وها هنا دقيقة وهو ان الله
سبحانه علق رعاية مصالح البهايم بطباعها حتى انها بطباعها
تميز بين مصالحها ومفاسدها فتحترز وقت تناولها العلف عما
يوذيها وتختار ما ينفعها وهكذا يكون كل الطيور والبهايم
والحشرات من اول الامر فانما نور العقل فيه لا يميز بين النافع
والضار هذا اذا حملنا هذا التكريم على الاحوال الجسدانية

امّا حملنا هذا التكريم على الاحوال الروحانية ففيه وجوه الاول
ولقد كرمنا بنى آدم بالعقل والفهم واعلم انه سبحانه عظم امر
العقل فى كتابه من وجوه الاول تكثير اسمايه وسيجئ ونحن نذكرها
ههنا بعضها فالاسم الاول العقل قال موسى فى مناظرته مع فرعون
رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واوحى الله الى داود
عليه السلام اذا رايت عاقلا فكن له خادما وقال عليه السلام
اول ما خلق الله العقل قال له اقبل فاقبل ثم قال له ادبر ثم قال وعزتى
وجلالى ما خلقت خلقا اكرم على منك بك آخذ وبك اعطى وبك
اعاقب وبك اثيب وقال عليه السلام لا دين لمن لا عقل له وقال
لا يعجبكم اسلام امرء حتى تعرفوا كنه عقله وقالت الحكماء فى
تفسير هذا الخبر من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان خفه
فى اغلب خصال الشر عليه وايضا فالعقل قدره الانسان على القيام
باوامر الله فى قوله قد افلح من زكيها وقدره على تحصيل حرث الآخرة
قوله من كان يريد حرث الآخرة نزد له فى حرثه قالوا ثمرة حرث الآخرة
على التفصيل سبعة اشياء بقاء بلا فناء وقدرة بلا عجز وعلم بلا
جهل وغنى بلا حاجة وامن بلا خوف وراحه بلا شغل وعز بلا ذل
وايضا فان اكثر المفسرين اتفقوا على ان معنى قوله الله نور السموات
والارض اى هادى اهل السموات والارض ومعلوم ان كمال تلك
الهداية انما يحصل بالعقل وايضا العقل نوعان غريزى وهو القوة
المهيئة للعلوم الكلية القدسية ووجود هذه القوة فى الطفل
كوجود النخلة فى النواة والسنبلة فى الحبة ومستفاد وهو كمال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حال هذه القوة ثم هذا المستفاد ضربان ضرب يحصل للانسان
حالا فحالا بلا اختيار منه ولا يعرف كيف حصل ومن اين وضرب
يحصل باختياره ويعرف كيف حصل ومن اين حصل ولما انقسم
العقل الى الغريزى والمستفاد قال امير المؤمنين على رضى الله عنه
العقل عقلان مطبوع ومسموع ولا ينفع مسموع اذا لم يكن
مطبوع كما لا ينفع الشمس وضوء العين ممنوع والى القسم الاول
اشار النبى عليه السلام بقوله ما خلق الله خلقا اكرم عليه
من العقل والثانى اشار بقوله لعلى رضى الله عنه اذا يقرب الناس
الى خالقهم باعمالهم فتقرب انت اليه بعقلك تسبقهم بالدرجات
والزلفى عنده واعلم ان لفظ العقل فى اللغة مشتق من العقال
وهى اسم لما يقيد به البعير لئلا يشرد وسمى هذا المعنى به تشبيها
على عادتهم فى تسمية المعقولات باسم المحسوسات تنبيها على انه
هو الذى يمنع الانسان ويكون قيدا له على الاقدام على ما لا ينبغى
من الافعال الاسم الثانى اللب قال ولكم فى القصاص حيوة يا اولى
الالباب واعلم ان اللب من كل شئ هو المقصود الخالص منه وهذا
الاسم يدل على ان المقصود من الانسان العقل وكيف لا يكون
كذلك واشرف الامور الصادرة عن الانسان ان يعرف الحق
لذاته والخير لاجل العمل به ثم من الظاهر ان معرفة الحق اشرف
من عمل الخير ومعرفة الحق لا يمكن الا بالعقل فدل على ان لب الانسان
هو العقل الاسم الثالث النهى ويحتمل ان يكون جمعا لنهيه وان
يكون اسما مفردا وجعل اسما للعقل الذى ينهى عن الاشتغال

بالمحسوسات وتوجه الى عالم المعقولات فلهذا المعنى اختل
ارباب على تدبر معانى المحسوسات الى معرفة ما فيه من المعقولات
لقوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا وقال فى طه وانزلنا
من السماء ماء الى قوله لايات لاولى النهى الاسم الرابع الحجر
واصل الحجر المنع وهو ان يحجر الانسان نفسه عن فعل ما لا ينبغى
قال تعالى هل فى ذلك قسم لذى حجر الاسم الخامس المحى من حج
الشئ اذا قطعه ومنه الاحجية فكانه سمى العقل بهذا الاسم
لكونه قاطعا بين الانسان وبين الافعال القبيحة الاسم
السادس العلم وهو ثمرة العقل ثم انه تعالى سمى العلم نورا والجهل
ظلمة فقال الله ولى الذين امنوا يخرجهم من الظلمات الى النور
وسماه ايضا روحا فى قوله وكذلك اوحينا اليك روحا من
امرنا وسماه ايضا حيوة والجهل موتا فقال اومن كان ميتا
فاحييناه وقال وما يستوى الاحياء ولا الاموات وايضا
سماه ماء فى قوله وانزل من السماء ماء فاذا كان العلم نتيجة
العقل وحال النتيجة فى العلو والشرف كذلك فاعرف ان الاصل
كيف يكون النوع الثانى فى بيان فضائل العقل قوله تعالى ان
فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب اى عقل فجعل من لا عقل له
كمن لا قلب له ونظيره وقوله لا ينفع مال ولا بنون الا من اتى الله
بقلب سليم وقال من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب والمراد
بالقلب فى كل هذه الايات العقل وقد اثبت الله تعالى للعقل
ابصارا وروية اما الابصار ففى قوله وتريهم ينظرون اليك

وهم لا يبصرون واما الرؤية ففي قوله ما كذب الفؤاد ما رأى
وقال في حق ابرهيم وكذلك نرى ابرهيم ملكوت السموات
والارض وقال الم تر الى ربك كيف مد الظل وقد سمى الله تعالى
ادراك العقل عمى في ايات منها قوله تعالى صم بكم عمى ومنها
فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور ومنها
قوله الذين كانت اعينهم في غطاء عن ذكري ولولا ان المراد هنا
من العين البصيرة لا البصر لما قال عن ذكري لان الذكر لا يدرك
بحاسة البصر وكيف لا يكون فقد البصيرة اعظم ضررا
من فقد البصر وقد عرفت ان البدن بمنزلة الفرس والنفس بمنزلة
الراكب وضرر عمى الراكب اشد عليه من عمى فرسه وقال تعالى
ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون وقال
ايضا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير فان قيل اذا كان
للعقل هذه الفضائل الكثيرة فلم قال اكثر اهل الجنة البله الجواب
من وجوه الاول المراد بالبله الجاهلون بامر الدنيا العالمون بامر
الاخرة كما قال الامن اتى الله بقلب سليم الثاني ان من عبد الله للجنة
فهو ابله في جنب من يعبده لكونه انه الهار با مالكا الثالث قال الحسن
اكثر اهل الجنة البله اي هم اصحاب الجنة كالعامي البله الرابع اكثر اهل
الجنة البله وهم اهل المعاصي الذين عفا الله عنهم واما العقلاء
والمطيعون فهم اهل الدرجات العلى الوجه الثاني في تفسير قوله
ولقد كرمنا بني ادم انه سبحانه خلق كل ما سواه لاجلك فقال
في الارضيات خلق لكم ما في الارض جميعا وقال في السموات

وسخر لكم ما في السموات وما في الارض فجعل الارض فراشا لنا
فقال الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وجعل السماء
سقفا لنا فقال وجعلنا السماء سقفا محفوظا وجعل كل ما في
الارض زرقا لنا فقال وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات
رزقا لكم وجعل الشمس موذنا لصلوتنا فقال فسبحان الله حين
تمسون وحين تصبحون وجعل القمر معرفا لاوقات صيامنا
وحجنا فقال قل هي مواقيت للناس والحج وزين السماء بالكواكب
لاجلنا فقال ولقد زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وجعل
الكواكب علامات نهتدي بها في اسفارنا فقال وعلامات وبالنجم
هم يهتدون وجعل الشمس متحركة حتى انا بحركاتها نجد القبلة
في النهار وجعل القطب ساكنا حتى انا بسكونه نجد القبلة في الليل
وخلق الانعام لغذائك وثيابك فقال والانعام خلقها لكم
فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ثم سخر لكم الخيل والبغال والحمير
لتركبوها وزينة ثم قال ويخلق ما لا تعلمون اعددت لكم في الدنيا
ما لا تعلمون بفضله ثم ذكر الرسول عليه السلام عن الله مثله
في الجنة فقال اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم خلق النبات لاجلك فقال كلوا
وارعوا انعامكم ثم قال انا اعطيناكم هذه الاشياء بالفضل قبل
الطاعة قبل السؤال وبالكرم كما قال واتاكم من كل ما سالتموه ثم جمع
جميع النعم فقال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها وهذه الخاتمة
اعظم من كل ما تقدم من النعم وذلك لان الانسان لما لم يشتغل بالشكر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لم يشتغل بعقد يد نعم الله عليه مهد برحمته عذره في ترك ذلك
الشكر فقال انها كثيرة وعقلك لا يقدر على استحصارها على
التفصيل وكان هذا النزك للعجز فكنت معذورا فيه وهو المراد
من قوله وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ثم قال ان الله غفور
رحيم ومعنى غفور يعني يستر عنك في الدنيا ورحيم يتجاوز عن
تقصيرك في الاخرة وقال في سورة ابرهيم وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار وهذه اشارة الى ان القدر
الذي يقدر عليه من الشكر فانه يفعله ويتغافل عنه الوجه الثاني
في تفسير قوله ولقد كرمنا بني ادم انه سخر قلبه لمعرفته ولسانه
لشهادته وبدنه لخدمته ثم في القيمة يعطيه كل ما يتمنى ويريد الى
ان يقول الحمد لله الذي صدقنا وعده الوجه الرابع انه جعل اباهم
آدم رسولا الى الملايكة حيث قال انبئهم باسمائهم ثم جعله
مسجودا لهم حيث قال اسجدوا لادم ثم لعن ابليس لاجل مخالفته
بالخروج من الجنة فقال اخرج منها فانك رجيم ثم اباح له اكل
الجنة فقال وكلا منها رغدا حيث شئتما ثم لما وقع في الزلة تاب
عليه قال فتاب عليه انه هو التواب الرحيم ثم اكرمه بالاصطفا
فقال ان الله اصطفى ادم ثم رخصة بالاجتباء من بعد العصيان
فقال وعصى ادم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
ومعلوم ان اكرام الاب سبب لاكرام الابن الوجه الخامس
انه تعالى جعل فيهم الانبياء والرسل والابرار كما قال موسى
عليه السلام اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم

ملوكا الوجه السادس اكرمناهم بالخط الحسن وقيل بالخلق
الحسن قال يزيد في الخلق ما يشاء الوجه السابع كرمنا بالفصاحة
والبلاغة قال واختلاف السنتكم والوانكم وقال عليه السلام
ان من البيان لسحرا وقالت الحكماء المرء باصغريه الوجه الثامن
اكرمنا بالاطعمة الضافية اللذيذة كالسمن والعسل اما السمن
فقال من بين فرث ودم لبنا خالصا سايغا للشاربين واما
العسل فقال يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء
للناس وكذا الزبد والسكر ثم انه تعالى ثم اباح الكل فقال
قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات من الرزق
ثم انه من كرمه اعطى هذه الاغذية اللطيفة ثم اوقع في القلب
ايثارها على الغير عند الحاجة اليها كما قال ويؤثرون على انفسهم
ولو كان بهم خصاصة حتى يجدنها يوم القيامة احسن واكمل
قال ما عندكم ينفد وما عند الله باق وعصمنا من حال في صفته
اذهبتم طيباتكم في حيوتكم الدنيا الوجه التاسع اكرمنا بالامر
والنهي والتشريف التكليف الا ترى انه لما كان ولد الانسان
اعز من عنده لاجرم يكون تكليفه على ولده اكثر منه على عبده
الوجه العاشر قال امير المؤمنين علي رضي الله عنه ولقد كرمنا بني ادم
بالدعوة الى الجنة قال تعالى والله يدعوا الى دار السلام واكرمهم
بالدعوة الى الدار ووعد لقاء الملك الجبار كما قال للذين احسنوا
الحسنى وزيادة الوجه الحادي عشر انه تعالى خلق الخلق اصنافا
مختلفة ثم خص الحيوان بمزيد الفضل والشرف وذلك لانه لو خلق

الألوكة
www.alukah.net

العرش والسموات والارض والشمس والقمر ولم يخلق حيوانا
البته لكان الكل عبثا لانه سبحانه منزه عن النفع والضر وليس
هناك حيوان ينتفع به البتة فكان خلق هذه الاشياء خاليا عن
الحكمة اما لو خلق العرش وخلق بعوضة وقال خلقت العرش
لينتفع به هذه البعوضة خرج التخليق عن ان يكون عبثا ودخل في
ان تكون حكمة فثبت بهذا ان العرش يمكن جعله تبعا للبعوضة
ولا يمكن جعل البعوضة للعرش فلهذا المعنى قال كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم فضل الادميين على كل الحيوانات كما قال
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ثم فضل الذكور على الاناث
فقال الرجال قوامون على النساء ثم فضل العلماء والمجاهدين
اما العلماء فقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا
العلم درجات واما المجاهدون فقالوا فضل الله المجاهدين
على القاعدين ثم فضل الانبياء فقال ان الله اصطفى ادم
ونوحا الاية ثم فضل اولى العزم فقال فاصبر كما صبر اولوا
العزم من الرسل ثم فضل اربعة منهم على الباقين وهم الخليل
والكليم والروح والحبيب فقال ولقد فضلنا بعض النبيين
على بعض ثم فضل محمدا عليه السلام على الكل فقال وكان
فضل الله عليك عظيما ثم كرمك بان جعلك مؤمنا برا بقيا
عارفا بربك مجاهدا في طاعته ثم جعلك على ملة ابرهيم ودين
محمد عليهم السلام الوجه الثاني عشر في تفسير هذا التكريم
انه كرمنا بالتقوى فقال ان اكرمكم عند الله اتقيكم والرسول

ابتى البشر لقوله تعالى وما ينطق عن الهوى ثم ابوبكر ابتى الامة
لقوله وسيجنبها الاتقى والجنة معدة للمتقين قال تعالى في صفة
الجنة اعدت للمتقين فالحمد لله الذي جعلنا من امة محمد ابتى الانبياء
وهو محمد عليه السلام ومن محى اكرم الاتقيا وهو ابوبكر رضي الله عنه
البحث الرابع في قوله ولقد كرمنا بني ادم فان قال قايل انكم فسرتم
هذا التكريم بهذا الوجوه الا ان فيه اشكالا وهو ان بني ادم فيهم
المؤمنين وفيهم الكافرين وكيف يليق هذا الشريف بالكافرين
والجواب من وجوه الاول ان فيه تبنيها على دقيقة لطيفة وهي ان
من ليس بمؤمن فكانه ليس من الاحياء بل ليس من الموجودات الثاني
ولقد كرمنا بني ادم معناه كرمنا من بين آدم كقوله واختار
موسى قومه اي من قومه والثالث ان تفسير التكريم بالاحوال التي
يشترك فيها المؤمن والكافر وهو الصورة الحسنة والقد المستقيم
والاغذية اللطيفة ويكون جميع المخلوقات مخلوقة لنا ويخص
خواص اهل الايمان بهم وعند هذا يقول التكريم عام في حق الكل
والاصطفاء خاص الا ترى انه تعالى قال ان الله اصطفى ادم ونوحا
وآل ابرهيم وقال يصطفي من الملايكة رسلا ومن الناس وقال
في حق موسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي وقال
في حق الامة ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الوجه
الرابع في الجواب انه تعالى عم المؤمن والكافر في تسمية اشياء
الخلق والرزق والاقدار وارسال الرسل وانزال الكتب والامر
والنهي والترغيب والترهيب ثم خص المؤمنين بسبعة اشياء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الاول الهداية انك لا تهدى من احببت والثانى المحبة والزينة
ولكن الله حبب اليكم الايمان وزينه فى قلوبكم والثالث
التيسير فسنيسره لليسرى والرابع التوفيق ما شاء الله
لا قوة الا بالله قال وما توفيقى الا بالله والخامس كراهية
الكفر وكره اليكم الكفر والفسوق والعصيان والسادس
القبول انما يتقبل الله من المتقين والسابع المغفرة ان الله
لا يغفر ان يشرك به فهذا جملة الكلام فى تفسيره قوله ولقد
كرمنا بنى ادم النوع الثانى من التشريفات المذكورة فى هذه
الاية قوله وحملناهم فى البر والبحر والمعنى اعطيناهم المراكب
اما فى البر فهى الخيل والبغال والحمير لاجل ركوبنا وحمل اثقالنا
كما قال وتحمل اثقالكم الى بلد الاية واما فى البحر فهى السفن والزوارق
وفيه نكته وهى ان الدنيا بحر المؤمن ودار البلاء ثم انه فى الدنيا
اعطى انواع المركوبات والاخرة دار الرحمة والاحسان فكيف
يترك العبد فى القيامة بغير مركوب فلهذا قال يوم نحشر
المتقين الى الرحمن وفدا اى الراكبين على الجنايب والنجايب وقال
الصادق رضى الله عنه البر هو النفس والبحر هو القلب فمن حمله
فى النفس فقد اكرمه بنور التدبير ومن حمله فى القلب فقد اكرمه
بنور التاييد وقال بعضهم وحملناهم فى البر والبحر اى تكلفنا
تحصيل مصالحهم فى كل الاحوال النوع الثالث من التشريفات قوله
ورزقناهم من الطيبات اى اطعمناهم الاطعمة اللذيذة
كالسمن والعسل والزبد والسكر ومارزقناهم شيئا من الخبث

والادى وذلك لان الجن ياكلون العظم ودوابهم ياكلون الروث
والبهايم تعتلف البر والعشب والطيور تلتقط الحب والسباع
ياكل الجيف اما اغذية بنى ادم فهى لطيفة نقية فيا ايها المسكين
انه ما اطعمك الا الطيبات فلا تبتنا ولا تسوء اختيارك اى لحم
الميتة قال تعالى ايحب احدكم ان ياكل لحم اخيه ميتا وقال بعضهم
ورزقناهم من الطيبات اى نارة مطبوخا واخرى غير مطبوخ و
اما سائر الحيوانات فغذاؤها غير مطبوخ اصلا وقيل رزقناهم
من الطيبات المعرفة والمناجات كما قال عليه السلام ابيت عند ربى
يطعمنى ويسقينى النوع الرابع من التشريفات فى هذه الاية قوله
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا والكلام فى هذه الاية
يتعلق بمسئلة تفضيل الملك على البشر وسيجى على الاستقصاء قال
كعب الاحبار الخلق ثلثة اصناف الملايكة وهم عقل بلا شهوة
والبهايم ولها شهوة بلا عقل والادمى وله كلاهما فمن كانت شهوته
راجحة على عقله فهو اخس من البهايم كما قال اولئك كالانعام
بل هم اضل فعلى هذا القياس من كان عقله راجحا على شهوته وجب
ان يكون افضل من الملايكة وايضا فهذه المراتب الاربعة مجموعها
غير المذكور لاحد سوى بنى ادم وهذا يدل على انهم افضل واعلم
ان قوله ولقد كرمنا بنى ادم فيه تشريف عظيم وذلك لان التكريم
عبارة عن جعل الشئ كريما والكريم هو الذى يكون منشا الكرم
وهذا تنبيه على انه تعالى جعل بنى ادم مدبر الحيوانات ومصلحا
لاحوالها وضابطا لامورها على الوجه الاصلح الاليق فيصير منشاه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

كونه خليفة الله في الارض كما قال اني جاعل في الارض خليفة
ثم قال في المرتبة الثانية وحملناهم في البر والبحر وفيه اشارة
الى علو درجاته واعظم مقاماته والتحقيق فيه هو ان الانسان
كائنة جالس على الحد المشترك الذي هو اخر مراتب الارضيات واول
مراتب عالم السموات فنسبته الى الارضيات بالفعل والتدبير
ونسبته الى السموات بالانفعال والقبول وقوله ولقد كرمنا
بني ادم اشارة الى كونه متصرفا في السفليات وقوله وحملناهم
في البر والبحر اشارة الى فيضان انوار عالم السموات عليه ثم قال
ورزقناهم من الطيبات اشارة الى بيان التربية الواصلة اليه
من عالم الغيب اما الى نفسه وروحه فبالعلم والحكمة والعصمة
والتسديد واما الى جسده وقالبه فبالاغذية الموافقة واما
قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا فهو اشارة الى دقيقة
عجيبة وذلك ان الملائكة ارواح عقلية محضة مطهرة عن علائق
الحس والخيال والشهوة والغضب والحيوانات اجساد محضة لا خبر
عندها من عالم المعقول ومغيبات القيامة واما الانسان
فهو مستجمع المنزلتين مستحضر للدرجتين فهو مع الملائكة ملك
ومع السباع سبع ومع البهايم بهيمة ومع الشياطين شيطان
فكونه مستجمعا لكل هذه الاحوال يصلح ان يكون مرادا من قوله
وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا والله اعلم باسرار كلامه

الفصل الثالث في بيان ان الآباء آدم عليه السلام

اعلم ان المخلوقات على قسمين منهم من كان من جملة المكلفين ومنهم

من لم يكن كذلك واجمع العقلاء على ان المكلف افضل ممن لا يكون
مكلفا وكيف لا يكون كذلك قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون وهذا نص صريح في ان المقصود من الخلق انما هو
التكليف واذا كان كذلك فكلما بقي في الخلق من يكون قائما بهذه
التكليف بقي عالم الخلق فاذا لم يبق احد يقوم باداء التكليف صار
عالم المخلوقات عبثا والحكيم لا يرضى بالعبث فحينئذ تخرب السموات
والارضين وتقيم القيمة فاذا تاملت هذا علمت ان قيام السموات
والارض والجبال والبحار ودوران الشمس والقمر والنجوم كلها
كالطفيلي على قيام ذلك الشخص الاشعث الاغبر الذي يرده الخلق
ولا يقبله احد من الناس باداء تكاليف الله فهو قايم باداء التكاليف
ومشتغل باداء العبودية والسموات والشمس والقمر والنجوم
والعناصر والمواليد باقية لبقائه فجملة ملوك الارض انما ياكلون
من قوات سفرته وانما يشربون من بقيه ما ركوبه وهذا
هو المراد من قوله عليه السلام ان لله تعالى عبادا في العالم هم
السبب الاصلي في مصالح اهل العالم فبهم يمطرون وبهم يرزقون
في كل جنس من هوامكم واجلهم وله اصحاب يقربون منه تلك
الاكمل الاقوى في القيام بعهدا وامر الله تعالى وهو المسمى
بقطب الارض والذين يقربون منه ولكنهم بعدما وصلوا
اليه فهم اصحابه واذا عرفت هذا فنقول اصناف المكلفين
اربعة الملائكة والانس والجن والشياطين اما الملائكة
فقد روي في الاخبار ان الله تعالى خلقهم من الريح وهذا الخبر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

متاكد بوجوه عقلية احدها انهم قدروا على الطيران
على اسرع الوجوه وثانيها انهم قدروا على حمل العرش وذلك
لان الريح صاعدة بالطبع فيستقل بحمل هذه الاشياء والثالث
انهم سموا روحانيين واشتقاقا لروحاني من الريح وروى ايضا
في بعض الاخبار انهم خلقوا من النور ثم هذه الرواية ايضا
تاكدت بوجوه عقلية احدها انهم صافية عن الكدورات
في طاعة رب الارض والسموات والثاني انها توغلت بقوة
نورانية في بحار عرفان جلال الله والثالث انهم بسبب تلك
النورانية برات عن المعاصي والذنوب وعند هذا قال
بعض العلماء الاولى ان يجمع بين الروايتين فيقول ابدانهم
من الريح وارواحهم من النور فهؤلاء سكان عالم السموات
واما الشياطين فمنهم كفرة اما ابليس فكفره ظاهر لانه تعالى
قال وكان من الكافرين واما سائر الشياطين فمنهم ايضا
كفرة بدليل قوله وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم
وان اطعتموهم انكم لمشركون ثم انهم باسرهم اعداء للبشر
بدليل قوله في صفة ابليس ففسق عن امر ربه الآية وقال تعالى
وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن واما الجن
فمنهم كافر ومنهم مسلم قال تعالى وانا من المسلمين ومنا القاسطون
فهذا هو الكلام في تفصيل احوال هذه الاجناس الثلثة واما
الجنس الرابع وهو البشر فلا شك ان منهم مؤمنا ومنهم كافرا
واما اصلهم فهم من شخص واحد هو ادم الآباء والذي يدل

على وجوب انتهاء هذه الاشخاص البشرية الى شخص هو اول الآباء
وجوه الحجة الاولى انه لو وجد انسان في الازل فكذلك الانسان
اما ان يقال انه كان مسبوقا بانسان آخر وما كان مسبوقا بانسان
آخر فالاول محال اذ يلزم ان يكون الازلي مسبوقا بالغير وهذا
محال لان الازل عبارة عن نفي المسبوقية والجمع بين المسبوقية
واللامسبوقية وهو محال وان لم يكن مسبوقا بانسان آخر فذلك
الانسان هو الانسان الاول فالآباء منتهية الى الاب الاول
وهو المطلوب الحجة الثانية ان الانسان لا ينفك عن تغير
الحالات وتبدل الصفات لكن تغير الحالات في الازل محال
وهذا يقتضي انه لم يوجد احد من البشر في الازل واذا كان كذلك
وجب القول بانتهاء الناس الى انسان اول الحجة الثالثة لو لم
يكن للآباء مبداء اول لتوقف حصول الواحد منا على انقضاء آباء
لا نهاية لهم لكن انقضاء ما لا نهاية له محال والموقوف على المحال
محال فكان ينبغي ان لا يوجد هذا الولد وحيث وجد علمنا ان الذين
انقضوا لهم اول ومبداء الحجة الرابعة لو حصل شيء من الناس
في الازل لما فني لان الازلي لا يقبل العدم الحجة الخامسة ان الذين
وجدوا فيما قبل لو لم يكن لهم مبداء لكانت اعدادهم غير متناهية
ولو كان كذلك لامتنع الانقضاء عليها لان انقضاء ما لا نهاية
له محال الحجة السادسة ان كل عدد داخل في الوجود فهو قابل
للزيادة والنقصان وكل ما كان كذلك فهو متناه فكل ما دخل
في الوجود فهو متناه الحجة السابعة ان مجموع الآباء الذين لا نهاية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لهم من الانسان الاباء الذين لهم نهاية وهذا المتناهي اكثر
عددا من مجموع كل واحد من هاتين الجملتين وحدها فيكون كل
واحد من الجملتين وهذا اقل من المجموع وما كان اقل من غيره فهو
متناه والمجموع ضعف المتناهي فيكون الكل متناهيا الحجة
الثامنة كل عدد موجود فهو اما شفع او وتر وعلى التقديرين
فهو متناه فكل عدد موجود فهو متناه فثبت بهذه البراهين
وجوب انتهاء الاباء الى الاب الاول فان قيل انا لم نشاهد
انسانا يكون الا من نطفة الاب في رحم الام فهذا يقتضي
ان يكون كل انسان مسبوقا بانسان اخر والجواب ان المحققين
من الفلاسفة اتفقوا على انه يمكن حدوث الانسان بالتولد
كما يمكن حدوثه بالتوالد واحتجوا عليه بوجوه الحجة الاولى
ان بدن الانسان انما يتولد من اجتماع العناصر الاربعة واذا
كان الامر كذلك وجب ان يكون المحدث لبدن الانسان هو الله
تعالى اما المقدمة الاولى فالدليل على صحتها ان هذه الاعضاء
الحيوانية اذا احترقت انفصل عنها ماء ورماد وبقاعدت
ابخرة كثيرة عنها وذلك يدل على ان الابدان الحيوانية مؤتلفة
عن هذه العناصر وانما قلنا انه لما كان الامر كذلك كان محدثها
هو الله سبحانه وذلك لان هذه العناصر الاربعة طبايع متضادة
متنافرة موجبة للتباين مانعة من الاجتماع واذا كان الامر
كذلك فهي مع كونها متشارعة الى التباين لما اجتمعت افتقر
اجتماعها الى جامع وذلك الجامع اما ان يكون قوة حالة فيها

اوشيئا آخر خارجا عنها والاول محال لان القوة الحالة فيها
اما ان يكون حالة في بسايطها او في الجسم المركب المتولد من امتزاجها
والاول باطل لانا بينا ان الطبايع الحالة في تلك البسايط بوجه
التباين والتنافر فلا يكون موجبة لاجتماعها وامتزاجها القسم
الثاني ايضا باطل لان القوة الحاصلة للجسم المتولد عن امتزاجها
تبع لتلك الامتزاجات ومتاخرة عنها والمقتضي لتلك الامتزاجات
فتقدمت عليها والمتاخر لا يكون تفصيل المتقدم فثبت ان الجامع
لهذه العناصر لا قوة حالة في بسايطها ولا قوة حالة في الجسم
المتولد من امتزاجاتها فاذن ذلك الجامع شيء مباين عنها وهو
الله سبحانه فثبت ان المحدث لهذه الابدان الحيوانية هو الله
سبحانه واذا كان كذلك كان قادرا على احداثها كيف شاء
واراد فيكون قادرا على احداثها من غير سبق الاب والام وهو
المطلوب الحجة الثانية ان الكيفية المزاجية الحاصلة في
ابدان الحيوانات انما يحدث بايجاد الله تعالى لا لاجل امتزاج
هذه العناصر ومتى كان الامر كذلك وجب ان يكون الله تعالى
قادرا على ايجاد هذه الكيفية الملايمة كيف شاء واراد من
غير واسطة الاب والام وانما قلنا ان حدوث هذه الكيفية
ليس لاجل امتزاج هذه العناصر وذلك لان الحار والبارد اذا
اختلطا فاما ان يكون تاثير كل واحد منهما في كسر الاخر معا
او على التعاقب والاول باطل لان العلة موجودة مع المعلول
وعلة انكسار كل واحد منهما هي قوة الاخر فلو حصل الانكسار

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان لا يحصل كون كل واحد منهما قوتا حال كون كل واحد منهما
منكسرا وذلك محال والثانى ايضا محال لان احدهما لما انكسر
بالثانى امتنع ان يصير المغلوب بعد صيرورته مغلوبا غالبا
فعلى هذا التقدير لا يكون هذا مزاجا بل يكون كونا وفسادا
ولما بطل هذان القسمان ثبت ان حصول هذه الكيفية الملائمة
للحيوة ليس لاجل امتزاج الطبايع والعناصر بل هى كيفية يخلقها
الله تعالى ويحدثها ابتداء واذا كان الامر كذلك كان الله تعالى
قادرا على خلقها كيف شاء واراد فيكون قادرا على احداثها
فى الجسم من غير سبق الام والاب وهو المطلوب الحجة الثالثة
هب ان حدوث تلك الكيفية انما يكون بسبب امتزاج العناصر
واجتماع الطبايع لكنا نقول ان ذلك المزاج انما حدث لان
الاجزاء مخصوصة مقدرة بمقدار مخصوص اجتمعت واختلطت
فلزم من اجتماعها واختلاطها تاثر بعضها عن البعض ولزم من
ذلك التاثر حصول المزاج المخصوص الانسانى ولزم من حصول
ذلك المزاج المخصوص حدوث النفس الانسانية فاذا مهما حصلت
تلك الاجزاء المخصوصة بذلك التصغير المخصوص وحصل اختلاط
بعضها بالبعض يحدث الانسان بالتوالد لكن حدوث تلك الاجزاء
المخصوصة بذلك التصغير المخصوص مع اختلاط تلك الاجزاء
بالبعض امر ممكن والمعلق بالممكن ممكن فحدوث الانسان على
سبيل التوالد امر ممكن وهذه نكتة موجهة جدا على اصول
الفلاسفة الحجة الرابعة ان انقطاع النوع امر ممكن واذا كان

كذلك

كذلك وجب ان يكون الحدوث على سبيل التوالد ممكنا اما ان انقطاع
النوع امر ممكن فلانه ليس بواجب ان يكون عن كل انسان انسان
واذا كان هذا الاحتمال قايما فى كل واحد كان قايما فى الكل فثبت
ان انقطاع النوع امر ممكن واذا ثبت هذا وجب ان يكون الحدوث
على سبيل التوالد امرا ممكنا اذ لو لم يكن كذلك لوجب ان يقع الانقطاع
الذى لا عود له الحجة الخامسة انا نشاهد حدوث كثير من الحيوانات
بالتولد فقد تحدث حيات من الشعر وعقارب من اللبن والبا ذروج
والفار متولد من المدر والضفادع متولد من المطر وجميع هذه
الاشياء كما انها تحدث بالتوالد فهى ايضا تحدث بالتوالد وليس
اذا انقطع هذا التولد فلم نشاهده فى سنين كثيرة وجب ان لا يكون
له وجود فى الندرة عند شكل نادر يحصل فى الفلك لا يتكرر الى
الحين الحجة السادسة ان اكثر الناس يعجبون من تولد الحيوانات
من الطين ولا يتعجبون من تولدها فى الرحم من الماء المهين وهذا اعجب
فى الحقيقة وذلك لان الناس يقدرون على تصوير الحيوانات من الطين
ومن الخشب ومن الحديد كما هو موجود ولا يمكنهم ان يصوروا حيوانا
من الماء لان الماء جسم سيال لا يتماسك فيه الصور فتكون هذه
الحيوانات فى الارحام من الماء المهين اعجب فى الحكمة واعظم فى
القدرة من ان يكون من الطين فان قال قايل اذا كان الصانع المختار
قادرا على ان يخلق الولد من دون الابوين فلم لم يخلق هكذا ليكون
الدلالة اقوى الجواب ان الحكمة فيه من وجوه الاول ان خلق
البشر من غير هذا الوجه يبطل التعارف بالانساب وفى بطلانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سقوط المصالح الكثيرة بين الناس في المعاملات وقد نبه الله
تعالى عليه فقال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم
شعوبا وقبايل لتعارفوا والثاني لولم يحصل التولد لبطلت صلة
الرحم وزال تعطف القرابات وبطل تلذذ الاباء بالابناء وتعزز
الابناء بالاباء وفيه زوال مصالح كثيرة من العالم وقد نبه الله تعالى
عليه فقال وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان
ربك قديرا فكان معناه والله اعلم جعله نسبا لما فيه من المصالح
اللطيفة وكان قادرا على ان يوجده ابتداء والثالث ان العاقل
قد امر بالتواضع والاجتناب عن الكبر ثم ان العاقل اذا علم انه
خلق من نطفة قذرة وسار في مخرج البول مرة بعد مرة ونشأ
في نجاسة تغتذي منها ونبت لحمه وعظمه منها كان ذلك كاسرا
للحوته وقد نبه الله تعالى على هذا فقال الم نخلقكم من ماء مهين
فجعلناه في قرار مكين الى قدر معلوم فقدرنا فنعم القادرون
يعني ان من كان كذلك لم يكن له ان يتكبر بل الواجب عليه ان يذل
لخالقه ويخضع فثبت بهذا ان اصول الفلاسفة شاهدة بامكان
هذا المعنى واما شهادة الاصول الاسلامية على صحتها فلا يخفى
فيها فعلمنا ان الطعن فيها باطل واذا ثبت هذا فنقول ان القرآن
دل على ان ذلك الاب الاول هو آدم عليه السلام قال تعالى
يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة الاية واعلم
ان هذه الآية فيها اسرار وذلك لانه سبحانه افتتح سورتين من كتابه
بهذا اللفظ احديها سورة النساء فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي

والثانية سورة الحج فقال يا ايها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة
الساعة شيء عظيم فاما السورة الاولى فهي الرابعة من سور
النصف الاول من القرآن فانا قولها الفاتحة ثم البقرة ثم
آل عمران ثم النساء واما سورة الحج فهي ايضا السورة
الرابعة من النصف الثاني فانا قولها مريم ثم طه ثم الانبياء
ثم الحج وفي كيفية ترتيب هاتين السورتين عجايب احدها
ان السورة الاولى اشارة الى حال المبداء في كيفية التكوين
والايجاد فانه قال اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة
وخلق منها زوجها والثانية اشارة الى حال المعاد في
كيفية الافناء والاعدام فانه قال ان زلزلة الساعة شيء
عظيم ثم لاشك ان الايجاد مقدم على الافناء ولهذا قدمه
الله تعالى في الذكر وقال توتي الملك من تشاء وتنزع الملك
ممن تشاء فقدم ذكر الايتاء على ذكر الانتزاع فلهذا السبب
قدم سورة النساء على سورة الحج اللطيفة الثانية الايجاد
يشبه الرحمة والاعدام يشبه الغضب وقال تعالى سبقت
رحمتي غضبي فلاجرم قدم سورة الايجاد على سورة الافناء
اللطيفة الثالثة انه تعالى قال هناك ربكم الذي خلقكم من
نفس واحدة ولم يقل في الحج ربكم الذي قام زلزلة الساعة
ونظيره قوله كتب ربكم على نفسه الرحمة ثم قال كتب عليكم
القصاص كتب عليكم الصيام فان قيل لم ذكر اسم الربوبية هناك
اللطف والرحمة والكرم فكيف يليق بهذه الكلمة التخويف

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشديد الحاصل في قوله ان زلزلة الساعة شئ عظيم قلنا
من كمال تربية الاب الرحيم المشفق ان يضرب ولده وان يهدده
حتى يزداد سبقه في طلب المكارم والمعالي وهذا هو الجواب
عن سؤال من سأل عن قوله سنفرغ لكم ايه الثقلان فبأي آلاء
ربكما تكذبان فانه يقال ان قوله سنفرغ لكم ايه الثقلان
غاية التهديد وقوله فبأي آلاء ربكما تكذبان اشارة
الى تعديد الآء والنعما فكيف يليق هذا بذلك لان القول التهديد
من الاب المشفق الرحيم في حق الولد الكسلان المغفل يكون من اعظم
النعم والوجه الثاني في الجواب ان المراة ترضع ولدها سنتين
ثم انها تلطخ حلمة ثديها بالصبر والاشياء المرة ثم تضعها
في فم الصبي كانها تقول لا افطمك بهذه المرارة شفقا عليك وانما
ذلك لغرض آخر وهو انه خلق لك في الدنيا نعيم لا يحصى ولا تنالها
الا بترك هذه المصة الواحدة وبتجرع هذه المرارة حتى تصل الى
تلك الخيرات الكثيرة فكذا الرب سبحانه اعدلك الجنان لكنك
لا تصل اليها الا بتجرع كاس الموت في هذه الدار ثم ينقلك الى محفل
القيامة ثم ينقلك الى الجنة فكان الموت في هذه الدار وتخريب
العالم من اعظم النعم في حقك ولهذا المعنى قال اتقوا ربكم
ان زلزلة الساعة شئ عظيم ومن الايات الدالة على ان اول
الآباء آدم عليه السلام قوله في سورة الاعراف هو الذي
خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها الآية
فيه اشكالا وهو ان آخر هذه الآية يدل على ان هذه النفس الواحدة

اقدمت

اقدمت على الشرك على ما قال فلما اتيهما صالحا جعلا له شركا
فيما اتيهما ومعلوم ان الشرك لا يليق بآدم فلا جرم قال المحققون
المراد من هذه النفس الواحدة قصي بن كلاب والشرك الصادر
منه هو انه سمى اولاده بعبد مناف وعبد قصي وعبد الدار

الفصل الرابع في كيفية تخليق آدم عليه السلام

اعلم انه تعالى ذكر في كيفية آدم آيات احديها انه مخلوق من التراب
قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
وقال من آياته ان خلقكم من تراب ثم اذا انتم بشر تنتشرون وقال
في حق اولاد آدم عليه السلام منها خلقناكم الآية وقال في النجم
هو اعلم بكم اذ انشأكم من الارض وقال في نوح والله انبتكم
من الارض نباتا واعلم ان في قوله ان مثل عيسى عند الله الآية
وهو ان ظاهر الآية يقتضي ان قوله كن فيكون متاخر عن تخليق آدم
وهذا محال لانه لا بد وان يكون قوله كن فيكون متقدما على دخول
آدم في الوجود والجواب من وجهين الاول ان نحمل خلق آدم على
خلق بدنه ونحمل قوله كن فيكون على خلق روحه والثاني ان نحمل
الخلق على التقدير وعند هذا يزول الاشكال لانه يحصل التقدير
في علم المقدر اولا ثم يحصل التكوين والتخليق مفرعا على ذلك
التقدير والاية الثانية ذكر فيها انه مخلوق من الماء قال تعالى والله
خلق كل دابة من ماء وقال الم نخلقكم من ماء مهين والاية الثالثة
ذكر فيها انه مخلوق من الطين ثم جعل نسله من ماء مهين وقال
ايضا اني خالق بشرا من طين والاية الرابعة ذكر فيها انه خلقه من صلصال

شبكة الألوكة www.alukah.net

من طين قال تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
والاية الخامسة انه مخلوق من طين لازب قال انا خلقناهم
من طين لازب والاية السادسة انه مخلوق من صلصال
كالفخار قال تعالى خلق الانسان من صلصال كالفخار والاية
السابعة انه مخلوق من صلصال من حمإ مسنون قال ولقد
خلقنا الانسان من صلصال من حمإ مسنون الاية الثامنة
انه مخلوق من عجل قال خلق الانسان من عجل الاية التاسعة
قوله تعالى لا اقسم بهذا البلد الى قوله لقد خلقنا الانسان
في كبد الاية العاشرة قوله الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل
من بعد ضعف قوة فهذا مجموع هذه المراتب ولنشرح واحدا
واحدا منها فنقول اما المرتبة الاولى فهي انه مخلوق من التراب
والطين واعلم ان ابليس لعنة الله طعن فيه بسبب كونه
مخلوقا من التراب وفضل نفسه عليه بسبب كونه مخلوقا من النار
فقال خلقتني من نار وخلقته من طين والعلماء ذكروا في تفضيل
التراب على النار وجوها الحجة الاولى ان التراب في غاية التواضع
والنار في غاية التكبر فلما خلق آدم من التراب ظهر منه التواضع
فقال ربنا ظلمنا انفسنا ولما خلق ابليس من النار ظهر منه التكبر
فقال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين وقال ارايتك
هذا الذي كرمت علي الحجة الثانية ان التراب وان كان ظلما
الا انه ستار العيوب ويظهر الفضايح الحجة الثالثة التراب
تطفئ النار فلهذا السبب كان وجود آدم سببا لانطفاء روق

ابليس وايضا الشهوة والغضب والحرص مخلوقة من النار الا
ترى ان الشهوة لا تعمل في البعد الا بواسطة الحرارة واما ان الغضب
نار فظاهر لقوله عليه السلام الغضب نار والشيطان من النار
واما ان الحرص نار فكذلك وذلك لان خاصية الحرص ان الانسان
كلما وجد من الدنيا اكثر صار حرصه اعظم كالنار كلما القيت
فيها الحشب اكثر كان اشتعالها اعظم واحتياجها الى الحطب
الكثير اشد فثبت ان الشهوة والغضب والحرص كلها مخلوقة
من النار ثم انه تعالى اودع هذه الصفات في ذاتك فلا جرم
خلقك من الطين وهو تراب وما وكل واحد منهما سبب لانطفاء
النار فكان المقصود من خلق الانسان من التراب ان يطفئ هذه
النيران فيبقى الانسان مصونا في الدنيا من الخذلان وفي الاخرة
عن دركات النيران الحجة الرابعة انه سبحانه انما خلق الانسان
لخلافة الارض قال اني جاعل في الارض خليفة فخلقه من الارض
فان خليفة الارض اذا كان مخلوقا من الارض كان ارحم
باهل الارض الحجة الخامسة انه تعالى اراد اظهار القدرة
فخلق الشيطان من النار التي هي في غاية الاشراق والضوء ثم
ابتلاهم بظلمات الجهالات والضلالات وخلق الملائكة من الهواء
الذي هو الطف الاشياء واعطاهم كمال القوة والقدرة
وخلق السموات من امواج البحار وابقاها معلقة في الهواء
موصوفا بكمال الشدة كما قال في صفتها وجعلنا السماء سقفا
محفوظا وقال ومالها من فروج وقال سبعا شدادا وخلق آدم

شبكة الألوكة www.alukah.net

من التراب الذى هو اكثف الاشياء واشدها ظلمة واعطاه
الطاعة والمحبة والمعرفة التى هى انوار الاشياء واضوءها
والمقصود من كل ذلك اظهار الضد من الضد ليكون ذلك
برهانا باهرا وبيانا ظاهرا على انه هو الخلاق بغير احتياج
والمدبر والمقدر بلا مزاج وعلاج الحجة السادسة ان التراب
سبب الوصلة دليله قوله انبت سبع سنابل فى كل سنبلة
مائة حبة والنار سبب القطيعة ولما كان الامر كذلك لاجرم
حصل لادم شرف الوصلة ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
وحصل لابليس صفة القطيعة اخرج منها فانك رجيم الحجة
السابعة التراب فيه امانة والنار فيه خيانة اما الاول
فانك اذا اديت اليه كفا من الحنطة رد اليك جوالقا من الحنطة
قال تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه واما ان فى النار
خيانة لانها تحرق الاشياء وتفنيها وايضا لما كان فى التراب
امانة لاجرم قبل الامانة كما قال وحملها الانسان وحفظها
على احسن الوجوه ولما كان فى النار خيانة لاجرم ان ابليس عند
ربه سنين ثم خان فى تلك العبادة كما قال وكان من الكافرين
الحجة الثامنة التراب طاهر طهور قال عليه السلام التراب
طهور المسلم ولو لم يجد الماء عشر حجج والماء ايضا طاهر طهور
قال تعالى وانزلنا من السماء ماء طهورا وجناب الحق سبحانه
طيب طاهر قال عليه السلام ان الله طيب لا يقبل الا الطيب
فلما كان التراب والماء طاهرين لاجرم كان آدم لكونه مخلوقا

منها طاهرا طيبا ولما كان الامر كذلك كان مخصوصا من رحمة الله
بالمزيد كما قال الطيبات للطيبين والطيبون للطيبات الحجة
التاسعة روى ان محمدا عليه السلام لما دخل المدينة طمع الاغنياء
ان ينزل فى دارهم وكانوا ياخذون بزمام الناقة ليحذبوها الى
بيوتهم فقال عليه السلام دعوها فانها مامورة ثم انها سارت
حتى وصلت الى باب دار ابى ايوب فبركت هناك وما كان السبب
لذلك الا غاية فقر ابى ايوب وشدة انكساره وهذا ايضا مما يدل
بقوله عليه السلام حاكيا عن ربه تعالى انا عند المنكسرة قلوبهم
لاجلى واذا عرفت هذا فقول التراب اعظم المخلوقات انكسارا
وتذللا وتواضعا لانه تحت كل الاجسام والخلق يضعون اقدامهم
عليه ويمشون عليه فلما كان اعظم الاشياء نقصا وحقارة هو
التراب لاجرم صار محلا ومنزلا لمحبة رب الارباب قال تعالى
يحبهم ويحبونه ويؤيد ذلك المعنى قوله سبحانه وتعالى واسجد
واقترب واعلم انه لا جهة وراء وضع الوجه الذى هو اشرف
الاعضاء على التراب ولا عزة وراء الاقتراب فطما فى كل واحد
تطييبا لقلب كل ساجد قال عليه السلام من تواضع لله رفعه الله
واما النار فانها تدعى العلو والرفعة والنورانية وكانت صفة
النار صفة فرعون قال عز من قايل ان فرعون علا فى الارض
وكانت صفة التراب صفة لموسى عليه السلام كما قال تلك الدار
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض ولا فسادا
فلاجرم صار التراب اعز الاشياء والنار اذلها الحجة العاشرة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

النار يعلوها الدخان المظلم فنوره تحتاني وظلمته فوقانية
اما التراب فظلمته تحتاني ونوره فوقاني اليه يصعد الكلم
الطيب الاية وايضا النار حسنة المنظر قبيحة المخبر والنار
ظاهرها يغر وباطنها لا يستر والارض بالضد من هذه الصفات
فالحاصل ان باطن الارض كلها منفعة وباطن النار كلها مضرة
ونظر الحق سبحانه وتعالى الى البواطن والاسرار لا على الظواهر
فلاجرم عامله ادم بحسب باطنه وابليس على وفق باطنه
الحجة الحادية عشر ان نهاية السفل هي الارض ونهاية العلو
هي العرش والارض احد اركان عالم الاجسام واما النار فليست
كذلك فانها ليست في غاية العلو فان السموات والكرسي والعرش
فوقها ولا في غاية السفل فان الهواء والماء والارض تحتها
فما كانت النار كاملة في مقام من المقامات الحجة الثانية عشر
ان النار سريعة الاشتعال لانطفاء كثيرة الاحتياج الى الغذاء
قليلة مدة البقاء اما الارض فانها تغذي ولا تغتذي وتبقى
ولا تفنى فثبت فضل التراب على النار الحجة الثالثة عشر
من الكلمات المشهورة قولهم كل شيء يرجع الى اصله فكانه قيل
يا ابليس خلقتك من النار فيكون مردك الى النار واما آدم فهو
مخلوق من الطين وللطين خاصيته التواضع والتواضع سبب
القرب من رحمة رب العالمين فلاجرم كانت عاقبة آدم هو
رحمة رب العالمين كما قال ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى
الحجة الرابعة عشر ان الارض في نفسها ليست بحسنة ولا طيبة

الرائحة الا انها تخرج جميع الاشياء التي لها حسن الوجوه وطيب
الرائحة والنار حسنة الوجه الا انها سبب لحدوث الاشياء
القبيحة وهي الاحراق والدخان والرماد والفساد والغبرة
بالتيرة لا بالصورة كما حققنا في تفسير قوله ولقد كرمنا بني آدم
الحجة الخامسة عشر ان التراب والماء لا يحصل الانتفاع بهما الا
عند فقدان الريح فانه اذا وصل الريح الى التراب صار غبارا موذيا
واذا وصل الى الماء تموج وخرج عن حد النفع واذا وصل الى النار
اطفا النار فكانه قيل لادم كان في قلب ابليس نار التكبر فانطفات
ناره بذلك الريح فاياك ثم اياك احترز عن ريح التكبر ليلا يصل
التراب الذي منه خلقت غبارا والماء الذي منه خلقت موجا
مهلكا فثبت من هذه الوجوه فضل التراب على النار واما المرتبة
الثانية في خلقه آدم كونه مخلوقا من الماء قال الله تعالى والله
خلق كل دابة من ماء وقال وهو الذي خلق من الماء بشرا وقال
الم نخلقكم من ماء مهين وقال المريك نطفة من مني يمنى وفيه
فوايد الفايدة الاولى ان يكون صافية يتجلى فيه نور جلال الله
الثانية ان يكون طاهرا في ذاته قال تعالى وانزلنا من السماء ماء
طهورا وايضا قال عليه السلام من توضأ نخامت ذنوبه كما
تتحات الورق عن الشجر زمان الخريف والنكتة ان كمال استعمال
الماء في ظاهر الاعضاء يوجب زوال الذنوب فلان يكون خلقه
اصل الاعضاء من الماء دافعا لتمكن الذنوب كان ذلك اولى
المرتبة الثالثة في تخليق كونه مخلوقا من سلالة من طين سلالة

شبكة الألوكة www.alukah.net

فعالة بمعنى المسلولة لانها هى التى سل من الطين والحكمة فيه
ان يمزج الكثيف واللطيف والمتحرك والساكن والصافى والكدر
ليكون ذلك دليلا على فردانية الصانع كما قال ومن كل شئ خلقنا
زوجين وفيه فايدة اخرى وهى ان من مشى على الطين فلو انزلق
رجله وسقط وتلوث ثوبه ولكنه لا يهلك ولا ينكسر اعضاؤه
فلما كان الانسان موصوفا بالشهوة التى هى منبع الفساد والغضب
الذى هو منشأ سفك الدماء علم الحق سبحانه بانه لا بد من ان يزلق
رجله فى سلوك سبيل طاعة الله تعالى فاذا كان طينا تلوث بلوث
المعصية ولكن لا يهلك ولا ينكسر شئ من اعضائه بل يقوم سليما
كما قال تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا
من رحمة الله الآية المرتبة الرابعة فى تخليق آدم كونه مخلوقا
من سلالة من طين والسلالة فعالة وهى بمعنى المسلول لانها
هى التى تسل من الطف اجزاء الارض واعلم انه روى فى الخبر
انه عليه السلام قال ان الله تعالى جمع طينة آدم بيده اربعين
صباحا فهذه اللطافة انما حصلت لذلك الطين بسبب هذا
التشريف وقال تعالى لابليس ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدى
وهذا كمال التشريف فى حق آدم عليه السلام فان قيل قال تعالى
فى صفة تخليق الحيوانات أولم يروا انا خلقنا لهم مما عملت
ايدينا انعاما فبين انه تعالى انما خلق الانعام بالايدى وذكر
انه خلق آدم باليدين وهذا يقتضى فضل الانعام على الناس
والجواب انه تعالى ذكر دقيقة تزيل هذه الشبهة فانه قال خلقنا لهم

مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون فبين انه تعالى انما خلق
الانعام بالايدى لاجل مصالح الناس ورعايتهم فكان هذا
التشريف ايضا عائدا الى البشر وفيه تنبيه على دقيقة كانه قال
هنيات ذاتك باليدين وهيات ما تحتاج اليه بعد الحيوة من
المأكول والملبوس والمركوب بالايدى وذلك لتعلم ان عنايتك
بعد حيوتك اشرف من عنايته بك قبل وجودك ومن النكتة
اللطيفة ههنا مما سمعت انه كان نيسابور امرأة من عقلاء
المجانين كان يقال لها نازنين فكانت تقول مسكين ابن آدم
جسده فى يد الحق كما قال خمر طينة آدم بيده اربعين صباحا وقلبه
فى اصبع الحق كما قال قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
ثم انه مع انه لا يملك امر جسده ولا امر روحه صارت التكاليف
متوجهة اليه والاوامر الالهية لازمة عليه المرتبة الخامسة
كونه مخلوقا من طين لازب واللازب هو اللازم وانما سمى لازما
ولازبا لان اللازم واللازب هو الملتصق بالغير والانسان اكثر
الاشياء حاجة فلا جرم كان اكثر الاشياء تمسكا بذيل رحمة الله
واشد الاشياء طمعا بجناب فضله واحسانه المرتبة السادسة
كونه مخلوقا من صلصال من حما مسنون فاثبت له ثلثة انواع
من الصفات الصفة الاولى كونه صلصالا وهو الذى اذا تحرك
تصلصل كالخزف الذى من داخله صوت والصفة الثانية
كونه حما وهو الذى استقر فى الماء وتغير لونه الى السواد و
الثالث المسنون وهو الذى تغير رايحته قال تعالى انظر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الى طعامك وشرابك لم يتسنه اى لم يتغير واصله لم يتسن
قال تعالى فيها انهار من ماء غير اسن اى غير متغير واعلم انه تعالى
اشار بكونه صلصالا الى غاية ضعفه وقلة بقايه فان الطين
الذى يصير صلصالا ينكسر ويتفرق باد نى سبب وكونه من حماء
اشارة الى الاخلاق الظلمانية التى هى قوة الشهوة وكونه مسنونا
وهو الرايحة المؤذية اشارة الى الاخلاق السبعية التى منشاها
الغضب ونظير قول الملائكة اتجعل فيها من يفسد ويسفك
الدماء والفساد منشاة الشهوة وسفك الدماء منشاة الغضب
واما المرتبة السابعة وهو كونه صلصالا كالفخار فاعلم
ان الصلصال قبل ان يصير فخارا لم يصلح لامر من الامور فاذا
صار فخارا صلح لان يجعل فيه الماء وذلك الماء اذا استقر فيه
صار صافيا عذبا زلالا فيكون ذلك اشارة الى صيرورته
صالحا لحفظ ماء العبودية وزلال المعرفة فيه واما المرتبة
الثامنة وهى قوله خلق الانسان من عجل فاشهر الاقوال فيه
ان المراد به هو آدم عليه السلام وهو قول مجاهد وسعيد
بن جبير وعكرمة والسدى والكلبى قال مجاهد خلق الله تعالى
آدم بعد كل شئ فى آخر نهار يوم الجمعة فلما دخل الروح راسه
ولم يبلغ اسفله قال يا رب استعجل اتمام خلقتى قبل غروب الشمس
قال مجاهد فذلك هو قوله خلق الانسان من عجل وعن السدى
لما نفخ فيه الروح ويمكن الروح فى راسه عطس فقالت
الملائكة قل الحمد لله فلما قال ذلك قال الله يرحمك الله ولذلك

خلقتك

خلقتك فلما دخل الروح عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل روحه
جوفه اشتهى الطعام فوثب الى ثمار الجنة قبل ان يبلغ الروح
الى رجليه فهذا هو الذى ورث اولاده العجلة ثم للمفسرين
اقوال فى تفسير العجل وهو قول المحققين خلق الانسان من عجل
اى خلق عجولا وذلك على المبالغة كما يقال للرجل الذكى هو نار تشتعل
والعرب تسمى المرء بما يكثر منه فيقولون ما انت الا اكل ونوم وما
هو الا اقبال وادبار وهذا الوجه متاكد بقوله خلق الانسان
من عجل اى من شانه العجلة كقوله خلقكم من ضعف اى ضعيفا
الثانى قال ابو عبيد العجل الطين بلغة حمير وانشد والنخل
ينبت بين الماء والعجل الثالث قال الاخفش من عجل اى من تعجيل
من الامر وهو كقوله سبحانه كن فيكون والرابع من عجل اى من ضعف
وهو قول الحسن المرتبة التاسعة قوله تعالى لقد خلقنا
الانسان فى كبد وقيل فى الكبد وجهان الاول قال صاحب الكشاف
الكبد اصله من قولك كبد الرجل كبدا فهو اكبد اذا وجعت كبده
وانتفخت ثم اتسع فى هذا اللفظ حتى استعمل فى كل تعب ومشقة
ومنه اشتقت المكابدة وقال آخرون الكبد شدة الامر منه كبد
اللبن اذا غلظ واشتد ومنه الكبد كانه دم يغلظ ويشتد
والفرق بين هذين القولين ان الاول جعل اسم الكبد موضوعا
للكبد ثم اشتق منه الشدة وفى الثانى للفظ موضوع للشدة
والغلظ ثم اشتق منه هذا العضو المخصوص والوجه الثانى
ان الكبد هو الاستواء والاستقامة والوجه الثالث ان الكبد

شدة الخلق والقوة واذا عرفت هذا فنقول اما على الوجه الاول
فيحتمل ان يكون المراد منه شديد الدنيا فقط وان يكون المراد
منه شديد التكاليف فقط وان يكون المراد منه شديد الاخرة
فقط وان يكون المراد كل هذه الوجوه اما اذا حملناه على شديد
الدنيا فيكون قوله لقد خلقنا الانسان في كبد اى خلقناه في
اطوار كلها شدة ومشقة تارة في بطن الام ثم زمان الرضاع
ثم بعد البلوغ بتحصيل وجوه المعاش ودفع ضرر الاعداء ثم بدفع
ضرر الالام والاسقام والتصون من الآفات النازلة من السماء
والارض واما الثاني وهو حمله على شديد الدين فهو توجه
التكاليف الشاقة عليه قال الحسن تكابد الشكر على السراء والصبر
على الضراء وتكابد المحن في اداء العبادات والرضاء بقضاء الله
عند نزول الآفات والبليات واما الثالث وهو حمله على شاق
الآخرة فالموت ومسايله الملك ثم ظلمة القبر ثم البعث والعرض
على الله الى ان يستقر به القرار اما في الجنة او في النار واما الرابع
وهو ان يكون اللفظ محمولا على الكل فهو الحق عندي وعندي في الآية
وجه آخر وهو انه ليس في هذه الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن
انه لذة فهو خلاص عن الالم فان ما يتخيل من اللذة عند الاكل فهو
خلاص عن الم الجوع وما يتخيل من اللذة عند اللبس فهو خلاص
عن الم الحر والبرد فاذا تفكرت علمت انه ليس للانسان الا الالم
والخلاص عن الالم فهذا معنى قوله ولقد خلقنا الانسان في كبد
اى هو طول عمره يكون في مكابدة الالام والاسقام ومقاسات

المعبات

المعبات والموذيات وعند هذا الحرف يظهر انه لابد في حكمة
الحكيم المدبر لهذا العالم من الحشر والنشر والبعث يوم القيامة
لان الحكيم الذي دبر خلق الانسان ان كان مطلوبه ان يولم الانسان
فهذا لا يليق بالرحمة وان كان مطلوبه ان لا يتالم ولا يكبد ففي
تركه على هذا العدم حصول لهذا المطلوب وان كان مطلوبه
ايصال اللذة والنفع اليه فقد بينا انه ليس في هذه الحيوة لذة
وانه تعالى خلق الانسان في هذه الدنيا في كبد ومشقة ومحنة
فاذا لابد بعد هذه الدار من دار اخرى لتكون تلك الدار دار السعادات
والخيرات والكرامات واما على الوجه الثاني وهو ان يفسر
الكبد بالاستواء قال ابن عباس في كبد اى قائما منتصبا وساير
الحيوانات تمشي منكسة فهذا امتنان على الانسان بهذه الخلقة
المرتبة العاشرة من مراتب خلق الانسان قوله تعالى الله
الذي خلقكم من ضعف واعلم ان اثار ضعف الانسان لا تخفى
كما قال بعضهم تنتنه العرفة وتقتله البقة وتقتله الشرقة وقال
هرون الرشيد لابن السماك عطشت فقال ان عطشت ولم تجد شربة
من الماء الا بكل ما تملكه ماذا تعمل قال اعطي وآخذ قال فان احتبس
ذلك الماء ولم يخرج الا ببذل كل ما تملكه ماذا تعمل قال اعطي حتى يخرج
قال فاذا الشربة الواحدة من الماء بقيمة كل ما تملكه مرتين وايضا
فان البقة اصغر الحيوانات جثة واضعفها بنية ثم انها قتلت
نمرود اكبر ملوك بني آدم واطغاهم واعظمهم سلطانا ويروى
ان الشافعي حضر عند بعض الملوك العظام وكان بجنبه النوم

وكان الذباب يجلس على وجهه فيوقطه ويوذيه ثم انه كان
يلطم وجهه وخده عند طرد الذباب فقال في اثناء ذلك
ما الحكمة في خلق الذباب فقال الشافعي رضي الله عنه في الحال
ليذل به عظماء الملوك من الملوك ويظهر عجزهم عن دفعه
قال لنمرود اذا اخذ الآدمي سلاحه وسيفه ودرعه بيده
فجاء واحدنا فيلسعه بحمة مثل راس برغوث فيشغله ذلك عن
كل ما هو فيه يتورم رجله ويتالم اعضاءه حتى لا يمكنه ان يقبض
على سيفه وقال الذبابة اليس ان اعظمهم سلطانا واشدهم
هيبة اذا قعد على سرير ملكه مع الهيبة والعظمة فانه يجئ
احدنا من المطبخ او من الخلاء ملوث اليدين والجناحين فيقعد
على وجهه ويثابه ويوذيه ويلطخه ولا يقدر على الاحتراز
منا وقال الحشرات والهوام اليس اذا قعد احدهم في مجلسه
وسريره ويجئ احدنا فيدخل بين ثيابه فيقلقه ويزعجه اذا اراد
ان ينبطش منا يصفع نفسه بين ويلطم خده بكفيه وكل ذلك
دليل عجز الانسان وتمام البيان فيه قوله تعالى يا ايها الناس
ضرب مثل فاستمعوا له الاية فهذا هو الكلام في مراتب خلق
الانسان عند وجوده وقبل هذه المراتب كلها كان العدم المحض
كما قال تعالى لذكريا وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا وقال
في اول سورة الانسان هل اتى على الانسان حين من الدهر
لم يكن شيئا مذكورا فهذه الحيوة الدنيا وية كانت معدومة
من الازل الى الآن وستصير معدومة من الآن الى الابد فانظر

الى طول مدة الازل وطول مدة الابد ثم انظر الى هذه الحيوة المحفوفة
بهذين الطرفين حتى تعرف حقارة هذه الحيوة وصغرها وقلتها
بلى ان صرفتها في الطاعات استوجبت بها الثواب الابدي و
السعادة السرمدية فحينئذ يصير هذا الحقير عظيما وهذا الصغير كبيرا

الفصل الخامس في عجايب تكوين الاجنة اعلم انه
سبحانه خلق الخلق من اشياء مختلفة فخلق السماء من الدخان قال
تعالى ثم استوى الى السماء وهي دخان وخلق الارض من زبد
البحر على ما نقل عنه عليه السلام انه قال اول ما خلق الله جوهرة
لطيفة فنظر اليها بعين الهيبة فصارت ماء ثم سلط على الماء
حرارة فارتفع منه زبد فخلق منه الارض وخلق الجنة من رحمته
والنار من غضبه قال سبحانه سبقت رحمتي غضبي وخلق الملايكة
من النور قال عليه السلام ان الله خلق الملايكة من النور وخلق الجان
من نار قال تعالى وخلق الجان من مارج من نار وخلقه من طين
وخلق آدم من التراب ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب
وخلق حوا من بعض اعضاء آدم قال تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم
الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وخلق عيسى من
الريح قال ومريم ابنت عمران التي احصنت فرجها فنفخنا فيه
من روحنا وخلق اولاد آدم من النطفة قال تعالى ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين الآية وخلق سايرالحيوانات
من الماء قال تعالى والله خلق كل دابة من ماء وخلق ناقة صالح
من الصخر قال هذه ناقة الله لكم آية ثم كل هذه الاشياء مخلوقة من

شبكة الألوكة www.alukah.net

من هذه المواد فهذه المواد تمتنع ان يكون مخلوقة من مواد اخرى
والا لزم التسلسل وتمتنع ان يكون هذه المواد قديمة لانها محل
الحوادث وكل ما كان محل الحوادث فهو حادث فهذه المواد محدثة
فهي مخلوقة لله سبحانه وانه تعالى خلقها عن العدم المحض والنفي
الصرف فثبت انه تعالى تارة يحدث الاشياء عن العدم المحض
والسلب الصرف وتارة يحدث بعض الاشياء عن بعض ثم ههنا
يجب ان يتامل الانسان وهو ان كل قادر سوى الله تعالى فانه
لا يمكنه التصرف الا في نوع واحد فالخياط يتصرف في الثياب
والحداد يتصرف في الحديد واما الحي سبحانه فهو المتصرف
في المعدومات والموجودات على وفق الحكمة ومطابقة المصلحة
فمن ههنا يظهر كمال قدرة الله تعالى ثم ههنا دقيقة اخرى وهي
انه تعالى اذا خلق شيئا من شيء جعل مرجعه اليه الا ترى ان الملائكة
لما كان اصلهم من النور فهم لما طعنوا في البشر حيث قالوا اتجعل
فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لكنهم ما بقوا على ذلك الطعن
مستمرين بل رجعوا الى مقتضى اصلهم وهو النورانية وعادوا
الى الصلح والاستغفار فقال تعالى حكاية ويستغفرون للذين
آمنوا ربنا الاية وعيسى عليه السلام لما كان اصله من نفخة جبريل
عليه السلام لا جرم عاد بالآخرة الى عالم الافلاك فقال تعالى اني
متوفيك ورافعك الي وقال بل رفعه الله اليه وكذا البشر لما كان
اصله من التراب لا جرم بالآخرة يرجعون اليه يصيرون ترابا كما
قال منها خلقناكم وفيها نعيدكم الاية واذا علم العبد ان مصيره

الى التراب والفناء زالت محبة الدنيا عن قلبه واعرض عن الدنيا
وعلم انه يجب عليه الاهتمام بعمارة الآخرة والاقبال على طاعة الله
واذا عرفت هذه المقدمة فنقول انه تعالى ذكر في القرآن
كيفية الخلقة فقال في سورة الحج يا ايها الناس ان كنتم في ريب
من البعث فانا خلقناكم من تراب الى قوله قدير وقال في سورة
القيامة الم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى وقال
في المرسلات الم نخلقكم من ماء مهين الا ان اكثرها شرفا وتفصيلا
هو المذكور في اول سورة قد افلح المؤمنون وهو قوله ولقد
خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية واعلم انه تعالى ذكر في
هذه الآيات سبع مراتب في تخليق الاجنة وقبل هذه الآية افتتح
هذه السورة بذكر سبعة انواع من خصال الخيرات والطاعات
اولها الايمان وهو قوله قد افلح المؤمنون والكلام في حقيقة
الايمان سيأتي في باب مفرد ان شاء الله تعالى والثاني الصلوة
وهي قوله الذين هم في صلوتهم خاشعون واختلفوا في الخشوع
فمنهم من جعله من افعال القلوب كالخوف والرهبة ومنهم من جعله
من افعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات ومنهم من قال
هو عبارة عن مجموع الامرين وهو الاولى فالخاشع في صلوته
لا بد وان يحصل له من قسم افعال القلوب نهاية الخضوع والذل
للمعبود ومن قسم التروك ان لا يكون مشتغل القلب بشيء سوى
تعظيم خالقه ومن افعال الجوارح ان يكون ساكنا مطرقا ناظرا
الى موضع سجوده ومن التروك ان لا يلتفت يمينا ولا شمالا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

والخشوع عبارة عن مجموع هذه الاشياء الا ان الخشوع الذي
يرى على الانسان ليس الا بما يتعلق بالجوارح فان الذي يتعلق بالقلب
لا يرى وتمام هذا الكلام في هذا المعنى فسيأتي ان شاء الله في كتاب
الصلوة الصفة الثالثة قوله والذين هم عن اللغو معرضون
في اللغو اقوال احدها ان يدخل كل ما كان حراما او مكروها
او مباحا ولكن لا يكون بالانسان ضرورة ولا حاجة اليه
والثاني انه عبارة عن كل ما كان حراما وهذا التفسير اخص من
الاول والثالث انه عبارة عن المعصية في القول وهذا اخص
من الثاني والرابع انه المباح الذي لا حاجة اليه واحتج هذا
القايل بقوله لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم فكيف يحمل اللغو
على المعاصي مع ان المواخذة فيها غير حاصلة واحتج الاولون
بان اللغو انما سمي لغوا لانه يلغى في كل ما يقتضي الذين الغاه كان
مسمى باللغو ثم اللغو قد يكون كفر القوله لا تسمعوا لهذا القران
والغوا فيه وقد يكون كذبا لقوله لا تسمع فيها لاغية وقوله
لا يسمعون فيها لغوا ولا تاثيما واذا عرفت اللغو فنقول انجاء
مدحهم بانهم معرضون عن اللغو والاعراض عنه بان لا يفعل
ولا يرضى به ولا يخالط من يقدم عليه قال واذا مروا باللغو
مروا كراما واعلم انه سبحانه لما وصفهم بالخشوع في الصلوة
واتبعه بوصفهم بالاعراض عن اللغو حتى يحصل لهم الفعل والترك
فالفعل هو الصلوة والترك هو الاعراض عن اللغو الصفة الرابعة
قوله والذين هم للزكوة فاعلون والقول في تفسير اسم الزكوة

وفي منافعه سيأتي في باب الزكوة ان شاء الله تعالى الصفة
الخامسة قوله والذين هم لفروجهم حافظون والكلام فيه
سيأتي في باب النكاح الصفة السادسة والذين هم لاماناتهم
وعهدهم راعون واعلم انه يسمى الشيء المؤتمن عليه والمعاهد
عليه امانة وعهدا ومنه قوله ان الله يامركم ان تودوا الامانات
الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تودى الاجسام لا
المعاني وانما يقع الخيانة في المؤتمن عليه لا في نفس الامانة والعهد
ما عقد الانسان على نفسه فيما يقرب الى ربه ويقع ايضا هذه
اللفظة على ما امر الله به كقوله الذين قالوا ان الله عهد الينا الا نؤمن
والراعي هو القايم على الشيء بالحفظ والاصلاح كراعي الغنم وراعي
الرعية واعلم ان الامانة والخيانة متقابلان قال تعالى
يا ايها الذين امنوا لا تخونوا الله والرسول الآية فكل ما خرج من
احدهما دخل في الاخر فكل العبادات داخلة في الامانات بدليل
قوله انا عرضنا الامانة الآية ثم تمام الكشف فيه ان العبادات
قد يكون مخفية كالصوم وغسل الجنابة واسباغ الوضوء وقد
تكون بحيث يخفى كيفية الاتيان بها قال عليه السلام اكثر الناس
خيانة من لم يتم صلوته ومن جملة ذلك ما يلزمه الاتيان بفعل
او قول فيلزمه الوفاء به كالودايع والعقود وما يتصل بهما
ومن ذلك الاقوال التي يحرم بها التصرف في العبيد لانه مؤتمن
في ذلك واما العهد فانه يدخل فيه الايمان والعقود والنذور
فبين سبحانه ان مراعات هذه الامور والقيام بها معتبرة في حق

شبكة الألوكة
www.alukah.net

حصول الفلاح الصفة السابعة قوله تعالى والذين هم
على صلوتهم يحافظون فاعلم انه تعالى فرق بين الخشوع وبين
المحافظة فان الخشوع صفة القلب على ما ذكرنا والمحافظة
عبارة عن تحصيل شروطها في رعاية الوقت والطهارة والتمم
لاديها وترك التواني فيه فهذه امور سبعة قدم الله سبحانه
ذكرها ثم قال بعدها اولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس
فههنا سؤالات السؤال الاول لم سمى الجنة ميراثا مع انه سبحانه
حكم بان الجنة حقتهم في قوله ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم
واموالهم بان لهم الجنة والجواب من وجوه الاول انه روي
عن النبي عليه السلام انه قال لا مكلف الا وقد اعد الله له في
النار ما يستحقه ان عصى وفي الجنة ما يستحقه ان اطاع وجعل
لذلك علامة فاذا آمن البعض ولم يؤمن البعض صارت منازل
من لم يؤمن منقولة الى الذين امنوا فلما كان حرمانهم عن تلك
الدرجات ودخولهم في النار شبيها بالموت فلا جرم سمي ذلك
ميراثا لهذا الوجه وقد قال الفقهاء انه كما يورث عن الميت
ما كان مملوكا له كذلك يورث عنه ما يقدر فيه كونه مملوكا له
وان لم يدخل في ملكه كالدية فانها موروثة مع انها لم يدخل
في ملك المقتول البته الثاني انه لما حصلت الجنة لهم مع انهم
كانوا عارفين في الدنيا بكمية منافعها اشبه ذلك انتقال
المال الى الوارث الثالث ان الجنة لما كانت مسكن الاب الاول
آدم عليه السلام فاذا انتقلت الى اولاده كان ذلك تشبيها

بالميراث السؤال الثاني كيف حكم على المؤمنين بالصفات السبعة
بالفلاح مع انه تعالى ما تمم ذكر الواجبات كالصوم والحج والجواب
ان قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون يأتي على كل الواجبات
من الافعال والتروك السؤال الثالث فهذه الآية تدل على ان
هؤلاء هم الوارثون للجنة فاما من لم يأت بالطاعات واتى
بالمعاصي ثم مات عقيب توبته من غير شيء من الطاعات وجب
ان لا يدخل الجنة وهو على خلاف الآيات الدالة على ان التائب
من اهل الجنة والجواب ظاهر الآية وان كان يفيد الحصر الا انه
يجب حمل الظاهر على ان الكاملين من اهل الجنة هم الموصوفون بهذه
الصفات بدليل ان المجانين والصبيان يدخلونها وكذلك الفساق
من اهل الصلوة لقوله ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون
ذلك لمن يشاء ونظير حمل هذا الحصر على حالة الكمال قوله تعالى
انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم ومن الناس
من قال الفردوس عبارة عن اشرف موضع في الجنة وعلى هذا التقدير
يزول السؤال قال عليه السلام الفردوس مقصورة الرحمن وعن
ابي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تمنوا الفردوس فانها
سرة الجنة واعلم انه سبحانه لما شرح في اول هذه السورة هذه
المراتب السبعة في العبادات اردفها بما يدل على وجود الصانع
وقدرته وعلمه وحكمته وهو ذكر المراتب السبعة في خلقة الانسان
اولها قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وثانيها
قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين وثالثها قوله ثم خلقنا النطفة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

علقة ورابعها خلقنا العلقة مضغة وخامسها خلقنا
المضغة عظاما وسادسها فكسونا العظام لحما وسابعها
ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله احسن الخالقين فلنشرح
احوال هذه المراتب السبعة بعون الله تعالى اما المرتبة الاولى
وهي قوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ففيه سؤال
مشكل وهو ان المراد من الانسان ان كان هو آدم فكيف يستقيم
قوله ثم جعلناه نطفة في قرار مكين فان آدم عليه السلام
ما كان كذلك وان كان هو اولاد آدم فكيف يستقيم قوله خلقنا
الانسان من سلالة من طين فانهم ليسوا مخلوقين من الطين
والجواب من وجوه الاول ان لفظ الانسان شامل لآدم واولاده
ثم قوله من سلالة من طين ينصرف الى آدم وقوله ثم جعلناه
نطفة ينصرف الى اولاده والثاني ان المراد من الانسان في
هذه الاية اولاد آدم عليه السلام والطين ههنا اسم آدم
والسلالة هي الاجزاء الطينية المبثوثة في اعضائه وهي التي
لما اجتمعت وحصلت في اوعية المني صار منيا وهذا التفسير
مطابق لقوله وبدأ خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من
سلالة من ماء مهين والثالث وهو الذي ذكرت فقلت المراد
من الانسان ههنا اولاد آدم لان المقصود من ذكر هذه الاية
البينة ما يدل على وجود الصانع وهذا لا يحصل الا بالامر المشاهد
وهو تولد اولاد آدم لا تولد ذات آدم فثبت ان المراد من الانسان
اولاد آدم بقي ان يقال فما المراد من قوله ولقد خلقنا الانسان

من

من سلالة من طين مع ان اولاد آدم ليسوا كذلك وجوابه
ان الانسان انما يتولد من النطفة والنطفة انما يتولد من الاغذية
والاغذية اما حيوانية واما نباتية والحيوانية ينتهي ايضا
النباتية والنباتي انما يتولد من صفو الطين فالانسان بالحقيقة
انما يتولد من سلالة من طين اقصى ما في الباب ان تلك السلالة
من طين تواردت عليها اطوار الخلقة وادوار الفطرة حتى
صارت منيا وبذلك لا يبطل كون الانسان متولدا من سلالة
من طين كما انه تولد عن المني بعد تعاقب الاطوار والادوار عليه
ولم يكن ذلك قادحا في كونه متولدا من المني وهذا التاويل
الذي ذكرته مطابق للفظ ولا تحتاج معه الى شيء من التكلفات
والله اعلم بمراده المرتبة الثانية قوله تعالى ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين فاعلم ان الاطباء يقولون ان الانسان
اذا اكل طعامه فانه ينطبخ ذلك الطعام في معدته لا بحرارة
المعدة وحدها بل بحرارة ما يطيف بها اما من اليمين بالكبد
واما من اليسار بالطحال واما من قدام بالثرب الشحمي لقابل
للحرارة سريعا واما من فوق بالقلب بتوسط تسخينه للجاب
فما يكون منه صافيا يدخل في عروق صلاب دقاق في الكبد
والذي كالثفل ينزل الى الامعاء ثم ينطبخ ذلك المصفى مدة
اخرى في الكبد ويحصل عند ذلك الانطباخ رغوة وهي التصفراء
ثم تذهب الى المرارة ورسوب وهو السوداء ويذهب الى الطحال
وتنفصل المائية الفضلية وتذهب الى الكليتين ومنهما الى المثانة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ومنها الى الاحليل وتخرج ثم انه تعالى خلق مجريين بين الطحال وبين فم
المعدة ومجريا آخرين المرارة والامعاء ثم ان تلك السوداء ينصب
شئ منها الى فم المعدة فتحصل في المعدة دغدغة الجوع ولو انسد
على الانسان هذا المجرى لم يحصل للانسان شعور بالحاجة الى الطعام
وايضا تنصب من المرارة شئ من الصفراء على الامعاء حتى ينغسل
الامعاء عن الفضلات ولحصل للانسان شعور بالحاجة
الى اخراج الفضلة ولو انسد ذلك المجرى لم تنصب تلك الصفراء
على الامعاء فيبقى الثفل فيها ويتولد القولنج ثم انه يحصل بعد
هذين الطبخين طبخ ثالث وهو ان ذلك الدم الصافي يخرج من الكبد
ويتوزع في العروق وينطبخ مرة ثالثة في العروق ثم يحصل طبخ
رابع وهو ان تلك الدماء المتوزعة في العروق تنصب على جواهر
الاعضاء ويتكيف بكيفية تلك الاعضاء فبعضها يصير متكيفا
بكيفية العظم وبعضها بكيفية اللحم وبعضها بكيفية العصب فهذه
اربعة مراتب في الطبخ واذا عرفت هذا فنقول انه اذا صارت
الشهوة مستولية على الانسان تولدت من تلك الشهوة سخونة
منتشرة في جميع الاخلاط والاعضاء ثم لسبب تلك السخونة يرتفع
بخار لطيف ورغوة لطيفة من جميع الاخلاط والاعضاء ومجموع
ذلك البخار والرغوة انما يرتفع مما حصل عند الهضم الرابع فيتولد
من العظم جوهر شبيه في الطبع بالعظم ومن اللحم والعروق والاعصاب
كذلك ثم انه لما حصل في تلك الرغوة قوى وطبايع متشابهة
لتلك الاعضاء البسيطة فكذلك يحصل فيها قوى وطبايع متشابهة

لقوى الاعضاء المركبة فيحصل فيها اجزاء من الدماغ واجزاء
من العين واجزاء من اليد واجزاء من الرجل ولهذا المعنى لما سال
اليهودي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب مشابهة الولد
تارة اباه وتارة امه فقال عليه السلام ان كان الغالب هو ما
الرجل حصلت المشابهة بالاب وان كان الغالب هو ما المرأة
حصلت المشابهة بالام ثم ان هذه الرغوة المختلسة من جميع
الاعضاء والابعاض يصعد في العرقين الساريين بامر الحكيم
الخبير الى الدماغ وذلك لان الدماغ هو اشرف اعضاء الانسان
وهو مسكن القوة المفكرة والحافظة والذاكرة فاقتضت الحكمة
الالهية ان يحصل من خواص الدماغ الذي هو اشرف اعضاء
بدن الانسان في تلك الرغوة اثر وكيفية ثم انه سبحانه يخلط
بتلك الاجزاء شيئا كثيرا من اجزاء الدماغ ولذلك قبل من باشر
كثيرا ظهر اثره على العين في الفتور والكلال والانكسار ثم انه
سبحانه ينزل تلك الاجزاء من الدماغ الى صلب الرجل وترائب المرأة
ثم تنزل بعد الوقاع من الصلب والترائب الى مستقر الرحم فهذا
هو المراد من قوله سبحانه ثم جعلناه نطفة في قرار مكين واعلم
انا قد ذكرنا ان هذه النطفة تجري مجرى رغوة تنفصل من
الاعضاء بسبب ذوبان يعتريها عند استيلاء حرارة الشهوة
فيكون بعض تلك الاجزاء من ذوبان العظم وبعضها من ذوبان
اللحم ولما كان البدن الانساني مخلوقا من الطبايع الاربعة كان
ذوبانها ايضا كذلك فيكون المني جسما مركبا من رطبة ومائية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وهوائية ونارية والهوائية والنارية غالبة عليها ويدل
عليه ان بياض الرطوبة انما يكون بسبب لاختلاط الهوائية بها
كما يكون في الزبد والاجزاء الكثيفة التي هي في المني هو مواد
الاعضاء والاجزاء اللطيفة التي هي فيها الارواح وتلك الاجزاء
اللطيفة والكثيفة يكون مختلطا بعضها ببعض في اول الامر
ثم ان الجنسية علة الضم فتنضم الاجزاء اللطيفة بعضها الى
بعض والاجزاء الكثيفة بعضها الى بعض ولما كان اللطيف
سريع التحليل والتلاشي اقتضت الرحمة الالهية جعل الاجزاء
اللطيفة في الوسط وجعل الاجزاء الكثيفة كالصوان لها
فيصير الكل كالكرة المستديرة ويكون باطنها مملوا من الاجزاء
الروحانية اللطيفة ويكون ظاهرها من الاجسام الكثيفة
وذلك الموضع الذي هو مجمع الارواح والاجزاء اللطيفة هو
الموضع الذي اذا استحكم وكمل كان قلبا فلهذا المعنى قال اهل العلم
اول الاعضاء الانسانية الذي يتكون هو القلب وآخرها موتا
هو القلب وعند هذا يظهر ان فطرة النطفة يصير كالكرة
ويكون مجمع الارواح في باطن تلك الكرة هو القلب وحينئذ
تحصل ههنا احوال عجيبة الاول ان العالم الاصغر الذي هو
الانسان كرة كما ان العالم الاكبر ايضا كرة الثاني ان كرة العالم
الاصغر تبقى معلقة في جو الرحم بحفظ الخالق الحكيم كما ان كرة
العالم الاكبر بقيت معلقة في الخلاء الذي لا نهاية له بحفظ
الخالق الحكيم كما قال ان الله يمسك السموات والارض الاية

والثالث

والثالث ان كرة العالم الاصغر يكون الكثيف محيطا واللطيف
محاطا به على ما شرحناه والعالم الاكبر بخلاف ذلك لان ما
في العالم الاكبر اللطيف محيط وهو السموات والمحاط به هو
الكثيف وهو الارض والرابع انه تعالى قال خلق السموات في ستة
ايام واما العالم الاصغر فقالت اهل التجارب ان هذه الكرة
المتولدة من هذه النطفة تبقى ستة ايام على حالتها الاولى
لا يتغير منها صفة ولا تزول منها حالة والخامس روي انه
تعالى لما اراد خلق آدم امر الملائكة حتى اخذوا من كل ناحية
من نواحي الارض قبضة فبعض تلك الاجزاء احمر وبعضها اسود
وبعضها ابيض وبعضها حرة وبعضها سهلة وبعضها عذبة
وبعضها مرة فلا جرم جاءت اولاد آدم على صفات مختلفة
بعضهم احمر وبعضهم ابيض وبعضهم اسود وبعضهم حر كريم
وبعضهم بدل سفيه فكذا ههنا لما اراد تخليق ولد آدم امر
الملائكة الموكلين بابدان البشر حتى اخذوا من كل طرف من اطراف
ابدان الاب والام جزأ آخر على خاصية اخرى فاخذوا من
سواد الحدقة والشعر جزأ اسود ومن بياض الملتحمة واللسن
والجلد جزأ ابيض ومن الدم جزأ احمر ومن الدماغ الاجزاء
الباردة ومن القلب الاجزاء الحارة ومن الكبد الاجزاء الرطبة
ومن العظام الاجزاء اليابسة وبالجملة اخذوا من كل طرف
من ابدان الابوين جزأ مناسبا له في الطبيعة مشاكلة له في
الخاصية ثم انه سبحانه كما اخبر عن طينة آدم انه خمرها بيده

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اربعين صباحا فكذا ههنا خمر هذه الاجزاء بعضها ببعض
اربعين صباحا وكما انه سبحانه بحكمته راعى في تخمير طينة
آدم دقايق لا تصل اليها العقول والافكار فكذا في تخمير
هذه الاجزاء بعضها ببعض راعى اسرارا لا يطلع عليها اوهام
الخلق فبقدر لكل شخص في ذلك التخمير نسبة خاصة في المقدار
والكيفية ومناسبة مقدرة في الحسن والقبح والسعادة و
الشقاوة والغنى والفقر والعلم والجهل لا يعرفها احد الا الله
ولا يقف على كنه اسرارها احد الا هو له الخلق والامر تبارك الله
رب العالمين واعلم انه تعالى ذكر في آيات كثيرة تولد الانسان
عن النطفة فقال في اول سورة النحل خلق الانسان من نطفة
فاذا هو خصيم وقال في آخر يس اولم ير الانسان انا خلقناه
من نطفة فاذا هو خصيم وقال في الواقعة افرايتم ما تمنون
ءانتم تخلقونه ام نحن الخالقون وقال في الانسان انا خلقنا
الانسان من نطفة امشاج نبتليه وقال في عبس قتل الانسان
ما اكفره من اي شئ خلقه من نطفة خلقه الاية وفي امثال
هذه الايات كثيرة واعلم انه تعالى ذكر في القرآن للمني صفات كثيرة
منها قوله في الطارق ثم خلق خلق من ماء دافق وهذه الآية
مشتملة على ذكر صفتين الصفة الاولى كونه ماء دافقا فلنذكر
تفسير الدافق بحسب اللغة ثم ما يتعلق بكونه دافقا من وجوه
المصلحة اما اللغة فاعلم ان الدفق صب الماء يقال دفقت الماء
اي صببته وهو مدفوق اي مصبوب ولما كان هذا الماء مدفوقا

اختلفوا في انه لم وصف بانه دافق وذكروا فيه وجوها الاول
قال الزجاج معناه ذو اندفاق كما يقال دارع وفارس ونابل وتامر
اي ذو درع وفرس ونبل وتمر والثاني قال الفراء انهم يسمون
المفعول باسم الفاعل كقولهم ستر كاتم وهم ناضب وليل نايم
قال تعالى في عيشة راضية اي مرضية الثالث قال الخليل في
كتاب العين دفق الماء دفقا ودفوقا اذا انصب بمرة الرابع ان
الدافق هو صاحب الماء فاطلق هذا الوصف على الماء على سبيل
المجاز واما وجه الحكمة في كون هذا الماء مندفقا فاعلم ان وجه
الحكمة فيه التنبيه على انه ليس المقصود من المباشرة تحصيل اللذة
بل تحصيل الولد لان كون الماء مندفقا يمنع من دوام اللذة
وذلك لان استيلاء المستمر قوي في ايجاد اللذة واكمل واما
لها بل الحكمة في الدفق بالقوة ان يكون للمني قوة في الوصول الى
مستقر الرحم وهو الذي سماه الله تعالى مكينا في قوله قرار مكين
والصفة الثانية كون المني خارجا من بين الصلب والترايب
وترايب المرأة عظام صدرها حيث تكون القلادة وكل واحد
من تلك العظام فهي ترايبة وقد اختلف المفسرون فمنهم من قال
الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل وترايبه ومنهم
ومنهم من قال الولد مخلوق من الماء الذي يخرج من صلب الرجل
وترايب المرأة واحتج الاولون بانه تعالى بين ان الانسان مخلوق
من ماء دافق والذي يوصف بهذا الوصف هو ما الرجل ثم
عطف عليه بان وصفه بانه يخرج من بين الصلب والترايب

شبكة الألوكة www.alukah.net

وذلك يقتضي كون هذه الصفة صفة لماء الرجل واذا كان كذلك
ثبت ان الولد مخلوق من ماء الرجل واحتج اصحاب القول الثاني
بقوله عليه السلام اذا غلب ماء الرجل يكون الولد ذكرا ويعود
شبهه الى الاب والى اقاربه واذا غلب ماء المرأة فبالضد وهذا
صريح في ان الولد مخلوق من ماء الرجل وماء المرأة والله اعلم
بحقايق مخلوقاته الصفة الثالثة قوله تعالى في سورة والنجم
وانه خلق الزوجين الذكر والانثى من نطفة اذا تمنى وقال
في القيامة الم يك نطفة من منى يمنى ولقايل ان يقول
ما الفايدة في قوله من منى يمنى مع ان كل منى يمنى والجواب فيه
ان فيه تنبيها على حقارة حال الادمي والتقدير انه مخلوق
من المنى الذي جرى على مخرج النجاسة فلا يليق بمثل هذا الشيء
ان يتمرد عن طاعة الله الا انه سبحانه عبر عن هذا المقصود
على سبيل الرمز والكناية نظيره قوله تعالى في عيسى ومريم
كانا ياكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة الا انه تعالى
عبر عن هذا المعنى بقوله كانا ياكلان الطعام وكان الحسن البصري
يقول كيف يليق التكبر والتجبر بمن مر على مجرى البول مرتين
الصفة الرابعة قوله تعالى الم نخلقكم من ماء مهين وايضا
قال وبدا خلق الانسان من طين ثم جعل نسله من سلالة
من ماء مهين والمراد بكونه مهينا وجوه الاول قال مالك انه
نجس رطبا ويابسا وقال الشافعي انه طاهر رطبا ويابسا
وقال ابو حنيفة انه نجس رطبا طاهر يابسا وحجة الشافعي

من وجهين الحجة الاولى انه تعالى من علينا بخلقنا منها حيث
قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين ولو كان نجسا لما حسن هذا الامتنان
فان الزموا العلقة والمضغة قلنا جوابه من وجهين الاول
انا لا ندري ما حالها حين ما يكون في الرحم والثاني ان المنى
انما يصير علقة ومضغة بسبب انه يمتزج به دم الطمث
والدم نجس فلهذا العارض حكمنا بالنجاسة الا ان اصل
الامتنان بالتخليق منه يقتضي كونه طاهرا الحجة الثانية انه
تعالى من علينا بان جعل اللبن طاهرا لاجل انه غذاء ومن المعلوم
ان الحاجة الى طهارة الذات اعظم من الحاجة الى طهارة الغذاء
فلما من علينا بجعل اللبن الذي هو الغذاء طاهرا فبان يمن
بطهارة المني الذي هو الاصل كان اولى واعلم انا وان حكمنا
بطهارته الا ان العلماء لما اختلفوا في طهارته ونجاسته
كان ذلك دليلا على حقارته ونهاية مهانته والثاني ان
مهانته لاجل كونه مستقذرا والثالث ان مهانته لاجل
مروره على ممر النجاسة الصفة الخامسة انه تعالى اخبر عن الرحم
الذي هو موضعه انه قرار مكين وهو قوله تعالى ثم جعلناه
نطفة في قرار مكين وفيه فوايد الفايدة الاولى ان من
ملأ كوزا من الماء ثم قلبه انصب ذلك الماء ثم انه سبحانه
اودع النطفة في قعر الرحم ثم خلق الرحم منكسا ثم حفظ
فيه تلك النطفة بقدرته وحكمته وهذا وان كان عجيبا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالنظر الى قدرتنا الا انه غير عجيب بالنظر الى قدرته وذلك لان
اجرام السموات والارض والجبال والبحار انقل بكثير من
تلك النطفة كما قال لخلق السموات والارض اكبر من خلق الناس
فلما امسك السموات والارض بقدرته من غير علاقة
فوقها ولا دعامة تحتها كما قال ان الله يمسك السموات والارض
ان تزولا الاية فبان يقدر على امساك النطفة في قعر الرحم
بقدرته كان ذلك اولى واخرى الفائدة الثانية انه تعالى
سمى الرحم قرارا مكينا ومعلوم ان النطفة في الرحم ليست
مستقرة بل بقيت معلقة في الهواء فكيف يجوز تسمية الرحم
بالقرار المكين وجوابه كانه قال انا امسك النطفة في هواء الرحم
بقدرتي كما يمسك الواحد منكم الشيء الثقيل في مستقر الارض
والمراد منه اظهار كمال القدرة ونظيره انه تعالى سمى تخليق
السماء بناء فقال الذي جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء
والشيء المعلق في الهواء لا يسمى بناء انما الشيء المستقر على القرار
يسمى بناء الا ان الجواب عنه كانه قال انا امسكت بقدرتي
السماء في جو الهواء وكان ذلك الامساك جاريا مجرى الشيء
الذي يكون مستقرا على الارض ويبنى عليه البناء وتسمية
الملك بالبناء انما كان لاجل التنبيه على احكام خلقته والمقصود
منه التنبيه على كمال قدرة الصانع سبحانه فكذا ها هنا
سمى الرحم بالقرار المكين لتقرير هذا المعنى والفائدة الثالثة
وهو ان استقرار النطفة في الرحم انما كان بسبب انه سبحانه

بقدرته وحكمته بحفظها في الرحم فلما كان المستقر هو القدرة
الازلية ولا شك ان القدرة الازلية مبرأة عن الخلل
والعجز والنقصان لا جرم سمى السماء بناء والرحم قرارا
ونظيره قوله تعالى الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها
يعني لها عمد غير مرئي وهو قدرة الله وحكمته وحفظه القفة
السادسة للنطفة قوله تعالى في الانسان خلقنا الانسان
من نطفة امشاج والمشيج في اللغة الخلط والامشاج الاخلاط
قال صاحب الكشاف الامشاج لفظ مفرد وليس بجمع بدليل
انه وقع صفة للمفرد وهو قوله نطفة امشاج ويقال ايضا
نطفة مشيج ولا يصح ان يكون امشاج جمعا للمشيج بل هما مثلان
في الافراد ونظيره برمة اعشار اي قطع منكسرة وثوب اخلاق
وارض سباسب واختلفوا في معنى كونه مختلطا على وجوه الاول
انه اختلاط نطفة الرجل بنطفة المرأة قال ابن عباس ماء
الرجل ابيض غليظ وماء المرأة اصفر رقيق فيختلطان ويخلق
الولد منهما فما كان من عصب وعرق وعظم فمن نطفة الرجل
وما كان من لحم ودم فمن ماء المرأة وقال الحسن من نطفة شبجت
بالدم وهو دم الحيضة فان المرأة اذا بلغ ماء الرجل رحلت
امسك حيضها فاختلطت النطفة بالدم وقال قتادة الامشاج
هو انه يختلط الماء والدم اولا ثم يصير علقة ثم يصير مضغة
وبالجملة فهو عبارة عن انتقال ذلك الجسم من صفة الى صفة
ومن حال الى حال وقال آخرون الامشاج عبارة عن كون النطفة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

مختلطة من الامهات الاربعة والتقدير من نطفة ذات امشاج وهذا دال على قدرة الله لان الطبايع المتنافرة لا تجتمع الا بقهر ثم ان كل واحد من تلك الطبايع منافية للحيوة فبناء امر الحيوة عليها يكون اظهارا للضد فيكون ادل على كمال القدرة ونظيره قوله في آخر يس الذي جعل لكم من الشجر الاخضر نارا فاذا انتم منه توقدون ويحتمل ايضا ان يكون المراد ما ذكرنا من كون النطفة متولدة بعد الهضم الرابع فبعضها يكون فيه خاصية العظم وبعضها فيه خاصية اللحم وخاصية العرق وتلك الاجزاء المخلوطة بعضها ببعض فيكون امشاجا بهذا التاويل المرتبة الثالثة من مراتب خلق الانسان صيرورة النطفة علقة وزعم اصحاب التجارب ان المني في اول الامر يصير كرة مستديرة ويبقى على لونه الابيض في الرحم ستة ايام كما شرحناه ثم انه يظهر بعد ذلك في الباطن اعني مركز هذه الكرة نقطة دموية وذلك الموضع هو الذي ذكرنا انه مجمع الارواح وهو الذي اذا تمت خلقته كان قلبا فلهذا المعنى قالوا ان اول عضو يتكون من البدن هو القلب ثم يحصل بعد ذلك ايضا نقطتان دمويتان احدهما فوق النقطة الاولى وهي التي اذا استحكمت خلقته كان دماغا والنقطة الثانية تحصل عن يمين النقطة الاولى وهي التي اذا استحكمت خلقتها كان كبدا ثم ان هذه النقطة الثالثة تمتد في الصفات الاربع امتدادا تاما وهذه الاحوال تحصل بعد ثلثة ايام اخرى ويكون

ذلك

ذلك تسعة ايام من الابتداء وقد يتقدم يوما ويتاخر يوم ثم ان بعد ستة ايام اخرى وهو الخامس عشر من العلوق تنفذ الدموية في الجميع فيصير علقة فربما يتقدم يوما او يومين او يتاخر يوما او يومين فهذا شرح حال العلقة ثم ههنا اسرار وفوايد الحكمة الاولى ان كل من ينقش نقشا على شئ فانه يحتاج الى امور احدها ان يكون محل النقش جسما صلبا كثيفا وها هنا الحق سبحانه وضع النقش على الماء المهين والثاني يجب ان يكون المكان الذي ينقش فيه واسعا ويكون الموضع مضيا وههنا الحق سبحانه ينقش هذا النقش العجيب في الرحم وهو موضع ضيق فقال هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء واستدل بهذا على الهيته ووحدانيته فقال لا اله الا هو العزيز الحكيم وايضا نقش هذا النقش في ظلمات الارحام فقال في الزمر يخلقكم في بطون امهاتكم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلث الاية فما اعظم درجة الانسان وما اعجب خلقته وذلك لانه انما ذكر احوالا من احوال تخليقه ذكر عقيبها اما التهليل كما في هاتين الايتين واما التعظيم والتقديس كما في قوله فتبارك الله احسن الخالقين الحكمة الثانية ان كل كاتب ونقاش اراد ان يكتب شيئا على جسم فانه يكتب اولا ذلك النقش على ظاهر ذلك الجسم ثم انه يصل الاثر من الظاهر الى الباطن وههنا الحق سبحانه اظهر آثار كتابته ونقشه وتصويره اولا في الباطن وهو ظهور النقطة الثالثة الدموية في الباطن اولا ثم سراياتها من الباطن الى الظاهر

وهذا ليعلم انه كما ان ذاته وصفاته لا تشبه الذوات والصفات
فكذلك لا يشبه فعله افعال سائر الفاعلين وان اشتبه هذا
عليك في مبدا الخلقة والفطرة فله مثال حاضر في الحال وذلك
لان الاعضاء الظاهرة لا تتحرك ولا تسكن الا اذا حدثت في القلب
داعية وارادة لذلك الفعل ومحدث تلك الدواعي والارادات
في القلوب هو الله وهو المراد بقوله كتب في قلوبهم الايمان
وبقول رسوله قلوب العباد بيد الله وقلب المؤمن بين اصبعين
من اصابع الرحمن فالحق سبحانه يكتب في القلب تلك الدواعي
والارادات ثم يتولد منها فنون الافعال والحركات في ظاهر
البدن فظهران تاثير قدرة الله يظهر الآن في القلوب والضمائر
اولا ثم تسري تلك التاثيرات من البواطن والضمائر الى الظواهر
ولما عرفت هذا المعنى في الحال فاعرف مثله في تخليق البدن في الابتداء
الحكمة الثالثة ان كل نقاش ابدع نقشا حسنا لطيفا فانه يبالغ
في صون نقشه عن اربعة اشياء عن التراب فان الغبار يبطل
رونق النقش ويزيل طراوته وعن الماء فانه يغسله ويزيله وعن
الرياح فانها يكدر النقوش وتبطلها وعن النار فانها تحرق
وتفني الاثر ثم انه سبحانه عكس هذه القضية فاظهر نقش خلقة
البشر من التراب فقال ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه
من تراب واظهر نقش خلقة الدواب من الماء فقال والله خلق
كل دابة من ماء واظهر خلقة عيسى من الهواء قال فنفخنا فيه من
روحنا وايضا جعل نفخة سببا لتخليق الحيوانات فقال واذ تخلق

من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني والجن
خلقه من لهب نار فقال والجان خلقناه من قبل من نار السموم و
ذلك يدل على ان فعله لا يشبه فعل احد من الفاعلين الحكمة
الرابعة انه سبحانه خلق القلب اولا وذلك لانه سر الروح ومدرك
المعرفة وحانقاه الصفوة ومنزل المحبة فالنور الفايض من خطاب
انه لا اله الا الله لا يتجلى الا فيه والكرامة الحاصلة من تشريف
بحبهم وبحبونه لا تظهر الا فيه والاستقرار المتولد من وعد
الا بذكر الله تطمئن القلوب لا تحصل الا فيه فلما كان هو المقصود
في الثواب والعقاب والخطاب والعتاب والوعد والوعيد
والترغيب والترهيب والتحذير لاجرم كان هو المخلوق اولا
ثم انه تعالى خلق الدماغ فوقه والكبد تحته لان الدماغ منشاء
العقل الذي هو الواسطة بين القلب وبين العالم العلوي والكبد
منشا الغذاء وهي الواسطة بين القلب وبين العالم السفلي فجعل
العلوي في العلوي والسفلي في السفلي تنبيها على هذه الدرجات الحكمة
الخامسة ان القلب سلطان البدن وليست سلطنته بسبب كبر
الجثة والا لوجب ان يكون الفخذ اولى بهذه السلطنة ولا بسبب
الحدة والا لكانت المرارة اولى بها ولا بسبب القوة والا لكانت
العظام اقوى بها ولا بسبب الحدة والقطاعية والا لكانت
الاسنان بها ولا بسبب كثرة الذخيرة والا لكانت المعدة
اولى بها ولما بطلت كل الوجوه ولم يبق للقلب خاصية سوى
كونه معدنا للعلم والحكمة والفهم والادراك فعلمنا انه انما كان

شبكة الألوكة
www.alukah.net

سلطان القلب لكونه موصوفا بالعلم والحكمة فكل من كان
عالما حكيما كان سلطانا بالحق ونائبا للحق بالحق وكل من كان
محرومًا عن العلم والحكمة كانت سلطنته في التلبيس نيابة ابليس
الحكمة السادسة ان الروح سلطان الجسد وسرير الروح هو
القلب لا جرم كان القلب هو اول الاعضاء الحادثة في البدن
فنقول لما كان الروح محتاجا الى سرير جسماني كان ذلك السرير
اول الاعضاء المتكونة في البدن فالحق سبحانه سلطان الموجودات
فلو كان محتاجا الى سرير جسماني هو العرش لوجب على هذا القياس
ان يكون العرش اول المحدثات واول المكونات لكن الامر ليس
كذلك بنص القرآن والخبر اما القرآن فهو قوله ان ربكم الله
الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش
بين تعالى ان الاستواء على العرش متأخر عن تخليق السموات
والارض واما الخبر فما روى انه عليه السلام انه قال اول
ما خلق الله القلم وفي رواية ثانية اول ما خلق الله العقل
وفي رواية ثالثة اول ما خلق الله تعالى نوري وفي رواية
رابعة اول ما خلق الله تعالى جوهرة ثم نظر اليها بعين الهيبة
فصارت ماء وجميع هذه الروايات مطابقة على ان العرش ليس
هو المخلوق الاول وذلك يدل على كونه منزها عن العرش والكرسي
والمكان والجهة الحكمة السابعة ان القلب سلطان الجسد
وكان اشرف اعضاء الجسد هو القلب ثم ان المجسمة يقولون
كل موجود هو اشرف من غيره وجب ان يكون في مكان اعلى من جميع

الموجودات ولما كان الحق سبحانه اشرف الموجودات يجب ان
يكون في مكان اعلى من جميع الموجودات فههنا القلب سلطان
البدن واشرف الاعضاء مع انه ليس في اعلى موضع من مملكة
البدن بل هو مستقر في الوسط فظهر بهذا فساد قول المجسمة
ان الاشرف يكون اعلى في المكان والجهة. بل ههنا دقيقة اخرى
وهو ان اخس اعضاء البدن انما هو الشعر والجلد والعظم
واعلى شيء من البدن هو هذه الثلثة فعلمنا ان العلو لا يقتضي
الشرف والسفل لا يقتضي الخسة الحكمة الثامنة ان كل طباخ
وضع اللحم الاحمر في قدر وطبخه فانه تزول تلك الحمرة ويحدث
البياض وههنا الحق سبحانه وضع مني الابيض في قدر الرحم
وطبخه بنار الطبيعة فانقلب الابيض احمر وايضا كل احد
يسلط الحرارة على جسم لطيف فان بسبب تلك الحرارة تزداد
الدقة والرخاوة والحق سبحانه قلب هذه القضية ها هنا
فسلط الحرارة على النطفة الرطبة فصيرها منعقدة كثيفة
قوية فان قيل انما حصلت الكثافة والانعقاد لان الحرارة لما
عملت في تلك الرطوبة بحركتها فبقي الباقي صلبا يابسا فنقول
ان كان الامر كذلك وجب ان تؤثر تلك الحرارة القائمة برحم
المرأة وسائر اعضائها في تخفيف تلك الاعضاء فان تاثير
تلك الحرارة في محلها اولى من تاثيرها في الجسم الاجنبي عنها المباين
لها فلما لم يؤثر تلك الحرارة في تخفيف اعضاء الام وانرت
في تخفيف جوهر النطفة علمنا ان تاثيرها في احد المحلين وعدم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تأثيرها في المحل الثاني بتدبير مدبر المخلوقات وتقدير مقدر
الكائنات فالطبايع معزولة والخواص باطلة والافلاك معطلة
والكواكب مسخرة ولا تأثير الا للقدرة الازلية ولا انقياد الا
للمشية السرمدية تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا المرتبة
الرابعة وهي صيرورة العلقة مضغة والمعنى انه ينقلب ذلك
الدم الجامد مضغة اى قطعة لحم كلها مقدار ما يمضغ كالعرفة
اسم لما يعرف واعلم انا بينا انها تصير علقة في مدة خمسة عشر
يوما انه بعد ذلك باثني عشر يوما تصير مضغة وتميز الاعضاء
الثلثة بعضها عن بعض وامتدت رطوبة النخاع وربما تقدم
ذلك وتاخر يومين او ثلثة ثم بعد تسعة ايام ينفصل
الراس عن المنكبين والاطراف عن الضلوع والبطن يتميز الحس
في البعض ويخفى في البعض ويحس بذلك بعد تمام الاربعين
في الاكثر وفي الاية ابحاث الاول وهو ان المضغة اسم للقطعة
من اللحم فقوله ثم خلقنا المضغة عظاما يقتضي تقدم تخليق
اللحم الذي هو المضغة على تخليق العظام وقوله ثم كسونا
العظام لحما يقتضي تقدم العظام على اللحم وذلك متناقض والجواب
ان المضغة اسم للقطعة الممزوجة من اللحم فهذا الجسم
المسمى بالمضغة لا يكون لحما البته ولا يكون املس السطح وذلك
لانه مركب من اجسام مختلفة الصور فبعضها يكون اذا استحكمت
خلقته كان عظما وبعضها يكون اذا استحكمت خلقته كان عصبا
وبعضها اذا استحكمت خلقتها كان عروقا ثم ان هذه الاجسام

بعد

بعد ما استحكمت خلقتها ولم يتميز بعضها عن بعض تمام التميز
ولم يظهر منها صلابة ولا كثافة بل هي باقية على الرخاوة فهي
من حيث كونها لينة رخوة يشبه اللحم ومن حيث انه لم يسبق على
كريتها وملاستها بل صارت اجساما مختلفة الطبايع صار
كاللحم الممضوغ فلهذا السبب سمى الله تعالى هذا الجسم في هذا الوقت
مضغة البحث الثاني انه سبحانه وصف المضغة في سورة الحج
فقال ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة الاية والمخلقة
المسواة الملساء من النقصان والعيب يقال خلق السواك والعود
اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء ثم
للمفسرين في معناه اقوال الاول ان يكون المراد من تمت فيه
احوال الخلق ولم يتم كانه سبحانه قسم المضغة الى قسمين احدهما
تامة الحواس والصورة والتخطيط والثاني ناقصة في هذه
الامور فبين انه سبحانه بعد ان صير مضغة فمنها ما خلقه
انسانا تاما بلا نقص ومنها ما ليس كذلك وهذا قول قتادة
والضحاك فكانه تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو تام خال
عن العيوب ومنها ما يكون معيوبا ويتبع هذه التفاوت
تفاوت الناس في خلقتهم وصورهم وطولهم وقصرهم وتمامهم
ونقصانهم والقول الثاني المخلقة الولد الذي يخرج حيا
وغير المخلقة السقط وهو قول مجاهد والثالث المخلقة المصورة
وغير المخلقة اى غير المصورة وهو الذي بقي لحما من غير تخطيط
وشكل واحتج اصحاب هذا القول بما روي عن علقمة عن عبد الله

شبكة الألوكة www.alukah.net

انه قال اذا وقعت النطفة في الرحم بعث الله ملكا وقال يارب
مخلقة او غير مخلقة فان قال غير مخلقة جعلها في الارحام دما
وان قال مخلقة قال يارب فما صفتها اذكرام انثى ما رزقها
ما اجلها اشقي ام سعيد فيقول الله سبحانه انطلق الى ام الكتاب
فاستنسخ منه صفة هذه النطفة فينطلق الملك فينسخها ولا
تزال النسخة معه حتى يأتي على آخر صفتها الرابع قال القفال التخليق
ماخوذ من الخلق فما تابع عليه الخلق بعد الخلق حتى يتم فهو المخلوق
وما لم يتم فهو غير المخلوق لانه لم يتوارد عليه التخليقات واعلم
ان القول الاول اقرب لانه تعالى قال في اول الاية فانا خلقناكم
واشار الى الناس فيجب ان نحمل مخلقة عليه وغير مخلقة على من
سيصير انسانا وذلك يتصور في السقط لانه قد يكون سقطا
ولم يتكامل فيه الخلقة فان قيل هلا حملتم ذلك على السقط لاجل
قوله ونقر في الارحام ما نشاء وذلك كالدلالة على انه فيه
ما لا يقر في الرحم وهو السقط قلنا ان هذا لا يمنع من صحة ما
ذكرنا في كون المضغة مخلقة وغير مخلقة لانه تعالى بعد ان تمم
خلقه البعض ونقص خلقه البعض لا يجب ان يكمل ذلك فيه بل فيه
ما نقره الله تعالى في الرحم وفيه ما لا يقره وان كان قد ظهر فيه
خلقه الانسان فيكون من هذا الوجه قد دخل فيه السقط اما
قوله تعالى لنبين لكم ففيه وجهان الاول ليبين لكم ان انقسام
المضغة الى المخلقة وغير المخلقة يدل على ان المتولي لهذا التدبير
ليس هو الطبع بل هو الصانع المختار والثاني ان اول هذه الاية

هو

هو قوله يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث الاية فيكون
المعنى انا اخبرناكم انا خلقناكم من كذا وكذا لنبين لكم ما يزيل
عنكم ذلك الريب في امر بعثكم فان القادر على هذه الاشياء
كيف يعجز عن الاعادة واما قوله ونقر في الارحام ما نشاء
الى اجل مسمى فالمراد منه ان من انقسام هذه المضغة من بلغه
اليه حد الولادة والاجل المسمى هو الوقت المضروب للولادة
وهو اخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع كما شاء الله
وقدر وانه تعالى لما اثبت ذلك الوقت المعين في اللوح المحفوظ
صار ذلك اصلا لبحثنا الثالث من مباحث هذا الموضع انا قدمنا
ان اصحاب التجارب زعموا ان مدة اربعين يوما يصير الحال بحيث
يتميز بعض الاعضاء عن البعض ففيه اشكال وذلك لانه روى
في الصحيحين عن الاعمش عن زيد بن وهب عن عبد الله بن مسعود
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق
المصدوق ان احدكم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة
ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة كذلك ثم يرسل
الله اليه ملكا ينفخ فيه الروح فيؤمر باربع كلمات فيكتب رزقه
واجله وعمله وشقي او سعيد فوالذي لا اله غيره ان احدكم
ليعمل عمل اهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع
فيسبق عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل النار فيدخلها وان احدكم
ليعمل بعمل اهل النار حتى ما يكون بينه وبينها الا ذراع فيسبق
عليه الكتاب فيختم له بعمل اهل الجنة فيدخلها فهذا الحديث

شبكة الألوكة
www.alukah.net

يدل على انه بقى اربعين يوما نطفة ثم بقى علقة مثل هذه المدة
وذلك على خلاف ما ذكرتم عن اهل التجارب والجواب انه وان
انخلقت اعضاؤه فى مدة الاربعين الا ان صورة العلقة
والمضغة انما يتم عند انقضاء الاربعينات الثلثة فلا منافات
بين التجربة وبين كلام صاحب الشرع اما المرتبة الخامسة
فهى صيرورة المضغة عظاما واعلم ان بدن الانسان مركب
من الاعضاء والاعضاء ينقسم الى قسمين الى اعضاء بسيطة
والى اعضاء مركبة فالاعضاء المركبة هو الذى لا يكون جزء
المحسوس مساويا للكل فى الاسم والحقيقة كاليد فان كل جزء من
اجزاء اليد لا يكون مساويا لكل اليد فى الاسم والحقيقة والاعضاء
البسيطة هى التى يكون جزء المحسوس مساويا للكل فى الاسم
والحقيقة كالعظم فان كل جزء من اجزاء المحسوسة يكون مساويا
للكل فى الاسم والحقيقة واعلم ان الاعضاء المركبة انما يتركب
من الاعضاء البسيطة فلهذا السبب لم يذكر الله تعالى فى هذا المقام
شيئا من الاعضاء المركبة واما الاعضاء البسيطة فهى العظام
والاعصاب والرباطات والاوتار والاوردة والشرايين
والاغشية واللحم والشحم والجلد الا ان اصل البدن واساسه
هو العظام فلهذا السبب خص الله سبحانه العظام بالذكر فى
هذا الموضع واعلم ان العظام يمكن تقسيمها على وجهين
الاول ان العظام بحسب منافعها على اقسام احدها ما قياسه
من البدن قياس الاساس وعليه مبناه مثل فقار الصلب فانه

اساس

اساس البدن وعليه يبنى كما تبنى السفينة على الخشبة التى تضرب
فيها اولا وثانيها ما قياسه من البدن قياس المجن والوقاية كعظم
الباقوخ وثالثها ما قياسه قياس الآلات التى بها يتم الاعمال
وهى عظام اصابع اليدين والرجلين ثم ما كان من هذه العظام
انما يحتاج اليه للدعامة او الوقاية ولا يحتاج اليه لتحريك
الاعضاء فانه خلق مصمتا وما كان منها يحتاج اليه لاجل الحركة
فقد زيد فى مقدار تجويفه وجعل تجويفه فى الوسط واحدا
ليكون جرمه صلبا ولا يصير هوا بسبب كثرة المنافل ثم جعل
المخ فى وسطه ليرطبه ويمنعه من اليبس المفتت ففائدة زيادة
التجويف ان يكون اخف وفائدة توجيه التجويف ان يبقى جرمه
اصلب وفائدة صلابة جرمه ان لا ينكسر عند الحركات العنيفة
القسم الثانى للعظام انها بحسب مجاورتها على اقسام فاحدها
ما يتجاور تجاورا موضع سلس وهو الذى لاحد عظميه ان يتحرك
حركانة سهلا من غير ان يتحرك معه العظم الاخر كعظام الاصابع
مع الكف ومفصل الرسغ مع الساعد وثانيها ما تجاور وتجاور
مفصل غير موثق وهو كعظام فقرات الظهر فى النصف الاعلى
من الظهر ولولا ذلك لما قدر الانسان تارة على ان ينتصب
انتصابا تاما وقت القيام وتارة تصير منحنيا كما فى وقت الركوع فاما
النصف الاسفل من الظهر فاصل عظامه موثقة محكمة وثالثها
ان يكون المفصل موثقا ليس لاحد عظميه ان يتحرك وحده البتة
مثل مفصل عظام الفخذ ورابعها المركوز وهو ما يوجد لاحد

العظمين زيادة والثانى نقرة تركز فيها تلك الزيادة ان كان لا يتحرك فيها مثل الاسنان وخامسها المدروز وهو الذى يكون لكل واحد من العظمين اسنان كما للمنشار ويكون اسنان كل واحد منهما مهندمة فى تحازيز الاخر كما يركب لصفارون صفايح النحاس كالمفاصل والتحف وسادسها ان يكون العظام ملاصقة فمنها ما هى ملاصقة طولا مثل مفصل ما بين عظمى الساعد ومنه ما هو ملتزق عرضا مثل مفصل الفقرات السفلى مرفقار القلب واعلم ان عظام البدن جملتها مائتان وثمانية واربعون عظما واما عظام الراس فخمسة وخمسون سبعة هى عظام اليافوخ واربعة عشر عظام اللحى الاعلى واثنان هما اللحيان الاسفلان واثنان وثلثون سنا فالمجموع خمسة وخمسون واما الحزات من الظهر فتسعة وعشرون سبعة فى العنق واحدى عشر يتصل بها الاضلاع وخمسة هى القطن وثلثة للعجز وثلثة للعصعص واما الاضلاع فاربعة وعشرون من كل جانب اثنا عشر والعنق مولفة من عظام سبعة الترقوتان عظمان موضوعان على كل واحد من جانبى العنق والكتفان مجلوحان وكل واحد من اليدين مولف من احد وثلثين عظما العضد وطرفه الساعد وهما عظمان ملتصقان بالطول والكف اثنا عشر الرسغ وهو صفان فى كل صف اربعة والمشط اربعة اخرى والاصابع خمسة عشر فالمجموع احد وثلثون ومجموع عظام اليدين اثنان وستون وعند العانة عظمان وفخذان وظرناهما

والوصفتان وعظام القدم سبعة وعشرون فهذا هو مجموع عظام البدن والكلام فيها وفى منافعها طويل والنكتة الظاهرة فى كيفية الاستدلال بهذه الحالة على الصانع المختار ان العظام اجسام صلبه قوية فكيف تولدت من النطفة السخيفة الرقيقة وايضا فهذه العظام مختلفة فمنها صغير ومنها كبير وطويل ومستدير ومجوف ومصمت وعريض ودقيق واللايق بكل موضع من مواضع البدن عظم مخصوص لو حصل فى ذلك المكان عظم آخر لاختلت المصالح فالطبيعة التى لا شعور لها ولا ادراك كيف يمكن اسناد تخليق هذه الاعضاء اليها وكيف يعقل ان يقال ان هذه الطبيعة رتبت هذه الاعضاء بهذا الترتيب المراعى للمصلحة وهذا مما لا يقبله العقل بل الفطرة السليمة الطباع المستقيمة تشهد بان تخليق هذه الاعضاء وترتيبها لم يصدر الا عن الصانع الحكيم المدبر المرتبة السادسة وهى قوله تعالى ثم كسونا العظام لحما فاعلم ان اهل التشريح ذكروا فى ان جميع عضل البدن خمسمائة وتسعة وعشرون عضله واعلم ان الخالق سبحانه لما اقتضت حكمته ان يجعل منبع قوة الحس والحركة هو الدماغ وتكون الالة الحاصلة لهاتين القوتين من الدماغ هو العصب ثم كانت العصب لا تحتمل اتصالها بالعظام التى هى بالحقيقة اصول للاعضاء المتحركة اذا كانت العظام صلبة والعصب لطيفة فانبت الخالق بحكمته من العظام شيئا شبيها بالعصب يسمى رباطا يجمعه مع العصب ويشبكه به كشئ واحد الا ان هذا الجرم الملتئم من العصب ومن الرباط كان ايضا دقيقا فلذلك الخالق

سبحانه في ذلك بان جعل ذلك الجرم منفوشا وملأ خلله لحما
وغشاه غشاء دقيقا صلبا وجعل في وسطه شيئا كالمحور عرضه
العصب فهذا العضو هو العضلة وفيه فوايد كثيرة منها انه يكون
حشوا للخلل والفرج الحاصلة بين العظام ومنها ان اللحم متولد من
الدم الذي هو حار رطب فيكون للحم سببا لزيادة السخونة في
الاعضاء مثل حشو الحصة ومنها ان يكون حاجبا بين عظام البدن
وبين الاجسام الصلبة الخارجة عن البدن ويكون ذلك اللحم
شبيها بالمضربة اللينة التي يجلس الانسان عليها فلا يتالم
بسبب المصاكة الحاصلة بين عظام البدن وبين الاجسام
الصلبة الموجودة من الخارج والفايدة الثانية ان هذه
العضلات بسبب ما فيها من شظايا العصبية تجري فيها قوة
الحس والحركة ويتمكن الانسان بسببها من الحركة الارادية
والافعال الاختيارية والفايدة الثالثة ان هذه العضلات
بسبب ما فيها من شظايا الرباط وبسبب كونها محللة بهذا الاغشية
الصلبة تكون صلبة قوية لا يعرض لها الانتهاك والانقطاع
سريعا فهذه اشارة مختصرة الى منافع هذه العضلات فان
قيل انه تعالى ذكر في جميع المراتب المتقدمة لفظ الخلق فقال
لقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الاية وفي هذه المرتبة
لم يذكر لفظ الخلق بل قال فكسونا العظام لحما فما السبب فيه
قلنا السبب فيه ان العظام والاعصاب والعروق اعضاء
اصلية متولدة من النطفة ولذلك فان شيئا منها اذا بطل

لا يعود اما اللحم فانه ليس من الاعضاء الاصلية ولذلك
فانه اذا ذهب بالهزال عاد بالسمن مرة اخرى وهو انما يتولد
من دم الطمث لا من المني فلما كان الامر كذلك لاجرم اللحم
كالكسوة للاعضاء الاصلية وايضا فقد ذكرنا ان فايدة
اللحم افادة السخونة للاعضاء الاصلية وان يكون كالمضربة
اللينة التي اذا جلس الانسان عليها لم يتالم بسبب المصاكة
الحاصلة بين عظامه وبين الاجسام الصلبة الخارجة حسب
ما ذكرنا وهذه الفوايد والمنافع شبيهة بالفوايد المطلوبة
من الثياب الملبوسة فلهذا السبب ذكر في هذه المرتبة لفظ
الكسوة فسبحان من زله تحت كل كلمة من كلمات هذا الكتاب الكريم
سر شريف ونكتة روحانية واما المرتبة السابعة وهي
قوله ثم انشانا ه خلقا اخر فاعلم ان المراد بقوله خلقا آخر
قولين الاول المراد منه نفخ الروح وزعموا ان الروح ليس من
جنس البدن فلهذا المعنى جعل هذه المرتبة نوعا آخر من الخلق
مغايرا للمراتب المتقدمة واحتجوا عليه بوجوه هي المنقول والمعقول
الحجة الاولى ان المراتب المذكورة لا يكمل الانتفاع بها الا بنفخ
الروح فوجب في الحكمة ذكر الروح عقيب تلك المراتب والمذكور
عقيب تلك المراتب هو قوله ثم انشانا ه خلقا آخر فدل على
ان المراد منه نفخ الروح فلما عبر عن نفخ الروح بانه خلق آخر
علم ان الروح ليس من جنس البدن الحجة الثانية قوله فاذا سويته
ونفخت فيه من روحي فالتسوية عبارة عن تخليق الاعضاء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ونفخ الروح فيه اشارة الى تعليق الروح بالبدن فلما اضاف
الروح الى نفسه علم انه متميز في ذاته لمزيد شرف لا يحصل مثله
للاجسام الحجة الثالثة انه تعالى ميز بين عالم الارواح وعالم
الاجسام فقال لاله الخلق فحصل التباين بين هذين النوعين
ثم انه تعالى حكم بان الروح من عالم الامر فقال قل الروح من
امر ربي ثم بين انه لا سبيل لبشر الى معرفته فقال وما اوتيتم
من العلم الا قليلا ولو كان من جملة الاجسام لما صح هذه الاحوال
الحجة الرابعة انه تعالى اضاف الافعال الى النفس فقال ان النفس
لامارة بالسوء وقال ولا اقسم بالنفس اللوامة وقال
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
ومعلوم ان جميع اجزاء البدن ليس مبدا للافعال فعلمنا ان
النفس شيء يدبر البدن وهو غير البدن الحجة الخامسة قوله تعالى
اخرجوا انفسكم فهذا صريح في ان النفس شيء مغاير للبدن
تارة يدخل البدن وتارة يخرج منه الحجة السادسة قال تعالى
ولا يكونوا كالذين نسوا الله فانسيهم انفسهم وكل احد فانه
لا ينسى هذا البدن الذي يشاهده بحواسه فدل هذا على ان
تلك النفس التي ينساها الانسان عند وضوح جهله شيء آخر غير
هذا البدن الحجة السابعة قوله تعالى ونفس وما سواها
فالهمها فجورها وتقويها وهذا صريح في ان ههنا نفسا
هي محل الالهامات ومحل الفجور والتقوى ومعلوم ان كل
واحد من اجزاء البدن وابعاضه ليس كذلك فهذه النفس شيء

مغاير

مغاير لهذه الاعضاء الحجة الثامنة القرآن دل على ان الشيء المشار
اليه بانه هو الانسان المخصوص باق بعد الموت قال تعالى في صفة
الشهداء قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا
بل احياء عند ربهم الآية وقال تعالى في صفة المعذبين النار
يعرضون عليها غدوا وعشيا وقال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا
وقال عليه السلام ابينا الله لا موتون ولكنهم ينقلون من
دار الى دار فثبت ان الشيء المشار اليه بانه هو الانسان المخصوص
باق بعد موت البدن حتى يدرك الآلام واللذات واما ان هذا
البدن المشار اليه ليس حيا بعد الموت فهو معلوم بالضرورة
ولو جوزنا كونه حيا لجاز مثله في جميع الجمادات وهو سفسطة
واذا الاحتمالات متان علمنا ان المشار اليه بقولنا هذا الانسان
ليس هو هذا البدن الحجة التاسعة قوله عليه السلام من عرف
نفسه فقد عرف ربه وكان في كتب الله المنزلة اعرف نفسك
تعرف ربك ولو كان المراد من النفس هو هذا الجسد المشار اليه
لما امرنا بمعرفته لان معرفته حاصلة بالضرورة والحاصل لا يمكن
تحصيله الحجة العاشرة انا نجد من نفسنا انا نضيف كل واحد
من هذه الاعضاء الى نفسنا فنقول يدي ورجلي وقلبي ودماغي
والمضاف غير المضاف اليه فعلمنا ان النفس غير هذه الاعضاء
فان قالوا نحن نقول نفسي وذاتي وهذا يقتضي ان يكون نفس
الشيء مغايرا لنفسه وهو محال وجوابنا انا اذا اضفنا النفس
والذات الينا كان المراد من النفس والذات هو البدن وهو المغاير

لذلك الشئ المشار اليه بانه هو الانسان فهذه الاستدلالات
سمعية على اثبات النفس ولمن انكر النفس ان يجيب عن الكل بجواب
واحد وهو انه لا نزاع ان للنفس شئ لهذا البدن المحسوس وكيف
لا نقول ذلك والانسان قد يمرض فيذبل في غاية الذبول ثم
يبرأ فيسمن بعد ذلك في غاية السمن فالانسان واحد في الحالتين
مع ان الاجزاء البدنية متبدلة لكن لم لا يجوز ان يقال البدن
ينقسم الى قسمين احدهما اجزاء اصلية باقية من اول الخلقة
الى آخرها والثاني اجزاء متبدلة عرضية تطوى وتزول فالانسان
عبارة عن تلك الاجزاء الاصلية فهذا ما في هذا البحث واذا
عرفت هذا فقول اذا حملنا قوله تعالى ثم انشاناه خلقا آخر
على الروح فههنا لطايف النكتة الاولى قال بعضهم انه سبحانه
خلق الارواح من انوار عالم الجلال والجمال فالقوة النظرية
مع ما فيها من نتيجة المعرفة والمحبة من عالم الجمال والقوة العلمية
المدبرة للبدن من عالم الجلال ولولا ان انوار الارواح مستورة
بظلمات الاجساد والا سجد لها كلها فالنكتة الثانية قال
بعضهم انه تعالى خلق الارواح من النور والطيب والبقاء والعلم
والعلو والحيوة اما النور فلانه ما دام الروح في الجسد يكون
مصونا عن الفساد والتفرق والانحلال والدليل على انه من جوهر
العلو انه ما دام الروح في الجسد يكون للجسد نورانية فالعينان
تبصران والاذنان تسمعان واللسان يتكلم والقلب يفهم
والدماغ يتفكر فههنا يدل على ان الروح من عالم الانوار والدليل

على انه من جوهر الطيب انه ما دام الروح في عالم البدن يكون الجسد
طيب الرايحة مصونا عن العفونة والفساد والانحلال والدليل
على انه من جوهر البقاء والعلو انه ما دام الروح في البدن يكون البدن
مرتقبا عن الارض غير ملتصق بها وكلما ازداد الروح قوة ازداد
الارتفاع الا ترى ان الانسان عند استيلاء انوار عالم الروحانيات
على روحه ياخذ في الرقص والسبب فيه ان قوته روحانية
فصارت تلك القوة الروحانية جاذبة له من الارض الى عالم
السموات والانبياء لما كملت هذه الاحوال فيهم صعدوا الى السموات
فقال في حق ادريس ورفعناه مكانا عليا وقال في عيسى اني
رافعك الي وقال في محمد فكان قاب قوسين او ادنى والدليل
على انه من جوهر العلم ان محل العلم هو الروح وذلك لان العلوم
نقوش علوية غيبية طاهرة مقدسة فلا يكون محله الا الجوهر
القدسي العلوي والدليل على انه من جوهر الحيوة انه متى انقطع
اثر الروح القدسي العلوي عن كل البدن صار كله ميتا وان
انقطع اثره عن جزء من اجزاء البدن صار ذلك الجزء ميتا كما في
المفلوج وان تعلق بكل البدن صار كله حيا وبالجملة فالروح
كالشمس والحيوة الفايضة عن الروح كالانوار الفايضة عن الشمس
فكل جسم وصل اليه نور الشمس تقلبت احواله من الظلمة الى
الضياء كذلك كل عضو يصل اليه نور الروح انقلبت حالته
من الموت الى الحيوة النكتة الثالثة دلالة ارتباط تدبير هذا
البدن بالروح على افتقار كل العالم الصانع في غاية الظهور وذلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

لان هذا البدن مملكة صغيرة جدا فاذا كانت هذه المملكة
الصغيرة لا تعقل استغناؤها عن ملك مطاع فيه فكل العالم
الذي هو المملكة الكبيرة كيف يمكن استغناؤها عن مدبر يدبرها
ومتصرف يتصرف فيها وكما ان المدبر في هذه المملكة الصغرى
واحد ولا يمكن حصول روحين في بدن واحد كذلك لمملكة
الكبرى يجب ان يكون مدبرها واحد النكتة الرابعة ان
المؤمن بذاته علوي وكذا بصفاته اما ذاته فلقوله وانتم الاعلون
وقال يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات
وايضا اقواله وافعاله فعلوية قال الله تعالى اليه يصعد الكلم
الطيب والعمل الصالح يرفعه وكتابه علوي قال تعالى كلا ان كتاب
الابرار لفي عليين كما ان كلمته الله هي العليا واما الكافر فكله
سفلي قال تعالى فجعلناهم الاسفلين وافعاله سفلية انّ الذين
كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا يفتح لهم ابواب السماء
وكتابه سفلي كلا ان كتاب الفجار لفي سجين فايها المؤمن العارف
لا تجعل روحك سفليا بالمعصية وبانيتها النورانية لا تجعل
نفسك ظلمانيا باعراضك عن الله ثم انه تعالى بين من خلقك
ان العلوي اشرف من السفلي والروحاني افضل من الجسماني
وذلك لانه خلق فيك اعضاء علوية واعضاء سفلية اما
العلوية فالقلب والعين واللسان واما السفلية فالبطن
والفرجان فمن استعمل العين في العبرة واللسان في الحكمة
والقلب في المعرفة صار علويا شريفا ومن استعمل البطن في اكل

الحرام

الحرام والفرج في الزنا والحرام صار سفليا خبيثا حسيسا ثم اكد
هذه الدلالة بان جعل الدنية التي هي معدن النفس الصاعد فوقانيا
والمعدن التي هي معدن الهابط سفليا لتعلم ان كل من كان علويا
سماويا فهو الشريف وما كان رضيا سفليا فهو الخسيس النكتة
الخامسة الروح محل العلم ويجب ان تعلم ان الموجودات على ثلثة
اقسام موجود لا يجوز ان لا يعلم وهو الله سبحانه وموجود
لا يجوز ان يعلم وهو الجماد وموجود يجوز ان يعلم وان لا يعلم
وهو انت فان صرت تعلم شيئا فقد تخلقت باخلاق الله وان
صرت لا تعلم فقد صرت مشابها للجمادات فاحتيا زك عن الجمادات
والتحاقك بزمرة الملائكة المقربين وملازمتك لعتبة رب العالمين
انما حصل بسبب اتصال الروح بالبدن وعند هذا تظهر منفعة
الروح وفضيلته القول الثاني ان المراد من قوله ثم انشاناه
خلقا اخر تخليق الاعضاء الجسمانية واعلم ان تمام الكلام
في شرح قدرة الله تعالى وحكمته في خلق الانسان قد ذكرناه
في علم التشريح في الطب الكبير الذي صنفناه ولنذكر ها هنا نكتة
قليلة من المنافع الظاهرة الجلية التي يصل اليها فهم كل احد فنقول
انظر الى النطفة وهي قطرة قدره من الماء لو تركت ساعة في الهواء
لضربها الهواء بطلت وفسدت كيف اخرجها رب الارباب
من بين الصلب والترائب وذلك لانه سبحانه اوقع الالفة
والمحبة في قلوبهم ثم قادهم بسلسلة الشهوة والمحبة الى
الاجتماع ثم استخرج النطفة من الرجل بحركة الوقاع واستخرج

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ده الحيض من اعماق العروق وجمعها في الرحم ثم خلق المولود من
النطفة وسقاه بماء الحيض حتى نمى وزكى وكيف جعل النطفة
وهي بيضاء سترة علقة حمراء ثم كيف جعلها مضغة ثم كيف
قسم اجزاء المضغة الى العظام والاعصاب والعروق والاربطة
واللحم في داخل الرحم في الظلمات الثلثة ولو انكشف الغطاء
والغشاء لكنت ترى التخطيط والتصوير وتظهر في النطفة
شيئا فشيئا ولا ترى المصور ولا قلمه ولا آلته فهل رايت مصورا
او فاعلا لا يحس البتة مصنوعه فسبحانه ما اعظم شانه
ونشير ههنا الى قليل من الاعضاء اما الراس فتامل انه سبحانه
دورها وشق سمعها وبصرها وانفها وفمها وانه تعالى ركب
كرة الراس في بطن الام من ثلثة وعشرين عظما وخلق تلك
العظام على كيفيات مختلفة فكيف تولد العظام الصلبة
من النطفة السخيفة الرقيقة ثم انه سبحانه قدر لكل واحد
من تلك العظام شكلا مخصوصا ومقدارا مخصوصا ووضع
مخصوصا لو وقع بخلاف ذلك لبطلت المنفعة وفات الغرض
ثم ركب بعضها مع بعض بحيث يحصل من مجموعها كرة الراس
على هذه الخلقة المخصوصة واعلم انه سبحانه انما اظهر الاحتياط
في عظم الراس لاجل ان الدماغ اشرف اعضاء الانسان فانه
محل الفكر والعقل ولما كان في غاية الشرف صانه بسبعة
انواع من الصوانات وذلك لان الدماغ يحيط به غشاء رقيق
يقال لها الغشاء المشيمي وفوق ذلك الغشاء غشاء آخر صلب

وهو

وهو ملتزق بمقعر عظم اليافوخ ثم فوقها عظم اليافوخ
ثم خلق خارج العظم غشاء آخر يقال له السمحاق وفوق
هذا الغشاء طبقة لحمية وفوق تلك الطبقة اللحمية
الجلد وفوق الجلد الشعر فتامل انه سبحانه خلق فوق دماغك
سبع طبقات جارية مجرى السموات السبعة والمقصود
من تخليقها الاحتياط في صون دماغك عن الافات
والمقصود من تخليق دماغك ان تكون من المتفكرين في
دلايل الله المتاملين في مخلوقاته لتستدل بها على جلالة
خالقها وحكمته ولنذكر الآن بعض صفات الدماغ فنقول
انه تعالى قسمه في طوله الى ثلثة اقسام وجعل القسم
المقدم محل الحفظ والتخيل والبطن المتوسط محل التامل
والتفكر وجعل البطن المؤخر محل الاسترجاع والتذكر
وكل واحد من هذه الاحوال الثلثة امور مهيبة للانسان
لا تحصل الانتفاع بالانسانية الا معها فاما الحفظ
والتخيل فامر لا بد منه في الانسانية ويدل عليه وجوه
الاول ان الانسان محتاج الى التفهيم والتفهيم بالكلام
والكلام مركب من الحروف وهذه الحروف لا توجد مجتمعة
البتة بل متعاقبة فلو لم يكن الانسان حافظا للصور
المحسوسات بعد غيبوبتها فكان الانسان اذا سمع حرفا
ثم انقضى ذلك الحرف الاول ووجد الحرف الثاني فعند حصول
الحرف الثاني لا يكون الحرف الاول كان موجودا في الخارج

ولا يكون اثره ايضا باقيا في الحفظ فحينئذ لا يكون المسموع ابدا الا حرفا واحدا والحرف الواحد لا يفيد المعنى البتة فثبت انه لولا الحفظ ما كان يحصل التفهيم والتفهم بالكلام فكانت هذه المصلحة العظيمة تختل وتبطل والثاني ان الانسان اذا راى شيئا ثم غاب عنه بقيت صورته في الحفظ فلما راه مرة ثانية صارت هذه الامور المحسوسة ثابتة منطبعة على تلك الصورة المحفوظة في الخيال فيحصل الشعور بان هذا الذي راه الآن هو الذي راه قبل ذلك فلولا القوة الحافظة لما حصل هذا المعنى ولو لم يحصل هذا المعنى لاختل نظام العالم فما كان يعرف الزوج زوجته والسيد عبده ولا احتاج كل احد الى ان يعرف حال كل شخص في كل مرة يراه الثالث ان خاصية الانسان ان يتوسل بالفكر الى ان يصير المجهول معلوما والفكر عبارة عن تركيب الاشياء الحاضرة في الذهن ليتوسل بتركيبها الى ان يصير في القوة الحافظة والقوة الحافظة في دماغ كل جارية مجرى اللوح المحفوظ في عالم السموات وبقاء صور المحسوسات يشبه بقاء كتبة احوال المخلوقات في اللوح المحفوظ فثبت بما ذكرنا ان القوة الحافظة من اعظم نعم الله على الانسان وذلك لان هذه الصورة التي تخيلها ونشاهدها حال ما يستحضرها اما ان يقال انها موجودة او يقال انها معدومة والقول بكونها معدومة باطل لانا نميز بين كل واحد منها وبين غيرها بل كنا نشاهدها

وننظر اليها في خيالنا فانا اذا نظرنا قرص الشمس ثم غمضنا العين فانا نشاهد قرص الشمس حاضرا في خيالنا كما كنا ننظر اليه فثبت انها موجودة ثم قال قوم ان محل هذه الصور الخيالية لمقدم دماغنا وقال آخرون بل مقدم الدماغ آلة في هذا العمل ومحل هذه الصورة جوهرة الروح والروح ليس بجسم ولا جسماني وكل واحد من القولين عجيب جدا اما الاول فهو ان مقدم الدماغ جسم صغير جدا فكيف ارتسم في ذلك الجسم الصغير صور السموات والارضين والشمس والقمر وصور البلدان والمسالك والممالك الانسان ايضا ربما حفظ كتبا كثيرة فكيف اتسع ذلك الجسم الصغير لهذه الصور العظيمة وقد يحفظ الكلمات التي سمعها من اول عمره مع كثرتها فكيف ارتسمت هذه الصور الكثيرة في هذا الجسم الصغير من غير ان يختلط شيء من هذه النقوش بعضها ببعض ولا شك ان هذا من العجايب التي لا يعرفها الا المدبر الخالق سبحانه واما القول الثاني وهو ان محل هذه الصور جوهر الروح والروح ليس بجسم ولا جسماني فهذا اعجب لان هذه الصور لها اطوال وعروض وامتداد في الجهات والاحياز فكيف يعقل حلولها في شيء ليس له طول ولا عرض ولا امتداد في الجهات وبالجملة فنحن نعلم بالضرورة انا نحفظ صور هذه المحسوسات واذا اردنا ان نعلم انا كيف نحفظها عجزنا عن ذلك فسبحان الخالق الحكيم ومن جملة نعم الله علينا في كيفية هذا الحفظ انه جعل الحافظة لصور المحسوسات الخمسة شيئا واحدا والفائدة فيه انا

اذا سمعها صوتا علمنا ذلك الشخص لان القوة الحافظة تعلم
ان الذي له هذا الصوت هو ذلك الشخص فحينئذ يفيد السمع
فايدة البصر ويقوم كل واحد من الحواس الخمس مقام الاخر واما
البطن الاوسط من الدماغ فهو محل الفكر ومعنى الفكر هو ان
يركب القوة المفكرة بشيئين من الاشياء الحاضرة عند القوة
الحافظة فيصير ذلك التركيب سببا لاستحضار صورة جديدة
عند العقل وجميع التركيبات التي استحدثها اهل الدنيا في بناء
المساكن واستخراج الحرف والصناعات فهو من اعمال القوة
الفكرية والقوة المفكرة يستخرج تلك الصور بهذا الطريق
ثم ان القوة العملية تنقل تلك الصور من الافكار الى الخارج
ومن المعلوم انه لولا الفكر لما اهتدى الانسان الى تحصيل المصالح
ودفع الآفات وهما اعظم النعم تخلق القوة المفكرة ومن
اراد ان يعرف قدر هذه النعمة فلينظر الى البهائم والمجانين
واعلم ان القوة المفكرة كالقلم والقوة الحافظة كاللوح فان
القوة المفكرة اذا استنبطت صورا جديدة ارتسمت تلك
الصورة في لوح الخيال فكان المثبت هو المفكرة والقابل هو
الخيال فكانت المفكرة قلما والحافظة لوحا واعلم انا وان
كنا نعلم بالضرورة اننا نتفكر الا اننا اذا اردنا ان نعلم ان هذا
الفكر ما هو صعب ذلك علينا فان هذا الذي طلبناه هل
نعلمه امر لا فان علمناه فكيف يطلب العلم به وان لم نعلمه
فكيف يمكننا طلب شيء لم يخطر ذلك الشيء ببالنا واما البطن الاخر

من

من الدماغ فهو للتذكر ومعنى التذكر ان من حضر في ذهنه امر
من الامور ثم غاب عنه فانه يستعيد بعد غيبوبته وهذه
الحالة حاصلة للانسان فانه ليس كل ما رآه الانسان وسمعه
في مدة عمره فانه يكون حاضرا في خياله بل اكثر هذه الصور في
اكثر الاحوال غير حاضرة في الذهن ولكنها وان كانت غايبة
الا ان الانسان متى اراد استحضارها قدر عليها فهذا الاستحضار
هو التذكر ولا شك ان خلق هذه القوة نعمة عظيمة من الله تعالى
على الانسان واعلم ان ههنا ايضا حالة عجيبة يعجز
العقول البشرية عن معرفة كيفيتها وذلك لان هذه الصور
اذا كانت غير حاضرة فتذكرها عبارة عن طلب رجوعها فهذا
الطلب اما ان يكون طلبا لتلك الصور بعينها او يكون طلبا
لصورة ما مبهمة اما صورة كانت فان كان الاول فهو محال
لانها غير معلومة بعينها اذ لو كانت معلومة بعينها لكانت
حاضرة فما كان الانسان يحتاج الى طلبها واذا لم تكن معلومة
بعينها امتنع طلبها بعينها والثاني ايضا محال لان المطلوب
اذا كانت صورة ما لا هذه الصورة فلم حصلت هذه الصورة
بعينها دون سائر الصور ولم اذا حصلت هذه الصور بعينها
حكم العقل بانها مطلوبتي كان هو هذه الصورة فهذا اشكال
عظيم وبالجملة فكل احد يجد من نفسه بالضرورة انه يحفظ
الاشياء ويتفكر فيها ويستعيدها بعد غيبوبتها ثم العقول
متحيرة في هذا الحفظ والفكر والذكر فسبحانه ما اعظم شانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وابهر برهانه في اصناف ملكه وملكوته فهذا هو الاشارة
المختصرة الى خلقه الدماغ ثم تامل احوال العين فانها مركبة
من سبع طبقات وثلث رطوبات وفي الحقيقة فهي مركبة
من عشر طبقات وثلث رطوبات فالطبقة السفلانية هي
الطبقة الصلبة وفوقها المشيمية وفوقها الطبقة العنكبوتية
وفوقها الرطوبة البيضية وفوق الطبقة العنبيه الطبقة
القرنيه والطبقة القرنية بعدها اهل الظاهر طبقة واحدة
لكنها في الحقيقة اربع طبقات ثم يحيط بهذا المجموع الطبقة
الملتحمة فاذا عرفت هذا علمت ان طبقات العين ثلثة عشر
طبقة على عدد طبقات العالم الاكبر فان على طبقات العالم
الاكبر العرش وتحته الكرسي وتحته السموات السبع وتحته
الطبقات الاربع العناصر فمجموع طبقات العالم الاكبر ثلثة
عشر ومجموع طبقات العين ثلثة عشر ثم انه تعالى خص
كل واحد من هذه الطبقات والرطوبات بشكل مخصوص ولون
مخصوص وترتيب مخصوص ومقدار مخصوص ولو لم يوجد
على هذا الوجه بل على وجه آخر لاختلت المصلحة ثم تامل في
احوال العين من وجوه احدها انه سبحانه جعل موضع
الابصار مقدار عدسة واحدة ثم اظهر في تلك العدسة
صورة السماء والعالم مع اتساع اطرافها وتباعد اكنافها
والثاني ان البياض مناسب للنور والسواد مناسب للظلمة
فجعل البياض سببا للعمى والسواد معدا لقوة الباصرة

ليعلم

ليعلم ان سبب حصول هذه النعمة هو فضل الله وكرمه لا الطبع
والخاصية والثالث انه سبحانه جعل الحدقة مصونة بالاجفان
يسترها ويحفظها ويصقلها ويدفع الاقذاء عنها والرابع
انه سبحانه جعل الاجفان سودا ليكون سوادها سببا لاجتماع
النور الذي يعين على الابصار ويكون مانعا عن تفرق ذلك النور
والخامس انه سبحانه خلق لتحريك الحدقة اربعة وعشرين عضلة
لو نقصت واحدة من جملتها اختل امر العين السادس ان العين
يشبه المرآة ومعلوم ان المرآة انما ينتفع بها حالة كونها
في غاية الصقالة والصفاء لاجرم خلق الحي سبحانه هذه الاجفان
متحركة الى الانطباق ابدا من غير اختيار الانسان حتى تبقى الحدقة
نقية صافية عن جميع الكدورات واما الذبابة فلما لم يخلق
لعينها الاجفان لاجرم الهمها حتى انها بيديها تنظف عينيها
عن آثار الغبار والكدورات السابع انه تعالى جعل العين
هاديا لصاحبها الى ادراك الاشياء وسببا لاطلاع غيره
بواسطته على ما في قلب صاحبه وذلك لان القلب في داخل البدن
والعينان كالزجاجتين الموضوعتين في جدار البيت فكيف
ما كان الشمع في داخل البيت وقع وضوءه على تلك الزجاجتين
فكذلك يستدل باحوال العين على احوال القلب في الرضا والغضب
والرغبة والنفرة فسبحان من جعل العين هاديا لصاحب العين
الى معرفة العين والعين الى معرفة احوال قلب صاحب العين
الثامن وهو ان من الطف اعضاء البدن هو العين ثم جمع الاعضاء

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ستاثر من الحر والبرد فوق ما يتاثر منها العين وكان ينبغي ان يكون
الامر بخلاف ذلك لان الالطف اسرع تاثرا الا ترى ان الرجل
على صلابة جلدها يتاثر من الحر والبرد فوق ما يتاثر العين منهما
وما ذاك الا ليعلم الانسان ان حصول هذه المصالح ليس بالطبع
والخاصية بل بحفظ الرحيم العليم اما احوال الاذن فاعلم انه
تعالى شق الاذنين واودعها ماء مرا لئلا يكون ذلك معينا على
ادراك السمع وليمنع الهوام من الدخول فيه ثم راعى فيه انواعا
من المصالح الاول انه تعالى حوطها بصدفة الاذن ليجمع الصوت
فيردها الى الصماخ الثاني انه جعل في ثقبة الاذن انحرافات
وانفراجات حتى تصير المسافة لهذا السبب طويلة فلو دخل
تلك الثقبة شيء من الحشرات والهوام فحينئذ تكثر حركاته
بسبب طول المسافة فينتبه الانسان ويسعى في اخراجها
عن الاذن والثالث انه سبحانه خلق العينين مقدمتين
والاذنين موخرتين لان العينين تدركان الاجسام والاعراض
وهي ادلة وجود الصانع والاذنان يسمعان الكلام والدلايل
السمعية فلاجرم قدم البصر على السمع والرابع خلق العينين
مع الغطاء والاذنين بلا غطاء لان متعلق العين اجسام
واعراض باقية فلولا الغطاء فيهما لحصلت الملالة واما مدرك
الاذن فهو الاصوات وهي غير باقية فلو كان الغطاء فربما
زال الصوت قبل ارتفاع الغطاء فلا يحصل الانتفاع بالسمع
الخامس روي ان كعب الاحبار قال دخلت على عايشة فقلت

الانسان عيناه هاديان واذناه صاحب اخباره ولسانه
ترجمان ورجلاه بريد والقلب ملك فاذا طاب الملك
طاب جنوده فقالت هكذا سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم واما الانف فانه سبحانه دفعه من وسط الوجه
واحسن شكله وفتح منخريه واودع فيها حاسة الشم وفيه
منافع الاول ان يستدل باستنشاق الروايح على الاغذية
والمطاعم المستورة الثاني ليستنشق بمنفذ المنخرين الهواء البارد
الرطب فيستغني بالمنخرين عن فتح الفم ابدا الثالث انه
جعل تجويفه واسعا حتى يحصر فيه هواء كثير فينكسر برده
قبل النفوذ الى الدماغ فان الهواء المستنشق وان كان
ينفذ اكثره الى الرية فان شطرا صالحا لمقدار ينفذ الى الدماغ
ايضا وكذلك فان المزكوم يضره استنشاق الهواء البارد
والرابع انه بتجويفه الواسع يجذب الى نفسه هواء اكثر حتى
يحصل امامه الة الشم فيكون ادراك الشم اسهل ولذلك
من بالغ في الشم جذب الهواء بخيشومه اكثر والخامس
انه يعين في تقطيع الحروف وتسهيل اخراجها ولذلك فان من
قبض على انفه عسر عليه التكلم باكثر الحروف والسادس
ان يكون للفضول المندفعة من الراس ستر ادوقاية عن الابصار
واعلم ان منفعة النفس عظيمة فانه لو انقطع عن الانسان
لحظة واحدة لمات ثم تامل ان الهواء المستنشق يدخل اولا
من المنخرين فينكسر برده هناك ثم يصل الى الحلقوم فيعتدل

مزاجه هناك ثم يصل الى الرية ويستصفى فيها ثم يصل الى القلب
ويروح عنه الحرارة الغريزية وينفذ من القلب الى العروق المتحركة
ويبلغ الى اقاصى اطراف البدن ثم اذا اسخن جدا وخرج عن حد
الانتفاع عاد من تلك المواضع الى القلب ثم الى الحلقوم ثم الى
المنخرين ثم يخرج ويعود مثله فمجموع هذه الافعال هو النفس الواحد
ويقال ان الانسان يتنفس في كل يوم وليلة اربعة وعشرين
الف نفسا فاعرف بمقدار النفس الواحد المنفعة فانه لو انقطع
لحصل الموت ثم انظر الى كثرة الانفاس لتعرف عظيم نعمة الله عليك
كما قال وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها واما الفم فانه سبحانه
جعله آلة لتحصيل مصالح الروح ولتحصيل مصالح البدن اما
مصالح الروح فانه اودع فيه اللسان الناطق المعرب عما في
القلب واعلم انه سبحانه خلق القلب امير البدن ومعدنا للحرارة
الغريزية فاحتاج القلب الى تعديل تلك الحرارة القوية بالنسيم
البارد المعتدل فاذا استدخل الهواء البارد ووصل الى القلب
واعتدلت حرارة القلب به وبقي ذلك الهواء هناك ساعة فيتسخن
واحترق فاحتاج القلب الى اخراجه وذلك باخراج النفس
فجعل المدبر الحكيم اخراج ذلك النفس سببا لحدوث الصوت ثم
جعل في الحنجرة وفي اللسان وفي الحنك وفي الاسنان وفي
الشفتين مقاطع ومخارج لحروف مختلفة فحصلت الحروف
بهذا الطريق ثم جعل تلك الحروف عند تاليفها وتركيبها مردية
للمعاني فانظر الى كمال الحكمة فان المقصود الاصلي من النفس

هو اتصال النسيم البارد الى القلب ثم انه سبحانه صرف هذا
المعنى الى رعاية مصلحة اخرى وهو انه جعلها مادة الحروف
والاصوات والكلام ثم انه سبحانه خلق الحناجر مختلفة الاشكال
في الضيق والسعة والخشونة والملاسة حتى اختلفت الاصوات
لاجل اختلاف هذه الاحوال فكما لا يتشابه صوتان لا يتشابه
صوتان وكما يحصل الامتياز بين الاشخاص بالقوة الباصرة فكذلك
يحصل الامتياز بينهم بسبب القوة السامعة فيحصل في الظلمة
هذا التمييز ويحصل للاعمى ايضا واما ما يتعلق بتحصيل مصالح
البدن فهو اعظم الاشياء المحتاج اليها في مصلحة البدن
هو الاكل وهو سبحانه اعد في الفم اسباب الاكل وذلك من وجوه
الاول انه تعالى في الفم الاسنان ولها منافع الاولى ما ذكرنا
انها مقاطع للاصوات فتحدث الحروف المختلفة بسببها الثانية
انها تكون آلة للقطع والكسر والطحن ثم انظر الى الحكمة وذلك
ان الاسنان في اول ما يتناول الغذاء يحتاج الى القطع فجعل
الاسنان المقدمة حادة عريضة الراس جارية مجرى السكين
وجعل الانياب مستديرة حادة الروس للكسر وجعل الاخرين
مسطحة الروس خشنة الروس كالرحى لاجل الطحن ولو قدمنا كون
الاضراس مقدمة وكون الرباعيات موخرة لبطلت المصالح و
المنافع باسرها والثالث لتكون زينة للوجه ولذلك زين
سبحانه الفم بالاسنان فبيض الوانها ورتب صفوفها وجعلها
متناسبة متناسقة كانها الدر المنظوم ثم انه سبحانه خلق

الشفتين وحسن لونهما وشكلهما لينطبقا على الفم ويسد
لنفذها وليتم بها مخارج الحروف ومن لطيف الحكم انه تعالى
جعل الاذن بلا حجاب ولا باب وخلق وراء اللسان بابين
احدهما الاسنان والثاني الشفتان وفيه تنبيه على انه يجب
ان يكون استماع الكلام اكثر من الاشتغال بالكلام فان استماع
الكلام بجري مجرى الدواء والاشتغال بالكلام كالداء النوع الثاني
ما حصل في الفم من اسباب الاكل وذلك لانه تعالى جعله
معدنا للرطوبة العذبة اللعابية فان الانسان اذا وضع
الطعام في الفم وطحنه باسنانه وامتزج المطحون باللعاب
الذي في الفم ووصلت آثار تلك الطعوم اللذيذة بواسطة
ذلك اللعاب الى الفم الى اللسان فيصير ذلك الطعام سببا
للذة في الحال كما انه يصير سببا لقوة البدن في الاستقبال
ثم ههنا انواع من العجايب الاول ان كل من اراد ادارة الرحى
بسبب انصباب الماء اليه وضع الرحى في موضع يكون اسفل
من مجرى الماء حتى ينصب الماء من الاعلى الى الاسفل فحينئذ
يقوى على ادارة الرحى والله سبحانه ادار رحى الفم بالماء
الذي يصعد اليه من اسفل المعدة ليعلم الخلق ان ذلك بسبب
الحكمة والقدرة لا بسبب الطبع والخاصية والثاني ان
الانسان قبل ان يضع الطعام في الفم لا يجتمع في فمه
من تلك الرطوبات شيء كثير ولو اجتمع كان في عناء بسبب
اجتماعها وكما وضع الطعام في الفم اجتمعت في الفم

من

من تلك الرطوبات بقدر ما يبتل به ذلك الطعام ولو لم يجتمع
تلك الرطوبات في الفم في هذا الوقت لتعذر على الانسان
مضغ ذلك الطعام ولا يعسر عليه ابتلاعه فانظر الى كمال
الحكمة في الوقتين الثالث ان الانسان لما احتاج الى طحن
الطعام ومضغه بالاضراس فقد ينقلب اجزاء الطعام فيما
بين تلك الاضراس فجعل اللسان متحركا في ذلك الوقت حتى ان
اللسان بحركاته المختلفة يرمي الطعام الى ما بين الاضراس
حتى تطحن على سبيل الكمال والتمام فسبحان من له الحكمة الباهرة
والدلايل الباهرة فهذا اشارة مختصرة الى احوال الراس شرح
احوال هذه الحواس ثم ههنا انواع آخر من الحكم والفوايد
في الراس الاول تامل في وضع الحواس وقوة الحفظ والفكر
والذكر في الراس وذلك لانها جعلت في الراس كالمصابيح
فوق المنارة ليتمكن الانسان بسبب ارتفاع هذه الحواس من
ادراك الاشياء البعيدة فما احسن قول الحكماء الراس صومعة
الحواس الثاني كان بعضهم يقول عند عمر رضي الله عنه ما اعجب
امر الشطرنج فان تلك الرقعة على غاية صغرها يشتمل على
انواع لا نهاية لها من اللعب فقال عمر بل ههنا ما هو اعجب منه
واغرب وذلك لان رقعة الوجه اصغر بكثير من رقعة
الشطرنج ثم كل عضو من اعضاء الوجه لا تتغير عن مكانه
فالعينان ابدا تكونان في ذلك الموضع المعين وكذلك الانف
والفم ثم مع ذلك فانه يحصل فيه من التفاوت فانك لا ترى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

شخصين في الشرق والغرب يتشابهان من كل الوجوه فسبحانه
ما اعظم شانه واعلم ان التفاوت في الصورة ظاهر قوى فما بين
الادميين وبعده فالتفاوت حاصل بين صور الحيوانات
الاهلية الا ان التفاوت فيما بين الادميين اكثر واما الحيوانات
البرية فالتفاوت فيما بين صورها قليل جدا والسبب فيه
انا قد ذكرنا انه لولا اختلاف صور الناس لما تميز الزوج عن
الاجنبي والسيد عن عبده ومالك الدار والمتاع عن غيره فكان
ذلك مفضيا الى المفاسد العظيمة فلهذا المعنى اقتضت الحكمة
الالهية اظهار التفاوت في صور الادميين واما الحيوانات
الاهلية فقد يتعلق بعض الاغراض باعيانها من بعض الوجوه
الا ان اشتداد الحاجة الى معرفتها باعيانها واشخاصها ليس
كالحاجة الى معرفة الناس باشخاصها واعيانها فلاجرم اظهر
الله المخالفة بينها في الصور الا ان تلك المخالفة اقل من المخالفة
الحاصلة بين اشخاص الناس واما الحيوانات البرية فلا يتعلق
مصلحة البتة بمعرفة اعيانها واشخاصها فلاجرم لم تظهر
المخالفة بين صورها واشكالها الا في القليل فسبحان من له
في كل شيء حكمة مرعية واسرار مخفية الثالث قوله تعالى
مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وان تعجب من
هذه الحالة فانظر الى وجهك على صغره فانه سبحانه وضع فيه
اربعة من البحار مختلفة الطبايع والصفات فجعل الاذن
مملوا من الماء المر وبحر العين مملوا من الماء المالح وبحر الفم مملوا

من الماء العذب وبحر الانف مملوا من الماء العفن المتغير وجعل
بين كل واحد من هذه البحار مانعا وحاجزا وابقى كل واحد منها على
صفته وخاصيته بحكمة بالغة اما مرارة الاذن فلا يدخله
شيء من الحشرات واما ملوحة ماء العين فلا يتطرق العفونة
الى ذلك الشحم واما عذوبة بحر الفم فلاجل ان يجد الطعام في غاية
اللذة واما عفونة ماء الانف فلاجل انه جعل مصبا لفضلات
الدماغ فسبحانه ما اعظم شانه الرابع قال الباقر رضي الله عنه
كل ما خلق الله في العالم الاكبر خلق نظيره في العالم الاصغر ولهذا
قال وفي انفسكم افلا تبصرون يعني ان عجزت عن مطالعة العالم
الاكبر فانظر الى العالم الاصغر وذلك لانه خلقت في العالم
الاكبر شمسا وقمرا ونجوما وخلقت في العالم الاصغر مثلها
فشمس العالم الاصغر هي الروح لان الروح يضيء جسدك كما ان
الشمس تضيء العالم واذا خرج الروح من جسدك صار جسدك
مظلما كما ان الشمس اذا غربت صار العالم مظلما والعقل كالقمر
فكما ان القمر يستمد النور من الشمس فكذلك العقل يستمد النور
من الروح كما ان القمر يزيد صوره تارة وينقص اخرى فكذلك
العقل يزداد قوته تارة وينقص اخرى واما النجوم الخمسة
السيارة الباقية فنظيرها في البدن الحواس الخمسة ونظير
الجبال عظامك ونظير البحار العروق الكبار في البدن ونظير
الاودية والانهار العروق الصغار المنشعبة عن تلك العروق
الكبار وكما انه يحصل في البحار جزر ومد فكذلك نرى

في بحر فمك لسانك مضطربا بذكر الحكمة وفي بحر مقلتك ترى
حدقتك مضطربة بمطالعة العبرة وكما انك ترى بعض اجزاء
بدنك شعورا وفي بعضها ليس كذلك فاختصاص كل عضو بصفة
خاصة وحلية خاصة لابد وان يكون بقدرة العزيز العليم
الخامس انه سبحانه جمع اكثر المحاسن في الوجه فجعل اربعة
اشياء من الوجه ملونا بلون السواد جعل موضع النور من الحدقة
ملونا بلون السواد وجعل الاهداب سوداء والحاجبين
اسودين والشعر اسود وجعل اربعة منه ابيض جعل
الملتحمة من الحدقة ملونة بلون البياض وجعل الاسنان
بيضا وجعل الجبهة كالسطح المتخذ من الفضة النقية وجعل
الذقن كالكرة المتخذة من الفضة ثم جعل الخدين على لون حمرة
الورد والشفتين على لون حمرة الياقوت ثم جعل الوجه دايرة
تامة على شكل القمر والجبهة نصف دايرة والحاجبين خطين
مقوسين وامتداد الانف كالخط المستقيم فتامل في رقعة
الوجه وانظر الى هذه الاصناع المختلفة وتامل في تركيب
الحدقة من السواد والبياض فهما لونان في غاية المضادة
والمنافرة فجعل النور في وسط الحدقة ثم جعل السواد
محيطا بالنور ثم جعل البياض محيطا بالسواد ثم جعل
الاهداب لتسود مرة اخرى محيطة بذلك البياض ثم جعل
بياض الجبهة مرة اخرى محيطا بذلك السواد ثم جعل سواد
الشعر مرة اخرى محيطا بذلك البياض فتامل في هذه الاصناع

العجيبة والتركيبات البديعة واشهد عقلك وحسك وروحك
وقلبك وفكرك وذكرك وجميع ذوات اجزايك وابعاضك
على جلال قدرة الله وكمال حكمته تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا السادس قال عليه السلام اطلبوا الحوايج عند حسان
الوجوه فجعل حسن الصورة الظاهرة دليلا على حسن السيرة
الباطنة في الاعم الاكثر ومنهم من ذكر فيه وجوها اخرى
اولها كانه عليه السلام قال من حسن الله خلقه وجب عليه
ان يجعل شكر هذه النعمة حسن الفعل والثاني انه اراد بحسن
الوجه الدين وذلك لان العبد انما يتوجه الى ربه بذنبه
والدين عند الله الاسلام فاذا رفع المحتاج حاجته الى من
حسن دينه لم يرض من دينه ان يرده غير مقضي الحاجة الا اذا
كان عاجزا عن قضايها والثالث انه اراد بحسان الوجوه
المتهجدين بالليل بدليل قوله عليه السلام من كثرت صلوته بالليل
حسن وجهه بالنهار السابع روي انه عليه السلام كان يقول
في سجوده سجد وجهي للذي خلقه وشق سمعه وبصره بحوله وقوته
وايضا قد يعتبر بالوجه عن الذات قال تعالى ويبقى وجه ربك
ذو الجلال والاكرام وقال كل شيء هالك الا وجهه وقال
عليه السلام وجه دينكم الصلوة ويقال للعرب وجه العرب
ويقال للطريق المفضي الى حصول المطلوب هذا وجه هذا الامر
وقال الخليل وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض وكل
هذه الاستعمالات تدل على انهم يجعلون الوجه اسما لكل ذلك

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الشيء تارة واسما لاشرف اجزايه اخرى وهذا يدل على ان اشرف اجزاء
بدن الانسان انما هو الوجه والامر في الحقيقة كذلك وذلك
لان العين المبصرة للاعتبار فيه والاذن السامعة للاسرار فيه
واللسان الناطق بذكر الملك الجبار فيه ولهذا قال امير المؤمنين
علي رضي الله عنه سبحان من نور بشحم واسمع بعظم وانطق بلحم
ولا شك ان مصالح هذا العالم لا يتم الا بهذه الحواس واما
مصالح العالم الروحاني والعتبات القدسية فلا يتم الا بالفكر
والذكر وهما لا يتمان الا بالدماغ واللوح والقلم هناك لا الانوار
والظلم هناك فلهذا السبب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا ياكل الثوم لانه مضر بالدماغ وكان يحب الطيب لانه يقوي
الدماغ وكل مناصبه العالية ودرجاته الشريفة كان مبنيا
على مصالح الدماغ ولتكيف بهذا القدر من آثار حكمة الله تعالى
في خلقه الحواس في الراس والله اعلم واما ما يتعلق بالقلب
فانا نفرد له فصلا الثاني في شرح آثار حكمة الله تعالى في خلق
الانسان وفيه وجوه الاول ان نقول تفكروا في خلق الجنين في الرحم
فانه لا حيلة له في طلب الغذاء فصرف الله تعالى اليه من دم امه
ما يكفيه ثم لا يزال ذلك غذاء له الى ان يستحكم بدنه ويقوي
جلده على مباشرة الهواء وحينئذ يهيج الطلق بالام وينفصل
الولد عن الام فبعد ذلك يصرف الله تعالى ذلك الدم الى ثدي
الام ويحصل له ضعف اخر من الغذاء او فوق له مما كان وهو اللبن
الخالص ثم ههنا لطيفتان اللطيفة الاولى انه سبحانه لما غذاه

جنينا وكنت في بطن امك بالدم لاجرم ما اوصل اليك هذا الغذاء
من طريق الفم بل من طريق السرة والحكمة فيه ان الفم موضع
الذكر والتسبيح والتهليل والدم نجس ولا يليق بالحكمة تلطيخ
الفم الذي هو موضع ذكر الله بالدم النجس والاشارة فيه ان
الفم الذي لم يصر بعد محل الذكر بل ليس الا مجرد صلاحية ان يصير
محل الذكر فالله تعالى نزهه عن التلطخ بالدم فالان وقد صار
هذا الفم محل التسبيح والتهليل منذ خمس سنة فلا يجوز ان
يلطخه باكل الميتة وهو الغيبة والنميمة واكل الحرام اللطيفة
الثانية فرغ خاطرك عن طلب الرزق وتيقن انه تعالى اذا سد
عليك طريقا فتح عليك طريقا اجود من الاول فانظر الى الجنين
فانه كان بابته غذاؤه وهو الدم من طريق واحد وهو السرة
فلما خرج من بطن الام وانقطع ذلك الطريق فتح الله له طريقين
اخرين وهو الثديان واخرج منهما غذاء طاهرا لطيفا وهو اللبن
الذي من بين فرث ودم ليعلم انه مهما انسد طريق واحد فتح الله
طريقين احسن وانفع من الاول ثم اذا تم الحولان وتمت مدة الرضع
انقطع هذان الطريقان ولكن انفتح طرقا اربعة طعامان وشرابان
اما الطعامان فالنبات والحيوان واما الشربان فالمياه والالبان
ثم اذا مات الانسان انقطعت هذه الطرق الاربعة ولكنه
تعالى بفضله ورحمته يفتح عليك الابواب الثمانية من الجنة
لتدخل الجنة من ايها شئت بفضله ورحمته الوجه الثاني
في بيان الحكمة انه سبحانه خلقك في احسن تقويم وذلك لانه تعالى

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خلق الخلق في عالم الاجسام على اربعة اصناف قايم كالاشجار
وراكع كالبهايم وساجد كالحيوانات والحيتان وجالس كالجبال
ثم انه تعالى خلق الادمي بحيث يكون تارة قايما وتارة راكعا
وتارة ساجدا وتارة قاعدا ثم انه تعالى امكنك على ان يذكر الله
في جميع هذه الاحوال قال الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى
جنوبهم ثم انه ضم الفكر الى هذا الذكر فقال ويتفكرون في خلق
السموات والارض فما اعظم هذه الحالة واجل هذه الدرجة
وقد نذكر هذه الحكمة على وجه آخر فيقال النبات رؤسها
في عمق الارض وارجلها صاعدة في السماء فهي منكسة كانها
وضعت قمة راسها على الارض واما الانسان فانه بالعكس
من ذلك فرجلاه على الارض وراسه في السماء والحيوانات
متوسطة بين هاتين الحالتين لا منكوسة كالنبات ولا منتصبة
كالانسان والسبب فيه عند اهل الطبايع ان النبات جسماني
محض فلاجرم كانت رؤسها نحو الارض والانسان روحاني
محض بالنسبة الى سكان الارض فلاجرم كانت رؤسها على عالم
الروحانيات وهو عالم السموات ومساكن الملايكة واما
الحيوانات فهي متوسطة في هاتين الجسمانية والروحانية
فلاجرم كانت متوسطة بين الانتصاب والتنكس واعلم ان هذا
الكلام يوهم ان السبب لهذه الاحوال انما هو الطبع والخاصية
الا انه سبحانه ابطل هذا الوهم وازال هذا الخيال فقال
ايها الانسان ما دامت راسك منتصبا كنت في مقام التكبر

وفي متابعة ابليس حيث قال ابى واستكبر وكان من الكافرين
فاذا وضعت راسك على الارض فهناك يقرب من الحضرة
الصمدية كما قال واسجد واقترب لتعرف ان هذا ليس بالطبع
بل بفضل الله ورحمته الوجه الثالث اعلم ان بدنك يشبه
الدار الكاملة التي بنيت واكملت بيوتها وخزانتها وفتحت
ابوابها واعدفيها كل ما يحتاج اليه صاحب المنزل فالراس
كالغرفة في اعلى الدار والثقب التي في الراس كالروازن في غرفة
الدار ووسط دماغك كالايوان في الدار والفم كباب الدار
والشفتان كمصراعي الباب والانف كالطاق الذي فوق
باب الدار والاسنان كالبوابين واللسان كالحاجب والظهر
كالجدار القوي الذي هو حصن الدار والوجه وصدر الدار
والدية التي هي الحاوية للنفس البارد كالبيت الصيفي وجريان
النفس فيها كالهواء الذي يجري في البيت الصيفي والقلب مع
حرارته الغريزية كالبيت الشتوي والمعدة ونضج الغذاء
فيها كالمطبخ والكبد وحصول الدم فيها كبيت الشراب والعروق
التي يجري فيها الدم كمسالك الدار والطحال بما فيه من السوداء
كالخزانة التي يبقى فيها الدرديات والمرارة بما فيها من الصفراء
الحارة كبيت السلاح والامعاء بما فيها من ثفل الطعام كبيت
الخلاء والمثانة بما فيها من البول كبيت البير والسيلان في اسفل
البدن كالمواضع التي تخرج منها القاذورات من الدار والجلد
كالمركوب المطيع والعظام التي بنا الجسد عليها كالخشب التي عليها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بناء الدار واللحم فى خلال العظام كالطين والعصب الذى يربط
بها بعض العظام ببعض كالرسن الذى يربط به الاشياء بعضها
ببعض والتجويفات فى جوف العظام كالصناديق فى الدار
والمخ فيها كالجواهر والامتعة المخزونة فى الصناديق فسبحان
من هيأ فى بيت بدنك لمسافر روحك هذه المصالح العجيبة
والاسرار الغريبة فهذا ما يتعلق ببيوت هذه الدار ثم ذات
الروح فى هذه الدار كالملك المتصرف فيبصر بالعينين ويسمع
بالاذنين ويشم بالمنخرين ويذوق باللسان وينطق بالفم ويمس
باليدين ويعمل الصنايع بالاصابع ويمشى بالرجلين ويبرك
على الركبتين ويقعد على الاليتين وينام على الجنبين ويستند
بالظهر ويحمل الاثقال على الكتفين وتخيل بمقدم الدماغ و
يتفكر بوسط الدماغ وتتذكر بمؤخر الدماغ ويصوت بالحنجرة
ويستنشق الهواء بالخيشوم ويمضغ بالاسنان ويبلغ بالمرى
والمقصود من كل هذه الاحوال ان يكون فى حضرة الربوبية
مشتغلا بالعبودية كما قال تعالى وما خلقت الجن والانس
الا ليعبدون فثم انه تعالى فوض تدبير هذه المملكة الى ثلثة
من الرؤسا احديها الشهوة ومسكنها فى الكبد وجريانها مع الدم
فى العروق الساكنة ولهذا المعنى قال عليه السلام ان الشيطان
ليجرى من ابن آدم مجرى الدم وذلك لان القوة الشهوانية لا تسرى
الا من الكبد مع الدم فى العروق وثانيها القوة الغضبية ومسكنها
القلب وهى تجرى فى العروق المتحركة الى جميع اطراف البدن

وثالثها

وثالثها القوة النفسانية المدبرة ومسكنها الدماغ وهى تجرى
فى الاعصاب الى جميع اطراف البدن ثم هؤلاء الروسا الثلثة
ليسوا اشياء متباينة مستقلة بانفسها بل هى الفروع المتفرعة
من اصل واحد وكالاغصان النابتة من شجرة واحدة وكالمنبع
الذى تنشق منه ثلثة انهار وكالاب الذى يتولد منه اولاد
كثيرون وكرجل يعمل اعمالا ثلثة فيسمى بثلثة اسماء كالحداد
والصانع والبناء مثلا فهؤلاء الثلثة كملوك الاطراف الذين
ولاهم الملك الاعظم فالشهوة يشبه افعالها افعال النساء
والصبيان والحمقى من الناس اذا لم يؤدبهم آباؤهم وازواجهم
والغضب يشبه افعاله افعال العيارين والقتالين اذا لم يؤدبهم
الملوك والقوة المدبرة تشبه افعالها افعال الحكماء والفقهاء
واهل الخبر والصلاح الوجه الرابع كانه سبحانه يقول عبدى
اردت ان اخرجك الى الدنيا واعرضك على والديك وعلى اهل
الدنيا فلما اردت ذلك زينتك كما تزين الام المشفقة ولدها
حين تريد عرضه على الناس فجعلت جبهتك كالسطح المتخذ من الفضة
النقية ليكون محل السجود واظهرت فى وجهك انواع
النقوش العجيبة واعطيتك الحاجب المقوس والعين الملوزة
والخد المورد وجعلت وجهك كالقمر ثم جعلت العينين للاهتداء
والاذنين للاصغاء والفم للاعتداء والمعدة للهضم والكبد
للاتمام والعروق ليكون كالانهار والمنافذ لدفع الفضول والبدن
للاعمال والرجلين للمشى وانما فعلت بك كل هذه الاعمال لتكون عند

شبكة الألوكة
www.alukah.net

خروجك الى الدنيا متبرا عن النقصان فاذا برائك عن النقصان
عندما اخرجتك الى الدنيا مع انها سجن ودار محنة وموضع
ممر لا مسكن مقر فاعرف انه كيف تكون عنايتي بك وتحسين
احوالك اذا اخرجتك من القبر الى محفل القيمة الوجه الخامس
انه سبحانه خلق اليدين آلة للطلب والرجلين آلة للهرب ثم انه تعالى
خلق اليد مركبة من اربعة مفاصل محسوسة العضد والساعد
والكف والاصابع فان اراد الانسان جعل هذه العظام الاربعة
بمنزلة العظم الواحد قدر عليه فيمد اليد ويجعلها كالرمح وان
اراد ان ياخذ جسما مستديرا تحته ابطه جعل اليد كالدايرة
المحيطة بذلك الشئ لاجل انه حصل في اليد هذه المفاصل ثم انه
سبحانه جعل الاصابع خمسا وقسم كل اصبع بثلث انامل ووضع
الاربع في جانب والابهام في جانب اخر ولهذا الترتيب صلحت
اليد للاعمال كثيرة فان بسطها كانت كالطبق تضع عليها ما يريد
وان جمعها كان آلة للضرب وان ضمها ضما غير تام كانت بمنزلة
وان ضم احد الكفين الى الآخر صارا بمجموع كالقدح الكبير ثم خلق
الاظفار على رؤسها زينة للانامل وعمادا لها من ورايئها
حتى يمكنه ان يلتقط باصابعه الاشياء الدقيقة وليمكنه
ان يحك بها بدنه عند الحاجة ثم تامل في هذا المقام فان
الظفر الذي هو اخس الاعضاء لو لم يحصل للانسان لصار
اعجز الخلق عند الحاجة الى الحك فان احدا لا يقوم مقامه
في حك بدنه ثم من عجايب هذا الباب انه اذا احتاج الى حك

موضع

موضع معين من بدنه فانه لا يخطي فيه البته ولو في وقت النوم
والغفلة ولو استعان بغيره لم يعثر على موضع الحك الا بعد
تعب طويل ولنذكر منافع اليد من وجه آخر فنقول من المعلوم
ان مصالح الانسان ينقسم الى قسمين الى روحانية والى جسمانية
واما المصالح الروحانية فاليد فيها اعظم انواع المعونة
وذلك لان عقل الانسان الواحد لا يستقل باستنباط جميع
العلوم المحتاج اليها اذ لا بد من استعانة بعض العقول ببعض
وذلك لا يتم الا بان يكتب المتقدم ما حصله من العلوم حتى
يصل ذلك المكتوب الى المتاخر فيكتبه وينتفع به ومن المعلوم
ان الكتبة لا تحصل الا باليد واما المصالح الجسمانية فهي
قسمان جلب المنافع ودفع المضار اما جلب النفع فاليد فيه
اعظم انواع النفع والمعونة وذلك لان الانسان يتخذ
بيده آلات يصيد بها ما في البر والبحر والهواء من الحيوانات
ويعمل السفن فيقطع بها البحار والمسافات البعيدة ويتخذ
آلات تخرج منها اصوات لذيذة نافعة للبدن والروح وبني
بيديه المساكن الحسنة وينسج الثياب الحسنة ويتخذ الاطعمة
الطيبة اللذيذة ومعلوم ان كل هذه الاعمال لا يتهيا الا باليدين
فتارة تنسج الثياب المنقوشة بعجايب النقوش وصنوف
الالوان والاصباغ فيصير لونا احسن من لون الطاوس ويجعل
لنفسه من الذوايب ما يتشبه به بذوات الاعراف وتارة
وتارة يعمل لنفسه من اصناف الحلي ما يصير به احسن من ذات

الاطواق واما دفع الضرر فهو على قسمين تارة بالمجاهدة
وتارة بالتحرز فاما المجاهدة فانها تكون بالسلاح فهو ممسك
بيديه ما هو اعظم وابلغ من القرون كالرمح وما هو اقطع
من الانياب كالسيف وما هو ابلغ في التخبيق من المخالب كالخنجر
وما هو اشد رضا من الحافر كالترب والاحجار فاذا تاملت
علمت ان اليد مع الرمح قرن ومع السيف ناب ومع الابرة حمة
ومع الخنجر مخلب واما التحرز فاما ان تكون بالهرب او بالتحصن
اما الهرب فانه يذلل الفرس بيديه فيعديه حتى يصير سريع ركض
الفرس له فيدرك به اذا طلب ويعجز طالبه اذا هرب واما
التحصن فانه يعمل بيديه ما هو افضل مما حصلت للحيوانات
من الجلود الغليظة والاظلاف والاصداف وذلك مثل الترس
والدروع وانواع السلاح ويتخذ بيديه القلاع والحصون
احصن مما لسائر الحيوانات وكل هذه الاعمال نماياتي باليدين
ثم انهما تخدمان كل البدن خدمة عظيمة فيعدان انواع
الآفات والقاذورات من كل البدن وتجران جميع المنافع اليها
ولو غاصت العقول ادوارا واعصارا في معرفة انار حكمة الله
تعالى في خلق الانسان لاعترف بعدا لتوغل التام بالعجز والقصور
واعلم ان الاستقصاء في بيان انار حكمة الله في خلق الانسان
مما لا يمكن في هذا الكتاب ونعم ما قال الشيخ ابو حامد حجة
الاسلام الغزالي في كتاب الاحيا فقال العجب كل العجب ممن يرى
صورة انسان على حايط فاستحسنه ويصرف جميع همته

الى التفاس فانه كيف نقشه وكيف قدر عليه مع انه يعلم ان
ذلك النقش انما تم وكمل بالطبع والقلم والحايط واليد والقدرة
والعلم والارادة وشيء من ذلك ليس من فعل النقاش ولا من خلقه
بل كل ذلك من خلق الله تعالى وانما غاية فعل هذا النقاش الجمع
بين الصبغ وبين الحايط على ترتيب مخصوص فاذا كان هذا القدر
من العمل سببا للاعتراف لذلك النقاش بالعلم والحكمة فان يتدل
بظهور تركيب الانسان وخلقته على جلال علم الخالق ونهاية
قدرته وحكمته كان اولى الوجه السادس نظر مع كمال قدرته
الى تمام حكمته وذلك لانا لجنين حين ما يكون في الرحم يكون
بعض اعضايه مضمومًا الى البعض ويكون مجموعه كالكرة الموضوعة
في كيس الرحم وذلك لانه يكون قد ضم فخذيه الى صدره ووضع
راحتيه على ركبتيه ووضع راسه على ركبتيه فيكون عيناه
على ظهري كفيه ويكون انفه بين الركبتين ويكون جالسا على رجليه
ومعتمدا على عقبيه كالشخص المتفكر المغموم المهموم المنتظر
لورود الامر عليه ويكون وجهه الى ظهر امه حماية للقلب
وهذه الجلسة ايضا اوفق للانقلاب ثم اذا صار الجنين كبيرا
وضاق عليه الموضع فانه سبحانه يلهمه الى كيفية الخروج فينكس
ويعين على الانقلاب ثقل الاعالي في الجنين ثم في ذلك الوقت
ينفتح الرحم الانفتاح الذي لا يمكن ان يتخيل في مثله مثله ولابد
من انفصال بعض المفاصل العظيمة ومدد وعناية من الله في ذلك
الوقت يعجز عن كيفية معرفتها عقول البشرية ثم ههنا احوال عجايب

الاول ان الجنين كان في البطن ايد الحق سبحانه بالالهام حتى عرف
ان مصلحته عند الخروج في ان يقلب ويتنكس ثم بعد الانفصال
من البطن والخروج الى الدنيا لا يهتدي البته الى شيء من المصالح وذلك
لانه عند كونه في البطن ليس هناك شيء يعينه على شيء من مصالحه فلما
كمل عجزه هناك هدي الى رعاية مصلحته ولما خرج الى الدنيا فهناك
من يعينه على رعاية مصالحه فلاجرم انقطعت تلك الهداية وهذا
يدل على ان الانسان كلما كان اشد عجزا وقصورا كانت عناية الله
به اتم ولا شك ان عجز الخلق في موقف القيامة اشد واكمل
فنرجوا من فضل الله تعالى ان يكون عنايته بنا في ذلك الوقت
اتم واشد الثاني ان البيضة اذا تفقأت عن الدجاجة خرج
الفرخ عنها وعدت والتقطت من الحب ما ينفعها واحترزت
عما يوذيها وفرقت بين امها المشفقة وبين الهرة الطالبة
لايذايها واما الانسان فانه حال انفصاله عن الام لا يميز
بين النافع والضار والصديق والعدو فكان في هذا الوقت
اكثر جهالة من الفرخ عند خروجه عن قشر البيضة ثم ان الامر
لو كان مستمرا على قانون الطبيعة والخاصية وجب ان لا يكون
الفرخ لما كان اذكى واكثر تميزا في مبدا الامر ان يكون اكثر
تميزا من الانسان عند المنتهى والكمال لكنه تعالى قلب هذه
القضية فجعل من كان كثير التميز في اول الامر قليل التميز عند الكمال
والغاية وجعل الانسان الذي هو اقل الحيوانات تميزا في اول الامر
اكثرها معرفة وهداية وعقلا ليعرف ان كل ذلك بحسب القدرة

والحكمة

والحكمة والعناية لا بحسب الطبع والعلة والخاصية والثالث
ان الصبي بعد الخروج من بطن الام لما احتاج الى الغذاء فانظر كيف
هداه الله الى التقام الثدي ولما كان بدنه سخيفا لا يحتمل الاغذية
الكثيفة فانظر كيف دبر له في اللبن اللطيف ثم خلق الثدي بحيث
فيهما اللبن اللطيف واثبت على راس الثديين حلمتين على قدر ما
ينطبق عليه فم الصبي ثم جعل في تلك الحلمة ثقبا ضيقا جدا
حتى لا يخرج اللبن منه الا بعد المص والا على سبيل التدريج فان
الطفل لا يطيق من اللبن القليل ثم انظر انه تعالى كيف هداه الى
الامتصاص حتى يستخرج من ذلك المضيق اللبن الكثير عند شدة
الجوع على سبيل الرفق ثم انه سبحانه اخر خلق الاسنان الى تمام
الحولين لانه في الحولين لا يتغذى الا باللبن فيستغني عن السن
واذا صار كبيرا ولم يوافقه اللبن واحتاج الى الطعام الغليظ
فيحتاج حينئذ الى المضغ والطحن فلاجرم انبت الاسنان عند
حدوث الحاجة لا قبلها ولا بعدها فتبارك الله احسن الخالقين

الفصل الخامس في شرح احوال الانسان من وقت
الولادة الى وقت الموت وفي عجايب القلب ذهب اكثر العقلاء
الى ان اشرف اعضاء البدن هو القلب وهو الرئيس المطلق لسائر
الاعضاء وهو المخاطب في الحقيقة وهو موضع التميز والاعتبار
واما سائر الاعضاء فمسخرة له والدليل عليه القران والاخبار
والمعقول اما القران فايات اما الحجة الاولى فقال تعالى في
سورة البقرة قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك

وقال في سورة الشعرا نزل به الروح الامين على قلبك فهنا ان
الاتيان دلتا بصريحهما على ان التنزيل والوحي كان على القلب
فوجب ان يكون المخاطب والمكلف هو القلب الحجة
الثانية قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب الاية
دالة بصريحها على ان الذكرى والفهم انما يحصل بالقلب
وتاويل القاء السمع الجد في الاستماع حتى يصير سمعه كالشيء
الذي القي الى الكلام بلا اضطراب فيه ومن الناس من قال
اوفي هذه الاية بمعنى الواو وذلك لان الذكرى لا بد فيه
من مجموع الامرين فلا بد فيه من حضور القلب ولا بد فيه
من القاء السمع لان القلب عبارة عن محل ادراك الحقايق
والقاء السمع عبارة عن الجد والاجتهاد في تحصيل تلك
الادراكات ومن المعلوم انه لا بد من الامرين معا فكان
او ههنا بمعنى الواو والجواب ان ما ذكرتم يحتمل ولكن يمكن
ايضا اجراء الاية على ظاهرها وذلك لان القوى العقلية
قسمان منها ما يكون في غاية الكمال والصفاء ويكون مخالفا
لسايرالعقول بالكمية والكيفية اما الكمية فلان حصول
المقدمات البديهية والحسية والتجربية لها اكثر واما
بالكيفية فلانها تركيب تلك المقدمات على وجه يتساوق
الى النتايج الخفية ومثل هذه القوة العقلية يستغني
في معرفة حقايق الاشياء عن التعلم والاستعانة بالغير
الا ان مثل هذا يكون في غاية الندرة واما القسم الثاني

وهو الذي لا يكون كذلك فهو يحتاج في اكتساب العلوم النظرية
الى التعلم والاستعانة بالغير والتمسك بالقانون الصناعي الذي
يعصمه عن الخلل والزلل اذا عرفت هذا فقوله تعالى ان في ذلك
لذكرى لمن كان له قلب اشارة الى القسم الاول وانما ذكر
القلب بلفظ التنكير ليدل ذلك على الكمال التام بدليل قوله تعالى
ولتجدنهم احرص الناس على حيوة اى على حيوة عظيمة طويلة
المدة فكذا ههنا قوله لمن كان له قلب اى قلب كامل في قوة الادراك
عظيم القوة في الاستعداد بمعرفة الحقايق اما قوله او القى السمع
وهو شهيد فهو اشارة الى القسم الثاني الذي يفتقر الى الكسب
والاستعانة وهذا من الاسرار التي عليها بنا اصل علم المنطق
وقد لاح بتوفيق الله في هذه الاية ولما كان القسم الاول
نادرا جدا وكان الغالب هو القسم الثاني لاجرم امر الكل في اكثر
الايات بالطلب والاكتساب فقال افلم يسيروا في الارض
فيكون لهم قلوب يعقلون بها او اذان يسمعون بها فان قوله
ولم يسيروا في الارض حث على الطلب والجهد في الكسب وقال
صاحب المنطق ان القسم الاول وان كان غنيا عن الاستعانة
بالمنطق الا انه نادر جدا والغلبة للقسم الثاني وكلهم محتاجون
الى المنطق فانظر الى هذه الاسرار العميقة كيف تجدها مدرجة
في الالفاظ القرانية الحجة الثالثة الايات الدالة على ان
استحقاق الجزاء ليس الا على ما في القلب من المساعي قال تعالى
لا يواخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يواخذكم بما كسبت قلوبكم

وقوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
ثم بين تعالى في آية اخرى ان التقوى للقلب فقال اولئك الذين
امتحن الله قلوبهم للتقوى وقال وحصل ما في الصدور
الحجة الرابعة قوله تعالى حكاية عن اهل النار وقالوا لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير ستعرف ان العقل في القلب
وان السمع منفد اليه الحجة الخامسة قوله تعالى ان السمع
والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا ومعلوم ان السمع
والبصر لا فائدة فيها الا ما يؤدي الى القلب فكان السؤال
عنهما في الحقيقة سؤالا عن القلب ونظيره قوله تعالى يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور ومعلوم ان خيانة الاعين لا تكون
الا بما تضمر القلوب عند التحديق والنظر الحجة السادسة
قوله تعالى وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلا
ما تشكرون فخص هذه الثلثة بالزام الحجة منها واستدعاء
للشكر عليها وقد قلنا انه لا طايل في السمع والبصر الا ما يؤدي
الى القلب هو القاضي فيه والحاكم عليه الحجة السابعة قوله
ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وابصارا
وافئدة فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم من شيء
فجعل هذه الثلثة تمام ما انزلهم من جحته والمقصود من ذلك
هو الفؤاد القاضي فيما يؤدي اليه السمع والبصر الحجة الثامنة
قوله تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى ابصارهم فجعل
العذاب لازما لهذه الثلثة ونظيره قوله تعالى لهم قلوب

لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم اذان لا يسمعون
بها ووجه الاستدلال بهذه الاية ان المقصود من هذه
الاية بيان انه لا علم لهم اصلا ولو ثبت العلم في غير القلب لم يتم
الغرض الحجة التاسعة انه تعالى كلما ذكر الايمان في القران
اضافة الى القلب فقال تعالى قالوا امنا بافواههم ولم تؤمن
قلوبهم وقوله الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وقال
كتب في قلوبهم الايمان وقال ولما يدخل الايمان في قلوبكم
فثبت ان محل هذه المعارف هو القلب واذا كان كذلك كان
محل الارادات هو القلب لان الارادة مشروطة بالعلم واذا كان
محل العلم والارادة هو القلب كان الفاعل هو القلب الحجة العاشرة
محل العقل هو القلب لقوله اولم يسيروا في الارض فتكون لهم
قلوب يعقلون بها وقوله ولهم قلوب لا يفقهون بها وقوله
ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل اطلق على العقل اسم
القلب لان القلب محل العقل وايضا انه تعالى اضاف اضداد
العلم الى القلب فقال في قلوبهم مرض وقال ختم الله على قلوبهم
وقال بل طبع الله عليها بكفرهم وقال بل ران على قلوبهم وقال
يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم
وقال افلا يتدبرون القران ام على قلوب اقفالها وقال فانها
لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور فدلت
هذه الايات على ان موضع الجهل والغفلة هو القلب فوجب
ان يكون ايضا موضع العقل والفهم هو القلب واما الخبر فما روي

النعمن بن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
الا وان في الجسد لمضغه اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت
فسد الجسد كله الا وهي القلب وهذا تصريح بان الفاعل
هو القلب وباقي الاعضاء تبع له وروى ان اسامة لما قتل
الكافر الذي قال لا اله الا الله فقال عليه السلام لم قتلته
قال لانه قال لهذه الكلمة عن الخوف فقال عليه السلام هلا
شققت عن قلبه وهذا يدل على ان محل المعرفة هو القلب وكان
عليه السلام يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك وهذا
يدل على المقصود واما المعقول فاعلم ان هذه المسئلة مما
عظم اختلاف الفلاسفة فيها فزعم ارسطاطاليس ان النفس
واحدة ولها افعال ثلثة الفكر والغضب والشهوة فهذه صفات
ثلثة لجوهر واحد هو النفس والمتعلق الاول للنفس هو القلب
ومنه يتعدى القوى النفسانية الى سائر الاعضاء وزعم
بقراط وافلاطون وجالينوس انها نفوس ثلثة كل واحد منها
مستقل بنفسه وكل واحد منها عضو على حدة فمعدن النفس
المفكرة هو الدماغ ومعدن النفس الغضبية هو القلب ومعدن
النفس الشهوانية هو الكبد واعلم ان القران والحديث مطابقان
لقول ارسطاطاليس ونحن نورد في هذا المقام هذه المسئلة
على الاستقصاء فنقول اثبات صحة ما ذهب اليه ارسطاطاليس
يتوقف على اثبات مقامين احدهما بيان ان النفس واحدة
والثاني بيان ان العضو الرئيس على الاطلاق واحد وهو القلب

انا

انا المقام الاول وهو بيان ان النفس واحدة فنحن ههنا بين مقامين
اما ان يدعى البديهية واما ان يدعى الاستدلال فاما دعوى
البديهية فهو ان المراد من النفس ما يشير اليه كل واحد الى ذاته
الخاصة بقولهم انا وكل واحد يعلم بالضرورة انه اذا اشار الى
ذاته الخاصة بقولهم انا فان ذلك المشار اليه شئ واحد غير
متعدد فان قيل لم لا يجوز ان يكون المشار اليه لكل واحد
بقوله انا وان كان واحدا الا ان ذلك الواحد يكون مركبا من ثلثة
اشياء وهي القوة المفكرة والغضبية والشهوانية والجواب
هذا باطل وذلك لان البديهة العقلية حاكمة بانى اذا قلت
انا اشتهي انا اغضب انا اتفكر فالموضوع في هذه القضايا الثلثة
واحد والتعدد انما وقع في المحمول كما انى اذا قلت هذا الجسم
حار واسود وبابس فالموضوع واحد والتعدد واقع في المحمولات
واذا كان هذا معلوما بالضرورة علمنا ان الجوهر واحد في الذات
متعدد بالصفات اما طريق الاستدلال فيدل على صحة قولنا
وجوه الاول ان الغضب حالة نفسانية تحدث عند دفع المنافي
والشهوة حالة نفسانية يتولد عند طلب الملايم مشروط بالشعور
بكون الشئ ملايما ومنافيا فالقوة الغضبية التي هي دافعة
للمنافي وان لم يكن لها شعور بكونه منافيا امتنع كونها دافعة
للمنافي على سبيل الاختيار والقصد لان القصد الى دفع او جذب
مشروط لا محالة بالشعور بالشئ فالمحكوم عليه بكونه دافعا
للمنافي على سبيل الاجمال لابد وان يكون له شعور بكونه منافعا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فالادراك والغضب صفتان من صفات شئ واحد وكذا القول
في الشهوة فيثبت بهذا البرهان القاطع ان التفكر والغضب
والشهوة صفات ثلثة لذات واحدة لانها صفات متباينة
الحجة الثانية انا لو فرضنا مبدائين يكون كل واحد منهما
مستقلا بفعله الخاص امتنع ان يكون اشتغال واحد بفعله
الخاص فيه مانعا للاخر من الاشتغال بفعله الخاص بذلك
الاخر واذا ثبت هذا فلو كانت القوة الفكرية مبدا مستقلا
بنفسها وكذا القوة الشهوانية والغضبية من الاشتغال
بفعلها ولا بالعكس لكن الثاني باطل فان اشتغال الانسان
بالشهوة وانصبابه اليها يمنعه من الاشتغال بالغضب و
الانصباب اليه فعلمنا ان هذه الامور الثلثة ليست مبادي
مستقلة بانفسها بل هي صفات لجوهر واحد فلا جرم كان اشتغال
ذلك الجوهر باحد هذه الافعال مانعا له عن الاشتغال بالفعل
الآخر الحجة الثالثة انا ادركنا شيئا فقد يكون الادراك
سببا لحصول الشهوة وقد يكون سببا لحصول الغضب ولو
كان الجوهر المدرك مغايرا للجوهر الذي يغضب وللجوهر الذي
يشتهي فحين ما ادرك صاحب الادراك لم يكن من هذا الادراك
اثر ولا خبر عند صاحب الشهوة ولا عند صاحب الغضب وحيث
حصل هذا علمنا ان صاحب الادراك بعينه هو صاحب الشهوة
وهو صاحب الغضب فهذا جملة ما يحتج به على وحدة النفس
واحتجوا على تعدد هذه النفوس فقالوا رأينا النفس الشهوانية

حاصلة في النبات بدون النفس الغضبية ورأينا النفس
الغضبية حاصلة في الحيوان بدون النفس ثم رأينا هذه الآثار
الثلثة حاصلة في الانسان فعلمنا ان كل واحد من هذه الثلثة
جوهر مستقل بنفسه منفرد بذاته والجواب ثبت في اصول
المعقولات ان الماهيات المختلفة يجوز اشتراكها في اثار متساوية
واذا ثبت هذا فنقول من الجايز ان يكون النفس الانسانية
مساوية للنفس البهيمية في فعل الغضب وان كانا مختلفين
في الماهية ولهذا يكون جوهر النفس الانسانية واحدا بالذات
الا انها مبدا للافعال الثلثة احدها النطق ولا يشاركها فيها
النفوس وثانيها الغضب ويشاركها فيه البهيمة فقط والثالث
الشهوة ويشاركها فيه البهايم والنبات فان قالوا فالنفس
الواحدة كيف يكون مصدرا للافعال المختلفة قلنا لم لا يجوز
ذلك لاسيما عند حصول الآلات المختلفة فهذا هو البيان
الملخص في وحدة النفس وهو اقوى مما كتب جالينوس فيه المجلدات
وبالله التوفيق واما المقام الثاني في بيان ان العضو الرئيس
على الاطلاق وهو القلب فنقول انا قد بينا فيما تقدم ان المني
اذا وقع في الرحم صار كالكرة ويجتمع الاجزاء النارية والهوائية
ويصير مادة الارواح ويجتمع الاجزاء المائية والارضية
ويحيط بتلك الارواح ليكون صوانا لها ومانعا لها من التحلل
وذلك الموضع المتوسط الذي فيه اجتمعت الاجزاء اللطيفة
وهو الموضع الذي اذا تمت خلقته كان قلبا وبهذا الطريق

شبكة الألوكة www.alukah.net

عرفنا ان اول عضو يكون هو القلب فاذا كانت النفس واحدة
كان تعلقها الاول بالقلب وبواسطة القلب يسري اثرها
الى سايرالاعضاء فثبت ان العضو الرئيس على الاطلاق هو
القلب هذا هو الكلام المعول عليه في اثبات هذا المطلوب
وها هنا وجوه اخرى اقناعية ونحن نذكرها الحجة الاولى
ان العقلاء يجدون الفهم والادراك والعلم من ناحية القلب
فعلمنا ان القلب محل العلم قال اجالينوس مسلم ان القلب محل
الغضب فاما انه محل العلم فممنوع وجوابه ان الغضب دفع المنافي
ودافع المنافي له شعور بكونه منافيا فوجب ان يكون القلب
محل العلم والشعور الحجة الثانية ان النفس هي الحساسة المتحركة
بالارادة فاذا تعلقت النفس بالقلب فلابد وان يفيد الحس
والحركة والارادة فيكون القلب منبعا للحس والحركة والارادة
الحجة الثالثة ان الحس والحركة الارادية انما يحصلان بالحرارة
اما البرودة فمانعة عنها والقلب منبع الحرارة والدماغ منبع
البرودة فجعل القلب مبدأ للحس والحركة الارادية اولى من جعل
الدماغ مبدأ لهما الحجة الرابعة كل واحد اذا قال انا فانه يشير
بقوله انا الى صدره وناحية قلبه وايضا اذا قال الرجل العاقل
انا افعل كذا وانا اقول كذا يضع يده على ناحية وهذا يدل
على ان كل احد يعلم بالضرورة ان المشار اليه بقوله انا موجود
في القلب لانه الدماغ الحجة الخامسة اظهر آثار النفس الناطقة
فوجب ان يكون معدن النفس الناطقة هو الموضع الذي منه ينبعث

النطق

النطق لكن النطق والكلام انما ينبعث من القلب لان النطق
انما يتولد من اخراج النفس وادخال النفس واخراجه فعل القلب
والمقصود من اخراجه دفع الفضلة المحترقة واذا كان ادخال
النفس واخراجه مقصودا للقلب بالذات كان اسناد هذا الفعل
الى القلب اولى من اسناده الى الدماغ الذي لاحاجة به البتة
الى النفس فثبت ان اخراج النفس فعل القلب والصوت انما حدث
من اخراج النفس فثبت ان فاعل الصوت هو القلب وقال اجالينوس
الصوت لاينبعث من القلب بل من الدماغ ويدل عليه وجوه
الاول ان آلة الاولى للصوت هو الحنجرة بدليل انك اذا احرقت
قصبة الرية اسفل من الحنجرة لم يسمع لذلك الحيوان بعد الحالة
صوتا فثبت ان آلة الصوت هي الحنجرة والحنجرة مولفة من ثلثة
غضاريف وهذه الغضاريف يتحرك بعضلات كثيرة وتلك
العضلات انما يتحرك بالاعصاب والاعصاب نابتة من
الدماغ فثبت ان فاعل الصوت هو الدماغ والثاني انا نرى
عضل الدماغ يتمدد عند التصويب بالصوت العنيف واما
القلب فانه لاتناله التعب عند التصويب والثالث ان القلب
اذا كشف عنه ثم قبض عليه لم يبطل من الحيوان صوته وان كشف
عن الدماغ ثم صعط بطل في الحال صوت ذلك الحيوان فثبت
ان مبدأ الصوت هو الدماغ لا القلب والجواب انا بينا بالحجة
القوية ان مبدأ الصوت هو القلب اقصى ما في الباب ان الدماغ
يعين على ذلك الا ان هذا لايقدح في قولنا الحجة السادسة

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ان القلب موضوع في موضع يقرب ان يكون وسطا من البدن
والعضو الرئيس يليق به ذلك حتى يكون ما ينبعث منه مثل القوى
يصل الى جميع اطراف البدن على القسمة العادلة والدماغ موضع
في على البدن وذلك ينافي هذا المقصود الحجة السابعة ان
الناس يصفون القلب بالذكاء فيقولون قلب ذكي وقلب بليد
وقال جالينوس الناس اذا وصفوا انسانا بانه قلبا قويا
فمرادهم منه الشجاعة فاذا قالوا فلان لا قلب له فالمراد هو الجبن
والجواب ان هذا يدل على ان القلب موضع القوة وهذا لا ينافي
ان يكون القلب ايضا موضع العلم والفهم واحتج جالينوس
على ان معدن الادراك هو الدماغ بوجوه الاول وهو ان
الدماغ منبت العصب والعصب آلة الادراك وما كان منبتا
لآلة الادراك وجب ان يكون معدنا لقوة الادراك فهذه
مقدمات ثلثة اما المقدمة الاولى وهو ان الدماغ منبت
العصب فالدليل عليه ان الاعصاب الكبيرة انما توجد في
الدماغ وان القلب فلا يوجد فيه الا عصبة صغيرة واذا كان
كذلك وجب ان يكون الدماغ منبتا للاعصاب واما المقدمة
الثانية وهي ان الاعصاب آلات الحس والحركة فالدليل عليه
انك اذا كشفت عن عصبة وتشددها وجدت ما كان اسفل من
موضع الشد فانه يبطل عنه الحس والحركة وما كان اعلى منه مما
يلي جانب الدماغ لا يبطل عنه الحس والحركة وهذا يدل على ان
آلة الحس والحركة هو العصب واما المقدمة الثالثة وهي انه

لما كان الدماغ منبتا لآلة الحس والحركة وجب ان يكون
معدنا لهما فالدليل عليه انه اذا كان فيه الحس والحركة
انما يصلان من الدماغ الى جميع اطراف البدن بواسطة
هذه الاعصاب النابتة من الدماغ ثبت ان المنبت والمعدن
لهذه القوة هو الدماغ واعلم ان اصحاب ارسطاطاليس
اجابوا عن هذه الحجة من وجهين الاول قالوا لا يسلم ان
الدماغ منبت العصب اما دليل جالينوس على ذلك وهو ان
الاعصاب كثيرة وقوته عند الدماغ وقليله وصغيره عند
القلب فقد اجابوا عنه من وجهين الاول ان هذه المقدمة
الواحدة غير منتجة للمقصود بل لا بد من ضم مقدمة اخرى اليها
وهي ان القوة والكثرة انما يكون عند المبدا والصغر والقلة انما
يكون عند غير المبدا الا ان هذه المقدمة غير بينة بل هي منقوضة
من وجوه الاول ان العصبة المجوفة يكون دقيقة عند المنبت
فاذا دخلت الموضع الذي يكون الحدقة فيه تغلظ تلك العصبة
ويتسع وهذا نقض على هذه المقدمة الثاني ان الحبة التي يتولد
منها ساق الشجرة يكون اصغر كثير من ساق الشجرة فلم لا يجوز
ان يكون العصبة الصغيرة التي في القلب تكون كالحبة
التي منها انشعبت الاعصاب الكثيرة في الدماغ الثالث
لو صح دليل جالينوس لوجب ان يقال مبداء العروق
الضوارب هي الشحمة الشبيهة بالشبكة التي في الدماغ
لا القلب لان في تلك الشحمة من العروق الضوارب عدد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ما لا يحصى وهو في غاية المشابهة لعروق الشجرة الوجه
الثاني في الجواب سلمنا ان الكثرة والقوة لا تحصل الا عند
المبدأ لكن لا نزاع انا القلب منبت للشرايين ثم ان اجرام
الشرايين من جنس اجرام الاعصاب فيمكن ان ينبت الاعصاب
منها انما قلنا ان العروق من جنس الاعصاب وذلك لان
اجرام العروق ينقسم الى الشطايا اللينة التي لا حس لها وهي
بيض لدقة عديمة الدم صلبه غير حساسة في نفسها والاعصاب
كذلك في جميع الصفات والدليل على ان الاعصاب غير حساسة
في نفسها انك اذا شددت العصبة برباط شدا قويا صار ما
هو اسفل من موضع الشد عديم الحس وذلك يدل على ان
العصب غير حساس في نفسه وانما يجري اليه الحس من
موضع اخر فثبت انا لعروق والاعصاب متشاركة في هذه
الصفات والاحوال فعلمنا ان العروق والاعصاب من جوهر
واحد واذا ثبت هذا فنقول لم لا يجوز ان يقال ان هذه
العروق الضوارب لما انقسمت وتشعبت ودقت وضعرت
ونفذت في الدماغ التفت بعضها وانضمت اجزاؤها واتصلت
فصار على شكل الاعصاب وتحقيق القول فيه ان هذه الشرايين
حين ما انفصلت عن القلب كان يحتاج اليها ليكون حاملة
للدم والروح الى جوهر الدماغ فلما صغرت ونفذت في جوهر
الدماغ وحصل هذا المقصود لحصل الاستغناء عنها فلا جرم
صرفت الى موضع آخر وهو ان ازيل عنها وصف التجويف ونضمت

تلك الشطايا بعضها الى بعض وصارت على شكل الاعصاب
فبهذا الطريق صارت العروق اعصابا ولما كان منبت العروق
وهو القلب لاجرم كان منبت الاعصاب ايضا هو القلب بهذا
الطريق اجاب جالينوس عن هذا الكلام من وجهين الاول
قال الدليل على ان الاعصاب ليست من جنس العروق وجوه الاول
ان الشرايين نابضة والاعصاب ليست بنابضة الثاني ان
مجوفة والاعصاب ليست مجوفة الا القليل والثالث ان الشرايين
محسوسة على الدم بدليل انها اذا بقيت غلب ذلك النفث على
صاحبه من انفجار الدم امرا صعبا والعصب كله لا دم له الرابع
ان الشرايين مولفة من الطبقتين احدهما تنحل الى اجزاء ذاهبة
في العرض على الاستدارة والاخر تنحل الى اجزاء تذهب على الاستقامة
في الطول واما العصبة فانها تنحل الى ليف ابيض عديم الدم
ذاهب على الاستقامة في الطول الخامس انك اذا شددت
العصبة بطل عنه الحس والحركة الارادية ولا تبطل منه حركة
النبض وان شددت الشريان بطل النبض ولم تبطل الحس والحركة
وذلك ان العصب قد يمسك عن فعله كثيرا والشريان فعلها دايم
فثبت بهذا الوجوه ان الشرايين ليست من جنس الاعصاب
والوجه الثاني من الجواب عن هذا الكلام قال ان اصل الشريان
المتولد من القلب ينقسم الى قسمين قسم يصعد الى جانب الراس
وقسم ينزل الى اسفل البدن والقسم النازل الى الاسفل
لا شك انه ينقسم ويتفرق الى العروق الدقاق ثم انها بعد دقتها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ماصارت عصابا فوجب ان يكون الحال كذلك في الشرايين
الداخلة في الدماغ اجاب اصحاب ارسطاطاليس فقالوا
اما الجواب الاول فضعيف لان الصفات المذكورة للشرايين
انما تكون باقية قبل نفوذها في جوهر الدماغ اما بعد نفوذها
في جوهر الدماغ لم قلتم ان هذه الصفات تبقى وما الذي يدل
على ان الروح الدماغي لا شك انه كان متولدا في القلب ثم انه
تصاعد من القلب وهي في النسمة المتولدة تحت الدماغ مدد
ثم انه ينفذ في الدماغ فتحدث له حالة كونه في الدماغ احوال
وصفات ماكانت حاصلة حين كان في القلب فلم لا يجوز ان
يكون الحال في الشرايين كذلك وهو ان الصفات المذكورة
للشرايين كانت حاصلة لها قبل نفوذها في جرم الدماغ اما
بعد نفوذها في جرم الدماغ وتفتتها وتصغرها في الغاية
اثر فيها جرم الدماغ وقلبها على طبايعها فصارت في الخلقة
والصورة شيئا آخر فهذا الاحتمال لا يبطل بما ذكره جالينوس
اما جوابه الثاني فهو ايضا ضعيف وذلك لان الروح القلبي
كما صعد الى الراس في الشرايين الصغيرة صعد الى اسفل البدن
في الشرايين الصغيرة ثم ان الجزء الصاعد الى الراس تغير عن
حالته بسبب اختلاطه بجزء من الدماغ والجزء النازل الى
الاسفل لم تتغير عن حالته البتة فلم لا يجوز ان تكون الحال
في اجرام الشرايين كذلك فهذا تمام الكلام على حجة جالينوس
على ان الدماغ منبت العصب واحتج ارسطو على ان منبت العصب

هو القلب فقال الحركة الارادية لابد وان يكون بالة صلبة
قوية والدماغ ليس بجرمه شيء من الصلابة والقوة واما القلب
ففيه انواع من الصلابة منها ان لحمه قوي شديد صلب صلب
من سايرا للحوم ومنها ان فيه من الرباطات العصبية مقدارا
كثيرا ومنها انه بسبب كثرة حركته لابد وان يكون اقوى جرما
واذا كان كذلك كان جعل القلب منبتا للاعصاب التي هي
الالات للحركات القوية اولى من جعل الدماغ منبتا لها
اجاب جالينوس عنه من وجهين الاول انه بنى كلامه على
المقدمة القياسية والحس دل على ان المنبت هو الدماغ
والقياس المعارض للحس لا يلتفت اليه والثاني ان المتولي
لتحريك الاعضاء ليس هو العصب فقط بل العضل والعضلات
مركبات من الاعصاب والرباطات والاغشية واللحوم
وهي مستندة الى الاعضاء والاعصاب يفيدها الحس والقوة
على الحركة واما ما يختلط بها من الرباطات والاغشية
فيفيدها القوة والشدة والامن من الانقطاع وعلى هذا
التقدير لا يمتنع كون الدماغ منبتا للاعصاب اجاب اصحاب
ارسطو عن الاول بان الحس والحركة لم يدل على كثرة الاعصاب
وقوتها عند الدماغ وقد بينا ان هذا القدر لا يدل على
كون الدماغ منبتا للاعصاب واما الثاني فضعيف ايضا
لان جالينوس استدل بغلظ العصب وكثرته على تولده منه
وارسطو عارض هذا فقال ان كان هذا الوجه بدل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

على قولكم لكن كون الدماغ لينا والعصب قويا لينا غليظا
يمنع من توله فيه بل كون العصب قويا صلبا مع كون القلب
قويا صلبا يدل على كون العصب نابتا من الدماغ فيسقط
كلام جالينوس بالكلية النوع الثاني من الجواب عن شبهة
جالينوس سلمنا ان الدماغ منبت للعصب الذي هو آلة الحس
والحركة لكن لم قلتم انه يلزم من هذا كون الدماغ معدنا لقوة
الحس والحركة سيانه لا يبعد ان يكون قوة الحس والحركة
الا ان الدماغ معدن لقوة يرسل الى القلب آلة نابتة منه
ليستفيد بتلك الآلة قوة الحس والحركة من القلب واذا كان
هذا الاحتمال قائما يسقط كلام جالينوس بالكلية الحجة
الثالثة لجالينوس على ان معدن القوة المدركة هو القلب
وهذه الحجة احسن دلايله انه لو كان قوة الحس والحركة الارادية
ينفذ من القلب الى الدماغ لكنا اذا شددنا على العصبة
المحيط شدا قويا وجب ان تبقى الحس والحركة في الجانب الذي
يلي القلب وان ربطنا من الجانب الذي يلي الراس لكن الامر
بالضد فعلمنا ان قوة الحس والحركة يجري من الدماغ الى القلب
ولا يجري من القلب الى الدماغ وهذه الحجة لا يحتاج فيها
الى المقدمات الكثيرة المذكورة في الحجة الاولى والجواب
انه لا يجوز ان يقال الروح والقلب يكونان في غاية الحرارة
فاذا كان بينه وبين الدماغ منفذ مفتوح وصل بتبريد الدماغ
اليه فاعتدل واستعد لقبول قوة الحس والحركة فاما اذا انسد

المنفذ انقطع عنه تبريد الدماغ فالاجرم لم يبق مستعدا
لقبول الحس والحركة فبطلت هذه القوة من الجانب الذي يلي
القلب وانما لم يبطل من الجانب الذي يلي الراس لان الشرايين
في الدماغ كثيرة جدا وكلها مودتة اليه قوة الحس والحركة
الحجة الثالثة لجالينوس قال الحكماء والاطبا اتفقوا على ان
الحامل لقوة الحس والحركة جسم لطيف نافذ في الاعضاء و
هو الروح واذا كان كذلك فالدماغ لكونه مبدا لهذا الروح
اولى من القلب وذلك لانا نجد في الدماغ مواضع خالية واما
القلب فليس كذلك واما التجويف الايمن فمملوء ما انما الشبهة
في التجويف الايسر فانه يعتقد فيه انه مملوء من الروح قال جالينوس
وليس الامر كذلك لان القلب اذا كشف عنه وابرز من غير ان يثقب
ويخرق اغشيته لم يمت الحيوان بسبب ذلك حتى انه يمكنك
ان تلبث مدة طويلة تلمسه بيدك وتنظر اليه بعينك وهو
مكشوف فتعين كيف تنبض وتعلم ان تنبضه عند ذلك لما لم
يزل ينبض قيل ان يكشف عنه ولكن لشرط ان يقع هذا التشريح
في موضع لا يكون هواؤه باردا تبرد القلب فانه لو برد صار النبض
حينئذ ضعيفا بطيئا متفاوتا واذا عرفت هذا فنقول اذا ثقبنا
التجويف الايسر في هذه الحالة سال في الحال دم ولو كان هذا
التجويف مملوا روحا لوجب ان لا يسيل منه دم البتة ولو كان
هذا التجويف في بعضه روح وفي بعضه دم لوجب ان يخرج
الروح اولا ثم يسيل الدم بعده فكان يجب ان لا يسيل الدم

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الحال على هذا التقدير فلما سال الدم في الحال علمنا ان التجويف
الايسر مملوء من الدم وايضا الحيوان الذي مات بخدش في التجويف
الايسر من تجويف قلبه علق الدم واما الدماغ فان جرمه مزرد
فلا يمتنع ان تحصل في ذلك العضو اجزاء الروح والجواب ان هذه
الحجة في غاية الضعف وذلك لان هذا الكلام ان صح فهو يقتضي
ان لا يكون في القلب روح اصلا وجالينوس لا ينازع في كون
القلب معدنا للارواح الحيوانية ونسلم ان الروح الحيوانية
يصعد من القلب الى الدماغ ويصير هناك روحا نفسانيا الحجة
الرابعة لجالينوس ان العقل اشرف القوى فيكون مكانه اشرف
واشرف الامكنة اعلاها فوجب ان يكون مكان العقل هو الدماغ
وهو منزلة الملك العظيم الذي يسكن القصر العالي وايضا الحواس
محيطة بالراس كانها خدم الدماغ واقفة حولها على مراتبها وايضا
محل الراس من البدن محل السماء من العالم وكما ان السماء منزل
الروحانيات فكذا الدماغ وجب ان يكون مسكنا للعقل والجواب
اما ذكرناه من البراهين لا يعارضه هذه الاقناعيات فهذا
اخر الكلام في هذه المسئلة وقد كنت طالعت كتاب بقراط
وافلاطون وهو كتاب طويل والمقصود منه هذه المسئلة
فتعبت في انتخابه وضممت اليه اشياء كثيرة من المعقولات
ثم خفت من ان يضيع ذلك مني فكتبته في هذا المكان ليلا يضيع
المسئلة الثانية في شرح احوال القلب والذي يدل على شرف
القلب وجوه الحجة الاولى ان المقصود من خلق الانسان اشتغاله

بمعرفة الله تعالى وخدمته وذلك لانه تعالى قال وما
خلقت الجن والانس الا ليعبدون فبين ان المقصود من الخلق
هو العبادة ثم قال في آية اخرى المقصود من العبادة هو المعرفة
فلقوله تعالى وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين فظهر
ان لب اللب ومقصود المقصود انما هو معرفة الله تعالى
ثم انك قد عرفت ان محل هذه المعرفة هو القلب فحينئذ ظهر ان
المقصود من خلق العالم الاصغر هو القلب الحجة الثانية انه
ثبت في الروايات ان اول ما خلق الله تعالى جوهرة ثم نظر اليها
بعين الهيبة فصارت ماء ثم سلط الحرارة عليها فارتفع زبد
وعلا دخان فخلق الارض من الزبد والسموات من الدخان
فنقول انه تعالى خلق ثلاثة الجوهر شيئا واحدا وسلسله من العدم
الى الوجود فكل ما وجد من المخلوقات فهو سلالة المعدومات
ثم سل من ذلك المخلوق الارض لانه قال كانتا رتقا ففتقناهما
وهذا هو السلالة الثالثة ثم سل من الارض قبضة آدم عليه السلام
كما قال ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين وهذا هو السلالة
الرابعة ثم سل من جسد آدم قلبه فكان هذا هو السلالة الخامسة
ثم جعل القلب سرير المعرفة فظهر بذلك الحكمة المطلوبة في خامس
السلالات لتعلم ان الشيء المعظم من جميع المخلوقات هو القلب
وعند هذا ظهر ان جسم الانسان منقسم الى قسمين الى
الهيكل الظاهر والى المضغة الباطنة وهي القلب الذي هو
سر بر معرفة الله فالقلب تبع الهيكل الظاهر في الصورة والهيكل

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

الظاهر تبع القلب فى المعنى ولما جعل الهيكل الظاهر تبعا للمضغة
الباطنة علم انك ما خلقت لاجل هذا الظاهر بل لاجل ان تطلب
من هذا الظاهر باطنا ومن هذا الشاهد غائبا ومن هذا المحسوس
معقولا فظهر مما قلنا ان المقصود الاصلى هو القلب وحصنه هو
كل البدن وحصن البدن كل الارض وحصن الارض هو كل
السموات وحصن السموات عالم الممكنات والكل مسخرة فى
قبضة قدرته ونفاذ مشيته واذا عرفت هذا فنقول القلب له
فى القرآن اسمان احدهما القلب والثانى الفواد قال تعالى
كتب فى قلوبهم الايمان وقال لهم قلوب لا يفقهون بها وقال
ان السمع والبصر والفواد وقال نار الله الموقدة التى تطلع على الافئدة
ثم نقول يحتمل ان يكون الفواد اسما لجميع هذه المضغة والقلب
يكون اسما لجزء مخصوص منه لنسبته الى كل هذه المضغة كنسبة العين
الى الهيكل الظاهر ويكون اسما للشئ الذى نسبته الى هذه المضغة
كنسبة النقطة الظاهرة الى العين وتلك النقطة هى المسماة
بسويداء القلب وهذه السويداء بالنسبة الى العين الباطنة
كسواد العين بالنسبة الى العين الظاهرة والسبب فى ان الابصار
الظاهر تحصل بالسواد والبصيرة الباطنة تحصل بالسويداء
وجهان الاول وهو ان الابصار يجرى مجرى النور والسواد جنس
الظلمة فالسواد والابصار كالمتضادين واظهار احد الضدين
من الاخر دل على القدرة والحكمة الثانى ان يكون الانتهاء
على وفق الابتداء فكما ان فى الابتداء ظهر نور الوجود من ظلمات

العدم

العدم باجاد الحق سبحانه فكذلك فى الانتهاء ظهر نور البصر
والبصيرة من ظلمات سواد العين وسويداء القلب ليكون المبدأ
والغاية دالتين بقرائن الاحوال وشواهد المقال على تحقيق
قوله تعالى فالق الاصباح وعند هذا ظهر ترتيب عجيب للظاهر
والباطن اما الظاهر فالاول الهيكل الظاهر ثم العين ثم النقطة
الناظرة ثم النور الباصر الموجود فى النقطة الناظرة واما
الباطن فالقوا هو اسم لتمام هذه المضغة ثم القلب ثم النقطة
الناظرة وهى سويداء القلب ثم نور البصيرة واذا عرفت هذا
فنقول ان الابصار فى عالم الظاهر يتوقف على شرايط وتلك
الشرايط معتبرة بعينها فى ادراك البصيرة الشرط الاول
للابصار ان لا يكون المبصر فى غاية الجلاء ولا فى غاية الخفاء
اما الذى فى غاية الجلاء فكالشمس الذى تحير العين فيها ولا
يقدر على ابصارها بالتمام والكمال واما الذى فى غاية
الخفاء فكالذرة فكذا للعقل مدركات هى فى غاية الجلاء
والعظمة ومدركات هى فى غاية الخفاء والصغر واما الاشياء
التى هى فى غاية الجلاء والعظمة والاشراق فهو جلال الله تعالى
وكبرياؤه وعظمته وليه عظمة الارواح العالية المقدسة
فنور سويداء القلب محترق فى هذه الحضرة فلا يصل اليها والبه
الاشارة بقول من قال سبحان من احتجب عن العقول لشدة ظهوره
واختفى عنها بكمال نوره واما الذى فى غاية الخفاء فكتفاصيل
الاحوال وحدثان المحدثات اما تفاصيل الاحوال فكقوله

الألوكة
www.alukah.net

ونشكم فيما لا تعلمون فان النطفة من حين ما يقع في الرحم
الى ان ينفصل الجنين لها في كل حالة ولمحة حالة وفي كل لحظة
صفة الا ان التفاوت بين كل لحظتين مما لا يصل اليه
عقول البشر واما حدثان المحدثان فهو انه تعالى لما ذكر
من الحيوانات الانعام فقال والانعام خلقها الاية ثم قال
والخيل والبغال الاية والمعنى انه لا يمكنكم ان تحيطوا علما
بتفاصيل احوال جميع الحيوانات لكثرتها واختلاف احوالها
وبالجملة فالعقول قاصرة عن معرفة الاوايل والاواخر وغايته
ان العقول متحيرة في مبدا الخلق والايجاد ومنتهى الاعدام
والافناء بل العقول لا سبيل لها الى معرفة الازل والابد فان
الانسان كل ما استحضره في ذهنه يكون متوسطا بين الازل
وبين الابد ولو انه بقي الى قيام القيامة يتقدم الى ما قبل
ويتاخر الى ما بعد لم يرتفع الا في المتوسط بين الازل
والابد ونرى حقيقة الازل والابد منزهة عن لواحق الانظار
في علايق الافكار وتمام هذا الكلام سياتي في باب الصفات
في تفسير القدم والبقاء وشرح كونه اولا واخرا الشرط
الثاني ان المبصر اذا كان حاضرا فما لم يحرك الانسان حدقته
من جانب الى جانب تحريكات كثيرة فانه لا يرى المبصر فكذا
الفواد ما لم يحرك عينه من معقول الى معقول لا يتمكن من
ابصار المطلوب وتلك التحريكات هي المسماة بالفكر والروية
والنظر وكما ان نظر العين عبارة عن تقليب الحدقة من جهة

الى جهة طلبا لرؤية المرئي فكذلك نظر القلب عبارة عن تقليب
حدقة القلب من جانب الى جانب طلبا لادراك المعقول والشرط
الثالث ان القوة الباصرة لا يمكنها ادراك المبصرات الا عند
صيرورة الهواء مضيئا بسبب طلوع الاشياء النيرة فكذا
العقل لا يقدر على الابصار الا عند طلوع الاشياء النيرة
ثم نيرات العالم الجسماني اربعة الشمس والقمر والكواكب
والنار واعظمها الشمس ثم القمر ثم الكواكب ثم النار فكذا
نيرات العالم الروحاني اربعة اولها نور جلال الله تعالى
كما قال واشرقت الارض بنورربها وهي بمنزلة الشمس وكما لا
يستطيع ابصار الخفافيش مطالعة قرص الشمس فكذا لا يستطيع
ابصار الارواح البشرية مطالعة نور الجلال وهذه المرتبة
بمنزلة الشمس المرتبة الثانية انوار الارواح العلوية الروحانية
والكروبية كما قال ينزل الملايكة بالروح من امره على من يشاء
من عباده وقال نزل به الروح الامين على قلبك واكابر
الانبياء والصديقين هم الذين تطيقون مطالعة هذه
الانوار وقال في النجم وانه هو رب الشعرى وقال في واقعة
الخليل فلما جن عليه الليل راى كوكبا وهذه المرتبة بمنزلة
القمر فكما ان القمر تارة يكون بدرا يضيء العالم اضاءة كاملة
وتارة يكون هلالا دقيقا يظهر قليلا ثم يختفي فكذا الارواح
العلوية قد يكون عظيمة الاضاءة والانارة كقوله ومن عنده
لا يستكبرون عن عبادته الاية وقوله ويستغفرون للذين

شبكة الألوكة www.alukah.net

امنوا وتارة تكون كالهلال الضعيف وهو قوله وكم من ملك
في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا المرتبة الثالثة انوار
الارواح السفلية وهم الصديقون الملازمون لعتبة
جلال الله المعتكفون في حظاير قدس الله استنارت ارواحهم
فانارت ارواح غيرهم وهذه المرتبة بمنزلة الكواكب وكما ان
الكواكب قد يكون في العظم الاول درية متلالية كما قال
كانها كوكب دري توقد الاية وقد يكون ضعيفة جدا كالسهى
وامثاله فكذا الارواح السفلية منها ما يكون قوية ومراتبها
اربعة اولها الذين يكونون في العظم الاول وهو روح الخليل
والكليم والروح الحبيب فان ارواح الخلق يهتدى بانوار هذه
الارواح السفلية لانها ارواح قدسية قريبة الدرجة من
الارواح العلوية ولهذا قال الله تعالى يا ايها الناس قد جاءكم
برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا وقال قد جاءكم
من الله نور وكما ان الغاية في الكواكب هي قوله وعلامات
وبالنجم هم يهتدون فكذا دعوة الانبياء اعلام نورانية
يهتدى بها في ظلمات بر السموات وبحر الضلالات والشبهات
قال تعالى وانك لتهدى الى صراط مستقيم صراط الله الاية
وثانيها الذين يكونون في العظم الثاني وهي ارواح اولي العزم
كما قال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل وثالثها ارواح
المرسلين وهم ثلثمائة وثلثة عشر وهولاء هم الذين يكونون
في العظم الثالث من الكواكب ورابعها ارواح جملة الانبياء

وهم

وهم كما يقال مائة الف واربعة وعشرون الفا وهولاء هم
الذين يكونون في مرتبة العظم الرابع من الكواكب ثم بعد
هذا مراتب المومنين وهم ثلثة السابقون والمقتصدون
والظالمون كما قال فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم
سابق بالخيرات باذن الله فالسابقون هم الاولياء كما قال
الا ان اولياء الله لا خوف عليهم الاية والمقتصدون هم
العلماء قال العلماء الذين يستنبطونه منهم والظالمون هم العوام
ولكل واحد من هذه الارواح اثر ونور فاذا اتصلت صارت
كالمرايا المتحاذية المتقابلة فينعكس انوار بعضها الى البعض
فيصير كل واحد منها مكملا للاخر من وجه ومستكملا من وجه
ولهذا السبب كان احد مقامات الصديقين الحب لله المرتبة
الرابعة من نيرات العالم الروحاني العقل ومرتبته مرتبة النار
في عالم الجسمانيات واعلم ان لنور العقل له عيوب كثيرة فالاول
ان نور النار ممزوج بدخان كثير السواد يسود الثوب ويجفف
الدماغ فكذا نور العقل ممزوج بدخان الشبهات وذلك الدخان
تارة يسود ثوب العبودية بلطخة التشبيه والتعطيل واخرى
يجفف دماغ البشرية فيلقي صاحبه في وهم الحلول والاتحاد
والثاني نور السراج فيه اشراق واحراق فكذا نور العقل فيه
اشراق وفيه احراق اما اشراقه فهو التفكر في غير الله ليستدل
به على جلال عظمة الله واما الاحراق فهو التفكر في جلال الله
فلهذا السبب قال عليه السلام تفكروا في الخلق ولا تتفكروا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في الخالق الثالث ان نور السراج ينطفي بادنى ريح فكذا نور سراج
العقل ينطفي بادنى شبهة فلهذا السبب قال تعالى لمحمد عليه السلام
ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا وقال
الخليل ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف توفني مسلما
والحقني بالصالحين وقال سليمان وادخلني برحمتك في عبادك
الصالحين وقال الكليم رب اشرح لي صدري وقال عيسى
ربنا انزل علينا مائدة من السماء وهي مائدة الهداية والمعرفة
الرابع ان السراج انما يضيء اذا وضع في بيت صغير فاما اذا وضع
في الصحراء الواسعة فانه يقل ضوءه فكذا سراج العقل انما يظهر
نوره اذا وضع في بيت البدن قال تعالى وفي انفسكم افلا تبصرون
فان هذا البدن بيت صغير مختصر الا ترى ان سراج العقل لما وضع
في ميدان الارواح انطفى ولم يظهر له لمعان وشروق كما قال
ويسئلونك عن الروح الآية فاذا كان حاله في ميدان الارواح
كذلك فاعرف ما يكون حاله في صحراء جلال الانوار الصمدية
وفضاء اسرار كمال الالهية التي تقدست عن ان يكون لها بداية
ونهاية او مقطع وغاية الخامس ظهور نور السراج مشروط
بان يكون بينه وبين قرص الشمس حائل اما اذا وقع في مقابلة
قرص الشمس انطفى فكذلك العقل انما يضيء فيما وراء حجب
الغيب وعالم انوار الصمدية فاما اذا ازيل الحجاب وتجلى
الانوار انطفى نور العقل ولهذا قال لموسى اخلع نعليك
انك بالواد المقدس طوى الآية فقوله اخلع نعليك اشارة

الى تجلي لمعان انوار العظمة والكبرياء السادس نور السراج
وان طال بقاؤه لكنه بالاخر ينطفي وان استمر لكنه تطلع الشمس
فيبطل ضوءه لا محالة فكذا نور سراج العقل انما ان ينطفي لطيران
الغفلات والشهوات او ان تبقى الى اخر الامر لكنه اذا انقضى
ليل الجوة الدنيا وية وتجلى نهار عالم الاخرة وانكشفت
السرائر وتجلت الضمائر لم يبق لسراج العقل نور ولا قوة البته
فهذا هو شرح نيرات العالم الروحانيات الشرط الرابع
لابصار القلب انه كما ان انتفاع البصر بنيرات عالم الجسمانيات
يتوقف على امور فكذلك انتفاع البصيرة بنيرات عالم
الروحانيات يتوقف على مثل ذلك الامور وبيانه ان
ابصار الاشياء ورويتها يختلف بالكمال والنقصان فتارة
يرى الانسان شيئا رؤية تامة وتارة يراه رؤية ناقصة
وسبب هذا التفاوت اما ان يكون عايدا الى ذات قوة الباصرة
او الى امور خارجة عنها فكذا ادراكات البصيرة قد يختلف
بالكمال والنقصان وذلك التفاوت قد يكون بسبب عايد
الى ذات البصيرة وقد يكون بسبب امور خارجة عنها اما
العايد الى ذات البصيرة فهي على وجهين الاول اختلاف
جواهر الارواح قال الله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا
الآية وهذا يدل على ان الارواح هذه السبعة من معشر
البشر وجنس الانس مخصوص بمزيد القوة والجلالة والرفعة
فتارة يظهر انوار تلك القوة بالنبوة وتارة بالخلافة وقال

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وصفة عيسى فنفخنا فيه روحنا وقال في صفة محمد عليه السلام
علمه شديد القوى ثم ترقى من تعليم الملك الى تعليم الملك
فقال الرحمن علم القران ثم انتقل من خطاب الغيبة
الى خطاب الحضور فقال وعلمك ما لم تكن تعلم وقال تعالى
في حق جميع الانبيا. على العموم الله اعلم حيث يجعل رسالاته
وقال عليه السلام الارواح جنود مجندة وقال عليه السلام
الايمة من قريش وهو اشارة الى اختصاص هذه السبعة
بمزيد قوة نفسانية روحانية فلما لم يظهر اثر تلك القوة
بالنبوة بعد محمد عليه السلام فلا بد من ظهور اثرها بقوة الخلافة
والرياسة وكل ذلك يدل على اختلاف الارواح في ماهياتها
فمنها ما يكون في غاية الجلالة والقوة ومنها ما يكون في غاية
الدالة والدناة ومثاله في عالم الجسمانيات الابصار فمنها
ما يكون في غاية القوة كزرقا اليمامة ومنها ما يكون في غاية
الضعف وهو لاستعداد الذاتي لا سبيل البتة الى تبديله
والثاني اختلاف جواهر الارواح بسبب صفات عرضية وهي
التي تقبل الفلاح ومثاله في الجسمانيات انه قد يكون بصر اضعف
من بصر لا لاجل الخلقة الاصلية بل بسبب رمد عرض له فاورث
ضعفه او بسبب انه استعمل كحلا قويا فافاده ذلك الكحل في تلك
الساعة زيادة قوة فكذا الارواح ربما يعرض لها عارض فحصل
فيه نوع من الكلال بسبب ذلك العارض واليه الاشارة
بقوله انه ليغان على قلبي حتى استغفر الله في اليوم سبعين مرة

وهذا

وهذا النوع من التفاوت قد يطرء ويزول واما التفاوت الحاصل
بسبب الامور الخارجية فهو انواع السبب الاول الاشتغال بغير الله
ومثاله في عالم المحسوسات ان من شغل حدقته بالنظر الى شخص يكون
نظره اليه ما نعا له من ابصار غيره ثم كلما كان التحديق الى الاول
اشد واكمل كان الحرمان عن ابصار الثاني اشد واكمل فكذا عالم
الروحانيات على هذا القياس كلما كان اشتغال القلب بغير الله اشد
واكمل كان حرمانه عن الاطلاع على انوار جلال الله اشد واكمل
ولهذا المعنى حكم تعالى بوقوع المنافاة بين الامرين فقال كلا
بل تحبون العاجلة وتذرون الاخرة وقال وتحبون المال حبا
جما وقال وانه لحب الخير لشديد وقال زين للناس حب الشهوات
وقال عليه السلام حب الدنيا راس كل خطيئة فنحن اذا
انصفنا علمنا انا كالمعذورين في حب الدنيا وكيف لا نحبها
وانا خلقنا منها وانما ارتضعنا من ثديها وطعامها وترعرعنا
على ظهرها وانما الفناء مع نعيمها وشاهدنا احوالها ولو اتفق
لبعض الخلق على سبيل الندرة اطلاع على شيء من الروحانيات
فذلك انما يكون بعد استحكام ترك الالف بالدنيا فمع هذه
الاسباب القوية كيف ينفك به قلب الانسان عن محبة الدنيا
ليس انه عليه السلام قال جبلت القلوب على حب من احسن اليها
وبغض من اساء اليها فانظر الى الدنيا كيف انتفعنا بثمارها
وطعامها وانهارها واشجارها ولذاتها وطيباتها واذا
كان كذلك فلا محالة تكون محبولون على حبها واذا عرفت هذا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

فنقول كل من احب شيئا نظر اليه بكل عينيه ومن نظر الى شئ بكل
عينيه لم يرغيره وايضا اذا كنت محبا لشئ عميت عن رؤية معايبه
وصرت مشتغلا برؤية محاسنه وفضائله وايضا استحكمت
تلك المحبة امتلا القلب منها والظرف اذا امتلاء من شئ لم يتسع
لغيره فهذه قلوب لا تدخل فيها محبة لله واليه الاشارة بقوله
كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون وقال صم بكم عمى الاية
وذلك لانه كانت قلوبهم مملوة من حب الدنيا فما كانوا ينتفعون
بما يرون ويسمعون وينكلمون ثم اعلم ان هذه المحبة كلما كان
دوامها اكثر كان استحكامها اشد وهو مرض القلب كما قال
في قلوبهم مرض والمرض ما لم يكن مستحكما فانه يرجى علاجه فاذا
استحكم وصار بحيث لا تقبل العلاج قرب من الموت واليه الاشارة
بقوله انك لا تهدي من احببت وبقوله ان الذين كفروا سواء
عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون وعند هذا يظهر
ان الكل منه وان الخير والشر بقضائه وقدره وها هنا سؤالات
السؤال الاول اذا استحكم مرض الجسم بحيث لا يرجى علاجه
سقط الخطاب فاذا استحكم مرض القلب فلم لا يسقط الخطاب
الجواب عدم سقوط الخطاب في هذه الحالة حتى يعلم الانسان قبل
انتهائه الى هذه الحالة انه لو لم يشتغل بالعلاج قبل الانتهاء الى هذه
الحالة ثم ان المرتبة لما لم تكن محدودة وكان هذا القول حاصلا
عند الاقدام على كل ما كان ذنبا فكانت اليق به حاصلة عن جميع
الذنوب السؤال الثاني انكم ذكرتم انا مجبولون على حب الدنيا

وذكرتم

وذكرتم ان حب الدنيا يورث الاعراض عن الآخرة فكيف
يجتمع هذا مع قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها والجواب
يظهر منه ان العبد لا قدرة له على الوفاء بهذه الطاعة
الا بفضل المولى واعانته والايمان يجذبه من التوغل في
حب الدنيا الى حب المولى فلهذا السبب امر الله تعالى ان
نقول كل يوم اياك نعبد واياك نستعين وجاء في الاخبار
المتواترة بفضل قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم
السؤال الثالث ليس ان الدنيا ام حاضنه فما السبب في ان
واجب الوجود سبحانه اوجب بعضها والجواب ان حبها
مانع عن حب الله تعالى وهذا كما انه فرض بعض الابوين
الكافرين وعصيانهما عند دعوتهما الى الكفر قال وان
جاهداك على ان تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما
السؤال الرابع ما علامة رجحان حب المولى على حب الدنيا
الجواب ترجيح المحبة على المحبة انما يظهر باحد امرين احدهما
قلة الحزن عند الفراق والثاني قلة السرور عند الوجدان
واعلم ان قلبا لم يترجح فيه حب الله على حب الدنيا فلا ايمان له
واذا حصل الرجحان فلا يطيب الايمان الا عند زوال المعارض
من كل وجه وعلامة ذلك ان لا تخطر الدنيا بباله الا
عند الحاجة اليها كانها شربة ماء او مدرة استنجاء السبب
الثاني لحصول التفاوت في هذه الانوار الروحانية طيب
الغذاء وخبثه قال تعالى يا ايها الرسل كلوا من الطيبات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

واعملوا صالحا وقال ويحرم عليهم الخبايث والسبب فيه ان
الغذاء يصير جزا من البدن ومن القلب ولا شك ان الذي
يصير جزا من الشئ يختلف حال ذلك الشئ باختلاف حال هذا الذي
يصير جزا له فالبيت ان طينته بالطين الكدر جاء كدرا وان
طينته بالجص الابيض جاء صافيا نورانيا واذا اختلف حال
البدن باختلاف احوال الاغذية لاجرم يختلف احوال تلك
الانوار بسبب اختلاف حال البدن الا ترى ان الماء الصافي
يتلون لونه بلون الظرف والقارورة فثبت ان طيب الغذاء
وخبثه سبب لاختلاف احوال الانوار الروحانية السبب
الثالث الامكنة والازمنة اما الامكنة فكقوله تعالى
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وقال الى المسجد
الاقصى الذي باركنا حوله واما الازمنة فقال في ايام
نحسات وهذا يدل على انه اذا كان ايام رحمة كانت متصفة
بالسعود ومن كلام اهل التصوف الوقت سيف قاطع لارباب
القلوب في هذه الكلمة كلمات والذي اليه يميل قلبي ان لله
تعالى في كل وقت ايجاد محدث فصار ذلك الوقت مربوطا بذلك
الحادث برابطة المشية الازلية الذي لا يمكن دفعه وابطاله
فاذا جاء ذلك الوقت جاء معه ذلك الحادث فكما ان السيف
قاطع فالوقت بما قضاه الحق وقدره غالب فاذا كان الوقت
الذي فيه يفتح الله رحمته متاخرا فلا ينفع الجد والجهد في الزمان
المتقدم وسمعت بعض المشايخ قال بعث الشيخ ابو سعيد بن ابي الخير رحمه

واحد

واحدا الى النهر ليجيئه بماء يتوضا به فكان بطيئا في الرجوع فقال
الشيخ ابو سعيد ذلك الماء الذي يمكننا ان نتوضا به بعد ما خرج
من النهر السبب الرابع وهو الاقوى الجذبة الالهية العلوية
ولا يتم جميع الاسباب الا بهذا المعنى قال تعالى الله يجتبي اليه
من يشاء ويهدي اليه من ينيب وقال والذين جاهدوا فينا
لنهدينهم سبلنا وقال افمن شرح الله صدره للاسلام فهذه
الاحوال اشارة الى مبداء هذه الدرجة واما وسطها فهو قوله
ففروا الى الله ونهايتها قوله قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون
وايضا الى اوله الاشارة بقوله ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به
والى وسطه الاشارة بقوله واعف عنا والى آخره الاشارة
بقوله انت مولينا ثم اذا وصل القلب الى هذه الحالة صار القلب
في عالم القلوب كالشمس في عالم الافلاك فعند هذا يبقى مستغرقا في
انوار عالم الجلال كما ان الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره
ثم صارت هذه الروح ينبوعا لفيض الانوار على اسرار الارواح
كما قال واما ان كان من اصحاب اليمين وبعد هذا درجات لا يصل
اليه الخيال ولا تعبر عنها المقال ومن اراد فليكن من الواصلين الى اليقين
لا من السامعين للاثر الشرط للاتصال اعلم ان الجنين حين ما يكون
في رحم الام في اول ما خلق الله عينيه يكون الجفنان منه ملتصقين
ثم بعد زمان بفضل الله احد الجفنين عن الاخر الا ان الجفنين
يكونان مطبقين فاذا انفصل عن بطن الام يفتح العين في بعض
الاوقات الا انه في اكثر الاوقات بعضها ويكون نائما وعند فتح

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

العين يكون جاهلا بامه والام مع ذلك تراعى مصالحه
وتعذره لعلمها بانه ما جاء او ان قدرته على التمييز بين المحسن
والمسئ ثم لا يزال الطفل ينظر اليها الى ان يميز بين الام وغيرها
ثم اذا واظب على النظر الف النظر والابصار حتى يصير بحيث
لا يمكنه ان لا ينظر الى شئ واذا عرفت هذه المراتب في العين
الظاهرة فاعرف مثلها في العين الباطنة فنقول الامر يكون
عين القلب مطبقا ثم ينفتح ولكنه لا يقتدر على التمييز بين الخير
والشر ثم لا يزال ينظر بعين عقله بحيث يصير يدرك الفرق
بين المحسن وبين المسئ فيعرف ان المحسن هو الحق وان ما سواه
فهو سبب للضرر ثم اذا واظب على هذا النظر صار بحيث
لا يمكنه ان يصير عن نظر العقل وكما ان الام تعذر الطفل
في اول عمره عن التمييز بينها وبين غيرها فكذا الحق ههنا يعذر
الانسان في اول عمره في ان لا يعرف ربه وذلك سن ما قبل
البلوغ ثم اذا واظب على النظر في افعال الله وآثار حكمته
في مخلوقاته حصل له عشق ومحبة مع هذا النظر فلا يرى شيئا
بعقله الا وينتقل منه الى بدايه وغايته اما المبدا فهو قدرة
الحق واما الغاية فهو حكمة الحق فيصير بحيث لا يرى شيا الا يرى
الله بعد وحينئذ يسير كما يسير القمر لمقابلة الشمس والقلب
في هذا المقام قد استلذ النظر والفه فلا جرم ابدا يقلب الفواد
والقلب حدقته من منظور الى منظور وقد كان للقلب عين واحدة
فاما الان فقد صار كل ذرة من ذرات المبدعات والكاينات

عينا للقلب وذلك لان العالم كله يصير مراة للقلب ومراة
العين بمنزلته يصير زايدا فانه يرى بها كل ما لا يرى بدونها
فعند ذلك تصير كل ذرة من ذرات الممكنات عينا له والعين ينبوع
النور فيصير كل العالم ينبوع النور في حقه واذا اتصلت انوار
العالم به صار كله بصرا قال تعالى في صفة هؤلاء يسعى نورهم
بين ايديهم وبايمانهم وفي الحديث ان اهل الجنة يرون اهل
عليين كما ترون الكوكب الدري في السموات وان ابا بكر وعمر
منهم وانعما **الفصل الرابع** في الاستدلال باحوال
الحيوانات على وجود الصانع الحكيم وفيه فصول الفصل الاول
في الاستدلال الكلي على وجود الصانع باحوال الحيوانات وقبل
الخوض في المقصود لا بد من الاشارة الى تقسيم الحيوانات فنقول
اعلم ان الحيوانات التي تطير في الهواء قسمان احدهما الطيور والثاني
الحشرات والفرق بين القسمين ان كل حيوان صغير الجثة ليس له عظم
وديش فهو من الطيور واذا عرفت هذا فنقول اقسام الحيوانات
خمسة قسمان منها من حيوانات الهواء والقسم الثالث من حيوانات
الماء والقسم الرابع حيوانات وجه الارض كالبهايم والسباع
والقسم الخامس حيوانات تحت الارض وهي الحشرات كالحية
والخنافس والديدان واشباهها واعلم ان حيوانات الماء اعظم
الحيوانات وهي ايضا اصغرها والمراد انه يوجد في حيوانات الماء
ما يكون في العظم فوق جميع الحيوانات ويوجد فيه ايضا ما يكون
اصغر من جميع الحيوانات واما حيوانات وجه الارض فهي دون حيوانات

شبكة الألوكة
www.alukah.net

الماء في العظم وبعد جوانات وجه الارض جوانات الهواء
فانها اصغر جثة من جوانات وجه الارض واخر المراتب في الصغر
الحيوانات المتولدة في داخل الارض فهذا ضبط هذه الاقسام
ثم اعلم انه تعالى استدل بخلقه الحيوانات على وجود الصانع
الحكيم تارة مجملا وتارة مفصلا اما المفصل فسيأتي شرحه في
الفصول الاتية واما المجمل فقال في سورة البقرة والهكم اله
واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ثم ذكره عقيب ما يدل على وجود
الصانع الحكيم ثمانية انواع من الدلايل فقال ان في خلق السموات
والارض وهما دليلان ثم قال واختلاف الليل والنهار وهو
الدليل الثالث والرابع ثم قال وما انزل الله من السماء من بناء
فاحيا به الارض بعد موتها وهو الدليل الخامس ثم قال وبث
فيها من كل دابة وهو الدليل السادس ثم قال وتصريف الرياح
وهو الدليل السابع ثم قال والسحاب المسخر بين السماء والارض
وهو الدليل الثامن فلما ذكر هذه الدلايل الثمانية قال لقوم يتفكرون
والمتاملين فيها فقال لايات لقوم يعقلون والمقصود انه
سبحانه احتج بخلقه الحيوانات المختلفة على وجود الصانع
الحكيم وهو قوله وبث فيها من كل دابة ولما كان الامر كذلك
وجب علينا ان نبحث وجوه دلالة هذا الدليل فنقول الاختلاف
في ابدان الحيوانات وفي صفاتها ظاهر ونحن نشير الى بعضها
ثم يستدل بها على وجود الصانع الحكيم واعلم ان الاختلاف بين
الحيوانات حاصل من وجوه ولا يحيط بها علم البشر الا انا نشير

الى بعض تلك الوجوه فالاول الاختلاف الحاصل في صورها
واشكالها فاحدها الاختلاف الحاصل في الجلدة الظاهرة
وذلك لان بعضها كالسلحفاة يحيط به صدف وبعضها كالسمك
على جلدته فلوس وبعضها على جلده شوك كالقنفذ وبعضها
يكون عاريا عن كل ذلك كالانسان وثانيها الاختلاف في
الالوان والاشكال فمنه ما يكون متلونا بلون واحد وهو
الانسان ومنه ما يكون متلونا بلونين كالفرس الابلق ومنه
ما يكون متلونا بالوان كثيرة عجيبة حسنة كالطاوس وثالثها
الاختلاف في الاصوات فمنه ما هو مصوت ومنه ما لا صوت له
والمصوت ما هو طيب الصوت كالعندليب ومنه ما هو
قبيح الصوت كالحمار قال سبحانه ان انكر الاصوات لصوت الحمير
ورابعها قد يكون صغير الجثة عظيم العين كالبوم وقد يكون
كبير الجثة صغير العين كالعقاب وخامسها ما يمشي على بطنه
كالحية ومنها ما له رجل اما رجلان كالطير والادمي واما
كالبهايم والسباع واما ارجل كثيرة ستة او ثمانية وكل طير
ذو جناح فانه يمشي على رجليه ومن جملة ذلك ما يكون المشي
عليه صعبا كالخطاف الاسود الكبير والخفاش وسادسها
ندي الفيل والانسان يكون عند الصدر وندي البقر والغنم
عند السرة وسابعها اذن الفيل صالح للذب مع كونه آلة للسمع
وانفه صالح للقبض مع كونه آلة للشم فهذه اختلافات
الحيوانات في الخلقة الظاهرة النوع الثاني اختلاف احوالها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

في المسكن والماوى فمنها مايبة ومنها ارضية ومنها مايكون
مايبا وارضيا معا اما الحيوانات المايبه فمنها مايكون غذاوه
مايبا وله بدن النفس المسمى بنشق ما من فهو يقبل الماء الى باطنه
ثم يرده ولا يعيش اذا فارقه والسمك كله كذلك ومنه ما مكانه
وغذاوه مايى ولكن يتنفس من الهواء كالسلحفاة المايية ومنه
ما مكانه وغذاوه مايى ولا يتنفس ولا يستنشق مثل اصناف
من الصدف لا يظهر البته للهواء ولا يستدخل الماء الى باطنها
وايضا الحيوانات المايية بعضها ماواها الانهار الجارية وبعضها
مياه البطايح مثل الصفادع وبعضها ماماواها مياه البحار
وايضا الحيوانات المنتقلة في الماء منه مايعتمد في السباحة
على رجله كالضفدع ومنه ما يمشي في قعر الماء كالسرطان
ومنه ما يزحف مثل ضروب السمك وكالدودة واما الحيوانات
البرية فمنها ما يتنفس من طريق واحد كالخنيشوم ومنها ما لا يتنفس
لا على وجه بل من مسامه مثل الزنبور والنحل وايضا الحيوانات
الارضية منها ما له ماوى معلوم ومنها ما ماواه كيف اتفق
الا ان يلد فيقيم للحضانة واللواتي لها ماوى معلوم فبعضها يتعايش
معا كالكراكي وبعضها يختار التفرد كالعقاب وجميع الجوارح التي
ينازع على المأكول يتفرد لاجل احتياجها الى الاحتيال في الصيد
ومنافستها فيه ومنها ما يكون ما يتعايش زوجا وكيون معا
كالقطا ومنها ما يجتمع تارة يتفرا خرى والحيوانات المتفردة قد
تكون مايية وقد تكون برية صرفه وقد تكون بستانية والانسان

من

من بين الحيوان هو الذي لا يمكنه ان يعيش وحده فان اسباب
جيوته لا يتم الا بالمشاركة المدينة والنحل والنمل وبعض الغرانيق
يشارك الانسان في ذلك لكن النحل والكراكي يطيع رئيسا
واحدا والنمل له اجماع لكن لا رئيس له واما الحيوانات التي
تكون تارة مايية واخرى تكون ارضية فيقول انه حيوان يتكون
في البحر ويعيش فيه ثم انه يبرز الى البر ويبقى فيه النوع الثالث
اختلاف احوالها بحسب الاختلاف فاعلم ان الحيوان ما هو
انسي بالطبع كالانسان ومنه ما هو انسي بالمولد كالهرة والفرس
ومنه ما هو انسي بالقهر كالفهد ومنه ما لا يانس كالنمر والذي
يستانس بالقهر منه ما يحصل استيناسه سريعا ثم يبقى مستانسا
كالفيل ومنه ما يكون ذلك بطيئا كالاسد ويشبه ان يكون من كل
من كل نوع صنف انسي وصنف وحشي وايضا بعضها يكون
ساكن الطبع قليل الغضب كالبقر وبعضها رديء الحركات كالحية
ومنها مكار ردي الحركات كالثعلب ومنها غضوب شديد الغضب
سيء الالفة متودد كالكلب وبعضها شديد الذكاء كالفيل والقرد
والفرس وبعضها جسور مياه بجاله كالطاوس وبعضها بليد الحفظ
كالجمل والحمار وايضا احوالها في التناسل مختلفة فبعضها تلد
لشاه حيوانا وبعضها تضع اشاه بيضا وبعضها تلد اشاه
دودا كالنحل والعنكبوت ثم تلك الدود يستكمل اعضاوها بعد
ذلك ويقال انه اذا ظهرت السخونة وقت الربيع طلب الجراد ارضا
طيبة الترب رخوه الجسم وطرحت في تلك الارض بيضها وطارت

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بعد ذلك وعاشت اياما ومات واكلتها الطيور فاذا دار
الحول وجاء الربيع مرة اخرى فطاب الهواء خرجت من تلك البيض
المدفونة في تلك الارض امثال الديدان الصغار ودبت على وجه
الارض واكلت العشب والكلاء وخرجت لها اجنحة وطارت
واكلت من ورق الشجر وسمنت ثم باضت كما في العام الاول
وهذه عادتها بتقدير العزيز العليم واما دود القز التي يكون على
رؤس الاشجار في الجبال فانها اذا شبعت من الرعي في ايام الربيع
وسمنت اخذت تنسج على نفسها من لعابها مثيبه العش والكن ثم
ينام فيها اياما معلومة فاذا اشتدت طرحت البيض ايضا في
داخل ذلك الكن الذي نسجت على نفسها ثم ينقب ويخرج منها
وسدت ذلك النقب ثم يخرج لها اجنحه فيطير فياكلها الطيور
واما يموت من الحر والبرد والثلج والمطر وبقي ذلك البيض في تلك
الاكنان محرزه ايام الصيف والخريف والشتاء الى ان يحول الحول
ويجئ ايام الربيع فيصير من ذلك الوقت البيض ديدانا صغارا ويخرج
من تلك النقب ويدب على ورق الاشجار اياما معلومة فاذا قويت
اخذت تنسج على نفسها من لعابها كما في العام الاول وهذا دابها
وعادتها بتقدير الحكيم العليم فسبحان من هدى كل واحد من هذه
الحيوانات الى هذه الاعمال واعلم ان الاستدلال باحوال هذه
الحيوانات مختلفة الصور متفقه بعضها كثيرة الآلات
والادوات وبعضها قليلة الآلات فكما اعطى الفيل الجثة
العظيمة والبنيه القوية الشديدة حتى تدفع عن نفسه المكارة

فكذلك

فكذلك اعطى البقه على صغر جثتها حناجين لطيفين حتى قدرت
بهما على سرعة الطيران وتناول الغذاء بخرطومها فصار
الصغير والكبير في هبة الواهب متساوية وفي جذب المنافع
والاحتراز عن المضار متشاكلة بل ههنا لطيفة عجيبة
وهي انك ترى ما كان منها اصغر جثة واقل جلة كان اكثر راحة
واطيب نفسا واقل اضطرابا في جذب المنافع والاحتراز
عن المضار بما هو اعظم جثة واقوى قوة بيانه ان منها ما كان
القوة كاملة البنيه يدفع عن نفسه المكارة بالقهر والغلبة
كالاسد والفيل ومنها ما يدفع عن نفسه المكارة بالفرار
وسرعة العدو كالغزلان والارانب ومنها ما يدفع المكارة
عن نفسه بالطيران في الجو كالطيور ومنها بالغوص في الماء
ومنها بالاختفاء في النقب والاجحرة كالفار والنمل كما قال
يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم واما طلبها المنافع فتارة بقوة
البصر وتارة بقوة الشم وتارة بقوة السمع كالنسر فاما هذه
الحيوانات الصغار الجثة الضعاف القوى والبنيه ليس لها
شئ من الادوات والالات والاحساسات كالديدان الصغار
وما اشبهها فانها خلقت في اماكن كثيرة ومواضع حريرة اما
في النبات وجب النبات او في جوف الحيوانات او في الطين
او في السرقين وجعل غذاؤها محيطا بها وجعل في جميع اجزاء
منها قوى جاذبة تمتص الرطوبات المغذية لها المقوية لابدانها
ولم يحوجها الى الطلب ولا الى الهرب فسبحان الخالق العظيم الذي

الشبكة
الألوكة
www.alukah.net

اعطى كل شئ مصلحة ويروى ان البسملة التى اوحى فيها الى موسى
كان قلب موسى كلفا باحوال زوجته فاوحى الله تعالى اليه
فقال اضرب بعصاك على ذلك الحجر ضرب فخرج منه حجر آخر
ثم ضرب العصا فخرج منه حجر آخر فضرب العصا فخرجت منه
دودة فى غاية الصغر وفى فمها مقدار ذرة من ورق الشجر
فرفع الحجاب عن سمع موسى فكانت تقول سبحان من يرانى ويسمع
كلامى ويذكرنى ولا ينسانى الوجه الثانى فى الاستدلال
باحوال هذه الحيوانات كثيرة جدا يقال ان حيوانات البحر
ستمائة نوع وحيوانات البر خمسمائة واحدها هو البشر
واذا كان كذلك فكيف يمكن الاطلاع على احوالها وعجايب
صفاتها الآن وجه الاستدلال بها على وجود الصانع الحكيم
ظاهر وذلك لانه لو كان السبب لوجودها هو تركيب الطبايع
وتاثير الافلاك والكواكب فذلك بالنسبة الى الكل على السوية
بل صريح العقل يشهد باختصاص كل واحد منها بما له من
الاعضاء والقوى والصفات والاشكال لابد وان يكون
بتدبير مدبر قادر حكيم يخلق الاشياء بقدرته ويدبرها
بحكمته وقد نبه الله تعالى فى القرآن على عجز البشر عن معرفة
احوال الحيوانات فى سورة النحل فى قوله والانعام خلقها لكم
فيها دفء الى قوله ويخلق ما لا تعلمون والمعنى انا شرحنا لكم بعض
الحيوانات فاما شرح احوال الكل فذلك ما لا يليق بعقولكم بل
يجب تفويض معرفتها الى خالقها فلهذا ختم الكلام فى شرح احوال

الحيوانات

الحيوانات بقوله ويخلق ما لا تعلمون وثانيها قال فى النور
الم تر ان الله يسبح له من فى السموات والارض والطير صافات
كل قد علم صلوته وتسبيحه الاية ثم قال بعد وتلله ملك السموات
والارض والى الله المصير وفيه فايدتان الفايدة الاولى انه
مع وجازته دل على تمام معرفة المبداء والمعاد قوله ولله ملك
السموات والارض تنبيه على ان الكل منه لان كل ما سواه ممكن
ومحدث والممكن والمحدث لا يوجد الا عند انتهاء الى قدرة
الواجب فى وجوده الازلى فى بقوته ثم ان حدوث هذه الحيوانات
دال على قدرة الصانع ووقوع حدوثها على جهة الاحكام والاتقان
دال على علم الصانع وحكمته فكان حدوث هذه الحيوانات من
ادل الدلايل على كونه سبحانه ملكا بالحق مالكا بالصدق فلهذا قال
ولله ملك السموات ثم قوله والى الله المصير دال على ان المعاد حق
وان الحشر والنشر والبعث حق حتى يظهر فى ذلك اليوم تباع افعال
هذا اليوم والفايدة الثانية انه شرح احوال بعض الحيوانات
على سبيل التفصيل وهو قوله والطير صافات كل قد علم صلوته
وتسبيحه ثم ذكر بعد ذلك تفصيل هذا الكلام المجمل وهو قوله ولله
ملك السموات والارض كان ذكر هذا المجمل بعد ذلك المفصل بينهما
دليلا على انه لا سبيل للقوى البشرية على الوقوف على تمام تلك
التفاصيل وثالثها قال تعالى ايضا فى هذه السورة والله خلق
كل دابة من ماء الى قوله فمنهم من يمشى على اربع ثم قال بعد ذلك
يخلق الله ما يشاء ان الله على كل شئ قدير وذلك لانه تعالى ذكر

شبكة الألوكة
www.alukah.net

انقسام الحيوان الى هذه الانقسام وهو كلام تفصيلي ثم انه تعالى
اردفه بالكلام المجمل وهو قوله يخلق الله ما يشاء والمقصود
التنبيه على انه لا سبيل للبشر الى معرفة هذه التفاصيل
وقد ذكرنا في الفصول المتقدمة انه في شرح احوال الافلاك
جرى على هذا المنهاج فقال في آل عمران ويتفكرون
في خلق السموات والارض اي يطلبون معرفة الحكمة في كل
واحد منها ثم عدل الى التعظيم الاجمالي وهو قوله ربنا ما
خلقت هذا باطلا وقال في الاعراف والشمس والقمر والنجوم
مسخرات بامره ثم عدل منه الى التعظيم المجمل فقال الا له الخلق
والامر تبارك الله رب العالمين والمقصود من هذه الآيات
التنبيه على انه لا سبيل للعقول البشرية الى الاطلاع على تمام
الحكمة الالهية في تدبير العالم العلوي والسفلي بل الواجب
تفويض اسرارها الى علمه المحيط بالعيوب المقدس عن النقصانات
والعيوب كما قال وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو وههنا
سوالات السوال الاول قال تعالى في سورة الانعام وما من دابة
في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم فظاهر
هذه الاية توهم مذهب التناسخ من وجوه الاول ان قوله
الا امم امثالكم يقتضي حصول المماثلة بينها وبينها في الروح
والعقل والادراك والتكليف والثاني انه ثبت بهذه الاية
ان كل نوع من انواع هذه الحيوانات امة واذا ثبت هذا وجب
ان يحصل في كل واحد منها رسول ونذير لقوله تعالى وان من امة

الا خلا فيها نذير والانذار لا يتحقق الا في حق العقلاء المكلفين
وهذا يقتضي كون هذه الحيوانات عارفة ربها مكلفة
بالطاعات والثالث انه ما روى عن ابي الدرداء انه قال
انتهت عقول البهائم على كل شيء الا عن معرفة اربعة اشياء
معرفة الرب والسعي في طلب الرزق ومعرفة الذكر والانثى
واهتمام كل واحد منها بامر صاحبه والجواب ان لفظ المثل لا
يقتضي حصول المماثلة في كل الامور فاذا حملنا الاية على المثلية
ولو في شيء واحد فقد وفينا بمقتضى اللفظ ثم اختلف المفسرون
في معنى المثلية على وجوه الاول انها امثالكم في كونها امما وجماعات
فكان المراد من هذا كونها انواعا مختلفة واقساما متباينة
في الخلق والخلق والطبيعة والشكل والثاني ان المراد انها امثالكم
في كونها مخلوقة لله تعالى وفي انه سبحانه تكفل بارزاقها كما
قال وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والثالث
انها امثالكم في ان مقادير اعمالها معلومة لله مع انها خالية
عن التكليف وخوف العقاب فاحذروا انتم ايها البشر المكلفون
فانكم باحصاء الله اعمالكم اولى الرابع انها امثالكم في انها محشورة
يوم القيامة والله يقضي بينهم بالحق كما يقضي للانسان دليله ما
روي في الحديث انه تعالى يقتص للجماء من القرناء الخامس انه لا يبعد
حمل الآية على جميع ما ذكرنا من الوجوه لانه لا مخصص ولان على
هذا التقدير يكون الفائدة اكثر والجواب اما التمسك بقوله
تعالى وان من امة الا خلا فيها نذير فالجواب انه مخصوص

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بالامة الموصوفة بالعقل بالدلايل العقلية وباجماع الامة
السوال الثاني ما الحكمة في خلق الحيوانات الموذية كالحيات
والعقارب والذيب والاسد والوجه المعتمد عندنا في الجواب
انه تعالى مالك الملك والمالك له ان يفعل ما يشاء ويحكم
ما يريد الا انا نذكرها هنا وجوها اخر فالاول انه تعالى رغب
المكلفين في الطاعات بان وعدهم عليها بالثواب وزجرهم
عن المعاصي بان اوعدهم عليها بالعقاب فلا بد وان يشاهد
في الحال شيئا يشبه الثواب وشيئا يشبه العقاب حتى تكامل
رغبتهم في طلب الثواب ونفرتهم عن الهرب من العقاب فلاجرم
ما ظهر في الدنيا انواع اللذات وانواع المحن والآفات ليكون
ذلك كالمعرف لاحوال الثواب والعقاب وقد نبه الله تعالى
على ذلك في قوله افرايتم النار التي تورون انتم انشاتم
شجرتها الاية الى قوله للمقوين اي جعلنا النار سببا للمنافع
في الدنيا وجعلناها ايضا تذكرة للعذاب في الآخرة الثاني
انه تعالى خلق الذيب بحيث يفرس الغنم ثم ان الانسان بالغ
في صون غنمه عن الذيب فاذا بالغ في هذا الحفظ مع ان هذه
المضرة قليلة فبان يبالغ في صون طاعته عن الشبهات والشهوات
مع ان نتايج تلك المضرة عظيمة كان ذلك اولى الثالث
الانسان اذا احترز عن سم الحية الافعى فلان يحترز عن سم
الكفر والبدعة والفواحش والذنوب مع شدة الالام الحاصلة
منها وطول مدتها كان ذلك اولى **الفصل الثاني**

في الاستدلال باحوال الطيور على وجود الصانع الحكيم سبحانه
وتعالى علم انه تعالى ذكر الاستدلال بوقوف الطير في الهواء
على وجود الصانع المختار في مواضع من القران احدها قال
في النحل اولم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن
الا الله وثانيها قال في النور الم تر ان الله يسبح له من في
السموات والارض والطير صافات وثالثها قال في سورة
الملك اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن اما الاية
الاولى فنقول قرا ابن عامر وحمزة والكسائي ولم تروا على
سبيل المخاطبة والباقون بالياء على الحكاية لمن تقدم ذكره
حجة من قرأها على المخاطبة ان ما قبل هذه الاية وما بعدها
ايضا مخاطبة اما ان ما قبلها مخاطبة فهو قوله تعالى والله
اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا واما ان ما بعدها
مخاطبة ايضا فهو قوله تعالى والله جعل لكم من بيوتكم سكنا
واذا ثبت ان ما قبل هذه الاية وما بعدها جا على سبيل المخاطبة
وجب مجيء هذه الاية ايضا على سبيل المخاطبة حتى يكون النسق
واحدا في الكل وحجة القراة الثانية ان الغرض من هذه الاية
الارشاد الى الدليل والارشاد انما يحتاج اليه الجاهل
لا العالم فوجب ان نحمل هذا على لفظ المغاسة صرفا له الى
الكفار والمنكرين قلنا نحن لا ننكر احتمال ما ذكرتم الا ان
ما قلناه ايضا يحتمل لان الدليل كما يذكر للمنكر حتى يصير مقرا
فكذلك قد يذكر للمقر حتى يزداد ايمانا على الايمان وعرفانا

شبكة الألوكة www.alukah.net

على العرفان وهذه السورة مشتملة على دلايل كثيرة ولا شك
ان المقصود منها هو التاكيد بسبب تكثير الدلايل واذا عرفت
هذا فنقول قوله تعالى ولم يروا معناه اولم يعلموا والدليل
عليه انه سبحانه عدى الرؤية في هذه الاية الى شيئين احدهما
كون الطير مسخرة في جو السماء ومن المعلوم ان كونها مسخرة يعلم
ولا يرى والثاني قوله ما يمسكهن الا الله والمراد من كونها
مسخرة انها في نفسها اجرام ثقيلة والجرم الثقيل بكون هاويا
بالطبع الا ان قدرة الله غالبة على جميع الطبايع والخواص فهو
بقدرته يبشل الثقيل الى فوق وينزل الخفيف الى تحت من غير ان
يشق عليه هذا الفعل ومن غير ان تعب بسببه وكيف والسموات
السبعة مع ما فيها من الشمس والقمر التي لا تعلم مقادير نفعها
الا الله والارض ما فيها من البحار والجبال والحيوان والنبات
هو تعالى يمسكها بقدرته ويمسكها بقدرته كما قال تعالى الله
الذي رفع السموات بغير عمد ترونها فاذا قدر على تسكين هذه
الاجسام العظيمة من غير تعب ولا مشقة فكيف لا يقدر على
امساك اجرام الطيور في الهواء كما قال واذ نتقنا الجبل فوقهم
كانه ظلة فههنا قدرته على امساك الطير في الهواء اولى واذا عرفت
هذا فنقول ظهر الفرق بين كون الطير مسخرة في جو السماء وبين
كونها واقفة هناك بامساكه وتسكينه فهذا هو الكلام في
هذه الاية واما الاية المذكورة في سورة النور وهي قوله الم تر
ان الله يسبح له من في السموات والارض فظاهر قوله الم تر

خطاب مع الرسول فلاجرم اشتملت هذه الاية على فوايد
زايدة على ما في الآية الاولى ولها قوله يسبح له من في السموات
وفي هذا التسبيح ثلثة اقوال وذلك لان التسبيح المذكور
ههنا اما ان يكون المراد منه دلالة هذه الاشياء على قدرة
وقدسه وعزته وعظمته واما ان يكون المراد منه
دلالة هذه الاشياء على انها تنطق بالتسبيح واما ان يكون
المراد منه حصول هذه الدلالة في حق البعض وحصول هذا
النطق في حق الباقين والقسم الاول اقرب اما القسم
الثاني ففيه اشكال لان بعضا من سكان الارض ليسوا بمكلفين
وهم الاطفال والمجانين وهؤلاء لا يسبحون باللسان واما
المكلفون ممن في الارض ففيهم من لا يسبح لهذا التفسير وهم
الكفار واما تفسير تكون هذه الاشياء دالة على التسبيحة
والعظمة فهذا عام في حق كل الممكنات وهو المراد ايضا من قوله
وان من شيء الا يسبح بحمده فان قيل التسبيح بهذا المعنى حاصل
في كل المحدثات والممكنات فما وجب تخصيصه في هذه الآية بالعقلاء
الجواب لان خلقة العقلاء اكثر دلالة على وجود الصانع سبحانه
لان العجايب والغرايب في خلقتهم اكثر وهي العقل والنطق
وثانيها قوله تعالى والطير صافات فلقائل ان يقول ما وجه
اتصال هذا بما قبله والجواب انه سبحانه لما ذكر ان اهل
السموات يسبحون واهل الارض وهي الطيور فهي ايضا مسبحة
لله تعالى وذلك لان ابدان هذه الطيور اجرام ثقيلة ثم انه سبحانه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

اعطاها قوى تقوى بها على الوقوف في جو السما، صافة باسطة
اجنحتها وذلك من اعظم الدلايل على كمال قدرة الصانع ونهاية
علمه وحكمته واعلم ان هذا الوصف قد وصف الله الملايكة
فقال والصافات صفا وترى الملايكة حافين وايضا
وصفوا انفسهم بهذا الوصف فقالوا وانا لنحن الصافون
وانا لنحن المسبحون وبالجملة فهذا يشعر بكون الصافين واقفين
في موقف الهيبة ومقام العظمة مشتغلين بتسبيح جلال الله
وعظمته وكبريايه على وجه الخشوع والخضوع ونالها قوله
تعالى كل قد علم صلوته وتسبيحه وهذا قول جماعة من اصحاب
الاخبار قال ابو ثابت كنت جالسا عند ابي جعفر الباقر رضي الله عنه
فقال اتدري ما تقول هذه العصافير عند طلوع الشمس
وبعد طلوع الشمس قلت لا قال انها تقدس ربها وتسأله
قوت يومها ورابعها ان يكون معنى الاية كل مسبح قد علم صلوته
وتسبيحه الذي كلفه الله بها فهذا تاويل لفظ الاية والكلام
الذي لا بد من البحث عندي في الاية انه هل يحتمل ان يكون
الطيور وايها يعلم عارفة بربها اما لا فاكثر ارباب الآثار
والاخبار جوزوا ذلك واحتجوا عليه بان كون هذه الطيور
عارفة بربها مشتغلة بتسبيح ربها امر جايز في العقول
والنصوص وردت بوقوعها فوجب الاعتراف بذلك اما
الجواز العقلي فيدل عليه وجهان احدهما الاجمال والثاني
التفصيل اما الاجمال فهو ان حصول العلم والفهم في ذوات

هذه

هذه الحيوانات من جملة الممكنات والله تعالى قادر على كل الممكنات
واذا لاحت المقدمتان وجب القطع بهذا الجواز واما التفصيل
فهو انا نشاهد من هذه الحيوانات افعالا لا تحصل الا من العقلاء
وذلك يدل على كونها مماثلة ومتى كان الامر كذلك ثبت جواز
كونها عارفة بربها وبيان ما ذكرنا وجوه الاول ان الفارة
تدخل في قارورة الدهن ثم تلحسه وهذا الفعل لا يصدر
عنها الا لعلمها بقياس مركب من مقدمات وهي انها محتاجة
الى الدهن وان راسها لا يدخل في القارورة وذنبها يدخل
والمقصود حاصل بهذا الطريق فوجب الاقدام عليه الثاني
ان النحل يبني البيوت المسدسة ولم تفعل الا لعلمها بانها محتاجة
الى ان يبني بيوتا من اشكال موصوفة بصفتين احديهما ان لا يكون
زواياها مضيقة حتى لا تبقى المواضع المضيقة معطلا والثاني
ان تلك البيوت مشكلة باشكال متى انضم بعضها الى بعض لم تبق
العرصة منها ولا تبقى شيئا من ذلك ضايعا ثم انها علمت ان
الشكل الموصوف بهاتين الصفتين هو المسدس فقط وذلك
لان المثلثات والمربعات وان كان يمكن ان يملا العرصة
بل يبقى فيها فرجة خالية ضايعة واما المسدس فهو موصوف
بهاتين الصفتين فاقدامها على تسديس بيوتها مبني على علمها
بانه لا بد وان يكون موصوفا بهاتين الصفتين فلا جرم علمت
ان البيت الموافق له هو المسدس ثم انه تعالى اعطاه من الذكاء
ما قدرته على بناء البيوت المسدسة واصحاب العقل من البشر لا

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تقدرون على بناء البيوت المسدسة الا بعد التعليم وحصول
الات كثيرة فظهر ان علم النحل بهذه الحقايق وقدرته على بناء
هذا البيت ازيد من عقل البشر وقدرته والثالث ان النمل يسعى في
تحصيل الذخيرة وكان ذلك لعلمه بانها تحتاج في الازمنة
المستقبلة الى الغذاء ولا يكون قادرا على تحصيله في تلك
الاوقات فوجب السعي في تحصيله في هذا الوقت الذي حصلت
فيه القدرة للادخار والرابع ان العنكبوت تبني بيوتها على وجه
عجيب وانها ما نجحت الشبكة التي في مصيدتها الا بعد ان
تفكرت كيف يمكنها اصطياد الذباب فهذه افعال فكرية ليست
اقل من الافعال الفكرية الانسانية فوجب الاقرار بثبوت
العقل لها الخامس ان الجمل والحمار اذا ذهبا في طريق ليلة ظلماء
فني المرة الثانية يقدران على سلوك ذلك الطريق من غير ارشاد
مرشد حتى ان الناس اذا ضلوا في ذلك الطريق قدموا الحمار
والجمل وتبعوه وجدوا الطريق المستقيم عند متابعته وايضا
ان الانسان لا يمكنه المشي من بلد الى بلد مشيا سويا من غير غلط
ولا خطاء والكراكي ينتقل من طرف العالم الى طرف اخر من غير
ان يضل لطلب الهواء الموافق فهذا فعل يعجز عنه العقل البشري
وهي قادرة عليه السادس ان الدب اذا اراد ان يفترس الثور
لا يمكنه ان يقصده ظاهرا فيقال انه يستلقي ولا يزال ينهس
ما بين ذراعيه حتى يحميه والثاني انه ياخذ العصا ويضرب
الانسان حتى يتوهم انه مات فيتركه وربما عاد فيحس نفسه

وايضا يصعد الشجر اخف صعود ويهشم الجوز بين كفيه
تعريضا بالواحد ويصدمها بالاخرى ثم ينفخ فيذر قشره
ويأكل لبه السابع يقال الفرس كل واحد منه يعرف صوت
الفرس الذي قابله والكلاب تعالج بالعنه المعروفة بها والفهد
اذا سقي الدواء المعروف بخانق الفهد طلب ذيل الانسان ياكل
والتماسيح يفتح افواهها للطير يقع عليها كالعقعق حتى يطف
ذلك الطير ما بين اسنانها على ذلك الطير شيء كالشوك فاذا هم
التمساح بالتقام ذلك الطير ناذى من ذلك الشوك ففتح فاه
فخرج الطير والسلحفاة يتناول بعد اكل الحية سعتر اجليا
ثم يعود وحكى بعض الثقات المحبين للصيد انه شاهد الحباري
يقاتل الافعى وينهزم عنه الى بقلة يتناول منها ثم يعود لا يزال
ذلك فعله وذلك الشيخ قاعدا في كن غار كما يفعله الصيادون
وكانت البقلة قريبة من ذلك الموضع فلما اشتغل الحباري
بالافعى الى الرجل البقلة فعاد الحباري الى منها فاخذت
تدور حول منتها دورا تاما متتابعا حتى خرجت بينة فعلم
الرجل انها كانت يعالج باكلها من لسعة الافعى وتلك البقلة
هي الخس البري واما ابن عرس فيستظهر في اكل الحية باكل السذاب
مما ينفر عنه الافعى والكلاب اذا تردد بطونها اكلت
سنبل الحنطة واذا جرحت اللقالق بعضها بعضا داوت
تلك الجراحات بالسعتر الجبلي فانظر من اين حصل لهذه الحيوانات
هذا الطب وهذا العلاج الثامن ان لقنا فقد تحسن من يج

الألوكة
www.alukah.net

الشمال والجنوب قبل الهبوب فيفر المدخل الى مجراتها حتى انه
كان بالقسطنطية رجل قد اثرى بسبب انه كان ينذر
بالرياح قبل هبوبها وينتفع الناس بانذاره وكان السبب
فيه انه كان في داره فنقد يفعل الفعل المذكور الناسع
ان الخطاف صناع حسن في اتخاذ العش لنفسه من الطين
وفلقه الخشب فان عوزه الطين بتل وتمرغ في التراب
لتحمل جناحاه قدرا من الطين فاذا فرخ بالغ في تعهد الفراخ
وياخذ رزقها بمنقارها ويرميها عن العش ثم يعلمها القاء
الرزق بخوطرف العش العاشر اذا دنا الصايد من مكان
فراخ القمحه ظهرت له القمحه وقربت منه مطمعة له لاجل
ان يتبعها ثم يذهب الى جانب اخر سوى جانب فراخها الحادي عشر
ناقر الخشب فلما يجلس على وجه الارض بل يجلس على الشجر ونقب
الخشب الذي يعلم ان فيه الدود الثاني عشر الغرانيق يصعد
في الجواجد عند الطيران فان حجب بعضها عن بعض حجاب
كضباب وسحاب احدثت عن اجنحتها حفيفا مسموعا يلزم
بسبب ذلك الصوت بعضها بعضا واذا نامت نامت على
فرد رجل قد اصطفت الرؤس الى القايد فانه ينام مكشوف
الراس فيسرع انتباهه فاذا سمع صوتا او احس صياح
الثالث عشر ان النعامة اذا اجتمعت لها من بيضها عشرون
قسمتها ثلثة اقسام ثلثا تدفنها في التراب وثلثا يتركها
في الشمس وثلثا تحضنه فاذا خرجت فراخها كسرن ما كان

في الشمس وسقت فراخها ما فيها من تلك الرطوبات التي ذوبتها
الشمس واذا اشتدت فراخها وقويت اخرجت المدفون في
الارض وفتحت لها ثقبا وقد اجتمع فيها الذبان والحشرات
ثم يطعمه لفراخها فاذا تناولت ذلك قويت وقدرت على الرعي
فقل لي اي العاقل اي امراة اهدت في تربية اولادها الى مثل
هذه الحيلة واعلم ان الاستقصاء في هذا الباب مذكور في
كتاب طبايع الحيوان وهذا التقدير يدل على ان هذه الحيوانات
قد تاتي بافعال تعجز عنها اكثر الاذكياء والعقلاء ولولا كونها
عاقلة لما صح منها شيء من ذلك واذا ثبت كونها مهندسة
عارفة بهذه الدقايق فاي بعد في كونها عارفة بربها مسبحة
لمالكها فثبت بمجموع ما ذكرنا ان الامكان حاصل واما النصوص
الدالة على فصول هذه المعرفة فكثيرة الحجة الاولى قوله تعالى
حكاية عن سليمان يا ايها الناس علمنا منطق الطير الحجة الثانية
قوله تعالى حتى اذا اتوا على وادي النمل الاية الحجة الثالثة
قوله تعالى وتفقد الطير الاية الى قوله بسلطان مبين وهذا
التهديد والوعيد لا يحسن الا مع الفاهم العاقل الحجة الرابعة
قوله تعالى حكاية عن الهدهد فقال احطت بما لم تحط به الى
قوله لا يهتدون وهذا الترتيب في ايراد الكلام لا يحسن ولا
يتاتى الا من العاقل الذي يكون في غاية الذكاء وذلك لان
اشد الاشياء اخذا لقلوب الرجال امر النساء وهذا السبب
بداء تعالى بذكر النساء في قوله زين للناس حب الشهوات من النساء

الشبكة الألوكة www.alukah.net

فلما لم يلتفت سليمان عليه السلام الى ذكر المراة ثنى الهدهد
بذكر المال فقال وتيت من كل شئ فلم يلتفت ايضا سليمان
فثلث بذكر الجاه والملك العظيم فقال ولها عرش عظيم فلما
لم يلتفت سليمان الى شئ من امور الدنيا ربع الهدهد بما يتعلق
من امر الدين فقال وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون
الله ومعلوم ان هذا الترتيب لا يتاتى الا مع الذكاء العظيم
الحجة الخامسة ظاهر الاية التى نحن فى تفسيرها وهو قوله
كل قد علم صلوته وتسبيحه فانه يدل على ان كل الطير التى هى
صافات فى السماء قد علم صلوته وتسبيحه الحجة السادسة
قوله تعالى فى قصة داود يا جبال اوبى معه والطير والتكليف
لا يتوجه الا على العاقل الحجة السابعة قصة قابيل وهو
وهابيل وهو قوله فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه الاية
فثبت بما ذكرنا ان التجارب دلت على امكان كونها عارفة
بربها وثبت بهذه النصوص كونها عاقلة بربها فوجب الاعتراف
بذلك هذا تمام حجة القائلين بانها عارفة بربها واحتج من انكر
كونها عاقلة عارفة بانها لو كانت عاقلة لكان اثار العقل
ظاهرا فى حقها لان ايجاد العقل لها مع انه لا يظهر اثره فى حقها
عبث وذلك لا يليق بحكمة الحكيم ولكنا نرى اثار العقل حاصلة
فى شئ منها لانها لا يحترز عن الافعال القبيحة ولا تميز بين
ما ينفعها ويضرها فوجب القطع بانها غير عاقلة اجاب
الادلون بان المتكلمين لما استدلوا بدليل الاحكام والاتقان

على كونها تعالى عالما اوردوا على انفسهم اشكالا وهو انا نرى
فى العالم افعالا خالية عن الاحكام والاتقان فوجب ان يدل
ذلك على جهل الفاعل فاجابوا عن ذلك بان الاحكام والاتقان
يدل على علم الفاعل اما عدم الاحكام والاتقان لا يدل
على الجهل لان الجاهل لا يمكنه الفعل المحكم اما العالم فيمكنه
الفعل الخالى عن الاحكام قلنا ههنا نشاهد صدور الفعل
المحكم عن هذه الحيوانات ونشاهد ايضا صدور افعال غير
محكمة عنها فيكون افعالها المحكمة دالة على عقلها اما الافعال
التى ليست محكمة لا يدل على عدم عقلها فهذا تمام الكلام فى
هذا الموضع والاية الثالثة فى هذا الباب قوله تعالى فى سورة
الملك اولم يروا الى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن
الا الرحمن فقوله صافات اى باسطات اجنحتهن فى الجو عند
طيرانها ويقبضن اى ويضمها اذا ضربن بجنوبهن السؤال
الاول لم قال ويقبضن ولم يقل قابضات حتى يكون مطابقا
لقوله صافات والجواب لانا الطيران فى الهواء يشبه السباحة
فى الماء والاصل فى السباحة مد الاطراف وبسطها واما
القبض فطارئ على البسط للاستظهار به على الحركة والاسم
يدل على الثبات والاستقرار والفعل يدل على التجدد فعبر
عن البسط بقوله صافات ليدل لفظ الاسم على ان هذا هو
الاصل وعبر عن القبض بلفظ الفعل ليدل على ان هذا القبض
تبع وعلى انه يصدر القبض من الطير تارة بعد تارة كما يكون

شبكة الألوكة
www.alukah.net

من السالح نظيره ما يقال فلان رجل مناظر ويشعر فهذا يدل
على ان حرفته هي المناظرة ثم انه قد يشعر في بعض الاوقات
وكذا ههنا ثم قال ما يمسكهن الا الرحمن وذلك لانها مع ثقلها
وضخامة اجسامها وضعف مغنها وقلة اهتدائها الى
الفرق بين المصلحة والمفسدة لا يمكنها البقاء في جو الهواء الا
بامساك الله تعالى السؤال الثاني انه تعالى قال في سورة النحل
اولم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله
وقال ههنا ما يمسكهن الا الرحمن فما الفرق والجواب ذكر في
النحل ان الطير مسخرات في جو السماء فلا جرم كان امساكها
هناك بمحض الالهية وذكر ههنا انها صافات وقابضات
فكان الهامها الى التصفيف والقبض على الوجه المطابق للمصلحة
والمنفعة من كمال رحمته ثم قال انه بكل شئ بصير فالمراد من البصير
كونه تعالى عالما بالاشياء الدقيقة وحاصل الامر ان امساكها
في جو السماء فعل على خلاف الطبايع وهو موافق للمصلحة فدل
كونها على خلاف الطبيعة على وجود مدبر قادر قاهر قلب
الطبايع وابطل الخواص ودل كون هذا الفعل محكما متقنا
مطابقا للمصلحة على كون ذلك المدبر القادر عالما بجميع
المعلومات لا تغرب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في
السماء فهذا ما يتعلق بهذا البحث يروى ان الشبلي راى طوطيا
في القفص وكان يقول سبحان من صورني وفي الهوا طيرني
وفي القفص صيرني سكون ما قضى سخط العبد ما رضى فاشتراه

الشبلي بثمن كثير واخرجه من القفص وخلصه وقال استحيي
ان اترك من يسبح الله مسجونا الهنا ان الشبلي خلص ذلك الطير
لانه سبحك فنحن المساكين يسبحك منا ول عمرنا من صميم قلبنا
فخلصنا من اليم عقابك يا حنان يا منان **الفصل الثالث**
في البحث عن احوال اربعة انواع من الطيور الخفاش والطاوس
والطوطي والعندليب ولا بد المومنين رضي الله عنه
خطبتان جليلتان في خلقه الخفاش والطاوس فنقول اما
الخفاش فقد خلقه الله تعالى معجزة لعيسى عليه السلام قال
تعالى اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير روى ان عيسى عليه السلام
لما ادعى النبوة واظهر المعجزات اخذوا يتعنتون عليه فطالبوه
بخلقه خفاش فاخذ طينا وصوره ثم نفخ فيه فاذا هو يطير
بين السماء والارض قال وهب كان يطير ما دام الناس ينظرون
اليه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتا ثم اختلف الناس
فقال قوم انه عليه السلام لم يخلق غير الخفاش ولاجله
قرانا فع فيكون طايرا باذن الله على الواحد وقال الآخرون
انه خلق انواعا من الطير فلهذا قرا الباقون فيكون طيرا لانه
اسم جنس يقع على الواحد والجمع وانما قال باذن الله اشارة
الى تكوينه وتخليقه كقوله وما كان لنفس ان تموت الا باذن
الله وقال وهو الذي خلق الموت والحيوة وانما ذكر عيسى عليه السلام
هذا القيد لازالة الشبهة ونبتها على ان الذي عمله انما هو
التصوير فاما خلق الحيوة فهو من الله على سبيل اظهار المعجز

الفصل الرابع في البعوضة قال تعالى في اول البقرة
ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها الآية
وفيه ابحاث البحث الاول ذكروا في سبب نزول هذه الآية
اقوالا الاول قال ابن عباس لما نزل قوله يا ايها الناس ضرب
مثل فاستمعوا له وطعن في الاصنام ثم شبه عبادتها
ببيت العنكبوت قالت اليهود واى قدر للعنكبوت والذباب
حتى يضرب الله المثل بهما فنزلت هذه الآية والقول الثاني
ان المنافقين طعنوا في ضرب المثل بالنار والظلمات والرعد
والبرق في قوله مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فنزلت
هذه الآية والقول الثالث ان هذا الطعن كان من المشركين قال
القفال والاقوال الثلثة كلها محتملة ههنا اما اليهود فلانه
تعالى قال في آخر الآية وما يضل به الا الفاسقين الذين الآية
وهذه صفة اليهود لانه تعالى قال بعد هذه الآية يا بني اسرائيل
اذكروا نعمتي الآية واما الكفار والمنافقون قال في المدثر
وليقول الذين في قلوبهم مرض الآية وهم المنافقون واما
الذين كفروا فمحتمل ان يكون هم المشركون لان السورة مكية
فثبت ان الكل محتمل البحث الثاني الحيا تغير وانكسار يحصل
في مزاج الانسان من خوف ما يعاب به ويذم الا ترى انه يقال
هلك فلان حيا من كذا ومات حيا وذات حيا ورايت الهلاك
في وجهه من شدة الحيا فاذا ثبت هذا كان الحيا من صفات
الاجسام والله تعالى ليس بجسم فكان الحيا محالا في حقه

الا انه ورد في القران والاخبار اما في القران فهي هذه الآية
وذلك لان ما لا يجوز ثبوته في حق الله لا يجوز اطلاقه في حق الله
على طريقة النفي وانما الواجب ان يقال انه تعالى لا يوصف
فاما ان يقال لا يستحيي فغير جايز لانه يتوهم نفي ما يجوز
عليه وما ذكره في كتابه تعالى في قوله لا تاخذه سنة ولا
نوم وقوله لم يلد ولم يولد فهو وان كان في صورة
النفي الا انه ليس نفي على الحقيقة وكذا قوله تعالى ما اتخذ الله
من ولد وقوله وهو يطعم ولا يطعم وليس كل ما ورد في القران
اطلاقه جاز ان يطلقه الواحد منا فلا يجوز اطلاق هذه
الالفاظ الا مع بيان ان ذلك محال ولقايل ان يقول هذه
الصفات لما كانت منفية عن الله تعالى مع وجوب كونها
منتفية كان الاخبار عن انتفايها صدقا فوجب ان يجوز اطلاق
نفي ان يقال الاخبار عن انتفايها يوهم صحتها فنقول
هذه الدلالة ممنوعة لفظا لان تخصيص هذا النفي بالذكر لا
يدل على ثبوت صحته بل لو قرن باللفظ ما يدل على انتفاء الصحة
كان ذلك احسن من حيث انه يكون مبالغة في البيان وليس
اذا كان غيره احسن لزم ان يكون تركه قبيحا واما الخبر فما روي
سليمان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى
حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما صفرا
حتى يضع فيهما خيرا وقال ابن عباس في تفسير قوله تعالى
اولامستم النساء ان الله حيي كريم يكني عن الجميل بالحسن وان

شبكة الألوكة www.alukah.net

مما كنى ان قال ولا مستم النساء واعلم انه لما ثبت بالدليل انه
لا يمكن اجراء لفظ الحياء في حق الله تعالى على ظاهره وجب تاويله
وفيه وجهان الاول وهو القانون في امثال هذه الالفاظ
ان كل صفة يثبت للعبد مما يختص بالاجسام فاذا وصف الله
تعالى به فذلك محمول على نهايات الاغراض لا على بدايات الاغراض
مثاله ان الحياء حالة تحصل للانسان انكسارا وتغيرا في المزاج
فهذه الحالة لها مبدا وغاية اما المبداء فهو ذلك التغير
المزاجي واما النهاية فهو ان يترك الانسان ذلك الفعل فاذا
ورد الحياء في حق الله تعالى فليس المراد منه ذلك الانكسار
الذي هو المبدا بل المراد منه ترك الفعل الذي هو الغاية
وكذا الغضب له مقدمة وهو غليان دم القلب وشهوة
الانتقام وله غاية وهو انزال العذاب بالمغضوب عليه
واذا وصفنا الله بالغضب فليس المراد ذلك المبداء الذي
هو غليان دم القلب بل المراد تلك النهاية وهو انزال العقاب
فهذا هو القانون الكلي في هذا الباب والوجه الثاني ارتفع
هذه العبارة في كلام الكفرة فيقولون اما يستحيي رب محمد
ان يضرب المثل بالذباب والعنكبوت فجاء هذا الكلام على
سبيل اطباق الجواب على لفظ السؤال وهذا فن مشهور من
الكلام البحث الثالث هو ان شبهة هؤلاء الكفار اما ان
يقال انها وقعت من حيث انهم استبعدوا من الله ضرب المثل
او من حيث استبعدوا من الله ضرب المثل بالذباب والعنكبوت

وامثالها

وامثالها اما الاول فباطل لان ضرب المثل لتعريف المعاني
امر مستحسن في العرف والشرع والعقل اما في العرف فلان امثال
العرب كثيرة وايضا كتاب كليلة ودمنه اكثره امثال واما في
الشرع فلانه ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء الحقيرة قال
شبهه ملكوت السماء رجلا اخذ حبة خردل وهي اصغر الحبوب
وزرعها في قريته فلما نبتت عظمت حتى صارت اعظم شجرة من
البقول وجاء طير السماء فعشش في فروعها فكذلك الهدى ترد عا
اليه ضاعف الله اجره وعظمه ونجا به من اهتدى قال ايضا
لا يكونوا كثعلب يخرج منه الدقيق والطيب ويمسك الثعالة كذلك
انتم تخرج الحكمة من افواهكم ويبقى الغل في صدوركم وقال ايضا
قلوبكم كالحصاة التي لا ينضجها النار ولا يلينها الماء وقال
لا تدخروا ذخايركم حيث السوس والارضة فيفسدها ولا في
البرية حيث السموم واللصوص فيحرقها السموم ويسرقها اللصوص
ولكن ادخروا ذخايركم عند الله وقال ايضا يحفر الارض فتجد
دواب عليها لباسها وهناك رزقها وهنا لا يغزلن ولا يستحضن
ومنه ما هو في جوف الحجر الاصم او في جوف العود من راهن لباسهن
وارزاقهن الا الله افلا تعقلون وقال لا تشتروا الزنانير فيلد عندكم
كذلك لا تخاطر السفها فتشتمون فثبت ان الله تعالى ضرب
الامثال بهذه الاشياء الحقيرة واما ان ضرب الامثال مستحسن
في العقول فلان من طبع الخيال حب المحاكاة والتشبيه فاذا ذكر
المعنى وحده ادركه العقل ولكن مع منازعة الخيال واذا ذكر معه

شبكة الألوكة www.alukah.net

التشبيه ادركه العقل معاونة الخيال ولا شك ان الثاني
يكون اكمل وايضا فنحن نرى الانسان يذكر معنى ولا يلوح
كما نحن فاذا ذكر المثال اتضح وصار مستنا مكشوفا واذا كان
التمثيل يفيد زيادة البيان والوضوح كان ذكره مفيدا نافعا
واما ان قيل ان موضع الشبهة للقوم هو انهم استبعدوا
ان يضرب الله الامثال بهذه الاشياء الحقيرة فاعلم ان هذا
جهل لانه تعالى هو الذي خلق الكبير والصغير وحكمته في كل
ما خلق وبرأ عام لانه قد احكم جميعه وليس الصغير اسهل عليه
من العظيم ولا العظيم اصعب من الصغير واذا كان الكل بمنزلة واحدة
كان ضرب المثل بالكل جايزا حسنا بل المعين ما يليق بالقصة
واذا كان اللايق بها ضرب المثل بالبعوض والذباب فكان
الضرب فيها بالفيل والجمل غير جايز وههنا المقصود تقبيح
عبادة الاصنام فكان ضرب المثل بالذباب والعنكبوت اولى
ويدل عليه وجوه الاول انه تعالى خلق عباده ضعفا فقال
وخلق الانسان ضعيفا وقال الله الذي خلقكم من ضعف
فلاجرم ضرب لهم المثل بالاشياء الضعيفة لان الجنس
اقرب الى الجنس قال عليه السلام امرت ان اكلم الناس على قدر
عقولهم الثاني انه تعالى لم يستحي من خلقها ورزقها فاولى
ان لا يستحي من ذكرها وضرب المثل بها وكيف يستحي من ذكر
شيء لو اجتمع الخلايق على ان يخلقوا مثله ما قدروا عليه
قال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له

والثالث ان البعوضة تحيى اذا جاعت فاذا مصت الدم انشق
بطنها ومات وهذا تنبيه للانسان على انه اذا تم امر الانسان
فقد قرب اجله كما قيل اذا تم امر دنا نقصه توقع زوالا اذا قيل تم
واعلم ان المفسرين اختلفوا في لفظه ما في قوله ما بعوضة
فقال بعضهم انها دخلت زايدة كقوله فبما رحمة من الله لنت
لهم وقال ابو مسلم معاذ الله ان يكون في القرآن زيادة ولغو
لان الله تعالى وصف القرآن بكونه هدى وبيانا وكونه لغوا
ينافي ذلك وفي بعوضة قراءتان احدهما النصب وعلى هذه
القراءة فلفظة ما ابهامية والمعنى مثلا اي مثل كان واما على
قراءة الرفع ففيه وجهان الاول انها موصولة صلتها الجملة
والتقدير الذي هو بعوضة الا انه حذف المبتدا كما حذف في قوله
تماما على الذي احسن وتفصيلا اي الذي هو احسن والثاني
ان تكون استفهامية فانه لما قال تعالى ان الله لا يستحيي ان يضرب
مثلا كانه قال بعد ما بعوضة فما فوقها حتى لا يضرب المثل به
بالله تعالى ان يتمثل بما هو اقل منه اي من البعوضة كما يقال فلان
لا يبالي بما وهب دينارا او دينارين اي يهب ما هو اكثر منه واما
لفظة البعوض ففي اشتقاقه قولان الاول انه من البعض وهو
القطع بالبضع والعضب يقال بعضه البعوض ومنه بعض الشيء
لانه قطعة منه والبعوض في اصله صفة على فعول كالقطوع
فقلبت والقول الثاني ان اشتقاقه من بعض الشيء سمي لقلة
جرمه وصغره لان بعض الشيء قليل بالقياس الى كله اما قوله فما فوقها

شبكة الألوكة
www.alukah.net

ففيه قولان الاول فما هو اعظم منها في الجثة كالذباب
والعنكبوت والكلب والحمار وذلك لان القوم استبعدوا
تمثيل الله تعالى كل هذه الاشياء. والقول الثاني وهو اختيار
المحققين ان المراد فما فوقها في الصغر اي مما هو اصغر منها واحتجوا
على هذا القول بوجوه الحجة الاولى ان المقصود في هذا التمثيل
تحقير الاوثان وكلما كان المشبه به اشد حقارة كان المقصود
في هذا الباب الحجة الثانية ان المقصود من هذا الكلام بيان ان الله
تعالى لا يترك التمثيل بالشيء الحقير واذا كان الامر كذلك كان
المذكور ثانيا بحسب ان يكون اشد حقارة من الاول يقال ان فلانا
يحتمل الذل في اكتساب الدينار بل في اكتساب ما فوقه والمراد
ما فوقه في القلة الحجة الثالثة ان الشيء كلما كان اصغر كان
الاطلاع على اسراره اصعب فاذا كان في غاية الصغر لم يحط به
الا علم الله تعالى وكان التمثيل به اقوى واكمل في الدلالة على الحكمة
من التمثيل بالشيء الكبير البحث الرابع في شرح عجايب حكمة الله تعالى
في خلقه البعوض وبيانه من وجوه الاول ان اكثر الناس تعجبون
من خلقه الفيل ثم الفيل مع كبر جثته ليس له الا اربعة ارجل
خرطوم وذنب والبعوضة لها هذه الاعضاء مع مزيد زايدين
واربعة اجنحة ثم انها يشارك الفيل في جميع ذلك الخلق
والجوف واعضاء آخر لا يدركها ابصار الخلق ولا يحيط بها
الا علم الخالق سبحانه والثاني ان هذا البعوض مع غاية صغره
مسلط على الفيل والاسد بالايذاء ولا قدرة لهما على البعوض

وهذا

وهذا يدل على ان الاستيلاء على الغير ليس بالقوة والشدة
وكثرة العدد بل بنصرة الله وتاييده كما قال كم من فئة قليلة غلبت
فئة كثيرة باذن الله وقال ان ينصركم الله فلا غالب لكم الیس
ان نمرود كان اكبر ملوك بني آدم واطغاهم واعظمهم سلطانا
واشدهم صولة ثم ان بعوضة طارت الى دماغه وكانت
تؤذيه وتوقع دغدغة في دماغه فكان اكثر الناس محنة اليه
وشفقه عليه من يضرب على دماغه ما يصنعه بالشدة
والقوة او اكثر حتى يسكن تلك الدغدغة بل ان كنت ما شاهدت
نمرود ولا احواله فاعتبر بنفسك فانه اذا وقعت بعوضة
على راسك ووجهك فربما صنعت راسك ولطمت خدك
مرات وكرات يريد ان يصلها ثم انها تطير ولا يصيبها منك
آفة البتة ويبقى ضرر اللطم والصفع على خدك وراسك
الثالث ان الصانع البشري يقدر ان يصور فيلا من الخشب
او من الحديد ولا يقدر احد من الصناع ان يصور بعوضة
من الخشب ولا من الحديد فعلى هذا تكوين البعوضة اشرف
من الفيل من هذا الوجه وذلك لان الفيل والبعوضة يشتركان
في دلالة اجزاء كل واحد منهما على قدرة الصانع وحكمته
ثم ان كل ما حصل في الفيل من وجوه الدلائل فهو حاصل في
البعوضة وقد حصلت وجوه من الدلايل في البعوض فانا
بينا ان الصانع البشري يمكنه تصوير الفيل من هذا الوجه
ولا يمكنه تصوير البعوض فكانت البعوضة اشرف من الفيل

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بهذا الوجه فتامل انك ان اعتبرت الاعضاء الظاهرة فالبعوض
ازيد فيها من الفيل وان اعتبرت الاستيلاء والقهر فالبعوض
مسئول على الفيل والفيل لا قدرة له على البعوض وان اعتبرت
الدلالة على قدرة الله وحكمته فالبعوض ازيد من الفيل بالوجه
الذى ذكرنا فتعلم انه لا عبرة بالصور الظاهرة انما العبرة
باعانة الله وتاييده الرابع اعتبر قوة حواس البعوضة وكمال
معرفتها بمصالحها اما حس البصر فلان البعوض اذا جلس على عضو
من اعضاء الانسان فانه لا يزال يدير خرطومه من جانب
الى جانب حتى تجد الموضع المثقب من جلد الانسان فيه مسام
كثيرة يخرج منها النفس والعرق فهو يماس خرطومه يطلب
تلك الثقب واذا وجدها غوص خرطومه فيها فمن الذى هداه
الى مقصوده من جذب الدم ومن الذى عرفه ان بدن الانسان فيه
منافذ ومسام وان ادخال الخرطوم فى تلك المنافذ الموجودة يسهل
من احداث منفذ فى الجلدة اما حس السمع فلان البعوضة فى الليلة
الظلماء اذا وقعت على عضو الانسان فاذا حاول الانسان
تقريب اليد منها ليضربها احست بحركة اليد فطارت ولو بالغ
الانسان فى اخفاء حركة اليد فانها لابد وان تحس بتلك
فمن الذى اعطاها هذه القوة السامعة. بهذا الكمال ثم ههنا شيء آخر
وهو انها علمت ان نهض الدم من الجلد جناية عليه وايذاء له
وان الانسان لابد وان يقابل تلك الجناية ان يقصد قتلها
وايذاءها فالبعوضة لعلمها بهذا المعنى بقيت مستعدة للفرار

والحذر فانظر انه سبحانه كيف هداها الى تحصيل الغذاء
الموافق له ثم اودع فى خيالها انه لابد من الحذر فكلما قرب
الانسان ليدطارت وتخلصت ولا تاتى مثل هذا التدبير
الا من الاله الذى خلق فسوى والحكيم الذى قدر فهدى
الخامس تامل فى صغر جثة البعوضة ولا شك ان خرطومه
اصغر منه بكثير ثم ان ذلك الخرطوم مع غاية صغره مجوف
ولولا ذلك لتجويف لما قدر على امتصاص الدم منه فانظر
الى ذلك الخرطوم مع كونه مجوفا كيف يكون غاية دقته ثم تامل
انها مع غاية دقتها كيف قوتها وشدتها فانها بغوص ذلك
الخرطوم فى جلد الجاموس والفيل على شدته وثخانته يستخرج
الدم منه كما يضرب الرجل اصبعه فى الجنبص السادس انه
سبحانه خلق فى خرطوم البعوضة عضوا كثيرة كما فى خرطوم
الفيل فتارة يمدها ويطولها وذلك عند ما يغوص الخرطوم
فى الجلد وتارة يقبضه الى نفسه وذلك عند الاخراج فتامل
فى كل واحد من اجزاء ذلك العضو وذلك لانه على قياس خرطوم
الفيل لابد وان يكون اصله غليظا ويكون راسه مستدقا
ولابد ان يتدرج من الغلظ الى الدقة على تناسب مخصوص وصفة
مخصوصة ولابد وان يكون قد اختص كل واحد من تلك الاجزاء
بشكل مخصوص وصفة مخصوصة ولا يقدر على ذلك الشكل
والتصوير الا القادر على جميع الممكنات العالم بجميع المعلومات
السابع تامل فى جسد البعوضة فانه فى غاية الصغر وخرطومه

شبكة الألوكة
www.alukah.net

تفلها فبقيت هناك ويصل اليد اليها ويموت وهذا تنبيه
عظيم للانسان على احوال دنياه واخراه اما الدنيا فلان الاستكثار
من اللذات والشهوات سبب للوقوع في المحن والافات واما
الآخرة فلان الانسان اذا كان خفيفا قليل العلائق فاذا وصل
اليه ندا، قوله ارجعي الى ربك طار من وكر كرة الدنيا الى عش
عيش الاخرة اما اذا كان ثقيلا من حب الدنيا عجز عن الطيران
فبقي في هاوية الجسمانيات وظلمات الخيالات كما قال تعالى
في صفتهم ناكسوا رؤسهم الاية العاشر تامل في راس البعوضة
ووجهها فانها مع غاية صغرها قد جعلها الله تعالى منقسما
الى اقسام كثيرة واودع في كل قسم من تلك الاقسام خاصية
معينة وقوة معينه وذلك لانه تعالى خلق في راس البعوض
عينين واودع فيهما قوة باصرة اكمل مما للانسان ويدل عليه
وجهان احدهما انها تبصر في الظلمة الشديدة الموضع الذي
منه يمكنها مص الدم والثاني انها ترى مسام جلد
الانسان ولذلك فانها اذا وجدتها غوص خرطومه فيها
والانسان لا يرى ذلك البته وايضا انه تعالى خلق في راسها
اذنين واودع فيهما قوة سامعة اقوى مما للانسان ولذلك
فانها يسمع في الظلمة خفيف اليد مع ان الانسان البته لا يسمعها
والثالث انه خلق في راسها قوة الشم ولذلك فانها تحس
بوقوع الجيف من المكان البعيد ولولا الشم لما عرفت ذلك
والرابع خلق في راسها الفم واودع فيها القوة الذايقة ولذلك

فان

فان البعوض يرغب في بعض الطعوم دون البعض ولولا الذايقة
والا لما كان الامر كذلك والخامس انه تعالى في يدها قوة لامسة
ولذلك فانها تفر من الحر الشديد والبرد الشديد والسادس
انه تعالى خلق في راسها قوة الحفظ ولولاها لما عرفت حرب
الفار عند مجيء اليد وخلق فيها قوة الذكر ولولا ذلك لما ميزت
بين المعاني النافعة والضارة فانظر الان الى راس البعوضة
كم يكون مقدار ذلك الجزء ثم انه تعالى قسم ذلك الجزء
الصغير الى اجزاء كثيرة واودع في كل واحد من تلك الاقسام
خاصية معينة فهذا عيناه وهذا اذناه وهذا انفه وهذا
فمه وهذا مقدم دماغه الذي فيه قوة الحفظ وهذا
وسط دماغه الذي فيه قوة الفكر وهذا مؤخر دماغه
الذي فيه قوة الفكر ثم لا شك انه تعالى خلق منفذ الغذاء
ومخرج الفضلة ومتى كان الامر كذلك فقد خلق له جوفا
وامعاء وعروقا وعظاما فتحير بال العاقل السليم العقل
ان يسند هذه التاثيرات العجيبة والتصرفات البديعة
الى الطبيعة مع انها قوة لا شعور لها بشيء من الاشياء ولا
تميز لها في حال من الاحوال هذا مما لا يقوله عاقل بل شواهد
الفطرة وصرايح الافكار وبداية العقول تنادي باعلى صوتها
على انها انما حدثت بتقدير من لا يعزب عن قدرته وعلمه
وحكمته ذرة من الارضين والسموات الا اله الخلق والامر
تبارك الله رب العالمين رحمة الله من قال شعر

شبكة الألوكة www.alukah.net

يا من يرى مد البعوض جناحه • في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطه في نحره • والمخ في تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته • ما كان منه في الزمان الاول

الفصل الرابع في الذباب قال تعالى في سورة الحج يا ايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له قوله ان الله لقوى عزيز وفي الاية ابحاث البحث الاول اعلم ان هذه الاية من جملة الايات التي اقر بفصاحتها الصديق والزنديق والموافق والمخالف فحكي انه اجتمع اربعة من الزنادقة بمكة ابن المقفع وابن ابي العوجاء وابو شاكر الديصاني وعبد الملك البصري وقالوا تعالوا نعارض القران كل واحد منا باربعة فتواعدوا وتفرقوا على ان يجتمعوا في السنة المستقبلة فلما رجعوا قال ابن المقفع اني عجزت عن معارضة قوله وقيل يا ارض ابلعي ماءك وقال ابن ابي العوجاء عجزت عن معارضة قوله لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا وقال عبد الملك البصري اني عجزت عن معارضة قوله يا ايها الناس ضرب مثل لاية وقال ابو شاكر الديصاني اني عجزت عن معارضة قوله فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فهؤلاء الزنادقة كانوا من اكابر فصحاء العالم وقد عجزوا عن معارضة هذه الآيات وذلك لجزالة الالفاظ وقوة معانيها وغزوبة سياقها وفي هذه القصة نكتة اخرى عجيبة وذلك لان الاعراب لما طعنوا في فصاحة القران وقالوا كيف ليق بالله ذكر الذباب والعنكبوت فاجاب الله تعالى عنه بان حقارة هذه الحيوانات

لا يقدح في فصاحة القران اذا كان المقصود بذكرها التنبيه على الحكمة البالغة والمعاني الدقيقة الشريفة ثم ان شدة الزنادقة عداوة واكثرهم علما بوجوه البلاغة والفصاحة اعترفوا بالعجز عن معارضة هذه الاية المشتملة على ذكر الذباب فكان ذلك جاريا مجرى معجزة اخرى لمحمد عليه السلام وفي الاية سؤالات السؤال الاول ان الذي ذكره الله تعالى في هذه الاية ليس بمثل فكيف سماه مثلا والجواب لما كان المثل في الاكثر نكتة عجيبة غريبة جاز ان يسمى كل ما كان كذلك مثلا السؤال الثاني قوله ضرب مثل يفيد ان هذا الكلام المذكور ليس كلام الله تعالى بل هو كلام بعض المتقدمين وذلك يجر الى القران اعظم وجوه الطعن والجواب لما كان الكلام المذكور في هذه الاية في غاية القوة والبعد عن الشبهة كان ذلك كالامر المعلوم من قبل لا جرم كان ذكره بمنزلة اعادة امر قد تقدم اما قوله تعالى فاستمعوا له اي تدبروا حق التدبر لان نفس السماع لا ينفع انما النافع هو التدبر والتامل ثم انه تعالى احتج بامر الذباب على ابطال مذهب عبدة الاوثان فقال ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له والمعنى ان هذه الاصنام لو اجتمعت باسرها عن تخليق ذباب لما قدرت على خلق الذباب فكيف يليق بالعاقل الاشتغال بعبادة مثل هذا الشيء وقوله تعالى ولو اجتمعوا له نصب على الحال كانه تعالى قال مستحيلا ان يخلقوا الذباب حال اجتماعهم فكيف حال انفرادهم

ثم قال وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه
والمعنى كانه سبحانه قال اترك حديث الخلق والايجاد واذكر
ما هو اسهل منه فان الذباب ان سلب شيئا منهم لا يقدرون
على استنقاذ ذلك الشئ من الذباب واعلم ان المقصود
من هذه الاستدلال لا يظهر الا من وجوه الحجة الاولى ان
فعل العاقل لا بد وان يشتمل على فايدة وتعظيم هذه
الاصنام لا فايدة فيه لانها جمادات لا تضر ولا تنفع
والاشتغال بالعبث محظور عند العقول الحجة الثانية
ان العبادة غاية التعظيم والانسان اشرف من الجمادات
واقدام الاشرف على غاية التواضع للاخس خلاف العقل
الحجة الثالثة انهم لما عظموا الاوثان غاية التعظيم لم يقدروا
على تعظيم الخالق سبحانه تعظيما اشد من ذلك فحينئذ يلزم حصول
التسوية في التعظيم بين مدبر السموات والارض وبين مدبر
تلك الاحجار والجمادات وذلك غاية الاستفاهة اما قوله
تعالى ضعف الطالب والمطلوب ففيه اقوال احدها المراد
منه الصنم والذباب فالصنم كالطالب من حيث لو طلب
ان يلحقه او يستنقذ منه ما يسلبه منه يعجز عنه والذباب
بمنزلة المطلوب والثاني ان الطالب عابد الصنم والمطلوب
نفس الصنم وهذا اقرب لان كون الصنم طالبا ليس على الحقيقة
بل على سبيل التقدير اما ههنا فعلى سبيل التحقيق والقول الثالث
ان يكون معنى قوله ضعف لا من حيث القوة لكن الظهور فبئس هذا

المذهب

المذهب كما يقال للرجل عند المناظرة ما اضعف هذا المذهب
وما اضعف هذا الوجه اما قوله ما قدروا الله فالمعنى
ما عظموا الله حق تعظيمه حيث جعلوا هذه الاصنام على نهاية
خساستها شريكة لخالق السموات والارض في المعبودية
واعلم ان منشأ جميع الشبهات هو القول بالتشبيه والتشبيه
بالذات باطل كما تقوله المجسمة والتشبيه في الصفات باطل
كما تقوله الكرامية والتشبيه في الافعال باطل كما تقوله
المعتزلة قال الامام ابو القسم الانصاري انه سبحانه جبار
النعت عزيز الصفات فالاوهام لا تصوره والافكار لا تقدره
والعقول لا تمثله والازمنة لا تدركه والجهات لا تحويه
ولا تحد صمدي الذات سرمدي الصفات اما قوله تعالى
ان الله لقوي عزيز فاعلم انه تعالى ذم الاصنام باشياء ثم اثنى
على نفسه باضدادها فالاول انه لما قال في هذه الاية للاصنام
ضعف الطالب والمطلوب فوصفها بالضعف ووصف نفسه
بالقوة فقال انا الله لقوي عزيز والثاني قال في حقها
ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم وقال
لنفسه وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو الآية
والثالث انه تعالى قال لها فادعوهم فليستجيبوا لكم وقال
لنفسه ادعوني استجب لكم الرابع قال في حقها لبئس المولى
ولبئس العشير وقال لنفسه نعم المولى ونعم النصير الخامس
قال في حقها وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون وقال

لنفسه لا تدركه الابصار الاية والسادس قال في حقهان
الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقال لنفسه
ليس كمثله شئ البحث الثاني في اثار حكمة الله تعالى في خلق
الذباب اعلم ان اكثر الاحوال المذكورة في البعوضة عايدة
في الذباب ثم انا نخصه بمزيد وجوه فالاول ان في الذباب
ثلثة انواع من المنافع الدينيه فالاول انه يدل على التوحيد
من وجهين الاول انه من جملة من يسبح الله تعالى قوله وان
من شئ الا يسبح بحمده فهو يسبح الله بخلقه ولا يعصيه
بعمله واما الكافر فهو وان كان يسبح الله بخلقه لكن ينكره
بلسانه ويعصيه باعماله فكان الذباب مع غاية حقارته
خيرا من الكافر والثاني انه تعالى جعل الذباب حجة على بطلان
مذهب عبدة الاوثان فقال وان يسلبهم الذباب شيئا الاية
تعبدونكم لا يقدرون على خلق الذباب ولا على دفعها عن انفسهم
ولا على استرجاع شئ سلبه الذباب عنهم ومتى كان في الضعف
والعجز هكذا كيف يستحق ان يعبد واما الثاني فهو ان الذباب
يدل على النبوة فلانه صح في الاخبار انه ما كان يقع البعوضة
ولا الذباب على جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم واله
فانه كان عز على الله من ان يكون جلد مركبا للبعوض والذباب
اودمه شرابا لهما فيكون هذان الحيوانان مسلطين على كل الخلق
مع كونهما ممنوعين عنه على التعيين من اقوى البينات واظهر
المعجزات واما الثالث فهو ان الذبات يدل على طهارة الضحابة

رويا ان المنافقين لما طعنوا في عايشة ونسبوها الى
الفاحشة حصل الغم العظيم في قلب رسول الله صلى الله
عليه السلام فدخل عليه عمر فقال الرسول عليه السلام
يا عمر ما قولك في هذه الواقعة فقال يا رسول الله
انا قاطع بكذب المنافقين فقال وما الدليل عليه فقال عمر
والدليل عليه ان الله تعالى عصمك من وقوع الذباب على
جلدك فلما تفكرت فيه علمت ان السبب فيه انها تجلس على
النجاسات فيتلطخ ارجلها فالله سبحانه عصم جلدك عن ذلك
القدر من القاذورات فكيف لا يعصمك عن كل من يكون
ملطخا بالفواحش والسيئات فاستحسن الرسول ذلك ثم دخل
عليه عثمان فساله عن هذه الواقعة فقطع بكذب المنافقين
فطالبه بالدليل قال عثمان الدليل عليه ان الله تعالى ظلك
على الارض ثم تفكرت فعلمت ان السبب فيه انه لو وقع
ظلك على الارض فربما وضع انسان قدمه على ذلك الظل
فانه سبحانه لم يمكن احدا من وضع القدم على ظلك فكيف يمكن
الاجنبي من تلويث عرض زوجتك ثم دخل على فساله عن الواقعة
فقطع بكذب المنافقين فطالبه بالدليل فقال الدليل عليه
انا كنا نصلي خلفك فنزعت في اثناء الصلوة رجلك عن
نعلك فنزعنا ايضا ارجلنا عن نعالنا فلما تممت الصلوة
قلت لنا لم نزعتم ارجلكم عن نعالكم قلنا فعلنا فعلت ذلك
فوافقناك فقلت انما فعلت ذلك لان جبريل اخبرني ان

الألوكة
www.alukah.net

عليه قذرا فلما امرك الله باخراج ذلك النعل عن رجلك
بسبب ما التصق به من القذارة فكيف يليق بهذه العناية
ان لا يامرك باخراجها بتقدير ان يكون ملطخة بشيء من الفواحش
فطاب قلب النبي عليه السلام عند سماع هذه الدلايل ثم انزل
الله تعالى الايات الدالة على طهارتها وبراتها من الفواحش
والمقصود من رواية هذا الخبر ان الذبابة وان كانت ملطخة ملوثة
الا انها دلت على براءة عايشه عن كل لوث فهذا تقتضي كون
الذبابة اشرف واعلى وارفع درجة من اولئك المنافقين فصارت
الذبابة دالة على قدرة الله تعالى وحكمته ووحدانيته ودالة
على ابطال القول بعبادة الاوثان ودالة على نبوة سيد الانبيا
عليه السلام ودالة على طهارة عايشه فصارت على حقارتها
مستجمعة للدلالة على صحة اصول الاسلام الوجه الثاني
انه تعالى اظهر بخلق الذباب قبايح الكفار وفضايح الفساق
والفجار اما قبايح الكفار فلانه اذا وضعت قصعة
من المرقة الحارة تبادر الذباب اليها والانسان مدها
عن تلك المرقة الحارة بكل طريق ثم انها تلقي نفسها في تلك المرقة
ثم تموت فيها وهذا يشبه طريقة الكفار فان الانبيا صلوات
الله عليهم يذبونهم عن نار جهنم باقصى ما يقدرون ثم انهم
يلقون انفسهم في نار جهنم الا ان عاقبة الذباب احسن
من عاقبة الكفار لان الذبابة لما ماتت تخلصت من الآلام الكافر
لما مات بقي في العذاب ابد الآباد قال تعالى اغرقوا فادخلوا نارا

وامّا

واما فضايح الفساق فلان في الذباب خساسة عظيمة وهو
انه لا تميز بين الخبيث والطيب فتارة يقع على السكر واخرى
على القاذورات فكذا الفاسق قد وضعت له مايدن الجنة
واعدت له جميع النعم الطيبة فهو تارة يقدم على تلك المآيد
الطيبة واخرى يجلس على مايدة المعاصي والمنكرات وهي
من جنس القاذورات والنجاسات فمن اراد ان يصون نفسه
عن خساسة الذباب وجب ان لا يدور حول الخبايث والمنكرات
والمنكرات الوجه الثالث انه تعالى اظهر بخلق الذباب ذلة
المتكبرين حكي عن سعيد بن جبير انه توارى عن الحجاج وكان
مع ذلك لا يترك الصلوة بالجماعة فقيل له اباك والخروج
من الدار فان عليك من الحجاج عيونا فقال كيف اتخلف عن
الجماعة والمؤذن ينادي حي على الفلاح ثم اخذ اعوان
الحجاج في طريق المسجد واتوا به فقال الحجاج يا ابن الجبير ما الحكمة
في خلق الذباب وكان قد تاذى به لكثرة ما كان يقع عليه
ويذبها ويعاود فقال انما خلق الله الذباب ليذل به الجبابرة
وذلك لانه يقع على النجاسات ثم يقع على وجوه الجبابرة فيظهر
بذلك ذلهم حيث عجزوا عن دفع اضعف المخلوقات واحقرها
عن انفسهم الوجه الرابع قال اهل الحكمة ان في الذباب
منفعة عظيمة وهي ثلثة اوجه وذلك لان الذباب لا يظهر
الا في مواضع العفونة والاماكن المستقذرة ثم انه يخلق
من بعض اجزاء تلك العفونات ذات الذباب وجعل بقيته

مكتبة الألوكة www.alukah.net

تلك العفونات غذاء لها ثم انها بكثرة طيرانها يحرك الهواء
سبب لازالة العفونات عن الهواء فصارت الذباب سببا
لازالة العفونات عن الهواء من هذه الوجوه الثلثة والذبابة
اذا طارت وجلست على وجه الانسان وآذته فذلك في الحقيقة
انعام عظيم في حق الانسان فانه لولا وجوده وطيرانه
لاستولت العفونات على الهواء وتاذى ذلك الى حصول
المضار العظيمة فكما ان الصبي يتاذى من الفصد والحجامة والعاقل
يعلم انه من اعظم وجوه الانعام في حق ذلك الصبي فكذا وقوع
الذبابة على وجه الانسان وان تاذى منه الجاهل الا ان
العاقل يعلم انه من النعم العظيمة في حقه من حيث انه سبب
لازالة العفونات عن الهواء الذي هو مادة الحيوة من الحيوانات
فان قيل خالق العفونات هو الله سبحانه فكان ينبغي ان لا يخلقها
حتى لا يحتاج في دفعها الى خلق الذباب قلنا هذا السؤال غير
مختص بالذباب فانا اذا قلنا انه سبحانه خلق الخبز والماء واصناف
الفواكه ليلتذ الانسان باكلها فيقول لسايل خالق اللذات
هو الله سبحانه فكان ينبغي ان يخلقها ابتداء حتى لا يحتاج
الى خلق الماء والخبز ولما كان هذا واردا على كل القران علمنا سقوط
هذا السؤال والتحقيق ان الدنيا دار الاسباب فربط الله
كل شئ بشئ حتى انه كما ظهرت قدرته بايجاد الاشياء فكذا
تظهر حكمته بجعل الاشياء اسبابا لسائر الاشياء الوجه
الخامس من امثال العرب اجرء من الذباب واطيش من الذباب

ولج من الذباب واشبه من الذباب بالذباب ما ماشت
جرانه فظاهر لان الانسان كلما دفعه عاد اليه وقيل
انما سمي ذبابا لانه كلما ذب آب والحكمة في وصفه بالجراة
انه لما كان المقصود من خلقته افنا العفونات تارة بالاغذية
بها وتارة بتحريك الهواء وتلطيفه فسبب الطيران اوجب
كونها موصوفة بالجراة حتى انها متى ذبت لم يمتنع عن الحركة
فيحصل هذا المقصود وكذا اطيشها وخاجتها من الامور
المعينة على هذا المقصود اما كون بعضها مشتبها بالبعض
ففيه حكمة عجيبة وذلك لانا قد بينا انه لو حصلت
المشابهة بين الاشخاص الانسانية اختلت مصالح العالم
فان على هذا التقدير ما كان تميز زوج هذه المراة
عن غيره وما كان تميز مال هذه الدار عن غيره وذلك
يفضي الى وقوع المفاسد العظيمة في العالم فلاجل رعاية
هذه المصلحة ميز الله تعالى كل انسان عن غيره في الشكل
والصورة والصوت واما الحيوانات الاهلية فهي غير
مكلفة فما كانت مصالحها تحتل عند حصول هذه فما
كانت مصالحها المشابهة في الصورة والخاصية الا ان
الانسان ربما انتفع بفرد معين منها ولم ينتفع بفرد آخر
منها مثل ان كان هذا الفرس احسن ركضا واشد عدوا
من سائر الافراس فلاجل هذا المعنى اظهر الله المخالفة بين صورها
الا ان المخالفة ههنا اقل من المخالفة التي بين صور الانسان

واما الحيوانات البرية فان حاجة الانسان اليها قليلة
وانتفاعها بواحد معين منها دون غيره نادر فلاجرم كانت
المخالفة بينهما في الصور والاشكال اقل من المخالفة الحاصلة
بين صور الحيوانات الاهلية واما هذه الحيوانات الخمسة
التي لا يتعلق حاجة الانسان بها البته فلم يحصل المخالفة
بين صورها البته وصارت في المشابهة بحيث لا يمكن
تميز بعضها عن البعض وهذا الترتيب الذي ذكرناه في تخليق
الحيوانات يدل على انها باسرها مخلوقة لمنفعة الانسان
حتى انها صارت مخلوقة على وفق مصلحة الانسان واذا
عرفت هذا فنقول ان امتياز الانسان عن سائر الحيوانات
مخلوقة لهذه الحكمة كما قال وما خلقت الجن والانس الا
ليعبدون ودل ايضا على ان خالق هذه الحيوانات ليس هو
الطبيعة ولا العلة والخاصية بل المؤثر فيها هو قدرة الصانع
المختار حتى انه سبحانه حيث تعلقت المصلحة باظهار هذه
المخالفة لم يظهرها فسبحان من لم تخل ذرة من ذرات الارض
والسماء عن دلايل ظاهرة وبراهين باهرة على كمال قدرته وغاية
حكمته الوجه السادس في عجايب خلقه الذباب اتا بينا
ان كثرة طيرانها من الامور المطلوبة في الحكمة من حيث
ان طيرانها سبب لزوال العفونة عن الهواء فنقول ان كثرة
طيرانها في العفونات يصير سببا لوقوع تلك العفونات عن
اجنحتها ومتى اجتمعت على اجنحتها تلك العفونات ثقلت

وعجزت عن الطيران فدبر القادر الخالق ان اقدرها ان تنطف
جناحيها برجليها عن كل ما التصق بهما من العفونات ثم كما
انها ينطف جناحيها برجليها فكذلك خلق في مقدم بدنها
يدين زايدتين ينطف ابدا بهما عينيها وذلك لان العين
لا يكمل الانتفاع بها الا اذا كانت صافية صقيلة و
الحيوانات الكثيرة خلق الله على وجه احداقها اجفانها وهي
تكون مطرقة ابدا حتى ان الاطراقات الكثيرة لتلك الاجفان
ينطف سطح الحدقة في كل لحظة واوان عن انواع البخار
والغبار فيبقى صقيله صافية ابدا فيبقى القوة الباصرة كاملة
فاما الذبابة فان راسها صغير ولا تحمل اعينها الاجفان التي
تصقل عنها لاجرم دبر الحكيم الرحيم في ذلك ان خلق في مقدم
بدنها هاتين اليدين الزايدتين واقدرها على ان ينطف بهاتين
اليدين الزايدتين عينها حتى تبقى صقيلة صافية ابدا فسبحان
من خلق كل شيء على احسن الوجوه وهذا كل شيء الى رعاية مصلحة
على اقصى الوجوه الوجه السابع في عجايب خلقه الذباب قوله
عليه السلام اذا وقع الذباب في اناء احدكم فامقلوه فان
في احد جناحيه داء وفي اخر دواء واعلم ان هذه الخاصية
اطلع عليها الرسول بنور النبوة والرسالة وهذا ايضا من
عجايب الخلقة فان كون احد الجناحين داء والاخر دواء مخصوص
بالذباب ولا يوجد في غيره الوجه الثامن انه تعالى جعل حالتي
الذباب بحسب الصيف والشتاء دليلا على اختلاف حالتي الانسان

الألوكة
www.alukah.net

بحسب الموت والبعث كما ان الذباب يغيب في الشتاء ثم يظهر
في الصيف فكذا الانسان يغيب في اللحد بالموت ويظهر في القيامة
بالبعث **الفصل الخامس** في الكلام في بقية الحيوانات
المذكورة في القران اما العنكبوت فقال تعالى مثل الذين
اتخذوا من دون الله اولياء كمثل العنكبوت الآية وفي تشبيه
عبادة الاصنام ببيت العنكبوت وجوه الاول ان بيت العنكبوت
لا يصون عن الحر والبرد فكذا عبادة الاصنام لا تجلب النفع
ولا يصون عن الضرر الثاني ان بيت العنكبوت يهدم باذني سبب
فكذا مذهب عبدة الاوثان يبطل باد في حجة الثالث ان الشيء
انما يعرف بضده فلما كان الاشتغال بغير الله كبيت العنكبوت
في الضعف لزم ان يكون الاشتغال بطاعة الله سبحانه وبعبوديته
اعظم واقوى من السموات السبع ثم في الآية لطايف دالة
على شرف المؤمن الاولى انه قال مثل الذين اتخذوا من دون الله اولياء
سمى الاصنام اولياء للكافرين ثم وصف نفسه بكونه وليا
للمؤمنين فقال الله ولي الذين امنوا فالصنم ولي الكافر
ولجبار السموات والارض ولي المؤمن الثانية انه تعالى
خلق البعوضة والعنكبوت فجعل البعوضة سببا لهلاك
اشد الناس طغيانا وكفرا وهو نمرود وذلك لان البعوضة
التي اهلكت نمرود لو كانت سالمة نصف بدنها اما النصف
الثاني فكان مفلوجا فاسدا واما العنكبوت فانه تعالى
جعله سببا لنجاة محمد عليه السلام عن شر الكفرة وذلك انه

لما دخل الغار نسج العنكبوت على باب الغار والحكمة في كل
اظهار العظمة ليعلم الخلق ان الامر بين وانه يفعل ما يشاء
ويحكم ما يريد ومن عجايب احوال العنكبوت انه اذا اراد
ان يبني بيته طلب زاوية يحيط بها ضلعان ثم يبتدي فيلقي
اللعاب الذي هو خيطه على جانب ليلتصق به ثم يعدو الى
الجانب الاخر فيلصق الطرف الاخر من الخيط ثم لا يزال يذهب
ويجيء ثانيا وثالثا على تناسب مخصوص ثم اذا احكم
الخيوط كالسدى اشتغل باللحمة ونصف البعض الى البعض
على مناسبة هندسية ثم يهيء شبكة يقع فيها البق والذباب
ثم يقعد في الزاوية مترصدا لوقوع الصيد في الشبكة فاذا وقع
الصيد فيها باد الى اخذه فان عجز عن الصيد بهذا الطريق طلب
لنفسه زاوية من حايط ووصل بين طرفي الزاوية بخيط ثم
علق نفسه منها بخيط اخر وبقي متكئا في الهواء ينتظر
ذبابة فاذا طارت الذبابة رمى بنفسه عليها فاخذها ولف
خيطين على رجليها واحكمها ثم ما من حيوان صغير ولا كبير
الا وفيه من هذه العجايب ما لا يحصى فترى انه تعلم هذه الصنعة
من نفسه او يعلم من ادمي بل هذا من الالهامات الربانية
والهدايات الرحمانية واما النمل فقال في سورة النمل في
قصة سليمان عليه السلام حتى اذا اتوا على واد النمل الآية
قال المفسرون وادي النمل واد بالشام كثير النمل فان قيل
لم عدى اتوا بعلى قلت لوجهين الاول انهم كانوا من فوق

شبكة الألوكة www.alukah.net

فاتوا حرف الاستعلاء والثانى ان يراد قطع الوادى وبلوغ
آخره من قولهم اتى على الشئ اذا بلغ اخره كانهم ارادوا ان
ينزلوا عند مقطع الوادى اما قوله قالت نمله فالمعنى انها
تكلمت بذلك وهذا غير مستبعد فان حصول العلم والنطق
لها ممكن فى نفسه والله تعالى قادر على كل الممكنات
وعن قتادة انه دخل كوفة فالتفت عليه الناس فقال سلونى
عما شئتم وكان ابو حنيفة حاضرا وهو شاب حدث السن
فقال سلوه عن نمله سليمان اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فلم
فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له عرفت فقال من كتاب الله
وهو قوله قالت نمله لو كان ذكرا لقال قال نمله وذلك
لان النمله مثل الحمامه والشاة فى وقوعها على الذكر والانثى
ثم تميز بينهما بعلامة كقولهم حمامه ذكر وحمامه انثى اما
قوله ادخلوا مساكنكم فاعلم ان النمله لما قاربت محل العقل
لاجرم خوطبت بما يخاطب به العقلاء فلهذا قالت ادخلوا
مساكنكم واما قوله لا يحطمنكم سليمان ففيه وجهان
احدهما التقدير ادخلوا مساكنكم لئلا يحطمنكم والثانى
التقدير لا تكونوا بحيث انتم فيحطمكم على طريقة لا ارايتك
ههنا وفى هذه الاية تنبيه على امور احدها ان من يسير فى
الطريق لا يلزمها التحرز وانما يلزمه فى الطريق التحرز وثانيها
ان النمله قالت وهم لا يشعرون كانها عرفت ان النبى
معصوما والمعصوم لا يقع منه قتل هذه الحيوانات الا على سبيل

المهو

السهو ثم انها لما اثبتت هذه العصمة لاصحاب سليمان حيث
لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون كانت اكثر عقلا
من الحشوية الذين يجوزون المعصية على الانبياء عليهم السلام
ومن الروافض الذين يطعنون فى اصحاب محمد عليه السلام فان
النمله ما طعنت فى صحابة سليمان عليه السلام وهؤلاء الروافض
يطعنون فى صحابة محمد عليه السلام وثالثها رايت فى بعض
الكتب ان تلك النمله انما امرت رعيتها بالدخول فى مساكنها
ليلا يرى تلك النعم فلا يقع فى كفران نعم الله وهذا تنبيه
على ان مجالسة ارباب الدنيا محذورة ويروى ان سليمان قال
لتلك النمله لم قلت للنمل ادخلوا مساكنكم اخفت منى
عليهم ظلما قال لا ولكنى خشيت ان يتعجبوا مما يرون من
ملكك فيشغلهم ذلك عن طاعة ربهم قال بعض اهل التذكير
ان النمله تكلمت فى هذه بعشرة اجناس من الكلام نادت ونهت
وسمت وامرت ونصت وحذرت وخصت وعمت واشارت
وعذرت اما النداء فيا واما التنبيه فقولها ها واما
التسمية فقولها النمل واما الامر فقولها ادخلوا واما
النص فقولها مساكنكم واما التحذير فقولها لا يحطمنكم
واما التخصيص فقولها سليمان واما التعميم فقولها وجنوده
واما الاشارة فقولها وهم واما العذر فقولها لا يشعرون
وايضا ان هذه النمله قامت باداء خمسة من الحقوق اولها
حق الله فانه تعالى جعلها ملك النمل فاحتاطت فى رعاية الرعية

شبكة الألوكة
www.alukah.net

وثانيها حق سليمان فانها نبهته على الاحتراز من قتل البرى
عن الجرم وثالثها حق النمل فانها نصحت النمل حتى دخلت مساكنها
فتخلصت عن البلاء ورابعها حق جنود سليمان فانها حذرتهم
عن الاقدام على ايذاء الحيوانات من غير فايدة وخامسها يحتمل
حق جميع الخلق فانها بهذا الكلام اعلمت جميع الخلق والاجتهاد
في ايصال الاحسان الى الخلق والمبالغة في كف الاذى عن الخلق
كما قال عليه السلام كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته
فهذا ما يتعلق بهذه الاية على سبيل الاختصار واما الحكمة في خلق
النمل وفي عجايب احوالها فمن وجوه الاول انه تعالى شاء بخلق
النمل في الدنيا على كيفية حال المتكبرين في القيامة من الذلة و
الحقارة قال عليه السلام يحشر المتكبرون يوم القيامة
امثال الذر يطاهم الناس باقدامهم والثاني ان النمل يجمع في
الصيف للشتاء وفي وقت الوجدان لوقت الفقدان فينبغي ان
يكون العبد كذلك يشتغل بالطاعة في الدنيا ليجد الثواب في العقبى
قال عليه السلام في خطبة له فليأخذ العبد من نفسه لنفسه
ومن دنياه لاخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحيوة قبل الموت
فوالذي نفسي بيده ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا من
دار الا الجنة او النار الثالث ان النمل قد يتكلف حمل نوى التمر
ويتحمل العنا والمشقة العظيمة في ذلك ثم انها لا ينتفع بتلك
النواة ان ينظر اليها ولا ان ينتفع قط ان عرب فيكون نصيبها
من تلك النواة محض المحنة والمشقة فهكذا الحريص يتحمل المشقة

في

في جميع الدنيا ثم يموت ولا ينتفع بها ولا يكون له منها حظ
الا التعب الرابع النملة تحمل اضعاف وزن بدنها فكذا العبد
ينبغي ان يتحمل اضعاف قوته من المشقة في طاعة الله الخامس
من عجايب احوالها انها تتخذ تحت الارض منازل وبيوتا
ويملاها حبوبا وذخاير قويا لاجل الشتاء ثم تجعل بعض
بيوتها منفرجا عن البعض لئلا يجري اليها ماء المطر وربما
اتخذت بيتا فوق بيت لئلا يسيل اليها ماء المطر واذا ابتل
من تلك الحبوب شيء اخرجتها الى الشمس ايام الضحى لتجف ثم انها
تقطع الحبة بنصفين خوفا من ان ينبت وكذلك تفتش الشعير
والباقلى والعدس لاجل ان لا ينبت واذا خرجت من جحرها
يوما يذهب يمنة يوم الاخر تذهب يسرة ثم انها في الذهاب
والمجئ كانها قوافل لا ينحرف عن الطريق ثم اذا ذهبت
واحدة منها فوجدت شيئا لا يقدر على حمله اخذت منها قدرا
ورجعت واخبرت الباقين بذلك وربما اجتمع على الشيء الواحد
عدد منها يحملونه ويذهبون به للجحر ويتحملون العنا والمشقة فيه
واذا علمت بان واحدة توانت في الحمل او تكاسلت في الاعانة
اجتمعت على قتلها ورمت بها عبرة لغيرها قال امير المؤمنين
رضي الله عنه في خطبته انظروا الى النملة في صغر جثتها ولطافة
هيئتها كيف دبت على ارضها وصبت على رزقها تنقل الحبة
الى جحرها وتعدها في مستقرها تجمع لبردها في حرها وفي
ورودها لصدرها مكفولة برزقها مرزوقة بوفقها لا يغفلها

شبكة الألوكة www.alukah.net

الديان ولا يحرمها المنان ولو في الصفا اليابس والحجر
الخامس واما الارضة فقد قال تعالى في سبا، في قصة سليمان
فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض
تاكل منسأته الآية قيل انه عليه السلام قال للهم انا بهم
على الجن موتى ليعلم الانس انهم لا يعلمون الغيب ودخل في محرابه
وقام متكئا على عصاه فمات وبقي قائما سنة حتى تم بناء مسجد
بيت المقدس ثم سلط الله الارضة على منسأته فلما خر فعرف
الجن موته وكانوا يحسبونه حيا لكثرة ما شاهدوا من طول
قيامه وقرأ نافع وابو عمر ومنسأته بغير همز وقرأ ابن عامر
بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة وكلها لغات صحيحة
واصله الهمز لانه من نسأت الشيء اي طردته اما قوله تبينت الجن
فيه قولان احدهما تبينت حال الجن للانس ان الجن لا يعلمون الغيب
الثاني عرفت عوام الجن ان روساءهم لا يعلمون الغيب فانهم
كانوا يوهمون انهم يعلمون الغيب والعذاب المهين هو
تلك الاعمال الشاقة في ومن عجايب احوال هذا الحيوان
امور ثلثة الاول انه تعالى اعطاها مشفرين يشبه السواطير
يقرض بهما الخشب وتوى التمر وتنقب بهما الحجر وتوى التمر
والاجر وهذا من العجايب فان ذلك الحيوان على صغر جرمه وخلوة
بدنه كيف حصل المشفرية هذه القوة العظيمة والثاني انها اذا
ثبتت الخشبة مزدا خلت هناك على نفسها بنيانا من الطين
المصرف يشبه الانبج والاروقة فمن ان وجدت هناك التراب

والماء حتى جعلها طينا وبنت لنفسها من ذلك الطين بيتا
والثالث ان الطير المسمى بناقر الخشب لا ينقر الا على الموضع
الذي يكون تحته هذا الحيوان فتامل ان هذا الطير بأي
علامة عرف ان تحت ذلك الموضع هذه الارضة وكيف
تميز عنده ذلك الموضع من الشجرة عن سائر المواضع ومن انصف
علم ان علوم الخلايق لا تصل الى هذه الاسرار واقر بجلاله
علم خالق العالم وكمال قدرته وحكمته واما الفراش في قوله
تعالى يوم يكون الناس كالفراش المبثوث اعلم انه تعالى
وصف يوم القيامة بامرين الاول كون الناس فيه كالفراش
المبثوث قال الزجاج الفراش هو الحيوان الذي يتهافت
في النار وسمي فراشا لتفرشه وانتشاره ثم انه تعالى شبه
الخلق في هذه الاية وقت البعث بالفراش وفي آية اخرى
بالجراد المنتشر اما وجه التشبيه بالفراش فلان الفراش
اذا اراد الطيران لم يتوجه بجهة واحدة بل كل واحد منها
يذهب الى غير جهة الاخر وهذا يدل على ان الخلق اذا بعثوا
فزعوا فاختلفوا في المشي الى جهات مختلفة غير مضبوطة
والمبثوث المفرق يقال بثثته اذا فرقته واما وجه التشبيه
بالجراد فهو في الكثرة قال الفراء كغوغاء الجراد يركب
بعضه بعضا وبالجملة فالله سبحانه شبه الناس في وقت
البعث بالجراد المنتشر وبالفراش المبثوث لانهم لما بعثوا
موج بعضهم في بعض كالفراش والجراد ويتاكد ما ذكرناه

شبكة الألوكة www.alukah.net

بقوله تعالى فتأتون افواجا وقوله يوم يقوم الناس لرب
العالمين وقوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض
فان قيل الجراد بالنسبة الى الفراش كبار فكيف شبه الواحد
بالصغر والكبر قلنا شبه الشئ الواحد بالصغر والكبر
لكن في الموضعين اما التشبيه بالفراش فلاجل ذهاب كل واحد
الى غير جهة الاخر واما بالجراد فلاجل الكثرة والتتابع
ويحتمل ايضا ان تكون كبارا اولا ثم يصير صغارا كالفراش
بسبب احتراقهم بحر الشمس وذكروا بالنسبة بالفراش وجوها
آخر الاول ما روى انه عليه السلام قال الناس عالم ومتعلم
وسائر الناس همج ورعاع فجعلهم الله في النار رخرة كذلك
جزاء وفاقا والثاني انه تعالى انما قال كالفراش لانهم
يكونون في ذلك اليوم اقل من الفراش لان الفراش لا يعذب
وهؤلاء يعذبون ونظيره قوله تعالى اولئك كالانعام
بل هم والثالث ان الفراش كلما منع عن ان يلقي نفسه في النار
فانه يعود فكذا هؤلاء الكفار كانوا يمتنعون عن نار جهنم
وهم كانوا يلقون انفسهم فيها الصفة الثانية من صفات
ذلك اليوم قوله ويكون الجبال كالعهن المنفوش والعهن
الصوف ذوات الالوان والنفش هو جعل الصوف بحيث
يتنفش بعضه عن بعض واعلم انه تعالى اخبر ان الجبال تخلقه
الالوان كما قال ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها
وغرابيب سود ثم انه سبحانه يفرق اجزاءها ويزيل التاليف

والتركيب

والتركيب عنها فيصير ذلك مشابها للصوف الملون بالالوان
المختلفة اذا جعل منفوشا وانما ضم تعالى بين حال الناس
وبين حال الجبال كانه قال ان تأثير تلك الفزعة في الجبال
هو انها يصير كالعهن المنفوش فكيف يكون حال الانسان عند
سماعها بل قالوا ثم الويل لابن آدم ان لم يتداركه رحمة من ربه
ويحتمل ان يكون المراد ان الجبال النار تصير كالعهن لشدة حمرتها
وانما لم يقل يوم يكون الناس كالفراش المبثوث والجبال كالعهن
المنفوش لان التكرير في مثل هذا المقام ابلغ في التحذير
واعلم ان حال هذا الحيوان عجيب فانه كما يقال انه يحب النور و
يبغض الظلمة جدا فاذا احس بالسراج ظن انه منفذ الى عالم النور
فيلقي بنفسه على السراج لطلب ان يخلص من عالم الظلمات الى عالم
النور ومنهم من قال انه يحب شكل النار وصورتها فلفرط
حبه للنار جعل نفسه فداء للنار وعلى التقديرين فهو اما
ان يكون محبا للنور او للنار وكيف ما كان فانه جعل نفسه
فداء المحبوب واذا كان الامر كذلك فالانسان اولى بان
يجعل نفسه فداء لنور محبة الله ولنار محبته فان اهل الهند
يحرقون انفسهم على نار الله فالمؤمن اولى ان يحرق قلبه في حب
الله فان قيل قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا
يحبونهم كحب الله والذين آمنوا اشد حبا لله فان الهندي
يحرقون انفسهم والمؤمن لا يفعل والجواب من وجوه الاول
ان معبود الكافر لا رحمة له عليه ومعبود المؤمن رحيم وكذلك

مكتبة الألوكة www.alukah.net

معبود الكافر لا علم له بشئ ومعبود المؤمن عليم فعابد الصنم
اذا احرق نفسه لاجله فالصنم ما علمه ولا رحمه واما الحق
تعالى فانه عليم باحوال عبيده رحيم بهم فلهذا منعهم
عن ذلك العمل والثاني ان الكافر يحرق نفسه وهو يرى
معبوده بعينه والمؤمن يعرض نفسه للقتل ولا يرى معبوده
فكان هذا اعظم الثالث ان قبل الحقيقة خير من كثير المجاز
وفعل المؤمن حقيقة وفعل الكافر مجاز والرابع قال الجنيد
اهل الهند يحرقون انفسهم لاجل الصنم فاذا كان القيامة
حشروا مع اصنامهم الى باب جهنم فيقال لهم ادخلوا النار
مع اصنامكم كما دخلتم النار في الدنيا فيابون فتقول
الله للمؤمنين ادخلوا النار فيقولون سمعنا واطعنا ويتسارعون
الى النار فكذلك هو قوله تعالى والذين آمنوا اشد حبا لله

الفصل السادس في حيوانات الماء قال الله تعالى والله
خلق كل دابة من ماء الاية ذكروا انه في الربع المعمور اربعة عشر
بحرا كبارا منها بحر الروم وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الهند
وبحر الصين وبحر ياجوج وماجوج وبحر الحبشة وبحر الاخضر
وبحر الشرق وبحر المغرب وبحر الشمال وبحر الجنوب وبحر طبرستان
وثمانية انهار طوال مثل جيحون وسيحون ودجلة والفرات
ونيل مصر والرس وهير مند طول واحد من مبادئه فرسخ
الى الف فرسخ وقريبا من خمسمائة انهار وصغار واما الآجام
والعدد ان والانهار والصغار فلا تعد ولا تحصى فهذا مجموع

ما في الربع المعمور واما الارباع الثلثة من الارض فانها معمورة
في البحر واذا عرفت هذا فتامل في الحيوانات الموجودة في بحار
الربع المسكون واوديتها واجامها ثم تامل فيما حصل في
البحر المحيط حتى تعلم ان حيوانات البحر لا نسبة لها في الكثرة
وعجايب الخلقة والصفة الى حيوانات البر مع انه سبحانه
يحفظها ويرعاها ولا يخفى عليه خافية من امورها ويعلم
مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ذكروا
ان ملك حيوانات البحر هو النعبان وجنوده التماسيح والكواسج
والسرطانات واصناف من الحيوانات البحرية لا يحصى عددها
وانواعها الا الله قالوا وهذا الحيوان هايل المنظر مهيب المخبر
يخاف كل حيوانات البحر لشدته وقوته وعظم صولته واذا
تحرك تموج البحر من شدة ساحته براق العين واسع الجوف
والفم كبير الاسنان يبتلع في كل يوم من حيوانات البحر
عددا لا يحصى فاذا امتلا جوفه نفوس والتوى واعتمد على راسه
وذنبه فيرتفع وسطه خارجا من الماء مرتفقا في الهواء مثل
قوس قزح ومقصوده ان يوثر فيه حر الشمس فيستمري ما في
جوفه وربما عرض له في تلك الحالة مثل الغش والسكر وبقي
كذلك اياما ثم ينعقد السحاب من تحته ثم يرفعه الرياح
الشديدة ويرمي به الى البر فيموت ويأكل من جيفته السباع
من مدينة ويرمي الى ياجوج وماجوج ما وراء السد فيصير
غذاءهما ثم ان هذا الحيوان على عظمته لا يناذي من شئ الا

من حيوان صغير في البحر يبلعه وهو لا يقدر عليه فتفتت سمه
في جسم هذا الحيوان فيموت ويصير غذاء للحيوانات وهكذا حكم
كل الحيوانات وذلك لان الجراد والنمل والذباب والبق وما
شاكلها غذاء للعصافير والقنابر والخطاطيف ثم هذا العصافير
والقنابر والخطاطيف غذاء للبواشيق والشواهين ثم هذه
الحيوانات اغذية للنسور والعقبان ثم انها اذا ماتت كلتها
الحيوانات الصغيرة من النمل والذباب والدود وهكذا حال بني
آدم فانهم ياكلون الطيور ثم ان الطيور ياكل الذباب والبق
فاذا مات ابن آدم اكلتهم في قبورهم الديدان والحشرات
فتارة ياكل صغار الحيوانات كبارها وتارة ياكل صغارها
كبارها بحصل العدل فان بالعدل قامت السموات والارضون
ومن عجايب البحر صدف الدرة ويقال ان لها وقتا معينا في
السنة تصعد من قعر البحر الى ظاهر سطح الماء في يوم المطير
فيفتح اذنين لها شبه السفطين فيقطر فيها من ماء المطر
حبات فاذا احست بذلك ضمت السفطين ضما شديدا حتى
لا يقع فيه شئ من الماء الملح الذي في البحر ثم ينزل برفق الى قعر
البحر وتمكث هنالك منضمة على الصدفين الى ان ينعقد الدر
في الصدف **الفصل التابع** في احوال الانعام اعلم انه سبحانه
استدل على وجود الصانع وقدرته وحكمته باحوال البهايم
وذكر ذلك في ايات كثيرة واجمعها ما جمعها في سورة النمل
فقال والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون

واعلم

واعلم ان هذه الحيوانات مخلوقة لمصلحة المكلفين فكل حيوان
كان انتفاع المكلفين اكثر كان اشرف ومعلوم ان انتفاع
المكلفين بالانعام اكثر من انتفاعهم بغيرها وذلك
لان الانعام منتفع بها في الاكل وذلك باكل لحومها وفي الشرب
وذلك بشرب البانها وفي اللبس وذلك باتخاذ الملابس
من اصوافها واوبارها وبالركوب وذلك بركوبها وبالحمل وذلك
بان تحمل امتعتهم في الاسفار وفي كثرة المال وذلك بسبب
درها ونسلها وفي التجمل بها وذلك لانها من الاموال الظاهرة
فيحصل التجمل بها ولما كان انتفاع الناس بالانعام اكثر من انتفاعهم
بساير الحيوانات لاجرم كانت الانعام اشرف انواع الحيوانات
فلهذا السبب قدمها الله تعالى في الذكر على ساير الحيوانات فقال
والانعام خلقها لكم فيها دفء ثم انه تعالى فصل القول في
بيان منفعتها فالمنفعة الاولى قوله لكم فيها دفء والمراد من
الدفء هو اللباس وذلك لان اللباس سبب الدفء فيسمى اللباس
باسم الدفء وتحقيق الكلام ان روح الانسان اشرف الارواح
السفلية والسبب في هذا الشرف العظيم كونها مشرفة بتشريف
الاضافة المذكورة في قوله ونفخت فيه من روحي ولما كانت
الروح الانسانية اشرف الارواح السفلية وجب ان تكون
البدن الانساني اشرف الابدان السفلية واشدها اعتدالا
وابعدها عن الكثافة والصلابة ولما كان بدنه في غاية
الاعتدال لاجرم لم تنبت على جلدة الشعور الكثيرة فلاجرم

شبكة الألوكة www.alukah.net

بقى عاريا عن الوطء والدثار والذى هو حاصل لسائر الحيوانات
واذا كان كذلك فلطافة مزاجه يوجبه الى التصون عن الحر
والبرد وكيفيات الاهوية ورطوبات الامطار وكذلك
عراة جلدة عن الشعر يوجبه ايضا الى ذلك فلاجرم احتاج الانسان
الى الملبوس المنفعة الثانية قوله فى هذه الآية ومنافع واعلم
ان ما قبل هذه الكلمة ذكر الدفء ولفظة المنافع مبهمة محتملة
فلما قدم ذكر الدفء يحتمل ان يكون المراد من هذه المنافع
هو المسكن ولما ذكر بعد هذه الكلمة الاكل يحتمل ان يكون المراد
من هذه المنافع الشرب اما الاحتمال الاول فيقول الانسان
كما هو محتاج الى الملبس فكذلك هو محتاج الى المسكن وسبب
الاحتياج من وجوه الاول ان كل احد من الناس قد يقدم
على ما لا يستحق اطلاع الغير عليه فلاجرم يحتاج الى المسكن
المفرد والثانى ان الانسان لا يمكنه الجلوس فى الحر الشديد
من الشمس وفى الهواء البارد جدا ولا يمكنه ان يجلس فى الرياح
الشديدة والامطار القوية فلاجرم يحتاج الى المسكن و
الثالث ان الانسان يحتاج الى ادخار الاموال والمطعومات
والملبوسات ولا يمكن حفظها الا بالدار والرابع ان الانسان
يحتاج الى ان يحترز من ضرر الاعداء السباع وذلك لا يمكن
الا بالدار فلاجل هذه الوجوه يحتاج الانسان الى التفرد
بالمسكن واعلم ان المسكن يجرى مجرى الثوب فى كونه ساترا للبدن
ومانعا من وصول المؤذيات من الحر والبرد والرياح اليه ولما ذكر

الله الملبوس قال بعده ومنافع اى منافع من جنس منفعة الملبوس
وهى منفعة المسكن واعلم انه تعالى شرح امر هذه السورة فى آية
اخرى فقال والله جعل لكم من بيوتكم سكنا اى تسكنون
فيه هوا ما تتخذ من الحجر والمدر وكل ذلك مخلوق لله تعالى ولكنه
ذكر بحسب تمكن المقيمين اتخاذ الابنية منها ثم قال وجعل
لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم اقامتكم
يعنى الخيام والقباب والفساطيط المتخذة من القطاع والجلود
للسفر والحضر ثم قال ومن اصوافها واوبارها واشعارها
اثاثا ومتاعا الى حين فالاثاث ما يحتاج اليه فى البيت
والمتاع ما يتنعم ويتجمل به ثم قال الى حين اى الى الموت والمعنى
ان الانتفاع بالدنيا يكون الى مدة ولا يدوم فينبغى للعاقل
ان يختار الاخرة واما الاحتمال الثانى وهو ان يحمل المنافع
المذكورة فى هذه الاية على المشروب واعلم انه تعالى جعل
البانها مشروبا لطيفا طاهرا وذكر هذه النعمة فى آيات
احدها قال تعالى فى النحل وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم
مما فى بطونه الاية والثانى قال فى سورة قد افلح وان لكم
فى الانعام لعبرة الاية المنفعة الثالثة من المنافع المطلوبة
من الانعام ومنها تاكلون واعلم انه تعالى ذكر منفعة الاكل
فى المرتبة الثالثة وههنا ابحاث البحث الاول فى سبب
احتياج الناس الى اكل اللحم واعلم ان السبب فيه ان الانسان
مركب من العظم واللحم ومن شان الغذاء ان يكون شبيها

بالمفترى فلهذا السبب كان اكمل الاغذية للانسان
هو اللحم البحث الثاني ان قوله ومنها تاكلون يفيد الحصر
والمعنى منها تاكلون لا من غيرها وظاهر هذه الاية يقتضي
حرمة اكل غيرها الا ما خصه الدليل فلما قال بعد
والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ذكر هذه الحيوانات
وخصها بانها مخلوقة للركوب مع ان الاية المتقدمة دالة
على حصر منفعة الاكل في جنس الانعام كان محمولا عليها دالا
على حرمة اكل لحم الخيل كما نقوله ابو حنيفة رضي الله عنه
المنفعة الرابعة قوله تعالى ولكم فيها جمال حين تريحون وحين
تسرحون الاراحة رد الماشية بالعشي من مراعيها الى مباركها
وسرح الماشية اطلاقها وانما قدم في الذكر مع انها متاخرة
في الوجود لان وقت الاراحة يكون وقت شبع وامتلاء ابدانها
من اللبن بخلاف وقت التسريح ولا شك ان التجمل في ذلك الوقت
اكمل المنفعة الخامسة قوله تعالى وتحمل اثقالكم الى بلد
لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس والشق المشقة والتحقيق
ان الشق نصف الشيء والمعنى لم تكونوا بالغيه الا بذهاب بعض
قواكم واعلم انه تعالى ذكر هذه المنفعة في آيات كثيرة منها
قوله ومن الانعام حمولة وفرشا ومنها قوله في يس أولم يروا
انا خلقنا لهم مما عملت ايدينا انعاما فهم لها مالكون الايات
وقال في المؤمن الله الذي جعل لكم الانعام لتركبوا منها
ومنها تاكلون ومنها قوله في الزخرف وجعل لكم من الفلك

والانعام

والانعام ما يركبون لتستووا على ظهوره الاية والنكتة
فيه ان الابل اقوى من سائقه وكذلك الخيل والفيل فذلك
الانقياد لا يتيسر الا بتسخير الله تعالى كما قال سبحانه
سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وما الغرض منه
الا التنبيه كانه تعالى يقول اما الذي جعلت القوى
منقادا للضعيف فاعلم اني قادر عليك ومستولي عليك
فينبغي ان تكون خائفا مني منقادا لحكمي
والا كسرت رقبتك في محل القهر

تم هذا الكتاب بعون الملك الوهاب على يدي ضعيف العباد
الراجي الى رحمة ربه يوم المعاد بخط العبد الضعيف المحتاج
الى رحمة ربه الكريم ابراهيم بن صالح بن حسن احسن الله وجهه
في يوم الحشر والقرار في نصف ليلة الجمعة في يوم السابع والعشرين
من شهر رجب المرجب المبارك من شهور سنه
ثلث وثمانين والف بعد الهجرة النبوية
حامدا لله تعالى ومصليا على رسوله محمد وآله
اجمعين غفر الله له ولوالديه
ولجميع المسلمين والمسلمات
والمومنين والمؤمنات
الاحياء منهم والاموات
برحمتك يا ارحم
الراحمين

شبكة الألوكة
www.alukah.net

٤٤٩

شبكة
الألوكة
www.alukah.net